الاعتقاد

والهداية إلى سبيل الرشاد

تأليف
شيخ السنة الإمام
أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
رحمه الله تعالى
(٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)

حقق على ست نسخ خطية نفيسة
ثلاث منها صححت وقرئت على الحافظ ابن حجر العسقلاني

شرف بخدمته
أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى
دمشق الشام

الاعتقاد

والهداية إلى سبيل الرشاد

بسم الله الرحمن الرحیم

الاعتقاد

والهداية إلى سبيل الرشاد

تأليف
شيخ السنة الإمام
أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
رحمه الله تعالى
(٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ)

حقق على ست نسخ خطية نفيسة
ثلاث منها صححت وقرئت على الحافظ ابن حجر العسقلاني

شرف بخدمته
أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى
دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي

الطبعة الثانية: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

الرقم الدولي: 978-9933-610-00-5

9789933610005

دار التقوى
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني
هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص ـ ب: ٣٠٧٢١
جوال: ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

على نعمةِ إيجادِ سيِّدنا محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام ، وولادتِهِ وشقِّ صدره ، ونبوءتِهِ ورسالته وبعثته ، وهجرتِهِ وفَتْحه ، واتِّباعِهِ ومحبَّته والاهتداءِ بهديه ؛ لك الحمدُ يا واهبَ المنن ، في السرِّ والعلن ؛ لك الحمدُ الذي ارتضيْتَ على ما هديتَنا به عليه أزكى صلواتك وتسليماتك ، فعظَّمْتَ به علينا المنَّة ؛ إذ جعلتنا من أهل السنَّة ، وشرَّفتنا بوراثة طريقته ، ومتابعة سيرته .

ثمَّ صلاتكَ الأزليَّة الأبديَّة ، على الذات المحمَّديَّة ، والآلِ والصحب والذريَّة ، وسلامُك مثل ذلك ، ما أوجدْتَ معدوماً وأعدمْتَ موجوداً ، يستغرقان العدَّ ، بلا نهايةٍ ولا حدٍّ .

وبعد ، وفي كلِّ ربعٍ بنو سعد :

فما أبهجَ الأيام تُقضى بساعات سعادة الطاعات ، ومعها سلامةُ الاعتقادات ؛ فهي مكنونُ سرِّ القلب الذي بصلاحه صلاحُ الجسد كلِّه ، وبفساده فسادُ الجسد كلِّه ، فما في القلب السليم إلا الاعتقادُ السليم ، الذي لا تشوبهُ الأهواءُ فتصليَهُ بنارها ، ولا تهوِّشه نزغاتُ الشكوك والظنون والأوهام فتكدِّرَهُ بشوائبِها ، فهو متوَجِّهٌ لله ، وساعٍ في طلب رضاه .

وأحسنْ بكتابٍ في الاعتقاد مرضيٍّ عند أهل العلم على تنوُّع علومهم ومناهجهم ! لا تهشُّ له وجوهٌ دون وجوه ، بل تنبسطُ له أساريرُ القوم ، مقرِّرينَ ما فيه ومقرِّين ، ومجدِّدين عهدَهُ مجدِّين ، لا يُملُّ سماعه ، ولا تنقضي الحاجةُ منه .

وقد كان لشيخ السنَّة الإمام البيهقيِّ عظيمُ الأثر في تنظيمِ السنَّة النبوية[١] ، وتنويعِ تصانيفها ضمن عنواناتٍ موضوعيَّة بديعة ، وكادت تآليفُهُ تكونُ فيها خاتمةَ القول ، لولا ما قضى الله بخبيئةٍ للآخِرِ تحت جدار الزمن ، تُبعثُ في هذه الأمَّة على يد من يجدِّد لها أمرَ دينِها ، ومن وراء ذلك صلاحُ دنياها ، وقد كان ممَّا دوَّنه رحمه الله تعالى موسوعات ضخمة ؛ كـ « السنن الكبير » ، و« معرفة السنن والآثار » ، ومنها دون ذلك ؛ كـ « السنن الصغير » ، و« المدخل إلى السنن الكبرىٰ » ، ومنها ما هو في الفقه وأدلَّته كالتي ذكرت ، ومنها ما هو في الأخلاق والسلوك ؛ كـ « الجامع لشعب الإيمان » ، و« الزهد الكبير » ، ومنها ما هو في الاعتقادات ؛ كـ « الأسماء والصفات » ، و« حياة الأنبياء » ، و« الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » ، وغيرها مما سترى الحديث عنه .

والشيخ البيهقيُّ واحد من أعلام فقهاء الشافعية، وأعيان المدرسة الأشعرية[٢]، وهو الملقَّب بـ (شيخ الإسلام) ، و (شيخ السنَّة) في القرن الخامس الهجري ، ذاك القرن الذي ألمَّت فيه نوازلُ شديدة بأهل السنة والجماعة ؛ من قِبل خصومٍ توازعتهم كراسيُّ الحكم ، وحرافيشُ العامَّة وغوغاؤهم ، تقودُهم عمائمُ ظاهرية متزهِّدة ، وأهلُ السنة يومَها يُطحنون طحنَ الحَبِّ بين حجري الرَّحى ، لولا كتابٌ من الله سبقَ ، فيه الوعد الحقُّ لأهل الحقِّ .

طائفةٌ خلبَ فؤادَها الوافدُ من العلوم العقلية المجرَّدة ؛ كالمنطق والرياضيِّ والطبيعيِّ والطبِّيِّ ، وهي علومٌ لم يكن للأوائل اشتغال بكثير منها ، كما أنَّهم لم ينكروا كثيراً منها ؛ إذ وعَوا أن المنطق علمُ آلة وضابطُ نظرٍ ، فأيُّ داعيةٍ لإنكاره ؟! وأنَّ علم الرياضيِّ ممَّا لا ينكره إلا غرٌّ غبي ، والطبيعي والطبيِّ ممَّا فيه

(١) نعتُهُ بتنظيم السنة النبوية الشريفة هو من وحي ما كتبه العلامة أحمد صقر الحسيني عن الإمام البيهقي ؛ فقد كان ينعته رحمه الله تعالى بمنظِّم السنَّة .

(٢) انظر الحديث عن إمامته بين أعلام السادة الأشاعرة (ص ٢١) .

فسحةٌ للبحث والنظر ، غير أنَّ هذه العلوم وصلت ممزوجةً بعلم الإلهيات عند المشتغلين بتلك العلوم ، فحسُنَ ظنُّ المتلقِّفينَ له لما رأوا من رصانة العلوم التي معه ، فأرادوا أن يحشروا هذيانات القوم في هذا العلم المنيف ضمن ما دوَّنوه في علم العقائد ، وليس للمجاور هنا حكم المجاور .

وطائفةٌ غرَّتها نفسُها ، وحسبَتْ أنَّ الرواية وجمعَ الآثار هما كلُّ شيء ، وجعلت عمدتَها في الاعتقاد ما وجدته في صحيحٍ أو سقيمٍ ما ترويه ، ولم تفرِّقْ بين محكم عليه المعوَّلُ ، ومتشابهٍ يجب ردُّهُ إلى ذاك المحكم ، مع ضيقِ عطنٍ في فهم النصوص ؛ فنشأَ نفيُ المجاز ، وإنكار القياس ، وتعارض النصوص ، وإقصاء دور العقل ، حتى صارت مطمعاً للطائفة الأولى ، تشينُها بما ذُكر ، وتتخذها أُضحوكةً في مجالس العلم والنظر ، وهي لا تتزيَّد ولا تتزوَّد إلا من إكثار الرواية في الردِّ عليها ، وما هذا بسبيلٍ مقيم[1]

لقد شارك الإمامُ البيهقي في الذبِّ عن أهل السنة ، ودافع برسالته التي كتبها لعميد الملك عن الأشعريَّة[2] ، وكان مع هذا يلحظُ الضرورةَ إلى تسطير كتاب في الاعتقاد على طريقة أهل الحديث والرواية ، يجمعُ فيه شملَ القوم ، ويؤيِّد العقل السليم بالنقل الصحيح ، فيستقيم المَنسِم ، وقد استقامَ بحمد الله .

وكان أن طُبع الكتابُ غير مرَّة ؛ بين طبعةٍ مستعجلة فيها بعض هنات ، وهي خلْوٌ من التبيين والتبصير بما فيه ، وبين أُخرى هشَّ لها القومُ حين رأَوا الكتابَ على طريقة المحدِّثين ، إلى أن جبهَتْهم تحريراتُ شيخِ السنَّة البيهقيِّ بما هم على

---

(١) لنعيم بن حماد وحده مثلاً ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية ، وهذه الكثرة لم تكن لتقمعهم ، ولكن لما ظهر علمُ الكلام الحقُّ على يد أعلام أهل السنة ، الجامعين لعلمي النقل والعقل ؛ كابن فورك المحدث الذي تسابق رواة الحديث للرواية عنه ، وهو إلى ذاك عالم بشبهات الجهمية الأغرار . . كُشف عوارهم ، وفُضحت أقوالهم ، فكان أن ذهبت أقوالهم ، وعاد الجهمية إلى منهج أهل السنة .

(٢) انظر الحديث عنها (ص ٢٨) .

خلافه في الاعتقاد الذي لأجله وُضع الكتاب ، فاكتفوا بمقدماتٍ نقديَّة ، كانت نتيجتها أن مؤلِّفَهُ قد تأثَّر بالأشعرية ! ثمَّ طوَّلوا ذيول تعليقاتهم الأجنبية عن موضوع الكتاب وغايتِهِ بما هو جملةٌ من التخريجات الأثرية ، مع أخرى لاذعة تتنقَّص مذهبَ الشيخ فيما قرَّر من مسائل الاعتقاد ، **مع نعته بمخالفة السلف في المعتقد ، وجهله بمذهبهم**[1] ، وإلزامه بأقوال الفلاسفة والجهمية ، وفي أكثر الأحوال بالأشعريَّة ، حتى تعدَّى الأمر إلى التحذير من كتبه العقدية !

وبعد هذا لك أن تعلم : أنَّ الإمام البيهقي **ما حادَ عن معتقد أهل السنة قِيدَ أنملة** ، وهو في كتابه هذا مقرِّرٌ لمذهبهم ، جامعٌ لطرقهم ، مؤلِّفٌ بين **منهجينِ كانا يومَها فيما يظهر للبعض متباينينِ** ، وهذا ما كان مدعاةً لإحياء طبعة الكتاب ؛ ليعود إلى ركنه ، وتُرفعَ عنه غربتُهُ .

ولعلَّ العناية بمراجعة وإعادة طباعة الكتبِ التي نُشرت ـ هدى الله ناشريها ـ بطابعِ من التجييشِ والتكثير لصفٍّ معيَّنٍ ، وحوزِ الأسماء الكبيرة لجانبه . . من أوجب الواجبات وأهمِّ المهمَّات ، ويتضاعفُ هذا الواجبُ إن كانت من الكتب الداخلة في السلاسل الدراسية ، أو المراجع الأصلية ، أو لها ندرةٌ في المكتبة الإسلامية .

ولو تُرِك كلُّ كتاب إلى أهل العلم فيه وفي الإحاطة بمذهبه ، **فلم تعدُ عليه يدٌ لا ترى طريقته ، ولا تنتهجُ سبيله** . . لعمَّت الأمانةُ في هذا الميدان ، ورحم الله الإمام الشافعيَّ إذ قال : (وقد تكلَّم في العلم مَنْ لو أمسكَ عن بعض ما تكلَّم فيه . . لكان الإمساكُ أولى به ، وأقربَ للسلامة له)[2]

ألهمَ الله علماءَ الأمَّة والقائمين على أمورها الرشدَ والسداد ، وأيَّدَهم بتوفيقه ، وجمع شملَهم على سبيل الهدى ، وتقبَّل منَّا جهدَنا ، إنَّه سبحانه خيرُ مسؤول وخيرُ مأمول .

---

(١) انظر ما كتبت حول منهج تحقيق كتب السنة عند بعض المتأخرين (ص ٥٧) .

(٢) كذا في « الرسالة » (ص٤١) .

ترجمة الإمام البيهقي

شيخُ السنَّة ، الإمامُ الحافظ ، الفقيه الأصوليُّ ، الدَّيِّنُ الوَرِع ، أبو بكرٍ ، **أحمدُ بن الحسين بن عليٍّ بن عبد الله بن موسى ، النيسابوريُّ البيهقيُّ الخُسْرَوْجِرْديُّ ، الشافعيُّ الأشعريُّ** .

لُقِّب بشيخِ السنَّة[(١)] ، وشيخِ خراسان[(٢)] ، وشيخِ الإسلام[(٣)] ، وهي ألقابٌ عزيزة ، قلَّ من جمعَها

والبيهقيُّ : نسبة إلى ناحية **بيهق** ؛ وهي ناحيةٌ كبيرة وكورة واسعة كثيرةُ البلدان والعمارة من نواحي نيسابور ، وكانت **خُسْرَوْجِرد** قصبتها[(٤)]

مولده ونشأته

وُلد الإمامُ البيهقيُّ في شهر شعبان ، سنة أربع وثمانين وثلاث مئة[(٥)] ، وكان أصلُهُ من شامَكان ونُوبَهار ، وكان أسلافه ينتسبون إلى شامَكان ، أمَّا هو فكانت ولادته ببيهق في خُسْرَوْجِرد[(٦)]

---

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (٣٠٧) ، و« الرسالة المستطرفة » (ص ٣٣) .

(٢) انظر « تذكرة الحفاظ » (٣/٢١٦) ، و« شذرات الذهب » (٥/ ٢٥٠) .

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٣) .

(٤) انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٣٧) .

(٥) كذا روى ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (٣٠٧) عن قاضي القضاة إسماعيل ، عن والده الإمام البيهقي ، وبهذا تعلمُ خطأ ما وقع في طبعة « تاريخ الخميس » (٢/ ٣٥٨) : من أن ولادته كانت سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة .

(٦) انظر « تاريخ بيهق » (ص ٣٤٥) .

تفقَّه على الإمام أبي الطيب سهل الصعلوكي[1]، وعلى الإمام الشريف ناصر العمري وغيره[2]، وكان الأستاذُ أبو القاسم الفوراني أستاذَهُ في الفقه، وتلميذَهُ في علم الحديث[3]

كما كتب الحديث وحفظه من صباه، وأكثر وبرع، وأخذ فنَّ الأصول، وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز، إلى أن شرع بالتصنيف[4]

وكان أن نال رتبةً في الفقه الشافعيِّ مازَ بها عن فقهاء الشافعية في عصره؛ إذ جمع بين الفقه والحديث، ونصر مذهبَ السادة الشافعية بما أوتيه، حتى قال فيه الإمامُ عبد الملك الجويني: (ما من شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ عليه منَّةٌ، إلا أحمد البيهقي؛ فإنَّ له على الشافعيِّ منَّةً؛ لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله)[5]، وقيل: إنَّه أوَّلُ من جمعَ نصوص الإمام الشافعيِّ[6]

وقد أعقب الإمامُ ولدينِ، اشتهرَ منهما ولدُهُ شيخ القضاة إسماعيل، وكان قاضيَ خوارزم[7]

---

(١) انظر «تاريخ بيهق» (ص ٣٤٤)، وهو أحد أعلام أساتذته في الأصول.

(٢) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٦٥)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٤/ ٩).

(٣) انظر «تاريخ بيهق» (ص ٣٤٥)، وكانا متعاصرين، وتوفي الإمام الفوراني سنة (٤٦١ هـ).

(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٦٧)

(٥) انظر «تبيين كذب المفتري» (٣٠٨).

(٦) قاله الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٠/ ٤٤٠)، وقال الإمام ابن السبكي في «طبقاته» (٤/ ١٠): (وليس كذلك، بل هو آخر من جمعَها، ولذلك استوعب أكثرَ ما في كتب السابقين، ولا أعرف أحداً بعده جمع النصوص؛ لأنه سدَّ الباب على من بعده).

(٧) كذا ذكر ابن فندق في «تاريخ بيهق» (ص ٣٤٦)، وقال عن ولده هذا: (وقد رأيته، وسمعت منه الحديث حين عاد إلى بيهق في شهور سنة ست وخمس مئة)، وقال: (والعقب من شيخ القضاة إسماعيل: القاضي أحمد المقيم بقرية أباري، ومات في سنة خمس وعشرين وخمس مئة)، وذكر الحافظ الذهبي في «السير» (١٨/ ١٦٩) من جملة =

شيوخه

تهيَّأَ للإمام البيهقي كثرةٌ من الشيوخ الأعلام ، حتى إنَّه روى عن أكثر من مئة شيخ .

قال الحافظ الذهبي : (سمع وهو ابن خمس عشرة سنة من : أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي ؛ صاحب أبي حامد بن الشرقي ، وهو أقدم شيخ عنده ، وفاته السماع من أبي نُعيم الإسفرايني صاحب أبي عوانة ، وروى عنه بالإجازة في البيوع .

وسمع من : الحاكم أبي عبد الله الحافظ فأكثر جداً ، وتخرَّجَ به .

ومن : أبي طاهر بن مَحْمِش الفقيه ، وعبد الله بن يوسف الأصبهاني ، وأبي علي الروذباري ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وأبي بكر بن فورك المتكلِّم[(١)] ، وحمزة بن عبد العزيز المهلبي ، والقاضي أبي بكر الحيري[(٢)] ، ويحيى بن إبراهيم المزكي ، وأبي سعيد الصيرفي ، وعلي بن محمد بن السقا ، وظَفَر بن محمد العلوي ، وعلي بن أحمد بن عبدان ، وأبي سعد أحمد بن محمد الماليني الصوفي ، والحسن بن علي المؤملي ، وأبي عمر محمد بن الحسين البسطامي ، ومحمد بن يعقوب الفقيه بالطابران ، وخلق سواهم .

ومن : أبي بكر محمد بن أحمد بن منصور بنوقان ، وأبي نصر محمد بن علي الشيرازي ، ومحمد بن محمد بن أحمد بن رجاء الأديب ، وأحمد بن محمد

= الرواة عن الإمام البيهقي : حفيده أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد .

(١) قال الحافظ ابن كثير في « طبقات الشافعيين » (ص ٣٥٤) في حقِّ الأستاذ ابن فورك : (ويقع حديثه في « سنن البيهقي » كثيراً ؛ فإنَّه من مشايخه ، وقد روى عنه « مسند أبي داود الطيالسي » بكماله) .

(٢) وهو من أعلام الآخذين عن أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/٣٥٦) .

الشاذياخي ، وأحمد بن محمد بن مزاحم الصفار ، وأبي نصر أحمد بن علي بن أحمد الفامي ، وإبراهيم بن محمد الطوسي الفقيه ، وإبراهيم بن محمد بن معاوية العطار ، وإسحاق بن محمد بن يوسف السوسي ، والحسن بن محمد بن حبيب المفسر ، وسعيد بن محمد بن محمد بن عبدان ، وأبي الطيب الصعلوكي ، وعبد الله بن محمد المِهرجاني ، وعبد الرحمن بن أبي حامد المقرئ ، وعبد الرحمن بن محمد بن بالويه ، وعبيد بن محمد بن مهدي ، وعلي بن محمد بن علي الإسفراييني ، وعلي بن محمد السبعي ، وعلي بن حسن الطهماني ، ومنصور بن الحسين المقرئ ، ومسعود بن محمد الجرجاني ؛ وهؤلاء كلُّهم من أصحاب الأصم .

وسمع ببغداد من : هلال بن محمد بن جعفر الحفار ، وعلي بن يعقوب الإيادي ، وأبي الحسين بن بشران ، وطبقتهم .

وبمكة من : الحسن بن أحمد بن فراس ، وغيره .

وبالكوفة من : جناح بن نذير القاضي ، وطائفة)[١]

وقال الإمام ابن السبكي : (حجَّ فسمع ببغداد من هلال الحفار ، وأبي الحسين ابن بشران ، وجماعة ، وبمكة من أبي عبد الله بن نظيف ، وغيره بخراسان والعراق والحجاز والجبال ، وشيوخُهُ أكثرُ من مئة شيخ)[٢]

وكذا روى عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، قال الحافظ عبد الغافر : (أكثرَ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الروايةَ عنه في تصانيفه)[٣]

وروى عن الإمام الجليل الدَّيِّن الخيِّر أبي الحسن علي بن الحسين بن علي

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٤) .
(٢) انظر «طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٨) ، مع تكرار ذكر بعض الشيوخ .
(٣) انظر « المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور » (ص ١٢٧) .

البيهقي[١] ، والسيد أبي سعيد زيد بن محمد بن ظَفَر العلوي الحسيني[٢] ، والإمام المؤرخ أبي القاسم حمزة بن يوسف القرشي السهمي الجرجاني صاحب « تاريخ جرجان »[٣] ، وأبي سعد الخركوشي عبد الملك بن محمد بن إبراهيم صاحب « تهذيب الأسرار » و« شرف المصطفى »[٤] ، وغيرِهم الكثيرِ .

مكانته في علوم الحديث

حسبُك في هذا ما ذكره العلامة المؤرخ ابن فندق في « تاريخ بيهق » إذ قال : (**لم يكن في عصره بخراسان من له قدرتُهُ على إدراك أحاديث المصطفى صلوات الله عليه على أوجهها** ، روى عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ مصنفِ كتابِ « تاريخ نيسابور » ، وعن الإمام أبي طاهر محمد بن محمد الزياديِّ ، والأستاذ الإمام ابن فورك ، وعن أبي عبد الرحمن السلمي .

وحَدَثَ مرَّة : أنَّه كان في مجلس الحاكم أبي عبد الله الحافظ ـ وكان غاصّاً بجمع كثير من العلماء ـ أن روى الحاكم أبو عبد الله حديثاً ، فأسقط أحدَ رواته ، فقال الإمام أحمدُ : لقد تركتَ أحدَ الرواة ! ولمَّا غضب الحاكم أبو عبد الله . . طلب إليه أن يحضر الأصلَ ، فأحضرَهُ ، **فكان الأمرُ كما قال الإمام أحمد**)[٥]

---

(١) انظر « تاريخ بيهق » (ص ٣٢٧) ، وقال عنه : (وهو الذي ارتبط الأستاذَ أبا إسحاق الإسفرايني والإمام أبا منصور عبد القاهر البغدادي للتدريس في مدرسته ، وطلب إلى الوزير أن يهيِّئ أسباب معاشهم ، وكانت أوقات المقيمين بتلك المدرسة منقسمة على ثلاثة أقسام قسم منها للتدريس ، وآخر لإملاء الأحاديث ، والثالث لتذكير المسلمين ووعظهم ، وكان الشيخ أحمد بن الحسين البيهقي المحدث مصنف كتب الأحاديث ووحيد عصره تلميذاً له ، وله اختلاف إليه)

(٢) انظر « تاريخ بيهق » (ص ٣٣٨) .

(٣) انظر « تذكرة الحفاظ » (٣/ ١٩٣) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٥٦) .

(٥) تاريخ بيهق (ص ٣٤٤) .

وقال عنه الحافظ عبد الغافر الفارسي : (فردُ أقرانه في الإتقان والضبط ، من كبار أصحاب الحاكم ، أبي عبد الله الحافظ والمكثرين عنه ، ثم الزائد عليه في أنواع العلوم) .

وقال : (جمع في تصانيفه : بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، والصحيح والسقيم ، وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث)[١]

وما زال شأنُهُ يعلو إلى أن طلب منه الأئمَّة الانتقال من بيهق إلى نيسابور ؛ لسماع الكتب ، فأتى في سنة إحدى وأربعين وأربع مئة ، وعقدوا له المجلس لسماع كتابه « المعرفة » ، وحضره الأئمة والفقهاء

ومن عجائب الأخبار لهذا الحبر الإمام : ما أخبر به الحافظ الذهبي عن فوات روايته لبعض أمهات كتب السنن ، مع بركة عظيمة في علوم الأثر ؛ قال : (بُورِكَ له في علمه ، وصنَّف التصانيف النافعة ، ولم يكن عنده « سنن النسائي » ، ولا « سنن ابن ماجه » ، ولا « جامع أبي عيسى » ، بلى عنده عن الحاكم وِقرُ بعير أو نحو ذلك ، وعنده « سنن أبي داود » عالياً)[٢]

مؤلّفاته

قال الإمام ابن السبكي : (ثم اشتغل بالتصنيف بعد أن صار أوحدَ زمانه ، وفارسَ ميدانه ، وأحذق المحدثين ، وأحدَّهم ذهناً ، وأسرعهم فهماً ، وأجودَهم قريحة ، وبلغت تصانيفه ألف جزء ، ولم يتهيَّأ لأحدٍ مثلها)[٣]

وقد كان للإمام البيهقي تآليف متنوعة ؛ بعضُها في أصول الدين ، وبعضُها في الفقه ، وبعضُها في التصوُّف والأخلاق والزهد ، وجلُّها في الحديث الشريف جمعها على عناوين متعددة ، فممَّا وقع الوقوف عليه :

---

(١) انظر «تبيين كذب المفتري» (٣٠٩) (ص ٥٠٠ـ٥٠١)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٦٧).

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٥) .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٩) .

ـ « **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد** » : وسيأتي الحديث عنه مفصَّلاً[1]

ـ « **الأسماء والصفات** » : وسيأتي ذكرُ سبب تأليفه[2] ، قال فيه الإمام ابن السبكي : (لا أعرف له نظيراً)[3]

ـ « **إثبات عذاب القبر** » : فيه ردٌّ على الفلاسفة الإسلاميين وبعض المعتزلة المانعين منه .

ـ « **حياة الأنبياء** » : وفيه ردٌّ على من نسب للأشعريِّ انقطاع نبوته عليه الصلاة والسلام .

ـ « **دلائل النبوة** » : وهو من أوسع الكتب الأثرية في هذه العنوانة .

ـ « **المدخل إلى دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** » : وقد طبع أول « دلائل النبوة » .

ـ « **الرؤية** » : ذكره في كتابنا « الاعتقاد » ، وجمع فيه أخبار رؤية الحقِّ تعالى كما وعد ، وهو غير مطبوع .

ـ « **القضاء والقدر** » .

ـ « **رسالة في الدفاع عن الأشاعرة** » : رفعها إلى عميد الملك الكندري ، ولها خبرٌ كبير في كتب التاريخ ، وقد نقلتُ كثيراً منها فيما ستراه[4]

ـ « **الإيمان** » : ذكره في كتابنا « الاعتقاد » ونقل عنه ، وهو غير مطبوع .

ـ « **فضائل الصحابة** » ذكره في كتابنا « الاعتقاد » ونقل عنه ، وهو غير مطبوع .

---

(١) انظر (ص ٣٢) .
(٢) انظر (ص ٢٤) .
(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩) .
(٤) انظر (ص ٢٨) .

- « **تخريج الأجزاء الكنجروذيات** » : أجزاء حديثية انتخبها من أحاديث الحافظ أبي سعد الكنجروذي وخرَّجها ، ذكره له العلامة الكتاني[1] ، وهو غير مطبوع .

- « **أحكام القرآن** » : وفيه جمع كلام الإمام الشافعي في أحكام القرآن .

- « **بيان خطأ مَنْ خطَّأ الشافعي** » .

- « **السنن الكبير** » : من أحفل كتب السنن الجامعة وأوسعها .

- « **معرفة السنن والآثار** » : وهو كتاب « السنن الوسطى » ، ويختصر فيقال : « المعرفة » ، قال الإمام ابن السبكي : (لا يستغني عنه فقيه شافعي ، وسمعت الشيخ الإمام رحمه الله يقول : مراده معرفةُ الشافعيِّ بالسنن والآثار)[2]

- « **السنن الصغير** » : وهو كتاب جامع نفيس ، ذكرَ في طالعته أهميةَ كتابه « الاعتقاد » .

- « **المدخل إلى السنن الكبرى** » .

- « **الخلافيات** » : ويذكره ويحيل عليه في « السنن الكبير » ، قال الإمام ابن السبكي (وأما كتاب « الخلافيات » .. فلم يسبق إلى نوعه ، ولم يصنف مثله ؛ وهو طريقة مستقلة حديثية ، لا يقدر عليها إلا مبرِّزٌ في الفقه والحديث ، قيِّمٌ بالنصوص)[3]

- « **القراءة خلف الإمام** » .

---

(١) انظر « الرسالة المستطرفة » (ص ٩٣) .
(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩) .
(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩)

ـ « **المبسوط في نصوص الشافعي** » : قال الإمام ابن السبكي : (ما صُنِّفَ في نوعه مثلُهُ)[1]

ـ « **الزهد الكبير** »

ـ « **الزهد الصغير** » : وهو غير مطبوع[2]

ـ « **الجامع لشعب الإيمان** » : أوسع موسوعة أخلاقية أثرية .

ـ « **الدعوات الكبير** »

ـ « **الدعوات الصغير** » : وقد سمعه الإمام السمعاني[3] ، وهو غير مطبوع .

ـ « **الترغيب والترهيب** »

ـ « **الآداب** » .

ـ « **الأربعون في الأخلاق** » : وهو غير مطبوع[4]

ـ « **الأربعون الصغرى** »

ـ « **فضائل الأوقات** » .

ـ « **مناقب الإمام الشافعي** » .

ـ « **مناقب الإمام أحمد** » أَلَّفه ـ إضافة لذكر فضائله ـ للذبِّ عنه فيما نسبه إليه بعض أصحابه من القول بالتشبيه ، وانظر بعض نصوصه المنقولة[5] ، وهو غير مطبوع .

ـ « **رسالة إلى أبي محمد الجويني** » : ينصحه فيها بالإعراض عمَّا عزم عليه

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩) ، و« تاريخ بيهق » (ص ٣٤٥) .

(٢) انظر « الرسالة المستطرفة » (ص ٥١) .

(٣) انظر « الأنساب » (٤/ ١٩٦) .

(٤) انظر « كشف الظنون » (١/ ٥٣) .

(٥) انظر (ص ٢٥) .

من صناعة مذهب له بعد شروعه في تأليف كتاب سمَّاه بـ « المحيط »[1]

ـ « الردُّ على الانتقاد على الشافعي في اللغة » .

ـ « الأسرى » : كذا ذكره الإمام ابن السبكي[2]

هذه أبرز الكتب التي تصحُّ نسبتها للإمام البيهقي ، وقد قال الإمام ابن السبكي : (وكلُّها مصنفاتٌ نظاف ، مليحة الترتيب والتهذيب ، كثيرة الفائدة ، يشهد من يراها من العارفين بأنَّها لم تتهيَّأ لأحد من السابقين)[3]

ثناءات أهل العلم عليه

قال عنه الحافظ عبد الغافر الفارسي في « تاريخه » : (كان البيهقي على سيرة العلماء ، قانعاً باليسير ، متجمِّلاً في زهده وورعه)[4]

وقال الإمام ابن السبكي : (كان الإمام البيهقي أحدَ أئمة المسلمين ، وهداةِ المؤمنين ، والدعاةِ إلى حبل الله المتين ، فقيهٌ جليل ، حافظٌ كبير ، أصوليٌّ نحرير ، زاهدٌ ورع ، قانتٌ لله ، قائمٌ بنصرة المذهب أصولاً وفروعاً ، جبلاً من جبال العلم)[5]

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٥/ ٧٧) ، وقال : (فوقع إلى الحافظ أبي بكر البيهقي منه ثلاثة أجزاء ، فانتقد عليه أوهاماً حديثية ، وبيَّنَ أن الآخِذَ بالحديث الواقفَ عنده هو الشافعيُّ رضي الله تعالى عنه ، وأن رغبته عن الأحاديث التي أوردها الشيخُ أبو محمد إنَّما هي لعلل فيها ، يعرفها من يتقن صناعة المحدثين ، فلمَّا وصلت الرسالة إلى الشيخ أبي محمد . . قال : هذه بركة العلم ، ودعا للبيهقي ، وترك إتمام التصنيف ، فرضي الله عنهما) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ١٠) .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ١٠) .

(٤) نقله عنه الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٧) .

(٥) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٨) .

وقال الإمام ابن السبكي : (قيل : كان البيهقيُّ يصوم الدهر من قبل أن يموت بثلاثين سنة)[1]

وقال العلامة ابن قاضي شهبة : (كان كثيرَ التحقيق والإنصاف ، حسنَ التصنيف)[2]

وقال العلامة المؤرخ ياقوت : (أوحد الدهر في الحفظ والإتقان ، مع الدين المتين)[3]

وممَّا قال أبو القاسم البرزهي البيهقي في حقِّ الإمام البيهقي[4] : (من البسيط)

يا أحمدُ بنَ الحسينِ البيهقيَّ لقدْ دوَّخْتَ أرضَ المساعي أيَّ تدويخِ
أنـتَ المليُّ بتقـديمٍ وتكـرمـةٍ أنـتَ الحـريُّ بتـأميـمٍ وتشييـخِ

رؤى ومبشرات صالحة

صحَّ عن النبيِّ عليه أزكى الصلوات والتسليمات أنَّه قال : « **لم يبقَ مِنَ النبوَّةِ إلا المُبشِّراتُ** » ، قالوا : وما المبشراتُ ؟ قال : « **الرؤيا الصالحةُ** »[5] ، وكان الشيخ البيهقيُّ واحداً ممَّن رُئيت له المبشِّرات المؤيِّدات لمنهجه وطريقه .

وقد روى الإمام الحافظ ابن عساكر في « التبيين » عن شيخ القضاة أبي علي إسماعيلَ بنِ أحمد بن الحسين البيهقي الإمام قال : (**حدثنا والدي الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين** قال : حين ابتدأتُ بتصنيف هذا الكتاب ـ يعني : « معرفة السنن والآثار » ـ وفرغت من تهذيب أجزاء منه . . سمعت الفقيهَ أبا محمد أحمد بن أبي علي يقول ـ وهو من صالحي أصحابي ، وأكثرهم قراءة

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ١١) .
(٢) انظر « طبقات الشافعية » (١/ ٢٢٠)
(٣) انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٣٨) .
(٤) انظر « تاريخ بيهق » (ص ٣٤٦) .
(٥) رواه البخاري (٦٩٩٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

لكتاب الله عزَّ وجلَّ ، وأصدقهم لهجة ـ : رأيت الشافعيَّ في المنام وبيده أجزاءٌ من هذا الكتاب وهو يقول : قد كتبتُ اليومَ من كتاب الفقيه أحمد سبعةَ أجزاء ، أو قال : قرأتُها ، ورآه يعتدُّ بذلك !

قال : وفي صباح ذلك اليوم رأى فقيهٌ آخرُ من إخواني يُعرف بعمر بن محمد في منامه الشافعيَّ رحمه الله قاعداً على سرير في مسجد الجامع بخُسْرَوجِرد وهو يقول : قد استفدت اليومَ من كتاب الفقيه أحمد حديث كذا وكذا .

قال : وحدثنا والدي قال : وسمعت الفقيه أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ يقول : سمعت الفقيه أبا بكرٍ محمدَ بن عبد العزيز المروزي الخبوجردي يقول : رأيت في المنام كأن تابوتاً علا في السماء يعلوه نورٌ ، فقلت : ما هذا ؟ فقال : هذا تصنيفات أحمد البيهقي)[١]

قال الحافظ الذهبي : (هذه رؤيا حقٌّ ؛ فتصانيف البيهقي عظيمة القدر ، غزيرة الفوائد ، قلَّ من جوَّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر)[٢]

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (٣١٠)

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٨) .

إمامة البيهقي في أصول الدين
على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري

ما في ترجمة الإمام البيهقيِّ رحمه الله تعالى ممَّا طالعت وتطالعُ . . تراه في عموم كتب الترجمات التي ترجمت له ، وبعضُها يتمِّمُ الآخر ، وما تحت هذه العنوانة قد لا تجدُهُ إلا بشيءٍ من التعنِّي والبحث ، وتأليفِ بعضه ببعض بعد تأمُّل ، ولولا عاديةٌ عدَتْ على هذا العلَمِ الإمام ، فشوَّهت من سيرته ، ووسمته بما هو منه براءٌ ، ثم لمَّا لم تجد تمامَ بغيتِها رفعَتْ عقيرتها دون حياء محذِّرةً من منهجه ومعتقده .

أقول : لولا هذا كلُّهُ . . لما كان ثمَّ ما يدعو لتدوين ما ستقرأُ من الأسطر ؛ فالذبُّ عن عرض المسلم قُربة وطاعة ، والذبُّ عن العلماء الأبرار الربَّانيين واجبٌ ودين .

وكلمةُ السلف الفضفاضة قد اختبأَ تحت دثارها من لا يُرضي اعتقادُهم وفعلُهم وقولُهم السلفَ الصالحين ، ودعوى الانتساب للكتاب والسنَّة لا تخلو عنها فرقةٌ إسلامية .

والدعاوى ما لم تقيموا عليها　　بيِّنـاتٍ أبناؤُها أدعياءُ

وأهلُ الحقِّ مشاركون في هذه الدعوى ، ومقيمون البرهان على صحَّتها ، وليست هذه السطور ميداناً لبيان هذا ، بل يُرجع في بيانه للكتب التي أُلِّفت لأجل ذلك ، ورحم اللهُ الحافظ اليافعيَّ إذ قال حينما رأى مَنْ غمزَ على الأشاعرة في كتب الحديث والتاريخ ، وطعنَ بالإمام الرازي : (ومذهبُ الكرامية والظاهرية

معروفٌ ، والكلامُ عليهما إلى كتب الأصول الدينية مصروفٌ ، فهنالك يُوضِحُ الحقَّ البراهينُ القواطع ، ويظهرُ الصوابُ عند كشف النقابِ للمبصر والسامع)[١] .

منهجه العقدي :

وإليك أخي ما يُقِرُّ عينَك في تأكيد ما عرفته عن الإمام وسلامة معتقده ، وأنَّه إمام أشعريٌّ نبيل ، لم يكتفِ بأن يكون معتقده ما حرَّره علماء الأصول من قبله ، بل كان شجىً في حلوق خصومهم ، وذابّاً عن طريقة الأشاعرة ، ومظهراً لفضلهم .

ويبيِّن لك هذا : أقوالُهُ المنبئة عن معتقده ، وطريقتُهُ ومنهجُهُ في عَرْض ذاك المعتقد ، وهذا تنظره في الحديث عن كتابه « الاعتقاد » الذي بين يديك ؛ ولا سيما في أقواله المحرَّرة ، هذه الأقوالُ هي المسائلُ الرئيسة التي ميَّزت أهل السنة عن غيرهم من الفرق الإسلامية[٢] .

وترى هذا بتعمُّده الذي لا يخفى في النقل عن الشيخ الأشعريِّ ، وصاحبه أبي الحسن عليِّ بن محمد الطبريِّ ، والإمام الحَليميِّ ، والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني ، والأستاذ أبي منصور الإسفراييني ، والأستاذ أبي الطيب الصعلوكي ، والأستاذ ابن فورك ، والحافظ أبي عبد الرحمن السلمي ، وغيرهم رحمهم الله أجمعين ، وهم مَنْ علمت فضلَهم ومكانتَهم في تقرير عقائد أهل السنة والذبِّ عنها

بل صرَّح في كتابنا « الاعتقاد » بالانتساب إلى الشيخ الأشعريِّ ؛ فقال : (قد

(١) انظر « مرآة الجنان » (٣/ ٣٦٢) ، والحافظ اليافعي هو شيخ الحافظ العراقي صاحبِ « طرح التثريب » .

(٢) انظر الحديث عن ذلك (ص ٣٧) ، ثم هذه الأقوال هي أبرزها وأشهرها ، ولها أخوات غيرها .

احتجَّ بما ذكرنا من الآيات عليُّ بن إسماعيلَ رحمه الله وغيرُهُ من علمائِنا في إثبات إمامة الصدِّيق رضي الله عنه)[١]

ذكرُ العلماءِ المحدِّثين والفقهاءِ له بين طبقات الأشاعرة ، وأنَّه على طريقتهم :

يُسمِّي الحافظان الذهبي وابن كثير وغيرهما كتابَ « تبيين كذب المفتري » بـ « طبقات الأشعريَّة »[٢] ؛ وذلك أنَّه ألَّفه على رسم أهل الحديث ، وبعد حديثه عن شيخ السنة أبي الحسن الأشعري جعل أتباعَهُ على طبقات ، ثم ذكر الإمام البيهقيَّ في الطبقة الثالثة من أصحاب الأشعريِّ[٣] ، وختمَ بذكره هذه الطبقة ، وبيَّنَ في ترجمته ـ التي سأذكر بعضها ـ عظيمَ أثره في هذا المنهج الحميد .

وقال الإمام ابنُ السبكيِّ في حقِّهِ : (وقرأ علمَ الكلام على مذهب الأشعريِّ)[٤]

وقال في بحث زيادة الإيمان ونقصانه في مقدمات « طبقاته » : (أقول : قد صرَّح بالزيادة والنقص ـ يعني : في الإيمان ـ من أصحاب الأشعريِّ الذين يرون تبديعَ مَنْ خالفه . . ثلاثةٌ : محدِّثٌ ، ومتكلِّمٌ ، وصوفيٌّ ؛ وهم : البيهقيُّ ، والأستاذ أبو منصور البغدادي ، وأبو القاسم القشيري ، وهؤلاء من عُمُدِ الأشاعرة)[٥]

تصنيفُهُ بعضَ التآليف للذبِّ عن الأشاعرة :

إنَّ المتأمِّل لكتابنا « الاعتقاد » يرى أنَّ الإمام البيهقيَّ أراد وضْعَ كتابٍ في

---

(١) انظر (ص ٤٢٨) .

(٢) انظر مثلاً « تاريخ الإسلام » (٢٩/ ٤٨٦) (٣٢/ ٦٢)، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١١٧)، و« طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٣٥٣) .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٥٠٠) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩) .

(٥) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (١/ ١٣٣)

الاعتقاد يجمع فيه بين طريقة أهل الأثر وأهل النظر[1] ، ولكن قد لا يكون هذا جلياً إلا لمن عرفَ الطريقتين ، غير أنَّنا أمامَ كتابينِ على أقلِّ تقدير كان تأليفُهما استجابةً واضحة من قِبَل الإمام للدفاع عن منهج الأشاعرة ؛ وهما كتابُ « الأسماء والصفات » ، وكتاب « مناقب الإمام أحمد »

كتاب « الأسماء والصفات »

كان سبب تصنيفِهِ لكتاب « الأسماء والصفات » هو الطلب الحثيث من إمامٍ أشعريٍّ من أعلام المتكلمين ؛ وهو الأستاذ أبو منصور محمَّدُ بن الحسن بن أبي أيوب النيسابوري ، ختنُ الإمام أبي بكر بن فورك ، الذي قال فيه الحافظ عبد الغافر الفارسي : (هو محمدُ بن الحسن بن أبي أيوب ، الأستاذ أبو منصور ، حُجَّة الدين ، صاحب البيان والحجة والنظر الصحيح ، أنظرُ مَنْ كان في عصره على مذهب الأشعريِّ)[2] ، كان يريد من الإمام البيهقي جمعَ كتابٍ أثريٍّ فيه أخبارُ وأحاديثُ الأسماء والصفات ، وتوجيهَها توجيهاً صحيحاً ؛ نصراً للسنة ، وقمعاً للبدعة ، غير أنَّ هذا الرجاء لم يكن ليتمَّ إلا بعد وفاة هذا الإمام .

ففي إحدى الالتفاتاتِ في كتاب « الأسماء والصفات » التي يذكر فيها الإمام البيهقي التأويلَ لبعض المتشابهات[3] . . ينبِّهُ لسبب تأليفه هذا الكتاب ، ناقلاً شرحاً عن هذا المتكلِّم النظَّار ، فيقول : (ومعنى هذا فيما كتب إليَّ الأستاذ أبو منصور محمد بن الحسن بن أبي أيوب الأصوليُّ رحمه الله ، الذي كان يحثُّني على تصنيف هذا الكتاب ؛ لما في الأحاديث المخرَّجة فيه من العون على ما كان فيه من نصرة السنة وقمع البدعة ، ولم يقدَّرْ في أيام حياته ؛ لاشتغالي بتخريج الأحاديث في الفقهيات على مبسوط أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

(١) انظر الحديث عن هذا (ص ٣٦) .

(٢) نقله عنه الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥٧٣) .

(٣) ولذلك قال في خاتمته (ص ٤٧٣) : (هذا آخر ما سهل الله تعالى نقله في أسماء الله تعالى وصفاته ، وما يحتاج إلى تأويل مع التأويل) .

رحمه الله ، الذي أخرجته على ترتيب مختصر أبي إبراهيم المزني رحمه الله ، ولكلٍّ أجل كتاب)[1]

كما أكثر فيه من النقل عن أبي الحسن علي بن محمد الطبريِّ ، وهو من أعلام المتكلمين ، وقد صحب الشيخ الأشعري بالبصرة وتخرَّج به ، بل كان إماماً في الفقه ، والتفسير ، والمعاني ، وأيام العرب ، وهو صاحب كتاب « تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات »[2] ، وهي من مقاصد الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » .

كتاب « مناقب الإمام أحمد »

عَلَمٌ من أعلام الشافعية يؤلِّف كتاباً في مناقب الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، ولا عجب ، فتأليفُهُ هذا نشأَ عن نظرٍ أصولي ، لا فقهيٍّ فرعي ؛ فاعتقادُ الأئمة الأربعة واحدٌ ؛ إذ لا اجتهادَ ولا تقليدَ في الأصول ، والإمام أحمد ممَّن جنى عليه بعضُ الحنابلة المنتسبون إلى مذهبه ، حتى غلَتِ الغَيرةُ في قلب إمام منهم ؛ وهو الحافظ ابن الجوزي ، فدوَّن في الدفاع عن هذا الإمام العظيم كتابَهُ المعروف بـ « دفع شبه التشبيه بأكفِّ التنزيه » .

وللغرض ذاته دوَّن الإمام البيهقيُّ كتابَه « مناقب الإمام أحمد » ، مع ترجمة له وذكرٍ لفضله ومكانته العلمية ؛ إذ هو أحد المجتهدين المتبوعين ، فكان ممَّا قال

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٣٦٩) ، ويقول العلامة الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في تقديمه لكتاب « الأسماء والصفات » (ص ٤) : (لذلك رأى الحافظ البيهقي أن إهمال أحد الجانبين لا يجدي نفعاً في استنقاذ جمهرة الرواة عمَّا تورَّطوا فيه من الجهل بالله سبحانه ، فقام بتأليف كتاب « الأسماء والصفات » ساعياً في استقصاء ما ورد في الأبواب من الأحاديث ، مع تبيين الصحيح والسقيم منها ، وتثبيت وجه الكلام في النصوص الواردة في الأسماء والصفات ، ناقلاً عن قادة النظر وسادة التأويل المعانيَ المرادة منها ، فأحسن جدَّ الإحسان ، وأجاد كلَّ الإجادة ، إلا في مواضع يسيرة مغفورة في بحر إفضاله الموَّاج ، فالله سبحانه يكافئه على هذا العمل) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٤٦٦) .

فيه : (أنكر أحمد على من قال بالجسم ، وقال : إنَّ الأسماء مأخوذةٌ من الشريعة واللغة ، وأهلُ اللغة وضعوا هذا الاسمَ على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ، واللهُ سبحانه خارجٌ عن ذلك كلِّهِ ، فلم يجزْ أن يُسمَّى جسماً ؛ لخروجه عن معنى الجسمية ، ولم يجئ في الشريعة ذلك ، فبطل) .

وقال أيضاً نقلاً عن الإمام أحمد : (احتجُّوا عليَّ يومئذ ـ يعني : يوم نُوظر في دار أمير المؤمنين ـ فقالوا : تجيء سورة « البقرة » يوم القيامة وتجيء سورة « تبارك » ! فقلتُ لهم : إنَّما هو الثوابُ ؛ قال تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ ؛ إنما تأتي قدرته ، وإنما القرآن أمثال ومواعظ) ، ثم قال الإمام البيهقي : (هذا إسناد صحيح لا غبارَ عليه)(١)

ثم قال : (وفيه دليلٌ على أنَّهُ كان لا يعتقدُ في المجيءِ الذي ورد به الكتاب ، والنزولِ الذي وردَتْ به السنة . . انتقالاً من مكان إلى مكان ؛ كمجيء ذوات الأجسام ونزولها ، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته ؛ فإنهم لمَّا زعموا أنَّ القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته . . لم يجزْ عليه المجيء والإتيان ؛ فأجابهم أبو عبد الله بأنه إنَّما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ ، فعبَّر عن إظهاره إيَّاها بمجيئه ، وهذا الجوابُ الذي أجابَهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحُذَّاقُ من أهل العلم ، المُنزَّهون عن التشبيه)(٢)

خصومُ البيهقيِّ في منهجه العقديِّ يقرُّون بأشعريَّته :

فقد قال العلامة ابن تيمية : (وهذه الطريقةُ التي سلكها ـ يعني : الإمام الخطابي ـ في تقسيم الأحاديث إلى الأقسام الثلاثة ، وما ذكر في الصفات الخبرية . . هي تشبهُ طريقةَ أبي محمد بن كُلَّابٍ ؛ وهي طريقةُ طوائفَ كثيرةٍ ممَّن

---

(١) انظر « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٢٧) .

(٢) انظر مقدمة العلامة الكوثري لكتاب « الأسماء والصفات » (ص ٩) .

يقول بالكلام والحديث وغير ذلك ، وهي طريقة الأشعريِّ نفسِهِ ، والبيهقيِّ في آخر أمره ، وطريقة ابن عقيل في آخر أمره)[١]

وهذا الكلام يوهم أنَّ الإمام البيهقيَّ لم يكن أشعرياً في ابتداء طلبه ! ولكن لم يذكر لنا شبهة دليل لهذا القول ، ولكنَّها عادة الشيخ ابن تيمية في ترك القارئ في بلبلة وحيرة بشأن من لا يتمكَّن من إصابة مرماه فيه ، ولا سيما إمامة الشيخ البيهقيِّ في علوم الحديث روايةً ودرايةً ممَّا يتعذَّر التشكيك فيه ، وعلى أيِّ حال **فأشعريَّتُهُ في أخريات حياته ، وأنَّهُ صار إليها . . أجدرُ بنا أن نتمسَّك بها** ؛ لما نعلم من تمام العقل وسعة العلم في مثل تلك السنوات ، ولما عهدناه عن القوم أنَّهم عادةً يذهبون إلى الأسماء الكبيرة من أعلام الأمة ، فيصطنعون لهم توبةً في أُخريات حياتهم ، وأوبةً إلى منهج السلف ؛ ونجا ولله الحمد من هذا العبث الإمامُ البيهقي

وقال العلامة ابن تيمية أيضاً وهو يتحدث عن الإمام الأشعري : (وأئمة أصحابه كالقاضي أبي بكر وابن فورك والبيهقي وغيرهم)[٢] ، فصرح بكونه من أتباع الأشعري .

وأمَّا بشأن المتأخِّرين الذي أغاروا على كتب الإمام البيهقي ، وحاولوا تطويعها لمنهجهم : فحسبُكَ بما ذكروه في مقدماتهم وتعليقاتهم حول الأخطاء العقدية التي وقع بها البيهقيُّ ، ومخالفتِهِ لمنهج السلف ! ولا أدري إن كان مثلُ البيهقيِّ الذي اجتمعَتْ كلمةُ أهل العلم على فضله وإمامته ، وهو مخالفٌ لمنهج السلف ، وفي أهمِّ ما يُعوَّلُ عليه ؛ وهو الاعتقاد . . فترى مَنْ هم الذين وافقوا منهجَ السلف يا لها من كلمة ظلومٍ ، لا حياءَ فيها ولا تذمُّم ! ولكن المقصود من وراء هذه الكلمات أن تعلمَ أن القومَ يعلمون أشعريَّة البيهقيِّ ويكتمونها في بعض الأحايين ؛ حذراً ألا يكون إلى صفِّهم .

---

(١) انظر « بيان تلبيس الجهمية » (٦/ ٢٣٨) .
(٢) انظر « الفتاوى الكبرى » (٣/ ٢٢٤) .

مشاركتُهُ لعلماء عصره في الدفاع عن الأشاعرة :

وهذه منقبةٌ حميدة للإمام البيهقيِّ ، فقد كانت له مشاركةٌ بارزة في وأد الفتنة التي أشعلَ أُوارها الكندريُّ زمنَ طغرل بك ، وكان قد أَمر بلعن بعض طوائف المسلمين على المنابر ومنهم الأشاعرة، فانبرى للردِّ عليه أعلامُ العلماء ؛ من أمثال أبي إسحاق الشيرازي ، وأبي القاسم القشيري ، والجويني ، ومنهم إمامُنا البيهقي .

وإليك ما ذكره الحافظ اليافعيُّ في تأريخ هذه الواقعة ؛ إذ قال رحمه الله تعالى : (وقال الإمام الحافظ الحبر المحقق الماهر ، والبحر الخضم الطامي الزاخر ، المشتمل على نفيس الدرر وعوالي الجواهر ، الجامع بين المعقول والمنقول ، والفروع والأصول ، الصافي من سائر البدع النقيُّ ، أحمد بن الحسين المكنيُّ بأبي بكر البيهقي ، في أثناء رسالته الحسناء البالغة المرضية ، في مكاتبة العميد واستعطافه لنصرة الأشعرية :

ثم إنَّه ـ أعزَّ الله تعالى نصره ـ صرف همَّتَهُ العالية إلى نصرة دين الله تعالى ، وقمع أعداء الله عزَّ وجلَّ ، بعد ما تقرَّر للكافة حسنُ اعتقاده ؛ بتقرير خطباء أهل مملكته على لعن مَنِ استوجب اللعن من أهل البدع ببدعته ، فألقوا في سمعه ما فيه مساءةُ أهل السنة والجماعة كافة، ومصيبتُهم عامة؛ من الحنفية والمالكية والشافعية، الذين لا يذهبون في التعطيل مذهب المعتزلة ، ولا يسلكون في التشبيه طرق المجسمة، في مشارق الأرض ومغاربها ، ليتسلَّوا بالأسوة معهم في هذه المسماة، بما يسوءهم من اللعن والقمع في هذه الدولة المنصورة ، يثبتها الله تعالى إن شاء .

ونحن نرجو عثوره عن قريب على ما قصدوا ، ووقوفه على ما أرادوا ؛ ليستدرك بتوفيق الله عزَّ وجلَّ ما بدرَ منه فيما أُلقي إليه ، ويأمرَ بعزل من زوَّر عليه ، وقبَّح صورة الأئمة بين يديه .

وكأنه خفيَ عليه ـ أدام الله تعالى عزَّهُ ـ حالُ شيخنا أبي الحسن الأشعري عليه رحمة الله تعالى ورضوانه ، وما يرجع إليه من شرف الأصل ، وكبر المحلِّ في العلم والفضل ، وكثرة الأصحاب من الحنفية والمالكية والشافعية ، الذين رغبوا

في علم الأصول ، وأحبُّوا معرفة دلائل العقول .

وفضائل الشيخ أبي الحسن الأشعريِّ ومناقبه أكثرُ من أن يمكن حصرها في هذه الرسالة ؛ لما في الإطالة من خشية الملالة) ، ثم قال الحافظ اليافعي : (فهذا ما اقتصرتُ على ذكره من رسالته المليحة ، البالغة في الذبِّ والنصرة والنصيحة)[1] .

وقال الإمام ابنُ السبكيِّ عن هذه المشاركة : (وقد جالَتْ هذه الرسالة في البلاد ، وانزعجت نفوس أهل العلم منها ، وقام كلٌّ منهم بحسب قوَّته ، ودخلت بيهقَ ، فوقفَ عليها الحافظ البيهقيُّ ولبَّى دعوتها)[2]

وكذا لمَّا طلبَ منه بعضُ المتكلمين من الأشاعرة بيانَ فضيلة الشيخ أبي الحسن الأشعري في ذكر الأشعريين في الحديث المرفوع ، وأنهم يحبُّهم الله تعالى ويحبُّونه ، فذكر هذا ، وقد نقل الحافظ ابنُ عساكر ذلك فقال : (قال البيهقيُّ : وذلك لما وَجَدَ فيه من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ؛ فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أُوتوا العلمَ ورُزقوا الفهم ، مخصوصاً من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة ؛ بإظهار الحجَّة وردِّ الشبهة .

والأشبهُ أن يكون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما جعل قوم أبي موسى من قوم يحبُّهم الله ويحبُّونه ؛ لما علم من صحَّة دينهم ، وعرف من قوة يقينهم ؛ فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفي التشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولَهم . . جعل من جملتهم)[3]

ونقله الإمامُ ابن السبكيِّ عنه ، وختمه بقوله مؤكِّداً : (هذا كلام البيهقي)[4] ،

---

(١) انظر «مرآة الجنان» (٢/ ٢٣٠) مع تصحيح بعض المفردات من «تبيين كذب المفتري» (ص ٢٢٧).

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٩٩) .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ١٥١) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٦٣) ، وقال عقبه : (ونحن نقول ـ ولا نقطع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : يشبهُ أن يكون نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إنما ضرب =

ثم قال : (ثم أخذ البيهقيُّ في ذكر ترجمة الشيخ وذكر نسبه ، ثم قال : إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، فلم يُحدِثْ في دين الله حدثاً ، ولم يأتِ فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين ، فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، وأنَّ ما قالوا وجاء به الشرع في الأصول صحيحٌ في العقول ، بخلاف ما زعم أهلُ الأهواء، من أنَّ بعضه لا يستقيمُ في الآراء ، فكان في بيانه تقويةُ ما لم يدلَّ عليه أهل السنة والجماعة ، ونصرة أقاويل من مضى من الأئمة ؛ كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة ، والأوزاعي وغيره من أهل الشام ، ومالك والشافعي من أهل الحرمين ومن نحا نحوهما من أهل الحجاز وغيرها من سائر البلاد ، وكأحمد بن حنبل وغيره من أهل الحديث ، والليث بن سعد وغيره ، وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري إمامي أهل الآثار ، وحفاظ السنن التي عليها مدار الشرع . . .) إلى أن قال : (وصار رأساً في العلم من أهل السنَّة ، في قديم الدهر وحديثه ، وبذلك وعدَ سيدُنا المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم أمتَهُ)(١)

وكان من جملة ما قاله الإمامُ البيهقي في حقِّ شيخ السنة أبي الحسن الأشعري : (وحين كثرت المبتدعةُ في هذه الأمَّة ، وتركوا ظاهرَ الكتاب والسنة ، وأنكروا ما وردا به من صفات الله تعالى ؛ نحو الحياة والقدرة والعلم والمشيئة والسمع والبصر والكلام والبقاء(٢) ، وجحدوا ما دلَّا عليه ؛ من

= على ظهر أبي موسى رضي الله عنه في الحديث الذي قدمناه ؛ للإشارة والبشارة بما يخرج من ذلك الظهر في تاسع بطن ؛ وهو الشيخ أبو الحسن ، فقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم إشاراتٌ لا يفهمها إلا الموفقون المؤيدون بنور من الله ، الراسخون في العلم ، ذوو البصائر المشرقة ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾) .

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٩٧)، و« تبيين كذب المفتري » (ص٢٣٠) .

(٢) لا يخفاك أن ذكر صفات المعاني بما فيها البقاء هي طريقة الشيخ الأشعري وبعض أصحابه ، =

المعراج ، وعذاب القبر ، والميزان ، وأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل الإيمان يخرجون من النيران ، وما لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم من الحوض والشفاعة ، وما لأهل الجنة من الرؤية ، وأن الخلفاء الأربعة كانوا محقِّين فيما قاموا به من الولاية ، وزعموا أن شيئاً من ذلك لا يستقيم على العقل ، ولا يصحُّ في الرأي . . أخرج الله من نسل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه إماماً قام بنصرة دين الله ، وجاهد بلسانه وبيانه مَنْ صدَّ عن سبيل الله ، وزاد في التبيين لأهل اليقين أنَّ ما جاء به الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة . . مستقيمٌ على العقول الصحيحة)(١)

وفاته رحمه الله تعالى :

قال الحافظ ابن عساكر : (وكان رحمه الله على سيرة العلماء ، قانعاً من الدنيا باليسير ، متجملاً في زهده وورعه ، وبقي كذلك إلى أن توفي رحمه الله بنيسابور ، يوم السبت العاشر من جمادى الأولى ، سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، وحمل إلى خُسْرَوجردَ) روَّتْ جدثَهُ سحبُ الرضوان ، آمين .

* * *

= والتحقيق أن البقاء من السلوب ، وعلى أي حال فإثبات المعاني زائدة على الذات من أبرز ما تميَّز به أهل السنة والجماعة .

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٩٨) ، وزاد في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٣٢) : (هذا ؛ والكلام في علم الأصول وحدث العالم ميراثُ أبي الحسن الأشعري ؛ عن أجداده وأعمامه الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألوه عن علم الأصول وحدث العالم) .
قال الإمام ابن السبكي عن هذه الرسالة المباركة في « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٩٩) : (وقد تضمَّن هذا الكتاب ـ وقائلُهُ من علمتَ من الحفظ والدين والورع ، والاطلاع والمعرفة ، والثقة والأمانة والتثبت ـ أنَّ الصحابة ومن تبعهم بإحسان من علماء الأمة فقهائها ومحدثيها . . على عقيدة الأشعري ، بل الأشعري على عقيدتهم ، قام وناضل عنها ، وحمى حوزتها من أن تنالها أيدي المبطلين وتحريف الغالين ، وقد سمَّى من الفقهاء والمحدِّثين من سمعت) .

كتاب
« الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد »

اتَّفقت جميعُ النسخ الخطية المعتمدة ـ وهي ستٌّ ـ على هذه العنوانة للكتاب دون أدنى زيادة ، وهي نسخٌ مسندة لمؤلف الكتاب الإمامِ البيهقي ، وما ذُكر من كون اسم الكتاب « **الاعتقاد** » فهو من باب اختصار الاسم ، وبذلك يذكره مصنِّفُهُ وعامةُ أهل العلم ، وما ذكره الحافظُ الذهبي من كون اسمه « **المعتقد** »[(١)] فهو تصرُّفٌ ساغ بالنظر إلى موضوعه مع طلب الاختصار أيضاً .

نسبتُهُ إلى الإمام البيهقي :

ليس هناك أدنى شكٍّ في نسبة هذا الكتاب للإمام البيهقي ؛ **فقد نصَّ على تأليفه** وأحال عليه ، وأثنى على أسلوبه فيه ؛ **حيث ذكره في كتاب « الآداب » صريحاً** كما سترى ضمن الحديث عن شأن « الاعتقاد » ، وناهيك به شاهداً ، ثم يشهد لتلك النسبة **رواياتُهُ واتصالُ أسانيده** لمؤلفه على ظهور نسخِهِ الخطية وفي كتب الأسانيد والأثبات ، **وإحالةُ العلماء** المتقدِّمين والمتأخِّرين عليه ، **وذكرُهُ ضمن مؤلفات الإمام البيهقي** في كتب الترجمات وبصيغ الجزم ؛ فممَّن ذكره : العلامة المؤرخ ابن فندق ، والإمام السمعاني ، والعلامة ياقوت الحموي ، والحافظ الذهبي ، والحافظ ابن كثير ، والحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر ، والإمام السيوطي ، والعلامة الكتاني من المتأخرين ، وغيرهم[(٢)]

---

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٦)

(٢) انظر « تاريخ بيهق » لابن فندق (ص ٣٤٥) ، و« الأنساب » للسمعاني (٢/ ٤١٣) ، =

شأنُ كتاب « الاعتقاد » عند مؤلِّفه وأهلِ العلم من بعده :

للإمام البيهقيِّ ميزاتٌ في كتبه وسمتُهُ بالتبرُّز والأسبقيَّة وسعةِ الاطلاع وبحبوحة العلم ؛ فكتبُهُ التي ألَّفَها في نصرة مذهب السادة الشافعية مثلاً تُعَدُّ مدرسةً متكاملة المعالم ، حتى قال فيه إمامُ الحرمين الجوينيُّ كلمتَهُ التي عرَّفَتْ بالبيهقي وقدره : (ما من شافعيٍّ إلا وللشافعيِّ في عنقه منَّةٌ ، إلا البيهقيَّ ؛ فإنَّهُ له على الشافعي منَّةٌ ؛ لتصانيفه في نصرته لمذهبه وأقاويله)(١)

ومن **الملحوظات العامَّة التي يراها الواقف على كتبه** : سمتا البسط والاختصار في آنٍ معاً ؛ فالبسيطُ للمتأهِّل المختصِّ والطالبِ للتوسُّع والإحاطة ، والمختصرُ للعجلان الراضي بخاتمة القول دون تدقيق وتحرير ، وكلا الأمرين مطلوبٌ ومحتاج إليه .

وكتابُ « الاعتقاد » من تلك المختصرات الرشيقة الماتعة ، **والتي لا يستغني عنها ناظرٌ في أدلَّة أصول الدين النقليةِ ممزوجةً برؤوس الأدلَّة العقلية** ، هذا الجمعُ الذي هو أشبهُ على وجازته بالكمال ، والمورثُ للطمأنينة وراحةِ البال ، والمُخْرِج من ربقة التقليد إلى سعة فضاء المعرفة ، وهو ما ستراه في الداعية لتأليف هذا الكتاب .

وقد قال عنه مؤلِّفه في مقدمة كتاب « الآداب » وهو يبيِّنُ فوائد الإيجاز والاختصار في هذه الأبحاث والأبواب : (فإنَّ الله جل ثناؤه لما سهَّل ـ وله الحمد والمنَّة ـ إيجازَ ما صنفته في الأصول في كتاب سميتُه : « **الاعتقاد** » ، واختصارَ ما خرَّجته

= و« معجم البلدان » (١/ ٥٣٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٨/ ١٦٦) ، و« طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٤٣٠) ، و« تخريج الإحياء » للحافظ العراقي (ص ١٣٧) ، و« التلخيص الحبير » (٢/ ٢٥٤) ، و« تدريب الراوي » (٢/ ٨٨٩) ، و« الرسالة المستطرفة » (ص ٣٣) .

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٣٠٨) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ١٠) .

في الفروع في كتاب سميتُهُ : « المختصر » . . أردت ـ والمشيئة لله عزَّ وجلَّ ـ أن أضمَّ إليه كتاباً مختصراً فيما رُوي في البر والصلة ، ومكارم الأخلاق ، والآداب والكفارات ، ليكون كافياً مع المختصرينِ لمن لم يصل إلى تحصيل الكتب المبسوطة ، مغنياً معها عنها)[١]

وقال فيه أيضاً ذاكراً سُبُلَ تحصيل السعادة بطلبِ ضروريات العلم ، والإحاطةِ بأُمَّات المسائل التي إليها الإشارةُ في حديث : « طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم »[٢] : (فمن وفَّقه الله تبارك وتعالى لاعتقاد ما سبق ذكرُنا له في كتاب « الاعتقاد » ، وأعانه على عبادته بما قد بيَّنَّا ذكرَهُ في « مختصر كتاب السنن » في العبادات والمعاملات والمناكحات والحدود والأحكام ، ثم على استعمال ما ذكرنا من الآيات فيه وفي هذا الكتاب في أمور المعاش والمعاد ، وفيما يليه من « المختصر من كتاب الدعوات » . . كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات)[٣] .

وممَّا يعرِّفك قدْرَ هذا الكتاب : ما قاله الإمام ابنُ السبكي فيه وفي غيره : (وأمَّا كتاب « الاعتقاد »، وكتاب « دلائل النبوة »، وكتاب « شعب الإيمان » ، وكتاب «مناقب الشافعي»، وكتاب «الدعوات الكبير» . . فأقسمُ ما لواحدٍ منها نظير)[٤]

وتقدَّمت كلمتُهُ العظيمة الجامعةُ للقول في تآليف الإمام البيهقي ؛ حيث قال : (وكلُّها مصنفاتٌ نظافٌ ، مليحةُ الترتيب والتهذيب ، كثيرةُ الفائدة ، يشهدُ من يراها من العارفين بأنَّها لم تتهيَّأ لأحد من السابقين)[٥]

فهذا هو شأنُ كتابنا « الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » ؛ فعنوانُهُ أمارةٌ

---

(١) الآداب (ص ٤) .

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، ورواه الإمام البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٤٣) عنه وقال : (هذا حديثٌ متنُهُ مشهور ، وإسناده ضعيف) .

(٣) الآداب (ص ٣٥٠)

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٩) .

(٥) انظر (ص ١٨) .

عليه وعلى ما فيه ؛ فهو رأسٌ وما سواه ضميمةٌ إليه ؛ لتحصيل السعادتينِ ، وعزِّ الدارينِ ؛ عزِّ الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعزِّ الآخرة باللقاء والمشاهدة ، وفَّقَنا الكريمُ المنَّان سبحانه لهما ، ومنَّ علينا بفضله بهما .

داعيةُ تأليف « الاعتقاد » :

حسبُك ما قاله عنه مؤلِّفُه في طالعته : (فأردتُ ـ والمشيئةُ لله تعالى ـ أنْ أجمعَ كتاباً يشتملُ على بيان ما يجبُ على المكلَّف اعتقادُهُ والاعترافُ به ، مع الإشارةِ إلى أطراف أدلَّتِهِ على طريق الاختصار ، وما ينبغي أن يكونَ شعارَهُ على سبيلِ الإيجاز ، واستخرتُ اللهَ عزَّ ذكرُه في ذلك وفي جميع أموري ، وابتدأتُ به مستعيناً بالله عزَّ اسمُهُ على إتمامه ، وأسألُهُ أن يجعلَني والناظرينَ فيه ممَّن يخصُّهُ بجميل إنعامِهِ وإكرامه ، وجزيلِ إحسانه وامتنانِهِ)[١]

وما قاله في خاتمتِهِ : (هذا الذي أودعناه هذا الكتابَ؛ اعتقادُ أهل السنة والجماعة وأقوالُهم ، وقد أفردنا كلَّ باب منها بكتاب يشتملُ على شرحه ، منوَّراً بدلائله وحججِهِ ، واقتصرنا في هذا الكتابِ على ذكر أصولِهِ ، والإشارةِ إلى أطراف أدلَّته ؛ إرادةَ انتفاعِ مَنْ نظرَ فيه ، والله يوفِّقنا لمتابعة السنة واجتناب البدعة ، ويجعل عاقبةَ أمورنا إلى رشد وسعادة ، بفضله وسعة رحمته ؛ إنَّهُ المنَّان ، الواسع الغفران)[٢]

وما قاله عنه في كتابه « السنن الصغير » : (إن الله تبارك وتعالى سهَّلَ عليَّ تصنيفَ كتابٍ مختصر في بيان ما يجبُ على العاقل البالغ اعتقادُهُ والاعترافُ به في الأصول ، منوَّرٍ بذكر أطراف أدلَّته من كتاب الله تعالى ، وسنة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومن إجماع السلف ، ودلائل المنقول)[٣]

---

(١) انظر (ص ٧٩) .

(٢) انظر (ص ٤٧٢) .

(٣) السنن الصغير (١/ ٥) ، ثم دعا الله سبحانه بعد هذه الكلمة فقال : (والله تعالى بجزيل =

وبهذا ـ مع تقليب أوراق « الاعتقاد » ـ نعلمُ أنَّ الغرضَ من تصنيفه يرجعُ إلى :

ـ عرضِ معتقد أهل السنة والجماعة بنوعِ اختصارٍ ، مع تفصيلِ ما لا بدَّ منه .

ـ تدعيمِ هذا المعتقد بالأدلَّة النقليَّة مصحوبةً برؤوس الأدلَّة العقلية ، مع إلمامات خاطفةٍ بردِّ شبهِ المخالفين وأهل الأهواء ، ممَّا لا يُستغنى عنه

الإمام البيهقي يجمعُ بين طريقتي أهل الأثر وأصحاب النظر في « الاعتقاد » :

أجملُ ما في كتاب « الاعتقاد » هو التناغمُ البديع دون أدنى هُجْنة بين الأدلَّة النقلية الجلية ، والأدلَّة العقلية القطعية ، فعرضَ لمعتقَد أهل السنَّة برشاقةٍ تخفِّف عنَّا عناء التطويل ، وابتعادٍ عن اصطلاحات خاصَّةٍ دائرة في كتب المتكلمين ، مع اعتبارٍ رئيس لمسلك المحقِّقين من أهل السنَّة ، وعلى رأسهم السادةُ الأشاعرة ، وتقدَّم لنا الحديثُ عن أشعريَّة المصنف في مسلكه العقدي ، وأنَّه من أئمَّتِهم[1] ، لا أنَّه متأثِّر بهم ! فصار كتابُهُ بحقٍّ رأسَ الكتب المعتنية بالأدلَّة النقليَّة عندهم ، المؤيِّدة لما حرَّروهُ من مسائل الاعتقاد ، وعلى ترتيب أبوابهم .

أمَّا طريقة أهل الأثر والأخبار المروية فيه : فلا تخفى أنفاسُهُ المتلاحقة ـ وهو إمام محدِّث خبير ـ في انتخاب بعض الأسانيد المنتقاة ؛ والتي رواتُها من أساطين المدرسة الأصولية العقدية ؛ فإنك ترى هذا بتعمُّده الذي لا يخفى في النقل عن الشيخ الأشعريِّ ، والأُستاذينِ أبي إسحاق وأبي منصور الإسفراينيَّين ، والأُستاذينِ أبي الطيب الصُّعلوكي وابن فُورَكَ ، وغيرهم رحمهم الله أجمعين ، وهم من

= إنعامه وإكرامه يعيننا على حسن عبادته ، وبفضله وسعة رحمته يتجاوز عنا ما قصَّرنا فيه من طاعته ، ويوفقني لإتمام ما نويته من بيان مذهب أهل السنة والجماعة في استعمال الشريعة على طريق الاختصار ، ويعينني والناظرين فيه للاستشعار به ، والاقتداء في جميع ذلك بأهل الرشد والهداية ، ولحسن عاقبتنا في أمور الدنيا والآخرة ؛ إنه قريب مجيب ، وبعباده رؤوف رحيم) .

(١) تقدم (ص ٢٢) .

علمتَ فضلَهم ومكانتَهم في تقرير عقائد أهل السنة والذبِّ عنها ، ومَنْ له أدنى دربة في كتب اعتقاد أهل السنة يعلم دقَّةَ انتقاء هذه الأسماء الجليلة الشأن في هذا الكتاب .

وأمَّا عن نوع هذه الآثار : فللإمام البيهقي منهج رائد كتب عنه في مقدمة « دلائل النبوة » ، وعلى العموم : فما من أثر مرفوع أو موقوف ، أو مرسل أو مقطوع أو منقطع . . إلا وهو صالحٌ للشهادة في هذا الكتاب على الجُملة ؛ بتفصيلٍ لا يخفى عند أهل الصنعة ؛ إذ ليس في الكتاب أثرٌ موضوع ، والضعيفُ تشهد له الأصول العامَّة ، مع رواياتٍ يمكن تتبُّعُها عند المستقصي لتقوية الضعيف بالشواهد ، وإجماعِ العلماء والتلقي بالقبول ، بل حتى الضعيفُ الصِّرْف هو من بابةِ الاستئناس ، لا أنَّه أصلٌ في الاستدلال ، يعرفُ هذا أهلُ الدربة والدراية والنظر ، ناهيك أنَّ الإمام البيهقي لم يروِ في كتبه أثراً اتُّفق على وضعه ، وهو في كتابٍ دُوِّن في الأصول أحرصُ على الأخذ بهذا الذي التزمه من عامة كتبه في جمع السنن والآثار ، وقد قال العلامة المحدِّث الكَتَّانيُّ عن تآليفه (وقد التزمَ في جميعها أنَّه لا يُخرِّجُ فيها حديثاً يعلمُهُ موضوعاً ؛ ككتاب « الاعتقاد »)[١]

وأمَّا طريقةُ أصحاب النظر ، واعتماد الأدلَّة الجدلية : فستطالعُ هذا مع الورقات الأولى من الكتاب ؛ في طالعتِهِ التي خصَّها بالحديث عن صفة الإرادة التي في إثباتها الردُّ على الفلاسفة القائلين بالطبع والعلَّة ، وإثبات حدوث العالم بالتغيُّر والتبدُّل ، وامتناعِ انقلاب القديم محدثاً وبالعكس ، وأن الفاعل لا يفعلُ مثلَهُ ، وأن المثيل لا يصنع مثله أيضاً ، وهي عينُ طرائق متكلِّمي الأشاعرة في ردِّهم على الفلاسفة القائلين بقدم العالم .

وترى هذا بإثباته صُراحاً لصفاتِ المعاني السبعة التي قال بها الأشاعرة ، وإلحاقه كثيراً من الأسماء الحسنى وبعض الصفات الخبرية بها ، وأنَّه سبحانه

---

(١) انظر « الرسالة المستطرفة » (ص ٣٣) .

وتعالى قديمٌ بذاته وصفاته ، وأمَّا أفعاله فحادثة ، وتفريقه بين صفات الأفعال المحدثة ، وصفات المعاني القائمة بذاته تعالى ، وتأكيده زيادة المعاني السبعة على الذات ، وذكره لخلاف الأشعريِّ في صفة البقاء ، وإثباته رؤية الحقِّ سبحانه ردّاً على المعتزلة ، وأنَّ هذه الرؤية ليست في جهة ردّاً على المشبهة ، وحديثه عن الكسب في أفعال العباد على طريقة الشيخ الأشعري ، وطريقة إثبات النبوة ، وإثباته للكلام النفسيِّ له سبحانه ، وأنَّه غير متبعِّض ولا متجزِّئ .

ثم بعد هذه المسائل التي القولُ بها فيصلُ التفرقة بين أهل السنة وغيرهم من الفرق الإسلامية ، والتي هي علَمٌ على الأشعريَّة . . نعلم أنَّ مجرَّد التشكيك في أشعريَّة الإمام البيهقي هو ضربٌ من الوهم ، وتخبُّطٌ ناشئٌ عن غَيرةٍ لفوات هذا الاسم الكبير والمحدث الجليل ، فلا يحوزه هذا القائل إلى جماعته .

*

وجه ذم علم الكلام على لسان الأثبات من المحدثين

العلماء ورثةُ الأنبياء ؛ وعلماءُ كلِّ قرن لأهل قرنهم وما بعدهم ؛ فمنهم : مَنْ كانت وراثته أقربَ إلى الكمال الذي يليقُ به كوارث وحاملٍ للشريعة المطهرة البلجاء ؛ كمجتهدي الصحابة بين الصحابة ، ومجتهدي التابعين بين التابعين ، ومِنْ بعدهم أعلامٌ كُثُرٌ ؛ كالأئمَّة الأربعة المتبوعين ، ومنهم : مَنْ كانت وراثتُهُ دون ذلك ، وهم على أزواجٍ شتى ، ومدارسَ متنوعةٍ ؛ فبعضهم أخذ بعلمٍ دون غيره حتى صار إماماً فيه ، وبمسلك دون غيره حتى صار سِمَةً له ؛ فإذا سمعت باسم نافعٍ المدني وحمزةَ الزياتِ . . ذكرت علم القراءات ، أو أبي عمرو وسيبويه وثعلبٍ . . قام علم النحو بين يديك ، أو يحيى بن معين وأبي زرعة وابن أبي حاتم . . انبرى علم الحديث والأثر ، وبعضهم كانت له إمامةٌ في أكثرَ من علم ، يقاربُ أهل الاجتهاد أو يباعد ، وهم إلى ذلك كلِّهِ عصبةٌ واحدة ، تشملُهم عباءةُ السنَّة ويتلفَّعون بها .

وبهذا تعلمُ أنَّ علماء التفسير وأصحاب القراءات وأرباب النحو ليسوا فرقاً إسلامية ، قُلْ مثل هذا في أصحاب الحديث والرواية ، وأهل الفقه والاجتهاد ، وعلماء الأصول والكلام ، بل إن كانت هناك هيمنةٌ على عامَّة أهل العلم من أهل العلم . . فهي للفقهاء ؛ إذ هم ساداتُ العلماء ، حيث إليهم تنتهي الكلمةُ في بيان الحلال والحرام ؛ فهم الذين يظهرون حكمَ الله تعالى من كتابه وسنة نبيِّه عليه الصلاة والسلام ، وهم المؤتمنون على من وراءهم من عامَّة خلق الله سبحانه ، بين صرامة حكمٍ اجتمعوا عليه ، ورحمةٍ واسعة فيما اختلفوا فيه ، وهم إلى هذا متَّفقون ومجمعون على أصول اعتقادية واحدة ، فإن رأيت خلافاً في بعضها . . فهي ليست من الأصول التي يقضي الخلافُ فيها تبديعاً أو تكفيراً .

واعلم : أنَّ القارئ إن قال عن قراءة حرفٍ من كتاب الله تعالى : يجبُ أن يقرأ

على وجهٍ كذا ، ويحرم أن يقرأ على خلافه . . **فهو فقيهٌ في قوله هذا وليس بقارئ** ؛ لأن حدَّهُ كقارئٍ للقرآن تنتهي بنقلِ وجوه التلاوة ليس غير

وقد ظنَّ ظانُّون أنَّ أصحاب الحديث فرقةٌ إسلامية ، **قسيمتُها فرقةُ أهل الرأي** ! ففاتهم الصوابُ من حيث النعت بكلمة (فرقة) ، ومن حيث إنهم لم يتنبَّهوا لكون أعلام جلَّة من أهل الحديث كانوا أهل رأي ؛ كمالك والشافعي مثلاً ، وأن من أهل الرأي من كان له إمامةٌ في الحديث ؛ كأبي حنيفة وصاحبه القاضي أبي يوسف .

وكلُّنا يعلم أنَّ كلمة (الرأي) تطلقُ على المذموم منه والممدوح ، **وأنَّ مواطنَ إطلاقها في الذمِّ** ؛ كقول المصطفى عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قالَ في القرآنِ برأيِهِ . فليتبوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النارِ »[1] . . إنَّما هو بالرأي الذي لا تُقرُّهُ أصول الديانة وقواعد التشريع ، **وأنَّ مواطن المدح** ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « ربَّ حاملِ فقهٍ إلى مَنْ هو أفقهُ منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ »[2] ، وقول سيدنا عليٍّ رضي الله عنه ؛ فيما رواه البخاري والنسائي عن أبي جحيفة أنه قال : سألنا علياً فقلنا : هل عندكم من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شيء سوى القرآن ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبَّةَ وبرأ النسمةَ ، إلا أن يعطيَ اللهُ عزَّ وجلَّ عبداً فهماً في كتابه[3] .

والفقهُ والفهم هنا هو الرأي الحسن الذي وُفِّق إليه ، وهذا لا يكون إلا لمؤيَّدٍ من عند الله كما يظهر من نصِّ الخبرين ، **والفهمُ والفقه زائدٌ على نصوص الكتاب والسنة** ، ومن قال بغير هذا . . فهو مكابر[4]

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٥١) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٣١) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو داود (٣٦٦٠) ، والترمذي (٢٦٥٨) من حديث سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه .

(٣) صحيح البخاري (١١١) ، سنن النسائي (٨/ ٢٣) .

(٤) يقول حجة الإسلام في « إحيائه » (٢/ ٣٢١) : (من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير . . فهو مخبرٌ عن حدِّ نفسه ، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، **ولكنه مخطئ في الحكم بردِّ الخلق كافةً إلى درجته التي هي حدُّهُ ومحطه** ، بل الأخبارُ والآثار تدلُّ على أن في معاني القرآن متَّسعاً لأرباب الفهم) .

ومن هنا يتبيَّنُ لك خطأُ مَنْ يردُّ علمَ الأصول ـ سواء أكان علمَ أصول الدين المعروف بعلمِ العقيدة ، أم بعلمِ الكلام إن اعتُني فيه بردِّ شبهِ الخصوم ، أم علمَ أصول الفقه والاجتهاد ـ أو يردُّ بعضَ مسائله التي انعقدت خناصرُ أهل العلم على الأخذ والعمل بها . . بسيلٍ من الآثار النبوية أو الأخبار المتناقلة عن السلف الصالح في ذمِّ الرأي والجدل ، دون تنبُّهٍ لمناط الذمِّ وعلَّتِهِ ، ودون تيقُّظٍ للفهوم والفقه المتحصِّل عن أعلام السلف ، المستنبط بالرأي الحسن ، والنظر السليم ؛ مع الانسجام التامِّ بين النقول والعقول .

وقد مرَّ علمُ الكلام بمراحلَ طوريَّةٍ متعدِّدة كأيِّ علم آخر ، فلا عجبَ في ذلك ، بل العجبُ أن ترى المكتبةَ الفقهية المترامية الأطراف والمتنوعة الخلاف في زمن الصِّدِّيق رضي الله عنه مثلاً ! أو ترى الموسوعات الحديثية التي تحكي الآلاف في زمن ابن شهابٍ الزهريِّ ! وكذا تفاصيلُ علمِ أصول الدين كانت مستودعةً في نواةٍ قرآنيةٍ نبويةٍ ، فَلَقَها أهلُ العلم بإرادةٍ سرمديَّة ؛ فكانت منها شجرةٌ باسقة فارعة الأغصان ، لا يتحاتُّ ورقُها ، أصلُها ثابت وفرعُها في السماء ، تُؤتي أُكُلَها كلَّ حين بإذنِ ربِّها ؛ هي شجرةُ (لا إلهَ إلا اللهُ ، محمدٌ رسولُ الله) .

ولتقعِ الكفايةُ بضرب مثلٍ واحد في ذمِّ علم الكلام ، على لسان علمٍ من أعلام السلف مجمعٍ على جلالته وعلمه وفقهه ؛ هذا العلمُ هو الإمام الشافعيُّ رحمه الله تعالى ، ثم ليُقَسْ كلامُ غيره به ؛ طلباً للاختصار ، وإعراضاً عن الملال ، فلنصغِ لذمِّهِ للمشتغلين بعلم الكلام ، ونلتمسْ وجهَ المراد منه في كلام الإمام الحافظ شيخ السنة البيهقي .

فقد روى عن الإمام الشافعيِّ في « مناقب الشافعي » قولَه : (من ارتدى بالكلام . . لم يفلح) ، وعلى الفور عقبَهُ بقوله : (وإنَّما يعني ـ والله أعلم ـ كلامَ أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة ، وجعلوا معوَّلَهم عقولَهم ، وأخذوا في تسوية الكتاب عليها ، وحين حُملَتْ إليهم السنةُ بزيادة بيان لنقص أقاويلهم . .

اتَّهموا رواتَها ، وأعرضوا عنها ، فأمَّا أهل السنة . . فمذهبُهم في الأصول مبنيٌّ على الكتاب والسنة ، وإنَّما أخذ مَنْ أخذ منهم في العقل إبطالاً لمذهب من زعم أنَّهُ غيرُ مستقيم على العقل)[1]

وروى الإمام البيهقي أيضاً في «مناقب الشافعي» روايةً عن الإمام الشافعي طويلةَ الذيل فيها ذمُّ الكلام ، ثم عقَّبَها بقوله : (إنَّما أراد الشافعي رحمه الله بهذا الكلام حفْصاً وأمثاله من أهل البدع ، وهذا مرادُهُ بكلِّ ما حُكيَ عنه في ذمِّ الكلام وذمِّ أهله ، غير أنَّ بعض الرواة أطلقه ، وبعضهم قيَّده ، وفي تقييد من قيَّده دليلٌ على مراده)[2]

إنَّ حفصَ الفردِ واحدٌ من الذين شغبوا فلوَوا آياتِ الكتاب وصحاحَ أحاديث السنة بما يوافق مذهبهم الساقط ، وكلمةُ أئمة المسلمين يومَها مجتمعة غير متفرقة[3] ، وإنَّما كان لحفصٍ وأمثاله مشاغباتٌ وتُرَّهات انفردوا بها عن عامَّة الناس ، وأتباعُهم يومئذٍ شرذمةٌ لا يؤبه لها ، فسردُ آية أو خبرٍ قد يكون كافياً في ردِّ شبههم ، وكانوا يومَها هم الذين يشتغلون بالجدل الباطل والمماراة العقيمة ، فكانوا هم من يمثِّل علماء الكلام في واقعة الحال ؛ إذ أهلُ السنة كلامُهم في هذه البابة كالنادر ،

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٦٣) .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٥٤) .

(٣) فالمتتبع لكلام الأئمة الأعلام من أهل السنة في ذمِّ علم الكلام . . يجب عليه أن يتنبَّه إلى الأسماء التي اقترنت مع هذا الذم ؛ ليرى أمثال حفص الفرد هذا ، أو عمرو بن عبيد ، أو واصل بن عطاء ، أو جهم بن صفوان ، ويرى أمثال صبيغ التميمي ، والجعد بن درهم ، وغيلان الدمشقي ، وهؤلاء من رؤوس أهل الضلال والبدع ، وهم أصحاب الأهواء ، وهم مِنَ الذين قال فيهم المولى : ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [غافر : ٥] ، وقال : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران : ٦٦] ، أمَّا أن نأخذ كلام أئمة السنة في ذمِّ الكلام ، ونسقطه على أمثال عبد الله بن كلاَّب ، أو أبي الحسن الأشعري ، أو أبي منصور الماتريدي ، وتلامذة مدارسهم . . فوضعٌ للشيء في غير محلِّه ؛ إذ هؤلاء ممن لهم الوراثة عن سيدنا نوح على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام حين قال له قومه كما قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود : ٣٢] ، فهذا هو الجدل المنوَّرُ الذي نُعت بأخرةٍ بعلم الكلام .

لا يصدرُ إلا لحاجة شديدة سأوردُ لك بعضَ خبرها .

فلمَّا تحصَّل لنا مَنْ يتكلَّم من أهل السنة بعلم الكلام بطورٍ محدَثٍ جديد ، بِدْعيِّ الشكل أثريِّ المادَّة ، مع وجود المبتدعة المشتغلين به لنصرة مذاهبهم . . وجب التفريقُ بين هذين النوعين من الكلام، ولذا قال الإمام البيهقي في «مناقب الشافعي» : (قال الشافعيُّ : كلُّ كلام على الكتاب والسنة . . فهو الحدُّ الذي يجبُ ، وكلُّ كلام على غير أصل كتاب وسنَّة . . فهو هذيان) ، ثم عقَّبَ فقال : (وفي هذه الحكاية كالدالِّ على أنَّه إنَّما كرهَ من الكلام ما ليس له أصلٌ في الكتاب والسنة)[1]

وقال أيضاً في « مناقب الشافعي » : (الكلامُ المذموم إنَّما هو كلام أهل البدع الذي يخالف الكتاب والسنة ، فأمَّا الكلام الذي يوافق الكتاب والسنة ، وبُيِّنَ بالعقل والعبرة . . فإنَّهُ محمودٌ مرغوب فيه عند الحاجة ، تكلَّم فيه الشافعيُّ وغيرُهُ من أئمَّتِنا رضي الله عنهم عند الحاجة)[2]

فلو صار المخالفُ لا يبالي بالاحتجاج بالسنَّة . . وجب الردُّ عليه وإفحامُهُ بما هو حجَّة عنده ، ولهذا قال الإمام البيهقي في « مناقب الشافعي » : (وأهل البدع في زماننا لا يكتفون بالخبر ولا يقبلونه ، فلا بدَّ من ردِّ شبههم إذا أظهروها بما هو حجَّة عندهم)[3]

وروى الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » عن بشر بن الوليد قال : (سمعت أبا يوسف يقول : مَنْ طلب الدين بالكلام تزندق ،ومَنْ طلب غرائب ـ وقال السهمي : غريب ـ الحديث كُذِّب ، ومَنْ طلب المال بالكيمياء أفلس .

قال أبو بكر البيهقي : وروي هذا أيضاً عن مالك بن أنس .

قال : وإنَّما يريد ـ والله أعلم ـ بالكلام : كلامَ أهلِ البدع ؛ فإنَّ في عصرهما إنَّما

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٧٠) .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٦٧) .

(٣) مناقب الشافعي (١/ ٤٦٩) .

كان يعرف بالكلام أهلُ البدع ، فأمَّا أهل السنة . . فقلَّما كانوا يخوضون في الكلام حتى اضطرُّوا إليه بعدُ ، فهذا وجهٌ من الجواب عن هذه الحكاية ، وناهيك بقائله أبي بكر البيهقي ؛ فقد كان من أهل الرواية والدراية .

وتحتملُ وجهاً آخر ؛ وهو : أن يكون المرادُ بها أن يُقتصرَ على علم الكلام ، ويُتركَ تعلُّمُ الفقه الذي يُتوصَّلُ به إلى معرفة الحلال والحرام ، ويُرفضَ العملُ بما أُمرَ بفعله من شرائع الإسلام ، ولا يُلتزمَ فعْلُ ما أمر به الشارعُ ، وترْكُ ما نهى عنه من الأحكام .

وقد بلغني عن حاتم بن عنوان الأصم[١] ـ وكان من أفاضل الزهَّاد وأهل العلم ـ أنَّه قال : الكلام أصلُ الدين ، والفقه فرعه ، والعمل ثمرُهُ ؛ فمن اكتفى بالكلام دون الفقه والعمل تزندقَ ، ومن اكتفى بالعمل دون الكلام والفقه ابتدع ، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والعمل تفسَّق ، ومَنْ تفنَّن في الأبواب كلِّها تخلص)[٢] .

ثم لك أن تسأل : وهل هناك داعيةٌ وحاجة للاشتغال بعلم الكلام ؟

والجواب : ما ذكره إمامُ الحرمين الجوينيُّ في كتابه العظيم « نهاية المطلب » إذ قال : (ولو قيل : العلمُ المترجم بالكلام هل يُستلحَقُ بفرائض الكفايات ؟

قلنا : لو بقي الناسُ على ما كانوا عليه في صفوة الإسلام . . لكنَّا نقول : لا يجبُ التشاغلُ بالكلام ، وقد كنَّا ننتهي إلى النهي عن الاشتغال به ، والآن قد ثارت الآراءُ ، واضطربت الأهواءُ ، ولا سبيلَ إلى ترك البدع ، فلا ينتظم الإعراضُ عن الناس يتهالكون على الردى ، فحقٌّ على طلبة العلم أن يُعِدُّوا عتادَ الدعوة إلى المسلك الحق ، والذريعة التامة إلى حلِّ الشبه) .

إلى أن قال رضي الله عنه : (فإذاً ؛ علم التوحيد من أهم ما يطلبُ في زماننا هذا ، وإن استمكن الإنسان من ردِّ الخلق إلى ما كانوا عليه أولاً . . فهو

---

(١) يقال له : ابن عنوان ، وابن علوان ؛ كما يقال : عنونت الكتاب وعلونته ، وكلاهما صحيح .

(٢) تبيين كذب المفتري (٣٥٤ـ٣٥٦) (ص ٦٠١) ، وما أحسنها من كلمة جامعة وما أغناها .

المطلوب، وهيهات ! فهو أبعدُ من رجوع اللبن إلى الضرع في مستقرِّ العادة)[1] .

ومع هذا لا بدَّ من قرنِ كُليمةٍ إلى ما ذكره الإمام البيهقي؛ وهي : أنَّه كان وما يزال وسيبقى هناك أدمغةٌ غلبَتْ عليها الظاهريةُ ، والنزعةُ التقليدية ، وتسويةُ الظنِّي باليقيني ، فإن هي قنعَتْ بأمرٍ وارتأَتْ نهجاً . . تعذَّر عليها استصحابُ غيره وإن كان في نفسه صواباً ، وتحسبُ ذلك ديانةً وقربة ، وصلابةً في الحقِّ ، ودمغاً للباطل .

هذه العصابةُ شاطرت الباطنيةَ في هدم أُسُسِ النظر السليم ، فاستغنَتْ بظاهريَّةٍ يختنق فيها روحُ التشريع ، كما استغنت الباطنية بباطنيةٍ تدفن الشرعَ حيّاً في قبرٍ من الغنوصيَّة المخزية ، وليت هذه الأدمغةَ استعاضت بالأدلَّة القرآنية الجدليَّة وغيرها ، بل طوَّحَتْ برؤوس الأدلَّة العقلية التي جرَّدها من أغمادها متكلِّمو أهل الحقِّ والسنة ، تقذفُ بها بعيداً وهي غافلةٌ عن الجُرم الذي فعلته ، ذنبُ هذه البراهين أنَّها لم تُقتطَعْ من الكتاب والسنة !

وقد ألَّف بعضُ المشتغلين بعلم الرِواية كُتباً في ذمِّ علم الكلام ، وذمِّ المشتغلين به ، وقد عِيب عليهم في ذلك أمور ؛ منها :

الأول : أنَّ ذلك كان بعد اتضاحِ المحجَّة ، وتمييزِ الكلام المذموم من علم الكلام عند أهل السنة ، وهبْ أنَّ ذلك لم يكن قد بان بعدُ ، لكنِ الإشكالُ باقٍ ؛ وهو أنَّ الهجوم عمَّ أهلَ الحقِّ ، وسوَّى بينهم وبين أهل الباطل ؛ للاشتراك في طريقة واحدة !

الثاني : أنَّ الطريقة المتبعة كانت جمعاً لجملة كبيرة من الأخبار والآثار في ذمِّ علم الكلام كما يدَّعي مؤلفو هذه الكتب ، وقد حملوا أخبار ذمِّ الجدل على علم الكلام ، ولو سلمنا بصحَّة كلِّ هذه الآثار . . فهي مِنْ أَلِفها إلى يائِها محمولةٌ على ما قد سبق التنبيهُ إليه ؛ أعني : على الجدل بالباطل لنصرة الباطل ، وأعلامُ

---

(١) نهاية المطلب (١٧/ ٤١٧) .

المتكلِّمين كان وما زالَ بينهم مَنْ هو أحفظُ لهذه الأخبار من مؤلِّفيها ، لكنَّه ممَّن هو أفقهُ وأعلم من حملتِها[1]

الثالث : اللغةُ الرخيصة التي دُوِّنت فيها بعض هذه الكتب ، فهي مجمعٌ لكثير من الشتائم والسباب ، دع عنك شقَّ الصدور ، والحكم على مخالفيهم بالكفر والفسق والفجور[2]

الرابع : اعتقادُ كثير منهم أنَّ علم الكلام زيادةٌ في دين الله سبحانه وتعالى ، وأنه بدعةٌ مذمومة ، أو فضلٌ مستغنىً عنه ، أو أنه داءُ الأمم قبلَنا دبَّ إلينا .

إلى غير هذا ممَّا لا يخفى ، والقومُ قبل هذا وبعده لا اشتغالَ لهم أصلاً في هذا العلم ، ولا درايةَ لهم بأصوله وفروعه ، فهم أشبهُ بمن يردُّ شيئاً ويتخذُهُ عدوّاً للجهل به .

وحتى لا تمرَّ هذه الكلمات دون شهادة يُرجعُ إليها . . أنقلُ إليك هذه الأسطرَ في الحديث عن كتاب « ذم الكلام » لأبي إسماعيل الهروي ، فهذا الإمام ابنُ السبكيِّ عند ترجمته لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني . . يذكر حنقَ أهل هراة عليه لهذا اللقب ، قال :

(أمَّا المجسِّمة بمدينة هراة ؛ فلمَّا ثارت نفوسُهم من هذا اللقب . . عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاريِّ صاحب كتاب « ذم الكلام » فلقَّبوه بشيخ الإسلام ، وكان الأنصاري المشار إليه رجلاً كثيرَ العبادة محدثاً ، إلا أنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه ، وينال من أهل السنة ، وقد بالغ في كتابه « ذم الكلام » حتى ذكر أنَّ ذبائح الأشعرية لا تحلُّ ، وكنت أرى الشيخَ الإمامَ يضربُ على مواضعَ من كتاب « ذم الكلام » وينهى عن النظر فيه .

---

(١) فالشيخ أبو الحسن الأشعري ، وأبو بكر بن فورك ، وأبو إسحاق الإسفرايني ، وأبو منصور الإسفرايني ؛ كلُّ أولئك من أعلام أهل الرواية ، وإن لم يشتهروا لديك . . فحسبُك بالإمام البيهقي في الكتاب الذي بين يديك .

(٢) انظر مثلاً طالعة كتاب « جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر » غفر الله لمؤلفه .

وكان أهلُ هراةَ في عصره فئتين ؛ فئةٌ تعتقده وتبالغُ فيه ؛ لما عنده من التقشف والتعبُّد ، وفئةٌ تكفِّره لما يظهره من التشبيه ، ومن مصنفاته التي فُوِّقَتْ نحوه سهامُ أهل الإسلام : كتابُ « ذم الكلام » ، وكتاب « الفاروق في الصفات » ، وكتاب « الأربعين » ، وهذه الكتبُ الثلاثة أبان فيها عن اعتقاد التشبيه وأفصح)[1]

وممَّن لا يروق له الأخذ بعنان علم الكلام في هذا الميدان : طائفةٌ من أهل الحديث والأثر ، وكثيرٌ من الصوفية الأبرار ؛ غيرةً أن تضيع الأعمار فيما ثمرتُهُ ضئيلة وربحُهُ يسير ، فيكتفون بإرث السلف الصالح في طرائق الجدل ؛ كالأخذ بالأدلَّة الجلية الواضحة ، وعدم الخوض في تدقيقات تنفق فيها الساعات الطوال مع عدوٍّ موهوم ، ويفرُّون من القيلِ والقال ، والخوضِ في المهمِّ مع وجود الأهمِّ .

وعلامةُ صدق هؤلاء : أنَّك تجدُهم ينكرون علمَ الكلام دون تبديع أو تفسيق أهله ، أو تبديعه في الطريقة ؛ على أنها غيرُ مألوفة ، ولا هي طريق الكُمَّل ، ترى هذا جليّاً في إنكار الإمام أحمد على الإمام الحارث المحاسبي مثلاً ، وحاشا أن يبدع مثل المحاسبيِّ وهو من هو في العلم والدين .

وبعضُ هؤلاء لهم مرمىً أبعدُ من هذا ؛ إذ يرون علمَ الكلام مسلكاً نازلاً في تقرير الحقائق الإلهية ، بل والحقائق النبوية ، ويرون أنَّ المجاهدة وكثرة ذكر الله تعالى ، والأخذ بمجامع العمل الصالح . . مفتاحٌ للمعرفة ، فيرزق العبد كشفاً مؤيداً بظواهر الكتاب والسنة ، وهو في حيز التجويز العقلي

وعلامةُ صدق هؤلاء : أنَّهم لا ينكرون علمَ الكلام في جدله وحواره مع المخالفين لأهل الحقِّ ، بل ينكرونه حينما تكون له صولةٌ في تقرير الصفات أو نفيها ، أو دعوى معرفة كنه الذات ، أو جولةٌ في الحديث عن العصمة والمعجزة ، والأمور الغيبية البعيدة المتناول عن يد العقل .

وبعد هذه التطوافة العجلة : لك أن تعلم أنَّ أهل السنة كانوا وما زالوا

---

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٢٧٢) .

بحمد الله لا يهابون المناظرةَ في العلوم ، وخصومُهم ما نوَّعوا في العلوم إلا وشاركوهم وبذُّوهم ، وهم أصحابُ صولات وجولات مع رؤوس المخالفين لهم ، يقارعون الحجَّة بالحجَّة ، ويرأفون بالعامة ؛ فيظاهرونهم من العلم بما تقوى عليه عقولهم ، عكس ما عليه خصومهم ؛ الذين يشغلون أنفسهم بالعامَّة ، ويروِّجون باطلهم في صفوفهم .

واقرأ ما كتبه الإمام الشاطبيُّ في « الاعتصام » في هؤلاء الذين يستصغرون علوم النظر والجدل في إفحام الخصوم ؛ حيث يقول رحمه الله تعالى : (على أنَّ أرباب البدع العمليَّة أكثرهم لا يحبُّون أن يناظروا أحداً ، ولا يفاتحون عالماً ولا غيره فيما يتبعون ؛ خوفاً من الفضيحة ألا يجدوا مستنداً شرعياً ، وإنَّما شأنُهم إذا وجدوا عالماً أو لقوه . . أن يصانعوا ، وإذا وجدوا جاهلاً عامياً . . ألقَوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالاتٍ ، حتى يزلزلوهم ويخلطوا عليهم ، ويلبِّسوا دينَهم ، فإذا عرفوا منهم الحيرةَ والالتباس . . ألقَوا إليهم من بدعِهم على التدريج شيئاً فشيئاً ، وذمُّوا أهلَ العلم بأنَّهم أهلُ الدنيا المكبُّون عليها ، وأنَّ هذه الطائفةَ هم أهلُ الله وخاصَّتُهُ . وربَّما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهدَ على ما يلقُون إليهم ، حتى يُهوُوا بهم في نار جهنَّم ، وأمَّا أن يأتوا الأمر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين . . فلا

وتأمَّلْ ما نقله الغزاليُّ في استدراج الباطنية غيرَهُم إلى مذهبهم . . تجدهم لا يعتمدون إلا على خديعةِ الناس من غير تقرير علم ، والتحيُّلِ عليهم بأنواع الحيل ، حتى يخرجوهم من السنَّة ، أو عن الدين جملة ، ولولا الإطالةُ لأتيت بكلامه ، فطالعْهُ في كتاب « فضائح الباطنية »)[1]

بل بعضُ الصحابة رضي الله عنهم كان يدرِّب على الجدل الذي جاء الأمر به في كتاب الله ؛ بقوله سبحانه : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

---

(١) الاعتصام (١/ ١٥١) .

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل : ١٢٥] [(١)] ؛ فعن أبي الأسود الدِّيلِيِّ قال : قال لي عمرانُ بن حُصين : أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ ويكدحونَ فيه ؛ أشيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم مِنْ قدرٍ قد سبق ، أو فيما يستقبلونه ممَّا أتاهم به نبيُّهُمْ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وثبتت به الحجَّةُ عليهم ؟

فقلتُ : بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم .

قال : فقال : أفلا يكون ظُلْماً ؟!

قال : فَفَزِعْتُ مِنْ ذلك فَزَعاً شديداً ! وقلتُ : كلُّ شيء خَلْقُ الله ومُلْكُ يده ؛ فلا يُسأل عمَّا يفعل وهم يسألون ، فقال لي : يرحمُكَ الله ، **إنِّي لم أردْ بما سألتُكَ عنه إلَّا لأُحْرِزَ عقلَكَ** [(٢)]

ثم الشكاية إلى المولى سبحانه ؛ فلو أنَّ القوم وسَّعُوا صدورهم لمخالفيهم من أمَّة (لا إله إلا الله) ، فأثبتوا الخلاف وجعلوه ضمن دائرة الإيمان . . لما أهدر جهد كبير لعلماء الأمة واستهلكت طاقاتها فيما كانت غنيَّة عنه ، ولأنفقت أيامها فيما كان أولى بها ، ولكن لله حكمة تحت مجاري أقداره .

رُزِقْتَ أسمحَ ما في الناسِ مِنْ خُلُقٍ   إذا رُزِقْتَ التماسَ العذرِ في الشيمِ

* * *

---

(١) قال العلامة أبو السعود في « تفسيره » (٥/ ١٥١) : (يعني بالطريقة التي هي أحسن : طرقَ المناظرة والمجادلة ؛ من الرفق واللين ، واختيار الوجه الأيسر ، واستعمال المقدمات المشهورة ؛ تسكيناً لشغبهم ، وإطفاءً للهبهم ، كما فعله الخليل عليه السلام) ، لا ثرثرة بتحريم علمي الأصلين ، أو سرداً لجملة من الآثار والأخبار التي قد يكون الخصم ألمَّ بها ، وحسبك كتاب الله وأساليب الحِجاج فيه .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٢٠٠) .

وصف النسخ الخطية

لكتاب « الاعتقاد » انتشارٌ ملحوظ وطيّبٌ في المراحل التالية لزمن تدوينه ، وقد رواه وقلّبَ صفحاته أعلامُ المحدِّثين ، وكنت أظنُّ ابتداءً أن تكون للكتاب مع تعدُّد نُسخِهِ رواياتٌ تنفرد إحداهنَّ عن أختها ، ولكنْ بعد مباشرة العمل تبيَّنَ أن النسخ شبهُ متَّفقة ، إلا في أحرف يسيرة لا توحي من قريب ولا بعيد بوجود رواياتٍ له ، ممَّا يؤكِّد ـ والعلم عند الله ـ أنَّ الإمام البيهقي لم يجرِ قلمَ التعديل فيه .

وقد تمَّ بحمد المولى سبحانه اعتمادُ ثلاث نسخ خطيَّة رئيسةٍ عليها المعوَّل في إثبات نصِّه ، وثلاث نسخ للاستئناس وترميمِ ما قد يفوتُ على ندرة ، وكلٌّ كان له أثرٌ ولو يسيراً في سطور الكتاب

أمَّا النسخ الرئيسة . . فهي :

النسخة الأولى

نسخة المكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود ، ذات الرقم العام (١٣٠٤) .

وهي من أقدم نسخ « الاعتقاد » وأنفَسها ، تامَّة مسندة ، إلا في مواضع تمَّ استكمالها ، كُتبت سنة (٦١٠ هـ) ، وقد وقعت في (١٣٤) ورقة ، وكُتبت بخط نسخي مألوف .

وهي نسخةٌ تعانقت فيها أقلامُ المحدِّثين ، واتَّصلت بمؤلفها أُذُناً عن لسان ، وبين كاتبها ومؤلِّفها الإمامِ البيهقيِّ ثلاثةُ رجال أثبات أئمة ؛ فكاتبُها : هو الإمام المحدث شمسُ الدين عليُّ بن المظفر بن القاسم الربعي النُّشْبيُّ الدمشقي ، وهو مالكُ هذه النسخة الفذَّة يومَها ، وقد قرأها على الإمام المفتي المعمَّر ، مسند

الشام ، وشيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الحرستاني ، وهو من ذريَّة سيدنا سعد بن عبادة رضي الله عنه ، وجاء في خاتمتها بخطِّه بعد إثبات طبقة سماعٍ : (صحح ذلك ، كتبه عبد الصمد محمد بن أبي الفضل الأنصاري) .

والإمام ابن الحرستاني روى « الاعتقاد » عن أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان الأندلسي المرادي القرطبي الشقوري الفرغليطي الشافعي[١] ، وهو سمعَها من الإمام أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس الفُراوي النيسابوري الملقب بفقيه الحرم[٢] ، وهو أحدُ الأعلام الكبار الذين رووا عن مؤلِّف « الاعتقاد » الإمامِ البيهقي .

ولم يقف فضلُ هذه النسخة عند هذا ، بل كان من جملة رواتها شيخُ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، فقد كانت هذه النسخة من ممتلكاته كما يظهر من وصف النسخة الآتية ، وكذلك رواها عنه شيخ الإسلام عبد الحقِّ السنباطي ودخلت في ملكه ، فقد جاء على ورقة العنوان منها : (الحمد لله وحده ، قرأت هذا الكتاب أجمع على مالكه شيخ الإسلام الشيخ عبد الحق السنباطي ، خلا من قوله : القول في إثبات نبوة محمد المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم. . . إلى آخره ، فقرأته عليه بروايته له عن شيخ الإسلام ابن حجر الحافظ ، بسنده فيه ، وسمع غالب ما قرأته : محمد بن [. . .] الحنفي [. . .] بدر الدين العلائي ، وولده أحمد[٣] ، وأجاز مرويه ، وكتب محمد بن أحمد المظفري [. . .]

---

(١) وهو أحد تلاميذ الإمام يحيى بن محمد من أعيان تلامذة حجة الإسلام الغزالي .

(٢) وهو الذي قال فيه عبد الرشيد بن علي الطبري كما في « طبقات الشافعية الكبرى » (٦/ ١٦٩) : (الفُراوي ألفُ راوي) ، وكان قد نقش هذا على خاتمه .

(٣) في هامش الورقة (٩٢) من هذه النسخة : (من هنا البدر العلائي وولده أحمد نعمان) .

بتاريخ سابع وعشرين من شعبان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين) ، ثم كُتب : (الحمد لله ، صحح ذلك وكتبه عبد الحق بن محمد السنباطي) انتهى .

ومع هذا لم تخلُ هذه النسخة وعلى ندرة من بعض هناتٍ تكفَّل برفعها سائرُ النسخ .

ورُمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة مكتبة تشستربيتي دبلن إيرلندا ، ذات الرقم (٣٥١١) (٣) ، ومعه فيها : « المقدمة في علم الحساب » لسبط ابن المارديني ، و« التجنيس في الحساب » للسجاوندي .

وهي نسخة تامَّة مسندة ،إلا في مواضع تمَّ استكمالها ، كتبت بخط نسخي معتاد ، ووقعت في (١٦٣) ورقة .

قُرئت هذه النسخة على شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وقُوبلت على نسخة مقروءة عليه أيضاً كما ذُكر في خاتمتها ، وكان ممن سمعها أعلام من الحفَّاظ والعلماء ، منهم العلامة برهان الدين البقاعي الذي اختصر كتاب « الاعتقاد » ، وسمَّاه بـ « خير الزاد من كتاب الاعتقاد » .

وتكاد هذه النسخةُ تطابق النسخةَ (أ) السابقة ، وتحاكيها في كلٍّ ما ذهبت إليه ، ولا تخالفها إلا في أحرف يسيرة .

ورُمز لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

نسخة مكتبة لاله لي في إستنبول تركيا ، ذات الرقم (٢٤٢٣) ، وهي نسخة تامَّة مفهرسة ، وقعت في (٨٥) ورقة ، وقد كُتبت هذه النسخة قبل سنة (٧٣٤ هـ) ،

وبخط نسخيٍّ جليٍّ ، وقد قُوبلت بنسختين قبلها ؛ حيث وقع في خاتمتها : (بلغ مقابلة حسب الطاقة بأصله المنقول منه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله) ، وأيضاً : (قوبل بنسخة أخرى وصح عليها بتاريخ الخامس والعشرين من شوال ، سنة أربع وثلاثين وسبع مئة هجرية) ، ولكن أُسقطت الأسانيد منها اختصاراً

كما تظهر على ورقة العنوان عدَّة تملكات لها شأنها ؛ فممن تملَّك هذه النسخة : عبد العزيز الحراني ، ومحمد بن أحمد الكيلاني مع سماعه وتناول بعضه ، وعبد العزيز الحصني ، ومحمد الطولوني العطار ، والسيد محمد بن السيد رسول البرزنجي .

وقد قُرئت هذه النسخة على شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ؛ كما جاء مصرَّحاً به على بعض هوامشها ، ففي هامش الورقة (٢٥) كُتب بلاغ سماعٍ فيه : (بلغ كاتبه إبراهيم بن [. . .] قراءة في الأول على سيدنا ومولانا شيخ الحفاظ والإسلام ، إمام الأئمة الأعلام ، أبي الفضل أحمد العسقلاني الشافعي ، الشهير بابن حجر ، أدام الله وجوده وجوده ، وسمع الجماعة ولله . . .) ، ونحوه في الورقة (٣٦) .

ومن ميزات هذه النسخة أن أصلها المنقول عنه مغاير للنسختين السابقتين ، ممَّا ساعد في ترميم ما قد يطرأ عن سهوٍ أو سبق قلم .

ورُمز لها بـ (ج) .

* * *

وأمَّا نسخُ الاستئناس . . فثلاثٌ :

النسخة الرابعة

نسخة موقوفة من ممتلكات العلامة أحمد بن الصديق الغماري ، ولعلها أصلُ النشرة التي نشرها لهذا الكتاب .

وهي نسخة تامَّة مسندة[1] ، وقعت في (٨٠) ورقة ، خطُّها نسخي معتاد ، كتبت كما جاء في آخرها : (تمَّ استكتاباً أواخر سنة « ١٠٨٤ » ، والحمد لله رب العالمين) ، وجاء في بعض هوامشها تعليقاتٌ من بعض من كانت بيده من أعيان القرن الحادي عشر ، ويظهر أنها مقابلة على نسخة أخرى ؛ إذ جاء في الصفحة الأخيرة منها : (بلغ مقابلة وتصحيحاً يوم الأحد « ١١ » رجب ، سنة « ١٠٨٧ ») ، (بلغ ثانياً يوم السبت « ١٧ » ذي القعدة ، سنة « ١٠٩٧ ») ، وتُظهر هذه التعليقاتُ أن كاتبَها كان له مشهدٌ في التوحيد ، وقد تمَّ إثباتُ بعضها .

وهذه النسخة قرأها العلامة المحدث أحمد بن الصدِّيق الغماري رحمه الله تعالى ، كما جاء مصرَّحاً بذلك في ورقة التأليف الأولى ، وفي خاتمتها ، وذكر أن قراءتها كانت عند رجوعه من المدينة المنورة في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وثلاث مئة وألف .

ورُمز لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

نسخة مكتبة نور عثمانية في إستنبول تركيا ، ذات الرقم (٣/١٢٠٨) مجاميع ، وهي نسخة تامة ومقابلة ومفهرسة ، وقعت في (١٠١) ورقة ، وكتبت بخط نسخي مألوف، غير أنها متأخرة النسخ ؛ إذ كتبت سنة (١٠٩٨هـ).

ورُمز لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة

نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ذات الرقم (٦٨٨٧) ، وهي نسخة تامة مفهرسة متأخرة ، كُتبت سنة (١٣٣٥ هـ) عن نسخة متأخرة

---

(١) انظر أسانيدها في سماعات النسخ الخطية آخر الكتاب (ص ٤٧٦) .

أيضاً وقع الفراغ من كتابتها في يوم الجمعة، (١٣) من شوال من سنة (١٣٠٠هـ)، ووقعت في (٨٧) ورقة .

وجاء على العنوان منها : (وانتقاه الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي ، المتوفى سنة « ٨٨٥ » لما قرأه على ابن حجر[١] ، وسمَّاه « خير الزاد من كتاب الاعتقاد » ، كذا في « كشف الظنون »)[٢]

ورُمز لها بـ (و).

* * *

(١) انظر سماعات « الاعتقاد » آخر الكتاب ، وقد جاء فيها ذكر العلامة البقاعي .

(٢) انظر « كشف الظنون » (١٣٩٣/٢) ، وقال : (فرغ منه في ذي القعدة ، سنة « ٨٦١ » إحدى وستين وثمان مئة) .

منهج العمل في تحقيق الكتاب

قد بان بعد رحلة تحقيق الكتاب وشرحه أنَّ طبعاته السابقة لم تخلُ من هناتٍ في قراءة بعض كلمات النسخ الخطيَّة ، وأظنُّها نشأت عن الضعف البشري ، فمعذورٌ السابق ، وأرجو مثلَها للاحق .

وأكبرُ ما أقدِّمُهُ للكتاب بعد العمل المألوف في مسيرة التحقيق ؛ من مقابلةٍ أشرت إليها في وصف النسخ الخطيَّة ، ودقَّةِ تخريج بمراعاة الإسناد والمَخْرَجِ ، وشكْلِ مشكِلٍ ، وإيضاح مستغلق ، وشرح عويص وغريب ، وبيان المبهمات الواقعة في الأسانيد والمتون والآثار . . هي تلك التعليقاتُ التي هي ـ بحمد المنَّان ذي الإحسان ـ بمثابة الشرح الأول لهذا الكتاب الأثريِّ العقدي العظيم ، مع إعداد مقدِّمة اعتنيتُ فيها بفكِّ لغزِ التنافرِ بين أهل الأثر وأهل النظر ، وإلمامات عجلة بمزايا الكتاب وأهميته في المكتبة العقدية ، وإبرازات مهمَّة قد كانت خافتة في حياة الإمام البيهقي رحمه الله تعالى .

وعمدتُ في شرحه إلى فهوم أئمة الهدى ، وأعلام العلم ، وأهل الولاية ؛ فعنهم أنقل ، وبهم أتدرَّع ، وبكلامهم أصولُ وأجول ، وتجنَّبت جهدي أن أحشرَ لساني معهم ، إلا ما رأيت الداعيةَ فيه وإليه ملحَّة ، وأنِّي إن لم أفعل . . ألممت بالتقصير ، ونأيتُ عن أداء واجب مثلي في مثله ، ولا سيما أنِّي أشتغل بمدارسة هذا العلم مع بعض الإخوة ، وأعلم مقدار الحاجيِّ الذي يجبُ أن يُدوَّن ، أو الكماليِّ الذي ينفع ولا يضرُّ .

وقبل أن أصرم الحديث عن منهج تحقيق هذا الكتاب الأثري الفذِّ ؛ وهو واحدٌ من كتب السنة التي ظَلمَتْ كثيراً منها أيدٍ عابثةٌ . . أسجِّل هنا سطوراً أرى

لأهل العلم خجلاً من تدوينها ، وأحتسبُها عند الله تعالى .

كُليمةً تعريفيةً وتأريخيةً لأحوال ورُؤى محقِّقي كتبِ السنة الشريفة في عصرِ الهزال العلمي :

أعني عصرَنا الذي تهالكَتْ فيه المطابع تخرجُ لنا موسوعاتٍ ضخمةً ومراجعَ مهمَّةً لكتب الحديث النبوي ، إثرَ نهضة مفاجئةٍ كانت وراءَها مناهجُ تحيي السنة من جهة ، وتهدم منهجَ الأمَّة المتوارث عن أئمتها كابراً عن كابرٍ من جهة أخرى ، تعمَّدتْ هذا أو جاء فعلُها عفواً ، وما إخالُ مثلَ هذا يكون عفواً .

فمن قرابة عشرين سنةً أو أكثر كلُّنا يرى الذيولَ الطويلة والتعليقاتِ البسيطةَ تلتهمُ معظمَ صفحات كتب الحديث ، والتي لو طبعت مجردةً عنها . . فلعلَّ حجمَ الكتاب الأثريِّ لن يجاوزَ ثلثَ أو نصفَ حجمها ممزوجةً بتلك التعليقات ! بل بعضها قد يصلُ حجمُهُ إلى السُّدس أو الثُّمن ! **وجلُّ هذه الهوامش من تلك اللواتي حدثتك أنَّها تبني قصراً وتهدم مصراً** ، في حين أنَّك ترى أمَّات كتب السنة يُعنى بإخراجها وارثو الأنبياء وعدول العلماء عنايةً قلَّ نظيرها ، كتلك التي نعهدُها في مطبوع كتاب الله جلَّ شأنه ، ثم لا تكاد ترى تعليقاً واحداً إلا على ندرة وداعية حاجة ، وهي إلى هذا تتربَّع عرش مطبوعات السنة الشريفة ؛ كطبعة « صحيح البخاري » الحميدية ، وطبعة « صحيح مسلم » العامرة ، والمُعْتَنَى بهما على نهج خَدَمَتِها .

ثم لا يخفاك أنه لا عِداءَ بين أصل الكتاب وبين تعليقاته وشوارحه وهوامشه وإن طالت طالما أفادت ، وفدىً لهذه الفوائدِ الجَهدُ والورق والمال ، وجواهرُ الدقائق والساعاتِ الماضية في مطالعتها ، بل لا أبالي أن أقول : **رُبَّ تعليقاتٍ حُمِّلَها** ظهرُ كتاب كانت أنفعَ من الكتاب نفسه ، حاشا كلام رسول الهدى عليه أزكى الصلوات والتسليمات ، وكم من كتاب لولا ذيولُهُ . . لضاعت أصولُهُ ! **فممَّ الأسفُ إذاً ؟!**

إنَّ ذاك الأسفَ من نوع هذه الذيول ، ومنهجِ هذه التعليقات ، وغلبتها وشيوعها شيوعاً طغى على كتب السنة في زماننا ، لولا أيدٍ أمينةٌ جعلها الله تعالى حجَّةً وقدوة ، أقامت العدلَ في إحياء الكتب الأثرية ، وهي بحمد الله المرجع المؤتمن التي أقرَّ بفضلها في هذا الميدان المحالف والمخالف .

هذه التعليقات التي تُمسح بالأشبار علامَ انطوت ؟

جلُّها يحكي ما انطوَتْ عليه كتبُ الترجمات ، وكتبُ الجرح والتعديل ، وكتبُ ضعفاء الرواة ، وكتبُ الطبقات وذيولها ، مع « تهذيب الكمال » و« تهذيبه » و« تقريبه » ، و« ميزان الاعتدال » و« لسانه » ، لتتحوَّل الأجزاء الحديثية اللطيفة إلى موسوعة ترجمات ! حتى تكادُ تفكِّر بالاستغناء عن اقتناء هذه المراجع ؛ إذ هذه الأشبارُ الطوال ضمنت لك نقلها ! وتطول الصفحات وتطول ، وتُنسى مع هذا الإسهابِ الغايةُ والمقصدُ اللذان وُضع الجزء أو الكتاب لأجلهما ، ويبقى رثيثُ الحكْمِ على الحديث الذي تمَّت صناعته .

هذه مشغلةٌ قد تفانى لبيانها القوم ؛ باسم الدفاع عن السنة ، وحماية السنة من العبث ، ليصدِّرَ كلَّ حديث بقولهم : صحيح ، حسن ، ضعيف ، موضوع ! في جراءةٍ نشأَتْ عن قلَّة علم ، وعجلةٍ خلَّفت وراءَها أضحوكاتٍ سترويها الأجيال ، كما وقفت على قول لبعض أهل العلم والغيرة ينقل عن إحدى الموسوعات المحققة على هذا المنهج المسْخِ ، ينعتُ فيه المحققُ أحدَ رجال سندٍ قام بدراسته ـ وهو علي بن عمر ـ بأنه مجهول ، وهو غافلٌ عن كونه الإمامَ الجبل الحافظ الدارقطني ! وآخرُ يصحِّح سنداً فيه فلان الذي كان قد ضعَّف سنداً آخر لأجله ! حتى جَرُؤَ بعض أهل الغيرة فجمع من هذه الأضحوكات كتاباً ، فكيف لنا أن نأمن على كتب التراث وهي تنشرُ من قبل هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟!

وبعد تأمُّلٍ لا تطول لحظاتُهُ لمن شرح الله صدره ترى ـ وإلى الله الشكاية ـ أنَّ

طباعة كتب السنة الشريفة ولا سيما كتب الأحكام.. يرمي فيها أصحاب هذا المنهج الوليدِ المشوَّهِ إلى ما يمكن أن يُجملَ بهذه الغايات :

ـ إسقاطُ مرجعية الكتب الفقهية : والتشكيكُ في الإرث الفقهي الضخم ؛ بحجَّة مخالفةِ الآثار الصحيحة ، واعتمادِ الفقهاء على كومة من الأحاديث التالفة والموضوعة ! فكم من كتبٍ من كتب السنة قد طُبعت وفيها من التعليقات التي تنسفُ ذاك الموروث ؛ بقول بعضهم مثلاً : (والحديثُ صحيحٌ صريحٌ في الردِّ على الحنفيةِ والمالكيةِ المانعين من قراءة الفاتحة خلف الإمام على تفصيل وخلاف بينهما) ! وأنت خبيرٌ أن محدِّثي وفقهاء المدرستين ملمٌّ بهذا الذي نعته هذا المعلِّق بكونه صحيحاً صريحاً مع ترك العمل به ، فليته جعل المسألة خلافاً فيه راجحٌ ومرجوح ، بل لم يرضَ إلا تخطئة مدرستينِ عريقتينِ ملأَ محدثوهما العالمَ الإسلامي من شرقه لغربه .

ـ نسْخُ هيبة وسلطان علمِ أصول الفقه : ذاك العلم الذي يُعدُّ مفخرةَ العلومِ الإسلامية ، والذي ضمن للأمَّة المسيرة السديدة الرشيدة ، بأعلامه وأساطينه ، والاستعاضةُ عنه بعلمٍ هو في الحقيقة جزءٌ من أبحاثه ؛ ألا وهو علمُ أصول الحديث[١] ؛ ليصبح الحكم الشرعي مؤسَّساً على قواعد علوم الحديث ، لا على قواعد الأصوليين ؛ حتى صرنا نسمعُ من شريحة المعلِّمين المتقدِّمين ـ أصحاب الأستاذية في الجامعات والمعاهد العالية ـ يُنْهُون جدلاً فقهياً بقولهم مثلاً : (والأحاديثُ التي اعتمد عليها الشافعية أصحُّ من الأحاديث التي اعتمدها فقهاء الحنفية ، وبهذا فالقول قولهم ؛ لقوة دليلهم) !

ويزيد الطين بلَّة حين يقول هذا الأستاذ الجامعي : (قول الحنفية بنقض الوضوء بالقهقهة في الصلاة ممَّا لا دليلَ عليه في الكتاب والسنة) !

---

(١) على الجملة كما لا يخفاك ، لا على التفصيل ، وإنما المقصود أبحاثه المتعلقة بتحصيل الحكم الشرعي .

وبهذا تعلم أن علم الناسخ والمنسوخ عند هؤلاء النابتةِ الجدد يكادُ يتلخَّص بكون الناسخ هو علم مصطلح الحديث ، والمنسوخ هو علم أصول الفقه والاجتهاد !

ـ هدمُ المذهبية تحت غطاء تعظيم واتِّباع الكتاب والسنة ، يدور إمامٌ من أئمة هؤلاء النابتة في حيٍّ من أحيائنا التجارية في دمشق القديمة ، يخاطب العامَّة من التجَّار وعمَّالهم وأهل السوق ، بعيداً عن آذان أهل العلم ؛ فيقول لهم : أنتم تريدون أن تصلُّوا صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أم صلاة أبي حنيفة والشافعي ؟ فيقول هؤلاء العامة بألسنة صادقة عن محبة صادقة : بل صلاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول لهم هذا كتابي في صفة صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ![1]

تُرى ؛ ما كان نوعُ الصلاة التي يصليها أبو حنيفة والشافعي وأتباعهما ؟!

وما زالَتْ تنتشرُ الفوضى اللامذهبية بعيداً عن رقابة العلماء ، حتى نشأ قرنٌ نحن اليوم منهم في حيرة ؛ ترى صدقَهم ، ويعسرُ عليك دفعُ جهلهم الذي صادف زارعُهُ أيامَ بَذْره قلباً خاوياً فسبق إليه[2]

---

(١) وهنا أذكرك بكلمة الإمام الشاطبي التي خطَّها في « الاعتصام » (١/ ١٥١) إذ قال وهو يتحدث عن منهج أهل البدع في نشر بدعهم : (وإنَّما شأنهم إذا وجدوا عالماً أو لقوه . . أن يصانعوا ، وإذا وجدوا جاهلاً عامياً . . ألقوا عليه في الشريعة الطاهرة إشكالاتٍ ، حتى يزلزلوهم ويخلطوا عليهم ، ويلبِّسوا دينهم ، فإذا عرفوا منهم الحيرةَ والالتباس . . ألقوا إليهم من بدعِهم على التدريج شيئاً فشيئاً) .

(٢) رحم الله الإمام أحمد حينما قال : (إذا سئلت عن مسألة لا أعلم فيها خبراً . . قلتُ فيها بقول الشافعي ؛ لأنه إمامٌ عالم من قريش) ، كما روى ذلك الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ١٥٥) ، فلم يرَ وهو من هو عيباً أن يجعل بينه وبين الله تعالى الإمامَ الشافعي فيما لم يحط به علماً ، واليوم نرى من لم يحفظ « الأربعين النووية » يعمل مجتهداً بعد الظهر .

ـ سرقة أعلام أهل السنة والجماعة : وذلك يتمُّ عبر المقدِّمات التي يتمُّ إعدادُها ، ضمن عُنوانتين مبتكرتين ؛ وهي ما تجلَّى في تحقيقاتهم بقولهم معنونينَ : (عقيدة المؤلف) ، (مذهب المؤلف) ، والنتيجة المعهودة : أنَّه سلفي الاعتقاد ، مجتهدٌ متَّبعٌ للكتاب والسنة ! شنشنة أعرفها من أخزم ، فإن لم يمكن ذلك . . فهو عندهم فيه بقيةٌ من الأشعريَّة ، وتخليط عقديٌّ بسبب مجاورته لهم ، وتعصُّب مذهبي بعض الشيء ! فإن لم يمكنهم هذا أيضاً . . فهو ضالٌّ عاش جلَّ حياته في مخانق البدع والضلال ، ولكنَّه قبل موته رجع إلى مذهب السلف ، فألَّف نحو « الإبانة » ، و« العقيدة النظامية » ، أو مات و« صحيح البخاري » على صدره . . . إلى غير ذلك من الترَّهات الرخيصة التي لم يعرفْها تلامذةُ وخلفاءُ هؤلاء الأعلام ، وعرفَها هؤلاء من خلف سجاف الغيب !

ومع هذا كلِّهِ : لا بدَّ من الإنصاف ؛ فقد كان بين هؤلاء الذين أحدِّثك عنهم من نأى بنفسه أن يتهالك في ذمِّ السابقين من العلماء المجتهدين وأعلام مدارسهم ، وأخرج كتبَ الآثار بأمانة علميَّة ، وكانت دراسته لأسانيد الكتب التي حقَّقها مأمونة على الجملة ، ويعتورها الضعفُ الإنساني الذي جُبل عليه بنو آدم ، وهو يراوح بين المذهبيِّين وغيرهم ، ويختار لنفسه طريقاً وسطاً ، وإنَّما هو رجل اختارَ لنفسه ، وكفُّ اللسان عنه واجب ، وليت القوم ممَّن حول أمثاله يتخذونه أُسوة .

وختاماً لهذه المقدمات التي طالت الأنفاس فيها ، وعوداً على بدء ، أقول :

[من مجزوء الكامل]

يَا بَاغِياً طَرقَ السَّدادِ　　والفوزَ في يومِ المعادِ
اِلزمْ كتابَ « الإعتقاد »　　فهوَ الهدايةُ للرشادِ
اِقرأْهُ أوْ حبِّرْهُ أوْ　　قُلْ يا إلهي ذا اعتقادي

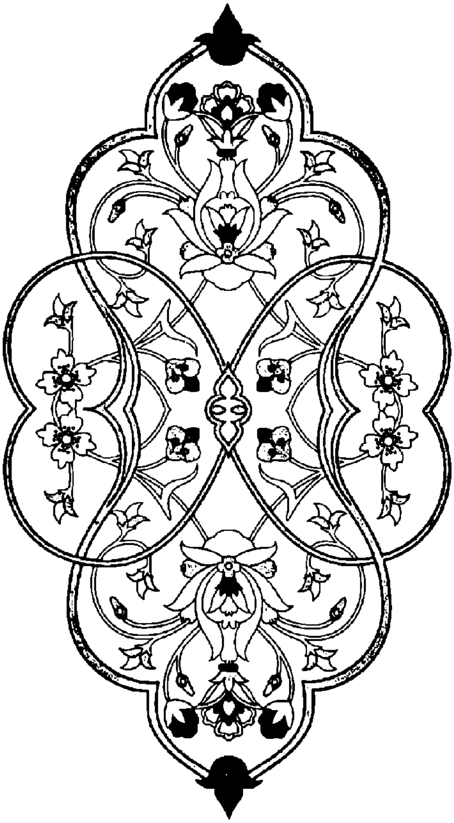
رحم الله علماءَنا الربَّانيين الأبرار ، وجزاهم عنَّا خير الجزاء ، وبارك لنا في

حياة وُرَّاثهم ، وأبقى الحبل مبرماً موصولاً بحضرة الحبيب الأعظم ، والنبي الأفخم ، فخر الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، عليه من ربّه أفضل الصلوات ، وأوصلَ المولى سبحانه له منَّا أزكى التحايا والتسليمات .

حرر في دمشق الشام
صبيحة الثلاثاء (٣) رجب الأصم (١٤٣٩هـ)
الموافق (٢٠) آذار / مارس (٢٠١٨م)

وكتبه
الفقير لعفو مولاه الغني
أنس محمد عدنان الشرفاوي الحسني

صور من المخطوطات المستعان بها





راموز ورقة العنوان من النسخة (أ)



راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)

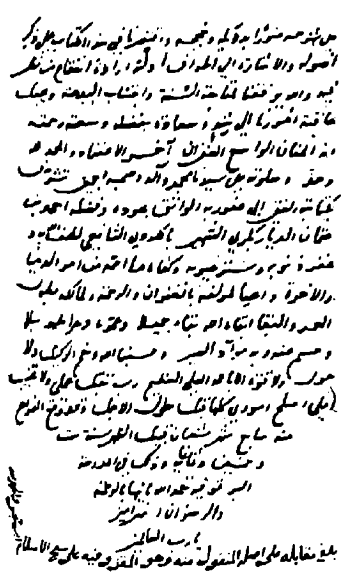


راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

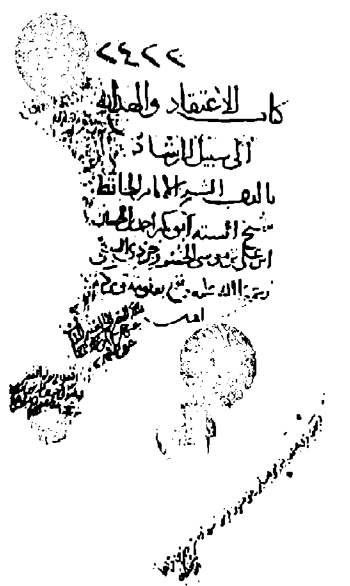

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد
أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



رامور الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

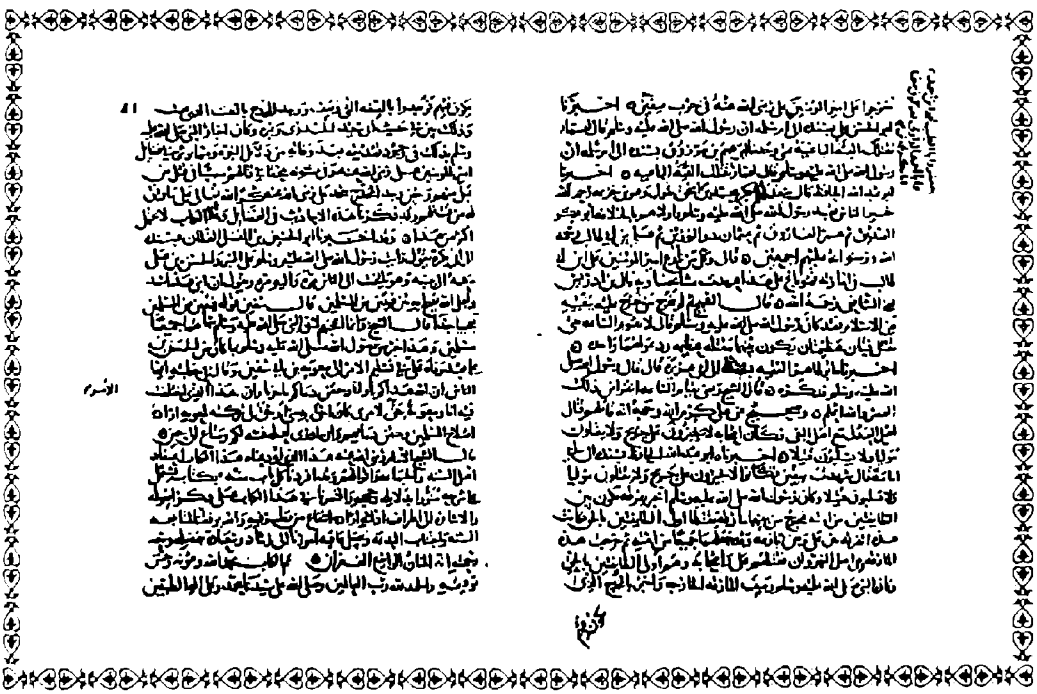


كتاب الاعتقاد والهداية
إلى سبيل الرشاد
شيخ السنة أبو بكر أحمد بن الحسين
ابن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي

رامور ورقة العنوان من النسخة (ج)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ج)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ج)


كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد

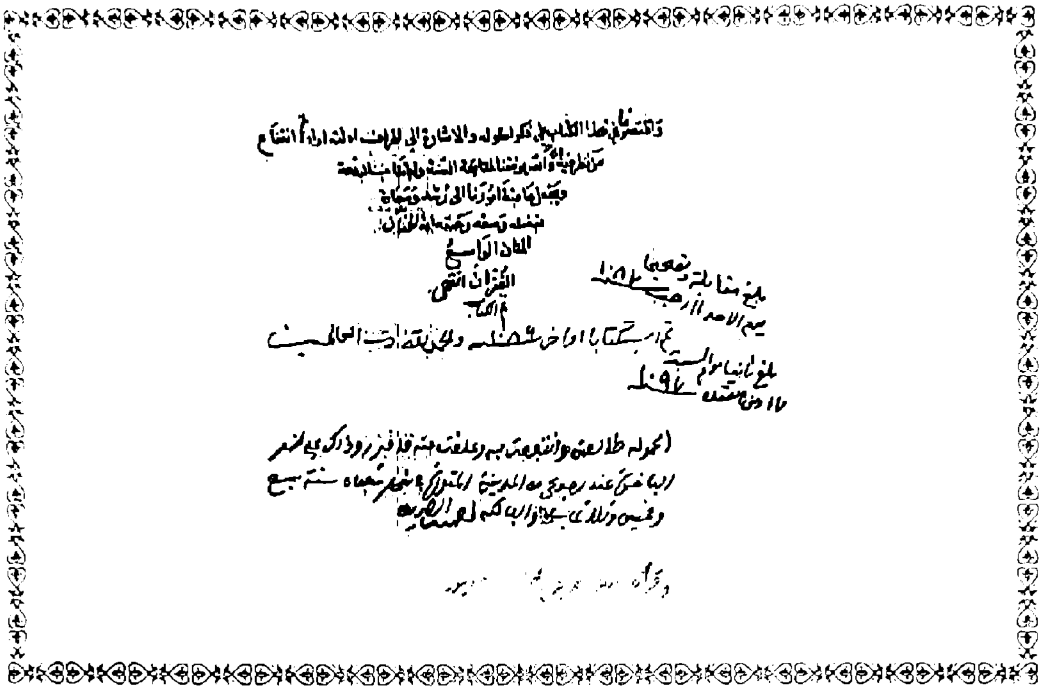
راموز ورقة العنوان من النسخة (د)


بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا القاضي الفقيه الإمام العالم الصدر الكبير

شيخ القضاة بقية المشايخ الزاهد العابد الورع

راموز الورقة الأولى من النسخة (د)


وقد اقتصرنا في هذا الكتاب على ذكر أصوله والإشارة إلى طرف من أدلته ...
تم الكتاب
والحمد لله رب العالمين

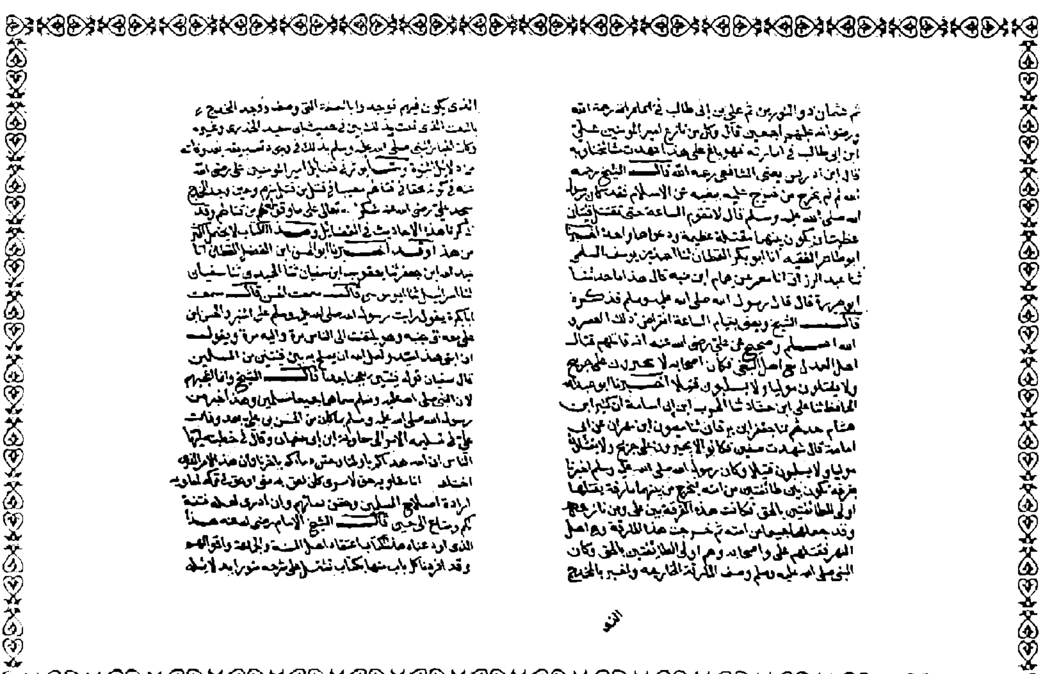
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)


كتاب الاعتقاد والهداية إلى الرشاد
للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين
بن علي بن موسى البيهقي
الخسروجردي رحمه الله تعالى
وشكر سعيه
آمين آمين

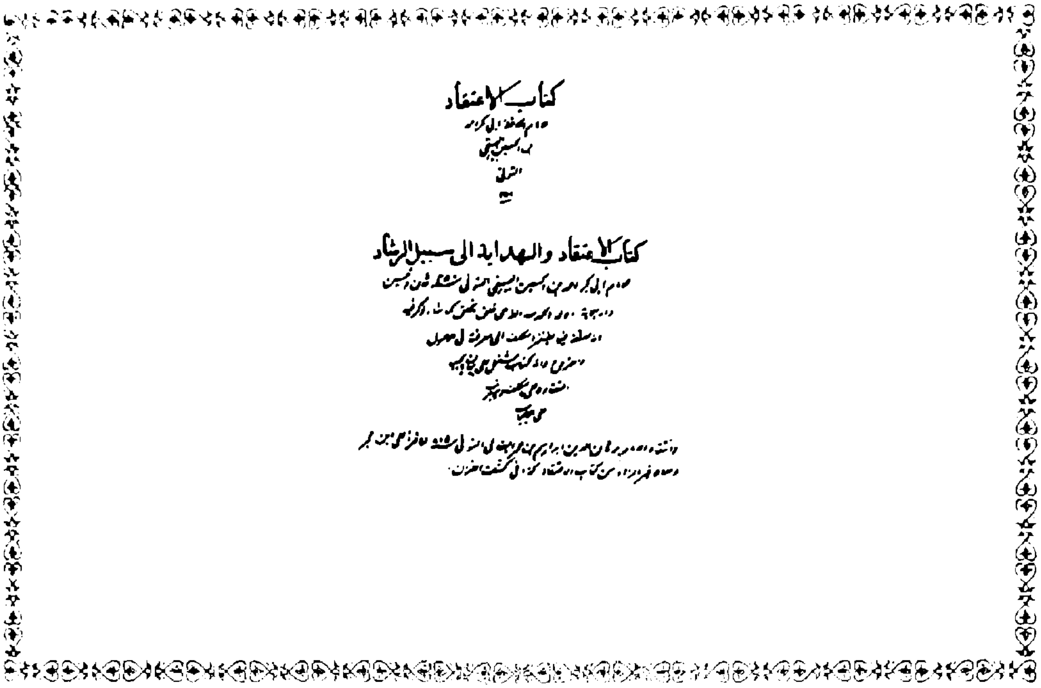
راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)


بسم الله الرحمن الرحيم

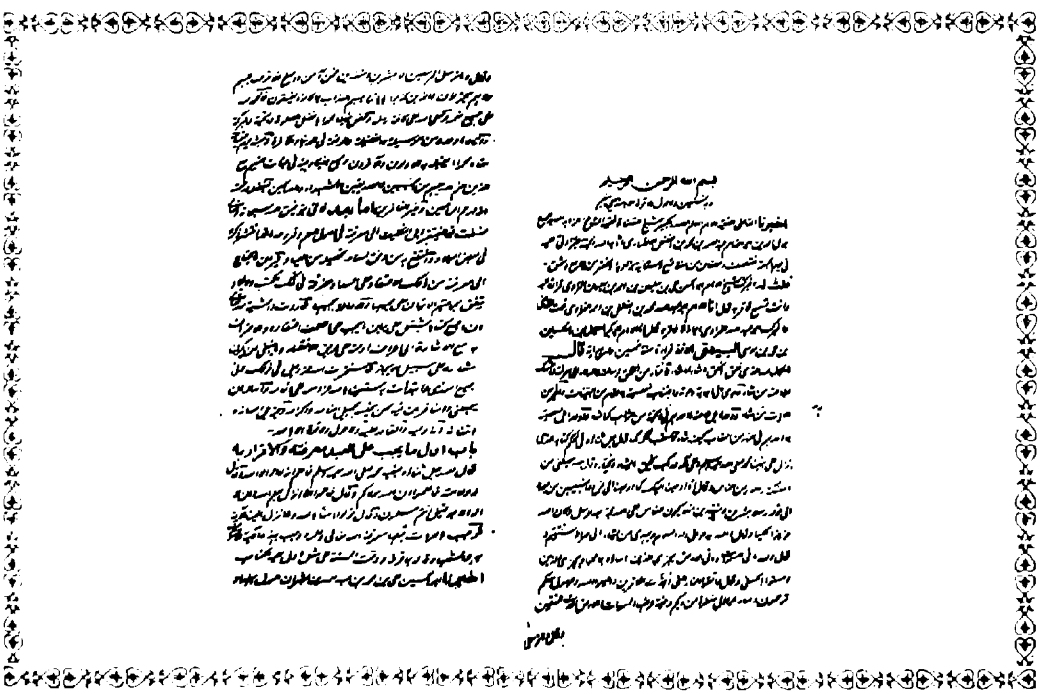
راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)



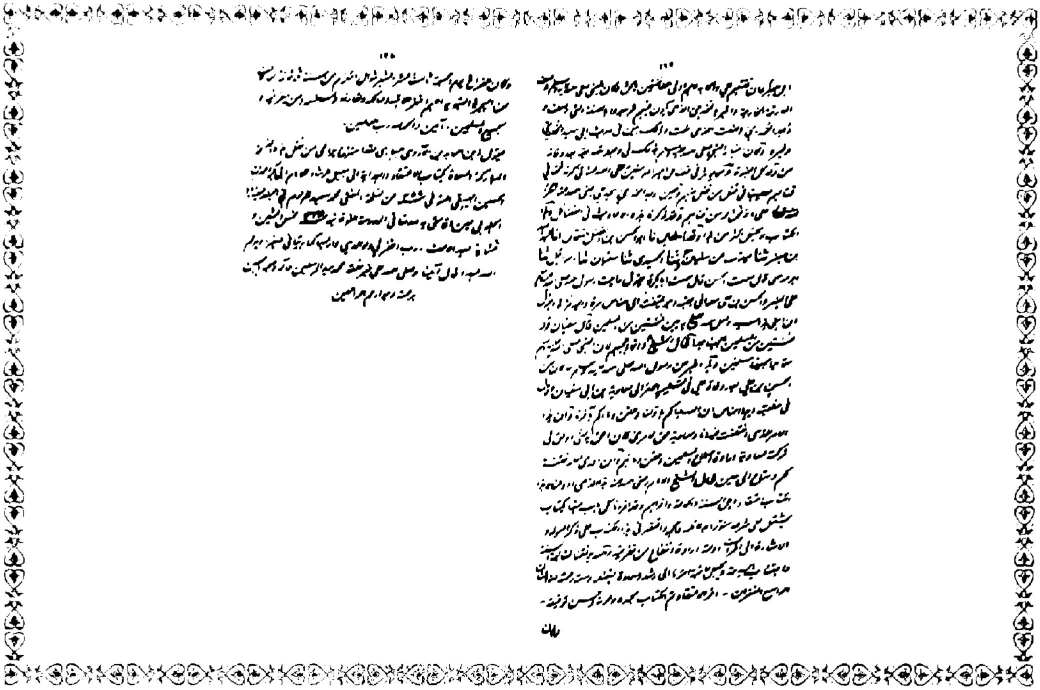
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



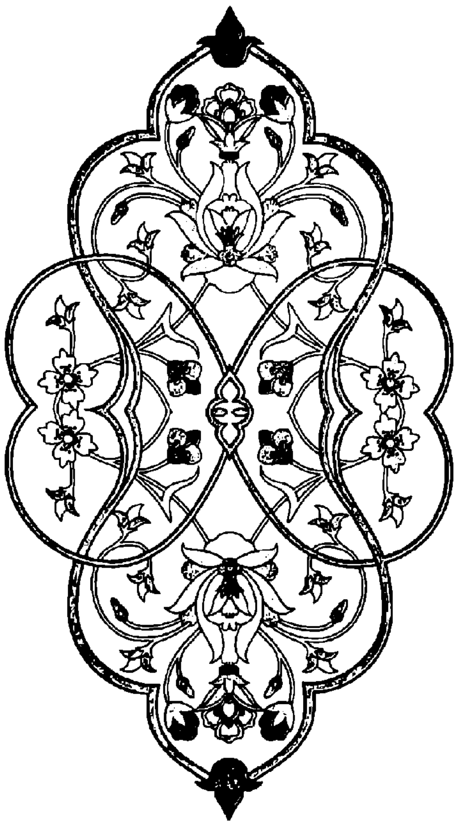
راموز ورقة العنوان من النسخة (و)



راموز الورقة الأولى من النسخة (و)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (و)



الاعتقاد

والهداية إلى سبيل الرشاد

تأليف

شيخ السنة الإمام

أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي

رحمه الله تعالى

(٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ)

حقق على ست نسخ خطية نفيسة

ثلاث منها صححت وقرئت على الحافظ ابن حجر العسقلاني

شرف بخدمته

أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر

أخبرَنا الإمامُ الحافظ الحُجَّةُ شيخُ الإسلام ؛ شهابُ الدينِ أحمدُ بن حجرٍ العسقلانيُّ قراءةً عليه ونحن نسمعُ ، في شهر رمضانَ من سنة ستٍّ وأربعين وثمان مئة ، قال : أخبرني المسندُ أبو الحسنِ عليُّ بن محمد بن محمد بن أبي المجدِ الدمشقيُّ ـ قدمَ علينا ـ ، بقراءتي عليه لشيءٍ منه ، وإجازةٍ لسائره ، عن أبي عبد الله محمدِ بن يوسفَ بن المختار وهو آخرُ من حدَّثَ عنه ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن أبي الفضل المرسيُّ سماعاً عليه بدمشقَ ، قال : أخبرنا أبو الفتح منصورُ بن عبد المنعم بن عبد الله الفُراويُّ سماعاً عليه بنيسابورَ ، أخبرنا عبدُ الجبار بن محمد بن محمد بن أحمد الحواريُّ ، أخبرَنا الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسينِ البيهقيُّ الحافظُ سماعاً عليه ، قالَ(١) :

---

(١) كذا في (ب) ، وطالعةُ الكتاب في (أ) :
(بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله ، عُدَّة للقاء الله ، أخبرنا القاضي الفقيه ، الإمام العالم ، الصدر الكبير ، شيخ القضاة ، بقية المشايخ ، الزاهد العابد الورع ، جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي فضل الأنصاري أثابه الله الجنَّة ، بقراءتي عليه في يوم الجمعة منتصف رمضان من سنة تسع وست مئة بزاوية الخضر من جامع دمشق ، قلتُ : أخبرك الشيخ الإمام أبو الحسن علي ابن أحمد بن سليمان المراديُّ قراءةً عليه وأنت تسمع ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفُراويُّ ، قلت للقاضي : وأخبرك أبو عبد الله الفُراوي إجازة ؟ فأقرَّ به ، قال أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ابن موسى البيهقي الحافظ قراءة سنة خمسين وأربع مئة ، قال : . . .) ، وكذا في (ب) من قوله : (أخبرنا القاضي الفقيه . . .) .

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله الذي خلَقَ الخلْقَ كما شاء لمَّا شاء[1] ، واختارَ مِنَ الخلق لرسالتِهِ والدعاءِ إلى معرفتِهِ والتمسُّكِ بطاعته.. مَنْ شاء ، وهدى إلى إجابة دعوتِهِ واجتناب معصيته بما أقامَ من البيِّنات وأظهرَ من الآيات.. مَنْ شاء ، ووعدَ لأهل طاعته ما أعدَّ لهم في الجنَّة من الثواب.. كما شاء ، وأوعد أهلَ معصيته بما أعدَّ لهم في النار من العقاب.. كيف شاء ، لا مُعقِّبَ لحُكمِهِ ، كما قال جلَّ ثناؤُهُ في محكمِ كتابِهِ الذي أنزلَهُ على نبيِّنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] .

وقال : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٣ـ١٦٥] .

وقال : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : ٢٥] .

وقال : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾ [النجم : ٣١] .

---

(١) قوله : (لمَّا شاء) بمعنى : حين شاء ، وهو أليق بالسياق ، أو أن (ما) اسم موصول ، قال العلامة السندي في « حاشيته على سنن النسائي » (٣/ ٦٠) عند قول السيدة عائشة رضي الله عنها : (كنَّا نُعِدُّ له سواكه وطَهوره ، فيبعثه الله لمَّا شاء أن يبعثه من الليل) قال : (لما شاء : بفتح لامٍ وتشديد ميمٍ ؛ أي : حين شاء ، أو بكسر لامٍ وتخفيف ميمٍ ؛ أي : لأجل ما شاء أن يبعثه له من الأعمال) .

وقال : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران : ١٣١ ـ ١٣٣] .

وقال : ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأنعام : ٤٨ ـ ٤٩] .

والحمدُ لله على جميع نِعمه ، وصلَّى الله على كافَّة رُسلِه ، وخَصَّ نبيَّنا محمداً بأفضلِ الصلاةِ والتحية والبركة ، وآتاه ما وعده من الوسيلة والفضيلة والرِّفعة في الدنيا والآخرة ، وبعثَهُ يومَ القيامة مقاماً محموداً يَغبِطُه به الأوَّلون والآخِرون ، وجمعَ بيننا وبينه في جنَّاتِ النَّعيم ، مع الذين أنعم عليهم من النَّبيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشهداءِ والصَّالحين ، بفضله ورحمته ؛ إنَّه أرحمُ الراحمين ، وخيرُ الغافرين .

أما بعدُ :

فإنِّي بتوفيق الله سبحانه وتعالى صنَّفتُ فيما يفتقرُ أهلُ التكليف إلى معرفته في أصول العلم وفروعِهِ . . ما قد انتشرَ ذكرُهُ في بعض البلاد ، وانتفعَ به مَنْ وُفِّقَ لسماعه وتحصيله من العباد ، غيرَ أنَّ جُمَلَ ما يُحتاجُ إلى معرفته من ذلك للاعتقادِ على السَّدادِ مُفرَّقةٌ في تلك الكتب ، ولا يكادُ يتَّفقُ لجماعتِهِمُ الإتيانُ على جمعِها ، والإحاطةُ بجميعها ، فأردتُ ـ والمشيئةُ لله تعالى ـ أنْ أجمعَ كتاباً يشتملُ على بيان ما يجبُ على المكلَّف اعتقادُهُ والاعترافُ به[1] ، مع الإشارةِ إلى أطراف أدلَّتِهِ على طريق الاختصار ، وما ينبغي أن يكونَ شعارَهُ على سبيلِ الإيجاز[2] ، واستخرتُ اللهَ عزَّ ذكرُهُ في ذلك وفي جميع أموري ، وابتدأتُ به مستعيناً بالله عزَّ

(١) قوله : (اعتقاده والاعتراف به) يعني : التصديق والإقرار .

(٢) الشعار هنا : العلامة .

اسمُهُ على إتمامه ، وأسألُهُ أن يجعلَني والناظرينَ فيه ممَّن يخصُّهُ بجميل إنعامِهِ وإكرامه ، وجزيلِ إحسانه وامتنانِهِ ؛ إنَّه وليُّهُ والقادرُ عليه ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله .

* * *

باب
أول ما يجب على العبد معرفته والإقرار به[1]

قال اللهُ جلَّ ثناؤُهُ لنبيِّهِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩][2]

وقال له ولأمَّتِهِ : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٤٠] .

وقال : ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [هود : ١٤] .

وقال : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا . . . ﴾ [البقرة : ١٣٦] الآيةَ ، فوجبَ بالآياتِ قبلَها : معرفةُ الله تعالى وعلمُه[3] ، ووجبَ بهذه الآيةِ[4] : **الاعترافُ به ، والشهادةُ لهُ بما عرفَهُ .**

ودلَّتِ السنَّةُ على مثلِ ما دلَّ عليه الكتابُ :

١ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمدِ بن عبد الله بن بِشرانَ العدلُ ببغدادَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا

---

(١) في هامش (د) نسخة : (العاقل البالغ) بدل (العبد) .

(٢) قال العلامة الأمير الكبير في « حاشيته على شرح الجوهرة » (ص ٢٤) وهو يتحدَّث عن وجه الاستدلال بهذه الآية : (قيل : الدليلُ قاصرٌ على الوحدانية ، وأجيب : بأنها تتضمَّن جميع العقائد) ، وقد بيَّن العلامة السنوسيُّ في « شرح العقيدة الصغرى » (ص ٢٧٩) وجهَ وطريقَ هذا التضمُّن .

(٣) بمعنى : زيادة علمه سبحانه على ذاته في المفهوم ، وكذا قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [النساء : ١٦٦] ، أو (علمه) معطوف على (معرفةُ) .

(٤) أراد : قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا . . . ﴾ .

يعلى بنُ عبيد ، حدثنا الأعمشُ ، عن أبي سفيانَ ، عن جابرٍ .

وعن أبي صالح ، عن أبي هريرةَ قالا : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لا إلَـهَ إلا اللهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا . . عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ** »(١)

ورواه العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفيه من الزيادة : « **وَيُؤْمِنُوا بِي ، وَبِمَا جِئْتُ بِهِ** »(٢)

٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ ، حدثنا محمدُ بن مَعْمَرِ بن رِبْعِيٍّ ، حدثنا عمرُ بن يونسَ الحنفيُّ ، حدثنا عكرمةُ بن عمَّار ، حدثني أبو كثير ، حدثني أبو هريرةَ ، فذكر حديثاً طويلاً قال فيه : عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « **يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** ـ وأعطاني نعليهِ ـ ؛ **اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا اللهُ مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ . . فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ** »(٣)

٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا عفَّانُ ، حدثني بشرُ بن المفضل ، عن خالدٍ ، عن الوليدِ أبي بشر قال : سمعتُ حُمرانَ يقول : سمعتُ عثمانَ بن

---

(١) ورواه البخاري (٢٩٤٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (٣٥/ ٢١) من حديث سيدنا أبي هريرة وسيدنا جابر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم بهذه الزيادة (٣٤/ ٢١) ، والحديث مما اتفق على روايته الشيخان ، وهو جامعٌ لماهية المؤمن المسلم ؛ فالإيمانُ والإقرارُ بالشهادتين مستفادانِ من قوله عليه الصلاة والسلام : « حتى يقولوا : لا إلهَ إلا اللهُ » ، وقولِه : « ويؤمنوا بي » ، والمعلومُ من الدين بالضرورة مستفادٌ من قوله عليه الصلاة والسلام : « وبما جئتُ بهِ » ، وما وراء ذلك زائدٌ على الماهية

(٣) ورواه مسلم (٥٢/ ٣١) .

عفَّانَ رضي الله عنه يقول : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقولُ : « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إلا اللهُ . . دَخَلَ الْجَنَّةَ** »[(١)]

٤ـ أخبرَنا أبو الحسين محمدُ بن الحسين بن الفضل القطَّانُ بمدينةِ السلام ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر بن درستويهِ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو عاصم ، عن عبد الحميد بن جعفرٍ ، عن صالحِ بن أبي عَريب ، عن كَثير بن مُرَّةَ ، عن معاذِ بن جبلٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ : لا إِلَـٰهَ إلا اللهُ . . وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ** »[(٢)]

ففي الحديثِ الأوَّلِ : بيانُ ما يجبُ على المدعوِّ أن يأتيَ به حتى يحقنَ به دمَهُ[(٣)]

وفي الحديثِ الثاني : بيانُ ما يجبُ عليه من الجمع بين معرفةِ القلب والإقرارِ باللسان مع الإمكانِ حتى يصحَّ إيمانُهُ[(٤)]

---

(١) ورواه مسلم (٤٣/ ٢٦) .

(٢) ورواه أبو داود (٣١١٦) .

(٣) يعني : ولو كان منافقاً متظاهراً بالإسلام ، دون قرينةٍ معتبرةٍ شرعاً دالَّةٍ على كفره .

(٤) فقوله عليه الصلاة والسلام : « يشهدُ » يوجب الإقرار باللسان ، ولكن كما قال الإمام المصنف : (مع الإمكان) ، فخرج نحوُ الأخرس والخائف مع وجود القرينة .

وأما الآبي الممتنعُ من النطق بالشهادتين : فمختلفٌ فيه ، والذي استظهرَهُ إمامُنا الغزالي أنه مؤمنٌ ، والمسألة فقهية ، وعبارته في « إحيائه » (١/ ٤٣٣) : (الدرجة الخامسة : أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلةُ النطق بكلمتي الشهادة ، وعلم وجوبَها ، ولكنه لم ينطقْ بها ، فيحتمل أن يجعل امتناعُه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ، ونقول : هو مؤمن غيرُ مخلَّدٍ في النار ، والإيمان هو التصديقُ المحض ، واللسان ترجمانُ الإيمان ، فلا بدَّ أن يكون الإيمانُ موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمَهُ اللسان ، وهذا هو الأظهر ؛ إذ لا مستندَ إلا اتباعُ موجَبِ الألفاظ ، ووضعُ اللسان : أن الإيمانَ هو عبارةٌ عن التصديق بالقلب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « يخرجُ مَنْ كان في قلبِهِ مثقالُ ذَرَّةٍ من الإيمانِ » ، ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب ، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب) . =

وفي الخبرِ الثالثِ والرابعِ : شرطُ الوفاةِ على الإيمان حتى يستحقَّ دخولَ الجِنان بوعد الله تعالى جَدُّهُ[1] ، وبالله التوفيقُ .

* * *

= وقوله عليه الصلاة والسلام : « مُستيقناً بها قلبُهُ » يوجب معرفةَ القلب ، وفيه ردٌّ على المرجئة .

(١) وعليه : فقد اعتمد الإمامُ المصنف تفسيرَ قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ. . . » بمعنى : استصحاب الإيمان المستفاد من قوله عليه أزكى الصلوات والتسليمات : « مَنْ ماتَ وهو يعلمُ أَنْ لا إلـهَ إِلَّا اللهُ. . . » ، لا بمعنى : حقيقة التلفظ بالشهادة قبيل نزع الروح ، وإنما هو الكلامُ النفسيُّ الدالُّ على حقيقة هذا الإيمان ، وإنما النطقُ بها علامةُ إكرامٍ وبشارةُ خير .

باب
ذكر بعض ما يستدل به على حدث العالم
وأن محدثه ومدبره إله واحد قديم، لا شريك له ولا شبيه

قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٣-١٦٤] .

٥- أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أحمدُ بن الفضل الصائغُ ، حدثنا آدمُ بن أبي إياسٍ ، حدثنا أبو جعفر الرازيُّ ، حدثنا سعيدُ بن مسروق ، عن أبي الضحى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ قال : لمَّا نزلَتْ هذه الآيةُ عجبَ المشركون وقالوا : إنَّ محمداً يقول : إنَّ إلـٰهكم إلـٰهٌ واحد ! فليأتنا بآية إن كان من الصادقين ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] (١) .

إنَّ في هذه الآياتِ لآياتٍ لقومٍ يعقلون :

قد ذَكَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ خلقَ السماوات (٢) ؛ بما فيها من الشمس والقمر والنجوم المسخراتِ .

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (٣/ ٢٦٩) ، والمصنف في « الشعب » (١٠٣) ، وانظر « الدر المنثور » (١/ ٣٩٥) .

(٢) في (أ) : (فذكر) بدل (قد ذكر) .

وذَكَرَ خلقَ الأرض ؛ بما فيها من البحار والأنهار والجبال والمعادن .

وذَكَرَ اختلافَ الليلِ والنهار وأَخْذَ أحدِهما من الآخر .

وذَكَرَ الفُلْكَ التي تجري في البحر بما ينفعُ الناسَ .

وذَكَرَ ما أنزل مِنَ السماء من المطر الذي فيه حياةُ البلاد ، وبهِ وبما وضعَ اللهُ في الليل والنهار من تعاقبِ الحرِّ والبرْدِ . . يتمُّ رزقُ العباد والبهائم والدوابِّ .

وذَكَرَ ما بثَّ في الأرض من كلِّ دابَّةٍ مختلفةِ الصورة والأجساد ، مختلفةِ الألسنة والألوان .

وذَكَرَ تصريفَ الرياح والسحابِ المسخَّرِ بين السماء والأرض ، وما فيهما من منافع الحيوانات ، وما في جميع ذلك من الآياتِ البيِّناتِ لقوم يعقلون .

ثم أمرَ في آيةٍ أخرى بالنظر فيها[1] ، فقال لنبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس : ١٠١] .

يعني ـ واللهُ أعلم ـ : من الآياتِ الواضحاتِ ، والدلالاتِ النَّيِّرات .

وهذا لأنَّك إذا تأمَّلتَ هيئةَ هذا العالَم ببصرك، واعتبرتَها بفكرِكَ . . وجدتَهُ كالبيت المبنيِّ المُعدِّ فيه جميعُ ما يَحتاج إليه ساكنُهُ من آلةٍ وعتاد ؛ فالسماءُ مرفوعةٌ كالسقف ، والأرضُ ممدودةٌ كالبساط ، والنجومُ منضودةٌ كالمصابيح ، والجواهرُ مخزونةٌ كالذخائر ، وضروبُ النبات مُهيَّأةٌ للمطاعم والملابس والمآرب ، وصنوفُ الحيوان مُسخَّرةٌ للمراكب ، مستعملةٌ في المرافق ، والإنسانُ كالمُمَلَّكِ البيت المُخوَّلِ ما فيه .

وفي هذا : دلالةٌ واضحة على أن العالَمَ مخلوقٌ بتدبير وتقديرٍ ونظام ، وأنَّ له صانعاً حكيماً تامَّ القدرةِ بالغَ الحكمة .

وهذا فيما قرأتُهُ من كتاب أبي سليمانَ الخطابيِّ رحمه الله[2]

---

(١) يعني : في هذه المذكورات التي عدَّدها ، وهي المقصودةُ في الآية الآتية بقوله تعالى : ﴿مَاذَا﴾ ، وفي (و) : (فيهما) يعني : في السماوات والأرض .

(٢) نقله الإمام الرازي في « مفاتيح الغيب » (٢/ ٣٤٢) عن الجاحظ .

ثمَّ إنَّ الله تعالى حضَّهم على النظر في ملكوت السماوات والأرض وغيرهما من خلقه في آيةٍ أخرى ؛ فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] يعني بالملكوت : الآياتِ[١]

يقولُ : أوَلم ينظروا فيها نظرَ تفكُّرٍ وتدبُّرٍ ؛ حتى يستدلُّوا بكونِها محلّاً للحوادثِ والتغييراتِ على أنَّها مُحدَثاتٌ[٢] ، وأنَّ المُحدَثَ لا يستغني عن صانعٍ يصنعُهُ على هيئةٍ لا يجوزُ عليه ما يجوزُ على المُحدَثاتِ ؛ كما استدلَّ إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام بمثلِ ذلك[٣] ، فانقطعَ عنها كلِّها إلى ربٍّ هو خالقُها ومنشئُها ؛ فقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

٦ـ أخبرَنا أبو زكريا بنُ أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن محمد بن عَبْدُوسٍ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدَّارِميُّ ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٧٥] يعني به : الشمسَ والقمرَ والنجومَ ، لمَّا رأى كوكباً قال : هذا ربِّي ، حتى غاب ، فلمَّا غابَ قال : لا أحبُّ الآفلين ، فلمَّا رأى القمر بازغاً . . قال : هذا ربِّي ، حتى غاب ، فلمَّا غاب قال : لئن لم يهدني ربِّي لأكونَنَّ من القوم الضالِّين ، فلمَّا رأى الشمس بازغةً قال : هذا ربِّي هذا أكبرُ ، حتى غابت ، فلمَّا غابَتْ قال : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ

---

(١) يعني : الآياتِ الدالَّة والشاهدة بوحدانيته ، المذكورةَ في قوله قبلُ : ﴿ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

(٢) الباءُ في قوله : (بكونها) هي السببيةُ ؛ إذ كلُّ متغيِّر حادثٌ بضرورة العقل السليم .

(٣) حيث استدلَّ على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام أن هذا العالم المتغيِّر له صانع حكيم منزَّهٌ عن سماتِ الحدوث اللازمةِ لمصنوعه .

مِمَّا تُشْرِكُونَ ❁ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . . ﴾ [الأنعام : ٧٨ـ ٧٩] الآيةَ[١] .

قال الشيخُ أحمدُ رحمَهُ الله :

وحثَّهم على النظر في أنفسهم والتفكُّرِ فيها ؛ فقال : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] ؛ يعني : لما فيها من الإشارةِ إلى آثار الصَّنْعةِ الموجودة في الإنسان ؛ مِنْ يدينِ يبطشُ بهما ، ورجلينِ يمشي عليهما ، وعينٍ يبصرُ بها ، وأُذُنٍ يسمعُ بها ، ولسانٍ يتكلَّم به ، وأضراسٍ تَحْدُث له عند غناهُ عن الرضاع ، وحاجتِهِ إلى الغذاء ، يطحنُ بها الطعام ، ومَعدةٍ أُعدَّتْ لطبخ الغذاء ، وكبدٍ يُسلَكُ إليها صفوُهُ ، وعروقٍ ومعابرَ تنفذُ فيها إلى الأطراف ، وأمعاءٍ يرسبُ إليها ثُفْلُ الغذاء[٢] ، ويَبرز عن أسفل البدن ، فيُستدل بها على أنَّ لها صانعاً حكيماً عالماً قديراً

٧ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا عباسُ بن محمد ، حدثنا عبيدُ الله بن موسى ، حدثنا سفيانُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن محمدِ بن المرتفِع ، عن عبدِ الله بن الزبيرِ : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] قال : سبيلُ الخلاء والبولِ[٣]

٨ ـ وأخبرَنا يحيى بنُ إبراهيم ، حدثني محمدُ بن محمد بن عبيد الله الأديبُ ، حدثنا محمودُ بن محمد ، حدثنا عبدُ الله بن الهيثم ، حدثنا الأصمعيُّ قال : سمعت ابنَ السَّمَّاك يقولُ لرجلٍ : (تباركَ مَنْ خلقَكَ ؛ فجعلَكَ

---

(١) انظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٠٣) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٣٠٣)

(٢) ثفل الغذاء ـ بالثاء ـ : النجو والغائط هنا .

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٤١٩) ، والمصنف في « الشعب » (١١٠ ، ١١١) .

تبصرُ بشحمٍ ، وتسمعُ بعظمٍ ، وتتكلَّمُ بلحمٍ !)[١]

قلنا : ثم إنَّا رأينا أشياءَ متضادَّةً مِنْ شأنها التنافرُ والتباين والتفاسدُ[٢] مجموعةً في بدنِ الإنسان ، وأبدانِ سائر الحيوان ؛ وهي : **الحرارةُ** ، **والبرودةُ** ، **والرطوبةُ** ، **واليبوسةُ** ، **فقلنا** : إنَّ جامعاً جمعَها ، وقهرَها على الاجتماع ، وأقامَها بلطفه ، ولولا ذلك لتنافرَتْ ولتفاسدَتْ ، ولو جازَ أن تجتمعَ المتضادَّاتُ المتنافراتُ وتتقاومَ من غير جامعٍ يجمعُها . . لجاز أن يجتمعَ الماءُ والنار ، ويتقاوما مِنْ ذاتهما من غير جامعٍ يجمعُهما ومقيمٍ يقيمُهما ! وهذا محالٌ لا يُتوهَّم .

فثبتَ أنَّ اجتماعَها إنَّما كان بجامعٍ قَهرها على الاجتماع والالتئام ؛ وهو اللهُ الواحد القهَّار .

وقد حُكيَ عن الشافعيِّ أنَّهُ احتجَّ بقريب من هذا المعنى حين سألَهُ المَرِيسيُّ عن دلائل التوحيد في مجلسِ الرشيد ، واحتجَّ أيضاً بالآية التي ذكرناها في أوَّلِ الباب ، وباختلافِ الأصوات[٣]

قلنا : وقد بيَّنَ الله تعالى في كتابه العزيز تحوُّلَ أنفسِنا من حالة إلى حالة وتغيُّرَها ؛ ليُستدلَّ بذلك على خالقها ومحوِّلِها ؛ فقال : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح : ١٣ـ ١٤] ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ـ ١٤] .

فالإنسان إذا تفكَّرَ في نفسه . . رآها مُدبَّرةً ، وعلى أحوالٍ شتى مُصرَّفةً ؛ كان

---

(١) ورواه المصنف في « الشعب » (١١٣) .

(٢) أراد : يفسد بعضها بعضاً ؛ إذ الرطوبة مثلاً مفسدة لليبوسة . . . وهكذا .

(٣) روى تلك المناظرة أبو نعيم الأصبهاني في « حلية الأولياء » (٩/ ٨٠) .

نطفةً ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم لحماً وعظماً ؛ فيَعلَمُ أنَّهُ لم ينقُلْ نفسَهُ مِنْ حال النقص إلى حالِ الكمال ؛ لأنَّهُ لا يقدرُ أن يُحدِثَ لنفسه في الحالِ الأفضلِ التي هي حالُ كمالِ عقلِهِ وبلوغِ أشدِّهِ . . عضواً من الأعضاء ، ولا يمكنُهُ أن يزيدَ في جوارحه جارحةً ، فيدلُّهُ ذلك على أنَّهُ في حال نقصِهِ وأوانِ ضَعفِهِ عن فعل ذلك أعجزُ .

وقد يرى نفسه شاباً ، ثم كهلاً ، ثم شيخاً ، وهو لم ينقلْ نفسَهُ من حال الشباب والقوَّة إلى الشيخوخة والهرم ، ولا اختارَهُ لنفسه ، ولا في وُسْعِهِ أن يُزايلَ حالَ المشيب ، ويراجعَ قوَّةَ الشباب .

فيَعلمُ بذلك : أنَّهُ ليس هو الذي فعلَ هذه الأفعالَ بنفسه ، وأنَّ له صانعاً صنعَهُ، وناقلاً نقلَهُ من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدَّلْ أحوالُهُ بلا ناقلٍ ولا مدبِّر[1]

ثم يعلمُ : أنَّهُ لا يتأتَّى الفعلُ المحكمُ المتقَنُ ، ولا يوجدُ الأمرُ والنهي . . ممَّن لا حياةَ له ، ولا علمَ ، ولا قدرةَ ، ولا إرادةَ ، ولا سمعَ ، ولا بصرَ ، ولا كلامَ ، فيستدلُّ بذلك على أنَّ صانعَهُ : حيٌّ ، عالمٌ ، قادرٌ ، مريدٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، متكلِّمٌ[2] .

ثم يعلمُ : استغناءَ المصنوع بصانعٍ واحد ، وعلوَّ بعضِهِم على بعضٍ أنْ لو كان معه آلهةٌ ، وما يدخلُ من الفساد في الخلْقِ أنْ لو كانوا آلهةً[3] ، ويستدلُّ

---

(١) السياق عند الإمام الأشعري في « اللمع » (ص ١٧) وبلفظ متقارب .

(٢) في هذه القطعة سردٌ لصفات المعاني السبعة ، والمعنوية على القول بها ، والأربعة الأولى هي التي يتوقف على إثباتها وجودُ الحوادث ؛ إذ كلُّ محدَث لا بدَّ أن يكون محدِثُهُ : حيّاً ، عالماً ، مريداً ، قادراً ، وجرى على طريقة السادة الأشاعرة ـ وهو منهم ـ في إثبات السمع والبصر والكلام تبعاً لها ؛ ولم يعرض للصفات السمعية ـ على القول بها عند الأشاعرة ـ لأن المقامَ مقامُ استدلالٍ ، وحدوث العالم لا يتوقف على إثباتها ، وانظر (ص ١٢٠) .

(٣) هذه العبارة والتي قبلها جليّة واضحة ، ولا إشكالَ فيها عند أدنى تأمُّلٍ ، ولكن جاء في هامش (ج) : (في هذه العبارة خللٌ من الكاتب ، والصواب أن يُقال : ثم يعلم أن صانع العالم واحد ؛ إذ لو كان معه آلهة . . لعلا بعضهم على بعض ، ولدخل الفساد في الخلق) ، وما ذكر إنما هو كالتوضيح للمثبت الذي اتَّفقت عليه النسخ .

بذلك على أنَّهُ إلهٌ واحد لا شريكَ له ، كما قال عزَّ من قائل : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١ ـ ٩٢] ، وقال : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء ٢٢ ـ ٢٣] .

ثم يَعلمُ : أنَّ صانعَ العالَم لا يشبهُ شيئاً مِنَ العالَم :

لأنَّهُ لو أشبهَ شيئاً من المُحدَثات بجهةٍ من الجهات . . لأشبهَهُ في الحدوثِ من تلك الجهة ، ومحالٌ أن يكونَ القديمُ مُحدَثاً ، أو يكونَ قديماً من جهةٍ حديثاً من جهةٍ .

ولأنَّهُ يستحيلُ أن يكونَ الفاعلُ يفعلُ مثلَهُ ؛ كالشاتمِ لا يكون شَتْماً وقد فعل الشتمَ ، والكاذبِ لا يكون كَذِباً وقد فعلَ الكذبَ .

ولأنَّهُ يستحيلُ أن يكونَ شيئانِ مثلينِ يفعلُ أحدُهُما صاحبَهُ ؛ لأنه ليس أحدُ المثلين بأن يفعلَ صاحبَهُ أَولى من الآخر ، وإذا كان كذلك لم يكنْ لأحدهما على الآخر مزيّةٌ يستحقُّ لأجلِها أن يكون مُحدِثاً له ؛ لأنَّ هذا حكْمُ المثلينِ فيما تماثلا فيه .

وإذا كان كذلك استحالَ أن يكونَ البارئُ سبحانَهُ مُشْبِهاً للأشياء ، فهو كما وصفَ نفسَهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص](١) .

---

(١) رضي الله تعالى عن إمامنا البيهقي ما أمتنَ عبارتَهُ واستدلالَهُ في هذه القطعة ! وإن الذي مارس كتبَ الكلام وطوّل النظر فيها . . ليعجبُ من هذه الوجازة الاستدلاليّة التي لخَّص فيها ما طُوّل الكلامُ فيه في نفي الشبيه والنظير والمثيل ، ولأهمّيّتها يحسُن إبرازُ وجوه الدلالة فيها مرتَّبة ؛ وهي : =

٩ـ حدَّثَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ الحافظُ ، وأبو جعفرٍ محمدُ بن صالح بن هانىءٍ قالا : حدثنا الحسينُ بن الفضل ، حدثنا محمدُ بن سابقٍ ، حدثنا أبو جعفرٍ الرازيُّ ، عن الربيعِ بن أنسٍ ، عن أبي العاليةِ ، عن أُبيِّ بن كعبٍ : أنَّ المشركين قالوا : يا محمدُ ؛ انسبْ لنا ربَّكَ ، فأنزلَ اللهُ تبارك وتعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص : ١ـ ٢] ، قال : الصمدُ : الذي لم يلدْ ولم يُولَدْ ؛ لأنَّهُ ليس شيءٌ يُولَدُ إلا سيموتُ ، وليس شيءٌ يموتُ إلا سيُورَثُ ، وإنَّ الله تبارك وتعالى لا يموتُ ولا يُورَثُ ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ، لم يكن له شبيهٌ ولا عدلٌ ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١][(١)] .

١٠ـ أخبرنا أبو زكريا يحيى بنُ إبراهيم ، أخبرنا أبو الحسنِ الطرائفيُّ ، حدثنا

= ربُّنا الخالق المستبدُّ بالخلْقِ يستحيلُ في حقِّه مشابهةُ مصنوعاته بأيِّ وجهٍ من وجوه التشابه ؛ لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ؛ إذ لو وقع أيُّ وجهٍ من وجوه الشبه :

١ـ لانقلب القديمُ مُحدَثاً ، أو لاجتمع القدم والحدوث معاً ، وكلا الأمرين محالٌ عقلاً .

٢ـ ولكان الفاعلُ يفعل مثلَهُ ، وهو مستحيل ؛ لأن فعلَه مباينٌ له ؛ كالشاتم إنما يصنع الشتم ، لا شاتماً مثله .

٣ـ ولكان المثيل يصنع مثيله ، وهو لا يتصور ؛ لعدم المرجِّح بعد وقوع التماثل ، فلا يكون أحدُهُما أولى من الآخر في الصنع .

٤ـ ثم قد وردت الأدلَّة النقليّة القطعية الدلالة من آياتٍ وآثارٍ تؤكِّدُها الدلالاتُ العقلية السابقة وتُؤكِّدُ بها في ثبوت الوحدانية ونفي المشابهة .

فهذا الذي ذكره الإمام المصنفُ حصيلةُ كلام طويلِ الذيل في الحديث عن الصفة السلبية (المخالفة للحوادث) .

(١) ورواه الترمذي (٣٣٦٤) ، قال الإمام القشيري في « لطائف الإشارات » (٣/ ٧٨٣) : (يقال : السورة بعضها تفسير لبعض : مَنْ هو ؟ هو الله ، مَنِ الله ؟ الأحدُ ، مَنِ الأحدُ ؟ الصمدُ ، مَنِ الصمدُ ؟ الذي لم يلد ولم يولد ، مَنِ الذي لم يلد ولم يولد ؟ الذي لم يكن له كفواً أحد) .

عثمانُ بن سعيد ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل : ٦٠] ، قال : يقولُ : ليس كمثلِهِ شيءٌ[1] .

١١ـ وفي قوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ، يقولُ : هل تعلمُ للربِّ مثلاً أو شبيهاً ؟ ![2] .

قلنا[3] : وقد سلكَ بعضُ مشايخنا رحمَنا الله وإيَّاهم في إثبات الصانع وحَدَث العالم طريقَ الاستدلال بمقدِّماتِ النبوَّة ومعجزاتِ الرسالة ؛ لأنَّ دلائلها مأخوذةٌ من طريق الحسِّ لمن شاهدَها ، ومن طريقِ استفاضةِ الخبر لمن غابَ عنها ، فلمَّا ثبتت النبوَّةُ صارَتْ أصلاً في وجوب قبول ما دعا إليه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وعلى هذا الوجهِ كان إيمانُ أكثر المستجيبينَ للرسل صلواتُ الله عليهم أجمعين

١٢ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ ، حدثنا نصرُ بن عليٍّ ، حدثنا

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢٠/ ٩٤)، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص٣١٢).

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٨/ ٢٢٦)، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص٣٣٦).

(٣) هذا انتقالٌ من الإمام المصنف إلى نمطٍ خاصٍّ في الاستدلال ؛ إذ كان قد قدَّم طريقة الأدلة الضرورية العقلية الأوَّلية ، والتي كثُرَ في كتاب الله عزَّ شأنه التنبيهُ إليها ، والتعويل عليها ، وهو الآن مقرِّرٌ للأدلَّة النقلية بعد إثبات أصلها ـ وهو النبوة ـ بخرق العوائد (المعجزات والآيات) ، وبهذا الجمع يستتمُّ الاستدلال ، وقد قال حجة الإسلام في « إحيائه » (٥/ ٦٣) : (الداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية . . جاهلٌ ، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة . . مغرورٌ ، فإياك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعاً بين الأصلين) ، وقال في « ميزان العمل » (ص ٢٢٥) : (لا تدرك العلوم الشرعية إلا بالعلوم العقلية ؛ فإن العقلية كالأدوية للصحة ، والشرعية كالغذاء ، والنفس المريضة المحرومة من الدواء تتضرَّرُ بالأغذية ولا تنتفع ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ١٠] لما كانوا لا ينتفعون بالقرآن) .

وهبُ بن جرير ، حدثنا أبي[١] ، عن محمدِ بن إسحاقَ ، حدثني الزهريُّ ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعن عبيدِ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعن عروةَ بن الزبير ـ وصُلبُ الحديث عن أبي بكر بن عبد الرحمن ـ عن أمِّ سلمةَ زوجِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قالت : إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لما فُتِنَ أصحابُهُ بمكة . . أشار عليهم أنْ يلحقوا بأرضِ الحبشة . . . ، فذكر الحديثَ بطوله إلى أنْ قال :

فكلَّمَهُ جعفرٌ رضي الله عنه ـ يعني النجاشيَّ ـ فقال : كنَّا على دينهم ـ يعني : دين أهل مكة ـ حتى بعثَ اللهُ عزَّ وجلَّ فينا رسولاً نعرفُ نسبَهُ وصدقه وعفافه ، فدعا إلى أنْ نعبدَ الله وحدَهُ لا نشركُ به شيئاً ، ونخلعَ ما يعبدُ قومُنا وغيرُهم مِنْ دونه ، وأمرنا بالمعروف ، ونهانا عن المنكر ، وأمرَنا بالصلاة ، والصيام ، والصدقة ، وصلةِ الرحم ، وكلِّ ما نعرفُ من الأخلاق الحسنة ، وتلا علينا تنزيلاً جاءَهُ من الله عزَّ وجلَّ لا يشبهُهُ شيءٌ غيرُهُ[٢] ، فصدَّقناهُ وآمنَّا به ، وعرفنا أنَّ ما جاء به هو الحقُّ من عند الله عزَّ وجلَّ ، ففارقَنا عند ذلك قومُنا ، وآذَوْنا ، فقال النجاشيُّ : هل معكم ممَّا نُزِّلَ عليه شيءٌ تقرؤونَهُ عليَّ ؟

قال جعفرٌ : نعم ، فقرأ (كٓهيعٓصٓ) ، فلمَّا قرأَها . . بكى النجاشيُّ حتى أخضلَ لحيتَهُ ، وبكت أساقفتُهُ حتى أخضلوا مصاحفَهُم ، وقال النجاشيُّ : إنَّ هذا الكلامَ والكلامَ الذي جاءَ به موسى عليه السلامُ . . ليخرجانِ من مشكاةٍ واحدة[٣] .

قلنا : فهؤلاءِ مع النجاشيِّ وأصحابه استدلُّوا بإعجازِ القرآن على صدق النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيما ادَّعاهُ من الرسالة ، فاكتفَوا به ، وآمنوا به وبما جاء به مِنْ عند الله ، فكانَ فيما جاء به : إثباتُ الصانعِ ، وحَدَثُ العالم .

---

(١) وهو جرير بن حازم بن زيد الأزدي البصري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩/ ٤٤٢) .

(٢) وهذا وجهُ دلالة المعجزة ؛ إذ كلامه تعالى ليس كمثله كلام .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠١) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٢٢٦٠) .

١٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاق الصَّغَانيُّ ، حدثنا أبو النضر ، حدثنا سليمانُ بن المغيرة ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : كنَّا نُهينا أن نسألَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن شيء ، فكان يعجبُنا أن يأتيَهُ الرجلُ من أهلِ البادية ، فيسألَهُ ونحن نسمع ، فأتاه رجلٌ منهم ، فقال : يا محمدُ ؛ أتانا رسولُكَ ، فزعم أنَّك تزعمُ أنَّ الله أرسلَكَ ؟ قال « صَدَقَ » ، قال : فمَنْ خلقَ السماء ؟ قال : « اللهُ » ، قال : فمَنْ خلقَ الأرض؟ قال : « اللهُ » ، قال : فمَنْ نصبَ هذه الجبال ؟ قال : « اللهُ » ، قال : فمَنْ جعل فيها هذه المنافعَ ؟ قال : « اللهُ » ، قال : فبالذي خلقَ السماءَ والأرضَ ، ونصبَ الجبال ، وجعلَ فيها هذه المنافعَ ؛ آللهُ أرسلَكَ؟ قال : « نَعَمْ » .

قال : وزعم رسولُكَ أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتِنا ؟ قال : « صَدَقَ » ، قال : فبالذي أرسلَكَ ؛ آللهُ أمرَكَ بهذا ؟ قال : « نَعَمْ » .

قال : وزعمَ رسولُكَ أنَّ علينا صدقةً في أموالنا ، قال « صَدَقَ » ، قال : فبالذي أرسلَكَ ؛ آللهُ أمرَكَ بهذا ؟ قال : « نَعَمْ »

قال : وزعمَ رسولُكَ أنَّ علينا صومَ شهر في سنتنا ، قال : « صَدَقَ » ، قال : فبالذي أرسلَكَ ، آللهُ أمرَكَ بهذا ؟ قال : « نَعَمْ » .

قال : وزعم رسولُكَ أنَّ علينا حجَّ البيت مَنِ استطاع إليه سبيلاً ، قال : « صَدَقَ » ، قال : فبالذي أرسلَكَ ؛ آللهُ أمرَكَ بهذا ؟ قال : « نَعَمْ » .

قال : والذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ لا أزيدُ عليهنَّ ولا أنقصُ منهنَّ .

فلمَّا مضى قال : « لَئِنْ صَدَقَ . . لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ »[١]

فهذا السائلُ كان قد سمعَ بمعجزات رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكانت مستفيضةً في زمانه ، ولعلَّهُ سمعَ أيضاً ما كان يتلوهُ من القرآن ، فاقتصرَ في إثبات الخالق ومعرفة خلقِهِ على سؤاله وجوابه عنه[٢]

---

(١) ورواه البخاري (٦٣) ، ومسلم (١٢/ ١٠) واللفظ له .

(٢) في هذه القطعة يبيِّن الإمام البيهقي أن العقل لا يستغنى عنه في الاستدلال بحال من =

وقد طالبَهُ بعضُ مَنْ لم يقفْ على معجزاته بأن يريَهُ مِنْ آياتِهِ ما تدلُّهُ على صدقه ، فلمَّا أراهُ إيَّاهُ ووقَّفَهُ عليه[1] .. آمنَ به ، وصدَّقه فيما جاءَ به من عند الله عزَّ وجلَّ .

١٤ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر بن إسحاقَ ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، (ح) .

وأخبرنا أبو نصرٍ عمرُ بن عبد العزيز بن عمرَ بن قتادة ، حدثنا أبو عليٍّ حامدُ بن محمد الرفَّاءُ ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدثنا محمدُ بن سعيد الأصبهانيُّ ، أخبرنا شريكٌ ، عن سماكٍ ، عن أبي ظَبْيانَ ، عن ابن عباسٍ قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال بمَ أعرفُ أنَّكَ رسول الله ؟ فقال : « أَرَأَيْتَ لَوْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ » ، قال : نعم ، قال : فدعا العِذقَ ، فجعل العِذقُ ينزلُ من النخلةِ حتى سقطَ في الأرض ، فجعل يَنْقُزُ حتى أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : ثم قال له : « ارْجِعْ » ، فرجع حتى عاد إلى مكانه ، فقال : أشهدُ أنَّكَ رسولُ الله ، وآمنَ[2] .

تابعَهُ الأعمشُ عن أبي ظَبْيانَ .

ورواه أبو حيَّانَ ، عن عطاءٍ ، عن ابن عمرَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمعناه[3] .

* * *

= الأحوال ، فهذا السائل وإن اكتفى في الظاهر بالأدلة النقلية ؛ إلا أنه كان قد تقرَّر عنده إثبات النبوة بخرق العوائد ، وهي دلالة عقلية

(١) قوله : (فلمَّا أراهُ إيَّاهُ ووقَّفَهُ عليه) كذا في النسخ ، وهو راجع على التبعيض المفهوم من قوله : (يريه من آياته) .

(٢) ورواه الترمذي (٣٦٢٨) وصحَّحه ، وينقز ـ بضم القاف وكسرها ـ : يثب

(٣) ورواه الدارمي في « مسنده » (١٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٥٠٥) .

باب
ذكر أسماء الله وصفاته عزت أسماؤه وجل ثناؤه

قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء ١١٠].

وقال : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ . . . ﴾ إلى قوله ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر : ٢٢ـ ٢٤] .

١٥ـ أخبرَنا أبو طاهرٍ محمدُ بن محمد بن مَحْمِش الفقيهُ رحمه الله ، أخبرنا أبو بكر محمدُ[١] بن الحسين بن الحسن القطانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلَميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمَرٌ ، عن همَّام بن منبِّهٍ قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال[٢] رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لِلهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً ، مِئَةٌ إلا وَاحِدٌ[٣] ، مَنْ أَحْصَاهَا . . دَخَلَ الْجَنَّـةَ »[٤]

١٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن إسحاقَ الفقيهُ ، أخبرنا محمدُ بن أحمد بن الوليد الكرابيسيُّ ، حدثنا صفوانُ بن صالح الدمشقيُّ ، حدثنا الوليدُ بن مسلم ، حدثنا شعيبُ بن أبي حمزةَ ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه

---

(١) كذا في (ج) ، وهو الصواب ، وفي سائر النسخ : (أحمد) .
(٢) كذا في (ج ، و) ، وفي سائر النسخ : (وقال) .
(٣) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٤/ ٤٥٦) (ولأبي ذر « إلا واحدة » بالتأنيث ؛ ذهاباً إلى معنى التسمية ، أو الصفة ، أو الكلمة)
(٤) ورواه البخاري (٢٧٣٦ ، ٧٣٩٢) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

وسلَّم : « إِنَّ لِلّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ، مِئَةً إِلَّا وَاحِدَةً ، مَنْ أَحْصَاهَا . . دَخَلَ الْجَنَّةَ ، إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ

هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَـٰنُ ، الرَّحِيمُ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهَيْمِنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، الْغَفَّارُ ، الْقَهَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الْفَتَّاحُ ، الْعَلِيمُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الْخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، الْمُعِزُّ ، الْمُذِلُّ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَكَمُ ، الْعَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَظِيمُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْعَلِيُّ ، الْكَبِيرُ ، الْحَفِيظُ ، الْمُقِيتُ ، الْحَسِيبُ ، الْجَلِيلُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، الْمُجِيبُ ، الْوَاسِعُ ، الْحَكِيمُ ، الْوَدُودُ ، الْمَجِيدُ ، الْبَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الْحَقُّ ، الْوَكِيلُ ، الْقَوِيُّ ، الْمَتِينُ ، الْوَلِيُّ ، الْحَمِيدُ ، الْمُحْصِي ، الْمُبْدِئُ ، الْمُعِيدُ ، الْمُحْيِي ، الْمُمِيتُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ، الْوَاجِدُ ، الْمَاجِدُ ، الْوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، الْقَادِرُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الْمُقَدِّمُ ، الْمُؤَخِّرُ ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الْوَالِي ، الْمُتَعَالِي ، الْبَرُّ ، التَّوَّابُ ، الْمُنْتَقِمُ ، الْعَفُوُّ ، الرَّؤُوفُ ، مَالِكُ الْمُلْكِ ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ، الْمُقْسِطُ ، الْجَامِعُ ، الْغَنِيُّ ، الْمُغْنِي ، الْمَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الْهَادِي ، الْبَدِيعُ ، الْبَاقِي ، الْوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ »(١)

١٧ـ وأخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بن موسى بن الفضل رحمه الله ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الصَّفَّارُ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي الدنيا ، حدثني

---

(١) ورواه البخاري (٦٤١٠) ، ومسلم (٢٦٧٧) إلى قوله « يحبُّ الوترَ » ، ورواه الترمذي (٣٥٠٧) ، وابن ماجه (٣٨٦١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٨٠٨) بتفصيل الأسماء ، وحسَّنَ الإمام النووي رحمه الله هذه الرواية في « الأذكار » (ص ١٠٠) ، وانظر « فتح الباري » (١١/ ٢١٤) ، ورواه المصنف في « الشعب » (١٠١) وقال : (وذكر الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرايني قوله « مَنْ أحصاها . . دخلَ الجنةَ » يريد : مَنْ عَلِمَها ، وذكر أن من هذه الأسماء ثمانيةً وعشرين اسماً للذات ، وثمانيةً وعشرين اسماً لصفات الذات ، وثلاثةً وأربعين اسماً للفعل)

حميدُ بن الربيع ، حدثني خالدُ بن مخلد ، حدثنا عبد العزيز بن الحصين ، حدثنا أيوبُ وهشامٌ ، عن محمد بن سيرينَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ، مَنْ أَحْصَاهَا كُلَّهَا . دَخَلَ الْجَنَّةَ :

اللهُ ، الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ ، الإِلَهُ ، الرَّبُّ ، الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ ، السَّلاَمُ ، الْمُؤْمِنُ ، الْمُهَيْمِنُ ، الْعَزِيزُ ، الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ ، الْحَلِيمُ ، الْعَلِيمُ ، السَّمِيعُ ، الْبَصِيرُ ، الْحَيُّ ، الْقَيُّومُ ، الْوَاسِعُ ، اللَّطِيفُ ، الْخَبِيرُ ، الْحَنَّانُ ، الْمَنَّانُ ، الْبَدِيعُ ، الْوَدُودُ ، الْغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، الْمَجِيدُ ، الْمُبْدِئُ ، الْمُعِيدُ ، النُّورُ ، الْبَادِئُ ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، الْبَاطِنُ ، الْعَفُوُّ ، الْغَفَّارُ ، الْوَهَّابُ ، الْقَادِرُ ، الأَحَدُ ، الصَّمَدُ ، الْوَكِيلُ ، الْكَافِي ، الْبَاقِي ، الْحَمِيدُ ، الْمُغِيثُ ، الدَّائِمُ ، الْمُتَعَالِي ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ، الْمَوْلَى ، النَّصِيرُ ، الْحَقُّ ، الْمُبِينُ ، الْبَاعِثُ ، الْمُجِيبُ ، الْمُحْيِي ، الْمُمِيتُ ، الْجَلِيلُ ، الصَّادِقُ ، الْحَافِظُ ، الْمُحِيطُ ، الْكَبِيرُ ، الْقَرِيبُ ، الرَّقِيبُ ، الْفَتَّاحُ ، التَّوَّابُ ، الْقَدِيمُ ، الْوِتْرُ ، الْفَاطِرُ ، الرَّزَّاقُ ، الْعَلَّامُ ، الْعَلِيُّ ، الْعَظِيمُ ، الْمُغْنِي[١] ، الْمَلِيكُ ، الْمُقْتَدِرُ ، الأَكْرَمُ ، الرَّؤُوفُ ، الْمُدَبِّرُ ، الْقَدِيرُ ، الْمَالِكُ ، الْقَاهِرُ ، الْهَادِي ، الشَّاكِرُ ، الْكَرِيمُ ، الرَّفِيعُ ، الشَّهِيدُ ، الْوَاحِدُ ، ذُو الطَّوْلِ ، ذُو الْمَعَارِجِ ، ذُو الْفَضْلِ ، الْخَلَّاقُ ، الْكَفِيلُ ، الْجَمِيلُ »[٢]

تفرَّدَ بالرواية الأولى مع ذكر الأسامي : الوليدُ بن مسلم ، عن شعيب بن أبي حمزة ، وتفرَّدَ بهذه الرواية : عبدُ العزيز بن الحصين بن التَّرْجُمان ، عن أيوبَ السَّخْتِياني ، وهشام بن حسان .

وزعم بعضُ أهل العلم بالحديثِ : أنَّ ذكر الأسامي في هذا الحديث . . من

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي (ج ، و) : (الغني) .

(٢) ورواه ابن الأعرابي في « معجمه » (١٧٣٥) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٧) .

جهة بعض الرواة ، وأنَّ الحديث الصحيحَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم . . في ذكر عددِها دونَ تفسيرِ العدد .

وهذه الأسامي مذكورةٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وفي سائرِ الأحاديث عن نبيِّنا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم مفرقةٌ[1] نصّاً أو دلالةً ، قد ذكرناها في كتاب « الأسماء والصفات »[2]

وقولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً » لا ينفي غيرها ، وإنَّما أراد ـ والله أعلم ـ أنَّ مَنْ أحصى من أسماء الله عزَّ وجلَّ تسعةً وتسعينَ اسماً . . دخلَ الجنة ، سواءٌ أحصاها : ممَّا نقلنا في الحديث الأول ، أو ممَّا ذكرنا في الحديث الثاني ، أو من سائرِ ما دلَّ عليه الكتاب أو السنةُ أو الإجماع[3] ، وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) كذا ضبطت في (ب) على الخبرية ، ولو نصبت على الحالية لم يبعد .

(٢) الأسماء والصفات (ص ١٣) وما بعدها

(٣) فيه : أن أسماءه جلَّ وعلا تثبت : بالكتاب ، والسنة ، والإجماع .

باب
ذكر معاني الأسماء التي رويناها على طريق الإيجاز

اللهُ : معناه : مَنْ له الإلهيَّةُ ؛ وهي القدرةُ على اختراعِ الأعيان[1] ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاتِهِ[2]

الرحمنُ : مَنْ له الرحمةُ .

الرحيمُ : الرَّاحمُ ، فعيلٌ بمعنى فاعلٍ ، على المبالغة

وقيل : الرحمنُ : المريدُ لرَزْقِ كلِّ حيٍّ في الدنيا ، والرحيمُ : المريدُ لإكرام المؤمنينَ بالجنة في العقبى ؛ فيرجع معناهما إلى صفةِ الإرادةِ التي هي صفةٌ قائمةٌ بذاتِهِ[3]

---

(١) هو تعريفٌ باللازم البيِّن ؛ بمعنى : أنه لا يكون مستحقّاً للعبادة إلا مَنْ كان بارئاً لما سواه ، ونقل ابن منظور في « لسان العرب » (أ ل هـ) : (ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقاً ورازقاً ومدبِّراً ، وعليه مقتدراً ، فمن لم يكن فليس بإلهٍ وإن عُبد ظلماً ، بل هو مخلوق ومتعبد) ، وإنما ذكرت ذلك لما وقع في هامش (أ) بعد شطبِ ومحوِ كلام المؤلف ! واستبدالِ قوله بعبارةِ : (استحقاق العبادة) ، وكتب عبارة المؤلف على الهامش ! ثم كتب : (وتفسير الإلهية بذلك غلطٌ ! بل الإله : هو المعبود ، والإلهية : العبادة ! وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

(٢) قال حجة الإسلام في « المقصد الأسنى » (ص ١١٨) : (الله : اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المتفرد بالوجود الحقيقي ؛ فإنَّ كل موجود سواه غير مستحقٍّ للوجود بذاته ، وإنما استفاد الوجود منه ؛ فهو من حيث ذاتُه هالكٌ ، ومن الجهة التي تليه موجودٌ ، فكل موجود هالك إلا وجهه ، والأشبه : أنه جارٍ في الدلالة على هذا المعنى مَجرى أسماء الأعلام ، وكلُّ ما ذكر في اشتقاقه وتعريفه تعسُّفٌ وتكلُّف) .

(٣) عدَّ الإمام المصنف الرحمةَ من صفات الذات ، حتى إن صفاتِ الأفعال لا بدَّ من رجوعها =

المَلِكُ : هو التامُّ المُلك .

والمالكُ : هو الخاصُّ المُلك .

وحقيقتُها[1] في صفة الله عزَّ وجلَّ : أن يكونَ قادراً على الإيجاد ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته .

القُدُّوسُ : هو الطاهرُ من العيوب ، المنزَّهُ عن الأولاد والأنداد ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته .

السَّلامُ : هو الذي سَلِمَ من كلِّ عيب ، وبرِئَ من كلِّ آفة ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته ، وقيل : هو الذي سَلِمَ المؤمنونَ من عقوبتِهِ[2] .

المُؤمِنُ : هو الذي صدَّق نفسَهُ ، وصدَّق عبادَهُ المؤمنين ؛ فتصديقُهُ لنفسه : علمُهُ بأنَّهُ صادقٌ ، وتصديقُهُ لعباده : علمُهُ بأنَّهم صادقون ، وقيل : المؤمنُ : المُوحِّدُ لنفسه ، وهو من صفاتِ ذاته ، وقيل : المؤمنُ : الذي يؤمِّن عباده المؤمنين يومَ القيامة من عقوبتِهِ .

= إلى صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه ؛ وهي الإرادة أو القدرة أو التكوين على القول بها ؛ وهي صفاتُ التأثير ، ولذلك أوّلَ الرحمة بإرادةٍ ذات تعلُّقٍ خاصٍّ ، وقد عقد الإمام الغزالي فصلاً في « المقصد الأسنى » (ص٣١٦) بيَّنَ فيه رجوع جميع الأسماء الإلهية إلى ذاتٍ وسبعِ صفات ، وجعلها على عشرة أقسام .

فائدة : كثيراً ما تأتي صفاتُ الأفعال على صيغة التقابل ؛ لأنه سبحانه له فعلُ كلِّ ممكنٍ أو تركُهُ ؛ كالقابض والباسط ، والمعزِّ والمذلِّ ، والرافع والخافض ، ومن عظيم منَّته جلَّ جلاله أنه لم يقرنْ مع الرحمة ما يقابلُها من نحو الغضب والانتقام ، بل ذكر معها ما يؤكِّدها ؛ فقال ـ نسأله عفوَهُ وواسعَ رحمته ـ : (الرحمن الرحيم) .

(١) يعني : صفة الملك تامَّة كانت أو خاصَّة .

(٢) وعليه : تكون من صفات الذات ؛ لرجوعها إلى صفة الإرادة ؛ بمعنى : الذي أراد سلامة عباده المؤمنين ، كاسمه تعالى (المؤمن) الراجع لصفة العلم كما سيأتي ، ويقاس الآتي على ما ذُكر بهذا التقعيد ؛ كي لا تطول التعليقات .

المهيمنُ : هو الشهيدُ على خلقِهِ بما يكون منهم من قولٍ أو عمل ، وهو من صفاتِ ذاته ، وقيل : هو الأمينُ ، وقيل : هو الرقيبُ على الشيء والحافظُ له .

العزيزُ : هو الغالبُ الذي لا يُغلب ، والمنيعُ الذي لا يُوصَلُ إليه ، وقيل هو القادرُ القويُّ ، وقيل : هو الذي لا مثلَ له ، وهو من صفاتِ الذات .

الجبَّارُ هو الذي لا تنالُهُ الأيدي ، ولا يجري في ملكِهِ غيرُ ما أراد ، وهو من الصفات التي يستحقُّها بذاته ، وقيل : هو الذي جبرَ الخلق على ما أراد[١] ، وقيل : هو الذي جبرَ مفاقرَ الخلق[٢] ، وهو على هذا المعنى من صفاتِ فعله .

المُتكبِّرُ : هو المتعالي عن صفاتِ الخلق ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته ، وقيل : هو الذي يتكبَّرُ على عُتاة خلقِهِ إذا نازعوهُ العظمةَ فيقصمُهُم .

الخالقُ : هو المبدعُ المخترعُ للخلْقِ على غير مثالٍ سبق .

البارئُ : هو الخالقُ ، وله اختصاصٌ بقلبِ الأعيان[٣]

المُصوِّرُ : هو الذي أنشأَ خلقَهُ على صورٍ مختلفة .

الغفَّارُ : هو الستَّارُ لذنوب عباده مرَّة بعد أخرى .

القهَّارُ : هو القاهرُ ، على المبالغة ، وهو القادر ، ويرجعُ معناه إلى صفة القدرةِ التي هي صفةٌ قائمة بذاته ، وقيل : هو الذي قهرَ الخلقَ على ما أراد .

الوهَّابُ : هو الذي يجودُ بالعطاء الكثيرِ من غير استثابةٍ[٤]

---

(١) ولله تعالى في جبره هذا الحجةُ البالغة على عباده ، فليس هذا الجبر كجبر المجبرة النافين صحةَ التكليف ، فليُتنبَّه .

(٢) المفاقر : وجوه الفقر ، لا واحدَ لها ، يقال : سدَّ الله مفاقره ؛ أي : أغناه وسدَّ وجوه فقره .

(٣) كذا في (ج ، و) ، وفي (أ) : (لقلب الأعيان) ، وهو قلبٌ في الصورة ، أو الإعدام والإيجاد ، وإلا فحقائق الأشياء لا تقبل التبديل .

(٤) يعني : من غير طلب جزاءٍ ، يقال : استثابَهُ ؛ إذا سأله أن يثيبه ؛ أي : يجازيه .

الرزَّاقُ : هو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما يقيمُها مِنْ قُوتِها[1] ، وما مكَّنَها مِنَ الانتفاعِ به مِنْ مباحٍ وغيرِ مباح . . رِزقٌ لها[2]

الفتَّاحُ : هو الحاكمُ بين عبادِهِ ، ويكون الفتَّاحُ الذي يفتحُ المنغلقَ على عبادِهِ مِنْ أمورِهم ديناً ودنيا[3] ، ويكون بمعنى الناصر .

العليمُ : هو العالم ، على المبالغةِ ، والعلمُ له صفةٌ قائمةٌ بذاته .

القابضُ الباسطُ : هو الذي يوسِّعُ الرزق ويقتُرُهُ[4] ؛ يبسطُهُ بجوده ورحمته ، ويقبضُهُ بحكمته[5] ، وقيل : القابضُ : الذي يقبضُ الأرواحَ بالموت الذي كتبه على العباد ، والباسطُ : الذي يبسطُ الأرواحَ في الأجساد .

الخافضُ الرافعُ : فالخافضُ : الذي يخفضُ مَنْ يشاء بانتقامِهِ ، والرافعُ : الذي يرفعُ مَنْ يشاء بإنعامه .

المُعِزُّ المُذِلُّ : يُعِزُّ مَنْ يشاء ، ويُذِلُّ مَنْ يشاء ، لا مُذِلَّ لمنْ أعزَّهُ ، ولا مُعِزَّ لمنْ أذلَّهُ

---

(١) القوت : الرّزق ، وهو المراد هنا ، ويأتي بمعنى ما يمسك الرمق ، وما يقابل فضول الطعام ، ومنه الحسيُّ ، ومنه المعنويُّ .

(٢) أراد : أن الرّزق هو ما ينتفع به العبدُ حلالاً كان أو حراماً ، وأنه سبحانه وتعالى يرزق العبدَ الحلالَ والحرام ؛ ردّاً على القائلين بأنه سبحانه لا يرزق إلا الحلال

(٣) يقال : انغلق الشيء ؛ إذا عَسُر فتحه ، وفي غير (أ ، ب) : (المغلق) .

(٤) يقتر ـ بضم التاء وكسرها ، وتشديدها وتخفيفها ـ : يضيّق في الرزق .

(٥) أراد : أن قبضه سبحانه وتقتيره لحكمةٍ جليلة ، كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، لا عن بخل وعلّةٍ جلَّ شأنه وعزَّ ؛ كما حكى سبحانه قول اليهود : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، ثم لم يجعل البسط علامة رضاً ؛ إذ قال سبحانه : ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة : ٨٥] .

السميعُ : مَنْ له سمعٌ يدرك به المسموعاتِ ، والسمعُ له صفةٌ قائمة بذاته .

البصيرُ : مَنْ له بصرٌ يرى به المرئياتِ ، والبصرُ له صفةٌ قائمة بذاته .

الحَكَمُ : هو الحاكمُ ، وحكْمُهُ : خبرُهُ ، وخبرُهُ : قولُهُ ، فيرجع معناهُ إلى صفةِ الكلام ، وقد يكون بمعنى حكمِهِ لواحدٍ بالنعمة ، ولآخرَ بالمحنة ، فيكون من صفاتِ فعله

العَدْلُ : هو الذي له أنْ يفعلَ ما يفعلُ[1] ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته .

اللطيفُ : هو البَرُّ بعباده ، وهو من صفاتِ فعله ، وقد يكونُ بمعنى العالمِ بخفايا الأمور ، فيكون من صفاتِ ذاته .

الخبيرُ : هو العالمُ بكُنْهِ الشيء ، المطَّلعُ على حقيقته ، وقيل : الخبير المخبرُ ، وهو من صفات ذاته[2]

الحليمُ : هو الذي يؤخِّرُ العقوبةَ عن مستحقِّيها ، ثمَّ قد يعفو عنهم .

العظيمُ : هو المستحقُّ لأوصاف العلوِّ والرِّفعة ، والجلالِ والعظمة ، والتقديسِ من كلِّ آفة ، وهو من الصفاتِ التي يستحقُّها بذاته .

الغفورُ : هو الذي تكثرُ منه المغفرةُ .

الشَّكورُ : الذي يشكرُ اليسير من الطاعة ، ويعطي عليه الكثيرَ من المثوبة ، وشكرُهُ قد يكونُ بمعنى ثنائِهِ على عبده ، فيرجعُ معناه إلى صفةِ الكلامِ التي هي قائمةٌ بذاته .

العليُّ : هو العالي القاهرُ ، وقيل : هو الذي علا وجلَّ من أن يلحقَهُ صفاتُ الخلق ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

---

(١) فلا يوصف فعله إلا بالعدل وعلى أي وجهٍ كان ؛ لأنه مالك كلِّ شيء ، وعليه تكون كصفة الملك تامة أو خاصة كما تقدم .

(٢) لرجوعه إلى صفة الكلام .

الكبيرُ : هو الموصوفُ بالجلال وكِبَرِ الشأن ، فصغُرَ دونَ جلاله كلُّ كبير ، وقيل : هو الذي كَبُرَ عن شَبَهِ المخلوقينَ ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الحفيظُ : هو الحافظُ لكلِّ ما أراد حفظَهُ ومَنْ أراد ، وقيل : هو الذي لا ينسى ما علمَ ، فيرجع معناه إلى صفةِ العلم .

المقيتُ : هو المقتدرُ ، فيرجعُ معناه إلى صفة القدرة ، وقيل : المقيت : الحفيظُ ، وقيل : هو معطي القوت ، فيكون من صفاتِ الفعل .

الحسيبُ : هو الكافي ، وقيل : هو بمعنى المحاسب .

الجليلُ : هو مِنَ الجلال والعظمة ، ومعناهُ ينصرفُ إلى جلالِ القدرة وعظمِ الشأن ، فهو الجليل الذي يصغُرُ دونه كلُّ جليل ، ويتَّضعُ معه كلُّ رفيع ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الكريمُ : هو المُنزَّهُ عن الدناءة ، وهذه صفةٌ يستحقها بذاته ، وقيل : الكريم : الكثيرُ الخير ، وقيل : المحسنُ بما لا يجبُ عليه(١) ، والصَّفوحُ عن حقٍّ وجبَ له ، وهو على هذا المعنى من صفاتِ فعله .

الرقيبُ : هو الحافظُ الذي لا يغيبُ عنه شيء ، فيرجعُ معناه إلى صفةِ العلم .

المجيبُ : هو الذي يجيبُ المضطرَّ إذا دعاه ، ويغيثُ الملهوفَ إذا ناداه .

---

(١) لا بمعنى : أنه تعالى يجب عليه شيء ، بل عدم وجوب شيء عليه صفةٌ لازمة ، وما ورد بخلاف هذا فيحملُ على فضله وجوده وكرمه جلَّتْ عظمته ، وذلك نحو ما روى البخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠) من حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه ، وفيه : « إنَّ حقَّ اللهِ على العبادِ : أن يعبدوهُ ولا يشركوا بهِ شيئاً ، وحقَّ العبادِ على اللهِ : ألَّا يُعذِّبَ مَنْ لا يشركُ بهِ شيئاً » ، وإلى هذا الفضل الإشارة في قوله فاضَتْ رحمتُهُ : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

الواسعُ : هو العالم ، فيرجعُ معناه إلى صفةِ العلم ، وقيل هو الغنيُّ الذي وسعَ غناهُ مفاقرَ الخلْق[1]

الحكيمُ : هو المُحكِمُ لخلْقِ الأشياء ، وقد يكونُ بمعنى المصيبِ في أفعاله[2]

الودودُ : هو الذي يَوَدُّ عبادَهُ المؤمنين ، ويَوَدُّهُ عبادُهُ المؤمنون ، ومحبَّةُ الله : إرادتُهُ رحمتَهُم ومدحَهُم ، فيرجعُ معناه إلى صفةِ الإرادة والكلام[3] ، وقد يكونُ

---

(١) انظر ما تقدَّم في اسمه تعالى (الجبار) قريباً (ص ١٠٣) .

(٢) قال جلَّ من قائل : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة : ٧] ، وبمعنى المحسن في حُكْمه ؛ إذ قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

(٣) قال عصريُّ المؤلف ورفيقُهُ في الطلب الإمامُ القشيري في « رسالته » (ص ٦٤٩) وهو من خيرِ كلامٍ دُوِّن في بيان معنى محبته سبحانه : (محبة الحقِّ سبحانه للعبد : إرادتُهُ لإنعامٍ مخصوص عليه ، كما أن رحمته له : إرادةُ الإنعام ، فالرحمةُ خاصٌّ من الإرادة ، والمحبةُ أخصُّ من الرحمة ؛ فإرادة الله أن يوصل إلى العبد الثواب والإنعامَ تسمَّى رحمةً ، وإرادته لأن يخصَّه بالقربة والأحوال العلية تسمَّى محبةً ، فإرادته سبحانه صفةٌ واحدة ، فبحسب تفاوت متعلَّقاتها تختلف أسماؤها ، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمَّى غضباً ، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمةً ، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبةً .

وقوم قالوا : محبة الحقِّ سبحانه للعبد مدحُهُ له ، وثناؤه عليه بالجميل ، فيعود معنى محبته له على هذا القول إلى كلامه ، وكلامه قديم .

وقال قوم : محبتُهُ للعبد من صفات فعله ، فهو إحسانٌ مخصوص يلقى الله العبد به ، وحالةٌ مخصوصة يرقِّيهِ إليها ، كما قال بعضهم : إن رحمته بالعبد نعمتُهُ معه .

وقومٌ من السلف قالوا : محبتُهُ من الصفات الخبرية ، فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير .

فأما ما عدا هذه الجملة مما هو في المعقول من صفات محبة الخلق ؛ كالميل إلى الشيء ، والاستئناس بالشيء ، وكحالة يجدُها المحبُّ مع محبوبه من المخلوقين . فالقديمُ سبحانه يتعالى عن ذلك .

وأما محبةُ العبد لله تعالى . . فحالةٌ يجدُها من قلبه تلطفُ عن العبارة) .

بمعنى إنعامِهِ عليهم ، ومِنْ إنعامه عليهم : أن يُوَدِّدَهُم إلى خلقِهِ ، وهو على هذا المعنى من صفاتِ فعله .

المجيدُ : هو الجليلُ الرفيعُ القدْر ، المحسن الجزيلُ البَرُّ ؛ فالمجدُ في اللغة : قد يكون بمعنى الشرف ، وقد يكون بمعنى السَّعة[١] ، وهو على المعنى الأول صفة يستحقُّها بذاته .

الباعثُ : هو الذي يبعثُ عبادَهُ بعد الموت للجزاء ، وقد يبعثُ مَنْ شاءَ منهم عند السقطةِ ، وينعشُهُ عند الصَّرْعة .

الشهيدُ : هو الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ ، وقيل هو العالمُ الرائي ، فيرجع معناه إلى صفةِ العلم وصفةِ الرؤية .

الحقُّ : هو الموجودُ حقّاً[٢] ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الوكيلُ : هو الكافي ؛ وهو الذي يستقلُّ بالأمر الموكول إليه ، وقيل : هو الكفيلُ بالرِّزق والقيامِ على الخلق بما يصلحهم .

القويُّ : هو القادرُ ؛ وهو أن يكونَ تامَّ القدرة ، لا يستولي عليه عجزٌ في حالةٍ من الأحوال ، ويرجع معناه إلى صفةِ القدرة .

المتينُ : هو الشديدُ القوَّةِ ، الذي لا تنقطعُ قوَّتُهُ[٣] ، ولا يمسُّهُ في أفعاله لُغوبٌ ، ويرجع معناه أيضاً إلى صفة القدرة .

---

(١) السعة هنا : الكرم والسخاء وحسن الفعال ، وفي الدعاء : اللهم ؛ أوسعنا رحمتك ؛ أي : اجعلها تسعنا .

(٢) يعني : وجوداً ذاتياً ، وغيره وجوده به ، لا بذاته ، فما سواه تعالى جَدُّهُ كالباطل ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري (٣٨٤١) ، ومسلم (٢٢٥٦) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « أصدقُ كلمةٍ قالها الشَّاعرُ كلمةُ لبيدٍ : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلٌ » .

(٣) كذا في (ج) ، وفي سائر النسخ : (ينقطع قوته) ، وكلاهما مناسب .

الوليُّ : هو الناصرُ ، وقيل : المتولِّي للأمر والقائمُ به .

الحميدُ : هو المحمودُ الذي يستحق الحمد ، وقيل : من له صفات المدح والكمال ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

المحصي : هو الذي أحصى كلَّ شيء بعلمه ، فيرجع معناه إلى صفةِ العلم .

المبدئُ : هو الذي أبدأَ الإنسانَ[1] ؛ أي : ابتدأَهُ مخترَعاً .

المعيدُ : هو الذي يعيدُ الخلْقَ بعد الحياة إلى الممات ، ثم يعيدُهُم بعد الممات إلى الحياة .

المحيي : هو الذي يحيي النطفةَ الميتةَ ، فيخرجُ منها النَّسَمةَ الحيَّة ، ويحيي الأجسام الباليةَ بإعادة الأرواح إليها عند البعث ، ويحيي القلوبَ بنور المعرفة ، ويحيي الأرضَ بعد موتها بإنزال الغيثِ وإنباتِ الرزق .

المميتُ : هو الذي يميتُ الأحياء ، ويوهي بالموت قوَّةَ الأقوياء .

الحيُّ في صفةِ الله عزَّ وجلَّ : هو الذي لم يزلْ موجوداً ، وبالحياةِ موصوفاً ، والحياةُ له صفةٌ قائمة بذاته .

القيُّومُ : هو القائمُ الدائم بلا زوال ، فيرجعُ معناه إلى صفة البقاء ، والبقاءُ من صفاتِ الذات[2] ، وقيل : هو المُدبِّرُ والمتولِّي لجميع ما يجري في العالم ، وهو على هذا المعنى من صفاتِ الفعل .

الواجدُ : هو الغنيُّ الذي لا يفتقرُ ، والوُجْدُ : الغنى[3] ، وقد يكون من

---

(١) يقال : بدأ الشيء وأبدأه ؛ بمعنى : ابتدأه ، وفي (ج) : (أبدى الإنسان) ، والمثبت ألصق بالسياق .

(٢) فهو على هذا القول من صفات المعاني ؛ بمعنى : أنه تعالى باقٍ ببقاء قائم بذاته ، وهو أحدُ قولي الأشعري ، بل واختياره ، والتحقيق : أنه من صفات السُّلوب ؛ كالقدم والوحدانية .

(٣) قال تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ [الطلاق : ٦] ، وقرئ بتثليث الواو من (وجدكم) .

الوجود ؛ وهو الذي لا يَؤُودُهُ طلبٌ ، ولا يحولُ بينَهُ وبين المطلوب هربٌ ، وقد يكون بمعنى العالِم .

الماجدُ : هو المجيدُ ، وقد مضى ذكرُ معناه[١]

الواحدُ : هو الفردُ الذي لم يزلْ وحدَهُ بلا شريك ، وقيل : هو الذي لا قسيمَ لذاته ، ولا شبيهَ له ولا شريكَ ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الصمدُ : هو السيِّدُ الذي يُصمدُ إليه في الأمور ، ويُقصد في الحوائج ، وقيل : هو الباقي الذي لا يزولُ ، وهو من صفاتِ الذات .

القادرُ : هو الذي له القدرةُ الشاملة ، والقدرة له صفةٌ قائمة بذاته .

المقتدرُ : هو التامُّ القدرة ، الذي لا يمتنعُ عليه شيء .

المُقدِّمُ المُؤخِّرُ : هو المنزلُ للأشياء منازلَها ؛ يُقدِّمُ ما شاء ومَنْ شاء ، ويُؤخِّر ما شاء ومَنْ شاء .

الأوَّلُ : هو الذي لا ابتداءَ لوجوده .

الآخرُ : هو الذي لا انتهاءَ لوجوده[٢] ، وهما صفتان يستحقُّهما بذاته .

الظاهرُ : هو الظاهرُ بحججِهِ الباهرة ، وبراهينِهِ النيِّرةِ ، وشواهدِ أعلامه الدالَّة على ثبوت ربوبيته وصحَّةِ وحدانيته ، وقد يكونُ الظُّهور بمعنى العلوِّ والرِّفعة ، وقد يكونُ بمعنى الغلبة .

---

(١) تقدم قريباً (ص ١٠٨) .

(٢) فالأول والآخر : بمعنى نفي الزمان عنه سبحانه أصلاً ، كانتفاء المكان ، لا بمعنى ثبوت أزمانٍ لا نهاية لها ، وقد نقل العلامة العطار في « حاشيته على شرح جمع الجوامع » (٢/ ٤٥١) كلمة جامعة لكلِّ خير في أبواب الاعتقاد إذ قال : (قال بعض المحققين : رفعُ الزمان والمكان يقرِّبُ الأمر إلى الأذهان ، فرفعُهُما أصلُ كلِّ خير ، ومن دام في عشِّهما . . اختبط في الجهل ، وتلاطمت عليه أمواجُ الشُّبَه ، فظنَّ المددَ بينه وبين الله بالنهاية أو بعدم النهاية ، والتأخُّر والتقدُّم ، وذلك كلُّه يفضي إلى جهالات وقع فيها الفلاسفة) .

الباطنُ : هو الذي لا يستولي عليه توهُّمُ الكيفيَّة .

وقد يكون الظاهرُ بمعنى العالمِ بما ظهرَ من الأمور ، والباطنُ بمعنى المطَّلعِ على ما بطن من الغيوب ، وهما من صفات الذات .

الوالي : هو المالكُ للأشياء والمتولِّي لها ، وقد يكون بمعنى المنعمِ عوداً على بدءٍ .

المتعالي : هو المُنزَّهُ عن صفات الخلق ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته ، وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقِهِ بالقهر .

البَرُّ : هو المحسنُ إلى خلقه ، عمَّهُم برزقه ، وخصَّ من شاء منهم بولايته ، وبمضاعفةِ الثواب له على طاعته ، والتجاوزِ عن معصيته .

التَّوَّابُ : هو الذي يتوبُ على مَنْ يشاء من عبيده ويقبلُ توبته .

المنتقمُ : هو الذي ينتصرُ من أعدائه ، ويجازيهم بالعذاب على معاصيهم ، وقد يكونُ بمعنى المهلِكِ لهم .

العفوُّ : من العفْوِ ، على المبالغة، ثم قد يكونُ بمعنى المحْوِ ، فيرجع معناه إلى الصفحِ عن الذنب ، وقد يكونُ بمعنى الفضل ، فيعطي الجزيلَ من الفضل .

الرؤوفُ : هو الرحيمُ ، والرأفةُ : شدَّةُ الرحمة[1] ، ورحمةُ الله : إرادتُهُ إنعامَ من شاء من عباده ، فيرجع معناه إلى صفةِ الإرادة ، ثم قد تسمَّى تلك النعمةُ رحمةً .

---

(١) فمداواةُ المريض بالصَّبِر والحنظل رحمةٌ ، ومداواته بالعسل دونهما رأفةٌ ، فمن ابتلاه مولاه وألهمه الصبر فقد رحمه ، ومن عافاه من البلاء وألهمه رشده فقد رأف به ، وباسمه جلَّ جلاله الرؤوف يتجلَّى على الضنائن الذين ذكروا في الحديث الذي رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٣٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٦) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ ضنائنَ من عبادِهِ ؛ يغذِّيهمْ في رحمتِهِ ، ويحييهم في عافيتِهِ ، إذا توفاهم . توفاهم إلى جنتِهِ ، أولئكَ الذينَ تمرُّ عليهمُ الفتنُ كقطعِ الليلِ المظلمِ وهم منها في عافيةٍ » .

مالكُ الملكِ : ومعناه : أنَّ الملكَ بيده يؤتيه مَنْ يشاء ، وقد يكون معناه مالكَ الملوك ، وقد يكون معناه وارثَ الملكِ يومَ لا يدَّعي الملكَ مدَّعٍ ، ولا ينازعُهُ فيه مُنازعٌ ، واستحقاقُهُ لذلك صفةٌ يستحقُّها بذاته .

ذو الجلالِ والإكرامِ : أي : هو مستحقٌّ أن يُجَلَّ ويُكرِمَ فلا يجحد ، فتكون صفةً يستحقُّها بذاته ، وقد يكون الإكرام بمعنى إكرامه أهلَ ولايته في الدنيا بمعرفته ، وفي الآخرة بجنَّتِهِ ، فيكون من صفاتِ الفعل .

المقسطُ : هو العادلُ في حكمه

الجامعُ : هو الذي يجمعُ الخلائقَ ليوم لا ريبَ فيه ، وهو من صفات الفعل ، وقيل : هو الذي جمعَ أوصافَ المدح ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الغنيُّ : هو الذي استغنى عن الخلق ، وقيل : المتمكِّنُ من تنفيذ إرادته في مُراداتِهِ ، وهذه صفةٌ يستحقُّها بذاته .

المغني : هو الذي جبرَ مفاقرَ الخلق[1] ، ويكونُ بمعنى الكافي ؛ من الغَنَاءِ ؛ وهو الكفايةُ .

المانعُ : هو الناصرُ الذي يمنعُ أولياءَهُ ؛ أي : يحوطُهم وينصرُهم ، وقيل : هو الذي يمنعُ العطاءَ عن قوم ، والبلاءَ عن آخرين .

الضَّارُّ : هو موصلُ الضرِّ إلى مَنْ أراد .

النافعُ : هو موصلُ النفع إلى مَنْ شاء

النورُ : هو الهادي ، وقيل : هو المُنوِّرُ ، وهو من صفاتِ الفعل ، وقيل : هو الحقُّ ، وقيل : هو الذي لا يخفى على أوليائِهِ بالدليل ، ويصحُّ رؤيتُهُ بالأبصار[2] ، وهذه صفةٌ يستحقُّها الباريُ بذاته .

---

(١) انظر ما تقدَّم في اسمه تعالى (الجبار) قريباً (ص ١٠٣) .

(٢) في (أ) : (إدراكه بالأبصار) ، وفي هامشها نسخة كالمثبت ، ولكلٍّ توجيه .

الهادي : هو الذي بهدايتِهِ اهتدى أهلُ ولايته ، وبهدايتِهِ اهتدى الحيوانُ لما يصلحُهُ ، واتَّقى ما يضرُّهُ .

البديعُ : هو الذي فطرَ الخلقَ مبدعاً له لا على مثالٍ سبقَ ، وهو من صفاتِ الفعل ، وقد يكون بمعنى : لا مثلَ له ، فيكون صفةً يستحقُّها بذاته .

الباقي : هو الذي دامَ وجودُهُ ، والبقاءُ له صفة قائمة بذاته(١)

وفي معناه : **الوارثُ**(٢)

الرشيدُ : هو المرشدُ ، وهو الهادي ، ويكون بمعنى الحكيمِ ذي الرشد ؛ لاستقامةِ تدبيره ، وإصابتِهِ في أفعاله(٣)

الصَّبورُ : هو الذي لا يُعاجلُ العصاة بالعقوبة ، وهو قريبٌ من معنى الحليم ، وصفةُ الحليم أبلغُ في السلامةِ من عقوبته(٤)

وأمَّا الأسماءُ التي وردت في رواية عبد العزيز بن الحصين ممَّا ليسَ في رواية الوليد بن مسلم . . فمنها :

---

(١) انظر ما تقدم قريباً بشأن كون البقاء صفة معنىً (ص ١٠٩) .

(٢) ولهذا قال حجة الإسلام الإمام الغزالي في « المقصد الأسنى » (ص ٢٩٨) : (الوارث : هو الذي يرجع إليه الأملاكُ بعد فناء المُلَّاكِ ؛ وذلك هو الله سبحانه وتعالى ؛ إذ هو الباقي بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره) ، قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] .

(٣) ولذا قال الإمام الشعراني في « رسالة الأنوار » (ص ١٥٧) : (تقديراته تعالى على عباده عينُ الحكمة ، لا بالحكمة ؛ لأنها لو كانت بالحكمة . . لكانت أفعاله تعالى معلولةً تحت حكم الحكمة ، ومن هنا لا يجوز السخطُ على شيء من أفعاله أبداً ، ومن سخط فهو جاهلٌ) .

(٤) يعني : أن العفو والمغفرة ترجى من الحليم رجاء أبلغ وأوسع من الصبور ؛ إذ الصبر لازم للحلم ، مع زيادة طمع في الحلم ، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل : ٦١] .

الرَّبُّ : ومعناهُ : السيِّدُ ، وقيل : معناهُ : المالكُ ، وقيل : هو المبلِّغُ كلَّ ما أبدعَ حدَّ كمالِهِ الذي قدره له[1] ، فهو على هذا المعنى من صفاتِ فعله ، وعلى ما قبله من صفاتِ ذاته .

الحنَّانُ : ومعناهُ : ذو الرحمة .

المنَّانُ : هو الكثيرُ العطاء .

البادئُ : معناهُ : المُبدِئُ .

الأحدُ : الذي لا شبيهَ له ولا نظيرَ

والواحدُ : الذي لا شريكَ له ولا عديلَ ، وعُبر عنه بعبارةٍ أخرى فقيل : الأحدُ : هو المتفرِّدُ بالمعنى لا يشارِكُهُ فيه أحد ، والواحدُ : المتفرِّدُ بالذات لا يضامُّهُ آخرُ ، وهما من الصفات التي يستحقُّها بذاته .

الكافي : الذي يكفي عبادَهُ المهمَّ ، ويدفعُ عنهم المُلمَّ .

المغيثُ : الذي يدركُ عبادَهُ في الشدائد فيخلِّصُهم .

الدائمُ : هو الموجودُ ، لم يزلْ ولا يزالُ ، ويرجعُ معناه إلى صفةِ البقاء .

المولىٰ : هو الناصرُ المعين .

المبينُ : هو البيِّنُ أمرُهُ في الوحدانية ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته .

الصادقُ : هو الذي يصدقُ قولُهُ ، ويصدقُ وعدُهُ ، وهو من صفاتِ الذات .

المحيطُ : هو الذي أحاطَتْ قدرتُهُ بجميع المقدورات ، وأحاطَ علمُهُ بجميع المعلومات ، والقدرةُ له صفةٌ قائمة بذاته ، والعلمُ له صفة قائمةٌ بذاته .

القريبُ : ومعناهُ : أنَّهُ قريبٌ بعلمه من خلقه ، قريبٌ ممَّن يدعوهُ بإجابته .

---

(١) قال سبحانه : ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٥٠] ، وقال : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى : ١ ـ ٣] .

القديمُ : هو الموجودُ لم يزلْ ، وهذه صفة يستحقُّها بذاته[1]

الوترُ : هو الفردُ الذي لا شريكَ له ولا نظيرَ ، وهذه أيضاً صفةٌ يستحقُّها بذاته .

الفاطرُ : هو الذي فطرَ الخلق ؛ أي : ابتدأَ خلقَهم .

العلامُ : بمعنى العليم ، وبناءُ الفَعَّالِ بناءُ التكثير ، والعلمُ لله صفة قائمةٌ بذاته .

المليكُ : هو المالكُ ، على المبالغة ، وقد يكون بمعنى الملك ، وقد مضى معناهما[2]

---

(١) ثبت في السنة الصحيحة إطلاق لفظ (القديم) في حقِّه سبحانه ؛ فقد روى أبو داود في « سننه » (٤٤٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا دخل المسجد . . قال : « أعوذُ باللهِ العظيمِ ، وبوجهِهِ الكريمِ ، وسلطانِهِ القديمِ . . مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ » ، ولا يخفى أن وصفَ الوصفِ هو وصفٌ للذات ؛ إذ الصفةُ لا تقوم بالصفة ، وعليه فالمعنى : أعوذ بذاتك القديم الذي له السلطنة والقهر ،وكذا ثبت لفظ (القديم) في هذا الحديث الذي أسنده المصنف هنا وإن تُكُلِّم فيه ؛ إذ هو على الجملة ضعيفٌ لا موضوع ، والحديث الضعيفُ إن وافق الأصول جاز العمل به ولو في العقديَّات والعلميَّات ، فضلاً عن الفروع والعمليَّات ، لأنه مؤكِّد حينئذٍ لا مؤسِّس ، ولذا قال المصنف الإمام البيهقي في « شعب الإيمان » (١/ ٨٤) وهو من كتب أصول الدين على الجملة ، وقد بيَّنَ منهجه في الاستشهاد بالآثار : (وأنا ـ على رسم أهل الحديث ـ أحبُّ إيرادَ ما أحتاجُ إليه من المسانيد والحكايات بأسانيدها ، والاقتصار على ما لا يغلبُ على القلب كونه كذباً) ، وأورد فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة التي تصلح للشهادة بشهادة الأصول لها ؛ كروايته فيه لهذا الحديث مثلاً .

بل نقل العلماء ـ كأبي بكر ابن العربي المالكي ـ أنه من الأسماء الثابتة بالإجماع ، والإجماعُ أصلٌ لا يُردُّ ، وقال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ق د م) : (والقديمُ على الإطلاق : هو الله عزَّ وجلَّ) ، ثم هذا الخلاف عند من يرى أن أسماءه تعالى توقيفية ، وهو التحقيق ، وأما عند من لا يرى هذا كالقاضي أبي بكر الباقلاني . . فلا مانعَ من إطلاقه أصلاً ؛ لدلالته على ما يليق في حقِّهِ سبحانه .

(٢) تقدم (ص ١٠٢) .

الأكرمُ : هو الذي لا يوازيه كريمٌ ، ولا يعادلُهُ نظير ، وقد يكون بمعنى الكريم .

المُدبِّرُ : هو العالمُ بأدبار الأمور وعواقبِها ، ومُقدِّرُ المقادير ومجريها على غاياتها ؛ يُدبِّرُ الأمور بحكمتِهِ ، ويُصرِّفُها على مشيئته .

ذو المعارجِ : والمعارجُ : الدَّرَجُ ؛ وهي المصاعدُ التي تعرُجُ عليها الملائكة .

ذو الطَّولِ وذو الفضلِ : ومعناهُ : أهلُ الطَّول والفضل ، و(ذو) : حرفُ النسبة ؛ كقوله : ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

الجميلُ : هو المجمِّلُ المُحسن .

الرفيعُ : قد يكون بمعنى الرافعِ ؛ يرفع درجاتِ مَنْ يشاء ، فيكون من صفاتِ الفعل ، وقد يكون معناه : هو الذي لا أرفعَ قدراً منه ، وهو المستحقُّ لدرجات المدح والثناء ـ وهي أصنافُها ـ لا مستحقَّ لها غيره ، فيكون من صفاتِ الذات .

قال الشيخ رحمه الله :

وقد قيلَ في معاني هذه الأسماءِ غيرُ ما ذكرنا ، قد ذكرنا بعضَها في كتاب « الأسماء والصفات »[1] ، وبعضَها في كتاب « الجامع »[2] ، وهذه الوجوهُ التي ذكرنا معانيَها كلُّها صحيحٌ ، وربُّنا جلَّ جلاله وتقدَّسَت أسماؤه متَّصف بجميع ذلك[3] ، فله الأسماءُ الحسنى والصفات العُلا ، لا شبيهَ له في خلقه ،

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٢١) .

(٢) شعب الإيمان (١/ ٢١١) .

(٣) لا على جهة القطع ؛ إذ الاختلاف دليلُ الاجتهاد ، ومحلُّهُ المظنونات لا القطعيات ؛ وذلك لكون دلالات الأسماء مفرَّعة عن الوضع اللغوي والوضع الشرعي ، ولذا عقد إمامُنا الغزالي في « المقصد الأسنى » (ص ٨٥) فصلاً لهذا البحث ، ومن جملة ما قال : (مَنْ قال من المصنفين : إن الاسم الواحد من أسماء الله عز وجل إذا احتمل معانيَ ولم يدلَّ العقل =

ولا شريكَ له في مُلكِهِ ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير .

* * *

= على إحالة شيء منها حُملَ على الجميع بطريق العموم . . فقد أبعدَ فيه .

نعم ؛ من المعاني ما يتقارب تقارباً يكاد يرجع الاختلاف فيه إلى الإضافات ، فيقرب شبهه من العموم ، فالتعميم فيه أقرب ؛ كالسلام : فإنه يحتمل أن يكون المراد سلامتَه من العيب والنقص ، ويحتمل أن يكون المراد سلامةَ الخلق به ومنه ، فهذا وأمثاله أشبه بالعموم .

فإذاً ؛ ثبت أن الميل الأظهر إلى منع التعميم ، فطلب التعيين لبعض المعاني لا يكون إلا بالاجتهاد ، فيكون الحامل للمجتهد على تعيين بعض المعاني : إما أنه أليق ، وإما أن يكون أحد المعنيين لا يؤدي إلى الترادف ، وإما أن يكون أحد المعنيين أظهرَ في التعارف ، وأسبقَ إلى الإفهام لشهرته ، أو أدلَّ على الكمال والمدح)

باب
بيان صفة الذات وصفة الفعل

قال الله جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ـ ٢٤] .

فأشارَ في هذه الآياتِ إلى فصْل أسماء الذاتِ من أسماء الفعل على ما نبيِّنُهُ ، إلى سائر ما ذكرَ في كتابه من أسماءِ الذات وأسماءِ الفعل ، فللّهِ عزَّ اسمُهُ : أسماءٌ وصفاتٌ ، وأسماؤُهُ صفاته[1] ، وصفاتُهُ أوصافه ، وهي على قسمين :

أحدُهُما : صفاتُ ذاتٍ ، والآخرُ : صفاتُ فعلٍ .

فصفاتُ ذاتِهِ : ما يستحقُّه فيما لم يزلْ ولا يزالُ[2] ، وهو على قسمين :

أحدُهما : عقليٌّ ، والآخرُ : سمعيٌّ .

فالعقليُّ : ما كان طريقُ إثباته أدلَّةَ العقول مع ورودِ السمع به[3] ، وهو على قسمين :

---

(١) قوله : (وأسماؤُهُ صفاته) أي : دالَّةٌ على صفاته ؛ إذ الاسم ما دلَّ على الذات باعتبار صفة ، فالمبحث في الصفات ومعاني الأسماء .

(٢) يعني : قبل خلق الخلق وبعده ، وإليهما الإشارة بالحديث الذي رواه البخاري (٣١٩١) عن سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما مرفوعاً : « كانَ اللهُ ولم يكنْ شيءٌ غيرُهُ ، وكانَ عرشُهُ على الماءِ ، وكتبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ ، وخلقَ السَّماواتِ والأرضَ » .

(٣) يعني : هذه الصفات لو لم يرد بها السمع . . لوجب إثباتها له سبحانه بالعقل ، ولكن ورد السمع بها أيضاً وتكامل اللطف .

أحدُهُما : ما يدلُّ خبرُ المخبرِ به عنه ، ووصفُ الواصفِ له به . . **على ذاته** ؛ كوصفِ الواصف له بأنَّهُ: شيءٌ، ذاتٌ، موجودٌ ، قديمٌ ، إلهٌ ، ملكٌ ، قُدُّوسٌ ، جليلٌ ، عظيمٌ ، عزيزٌ ، مُتكبِّرٌ ، **والاسمُ والمسمَّى في هذا القسم واحدٌ** .

والثاني : ما يدلُّ خبرُ المخبرِ به عنه ، ووصفُ الواصف له به . . **على صفاتٍ زائداتٍ على ذاته قائماتٍ به** ؛ وهو كوصفِ الواصفِ له بأنَّهُ: حيٌّ ، عالمٌ ، قادرٌ ، مريدٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، مُتكلِّمٌ ، باقٍ .

فدلَّتْ هذه الأوصافُ على صفاتٍ زائدةٍ على ذاته قائمةٍ به ، كحياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه وبقائه ، **والاسم في هذا القسم صفةٌ قائمةٌ بالمسمَّى لا يقال : إنَّها هي المسمَّى ، ولا إنَّها غيرُ المسمَّى**[1]

وأما السمعيُّ : فهو ما كان طريقُ إثباتِهِ الكتابَ والسنةَ فقط[2] ؛ كالوجهِ واليدينِ والعينِ ، وهذه أيضاً صفاتٌ قائمةٌ بذاته لا يقال فيها : إنَّها هي المسمَّى ولا غيرُ المسمَّى ، **ولا يجوزُ تكييفُها** ؛ فالوجهُ له صفةٌ وليسَتْ بصورة ، واليدانِ

---

(١) صفاتُ ذاته تعالى الثابتةُ بأدلة العقل بقسميها : مفهومةُ المعنى ، ولا يجوز تأويلُها ، والإيمانُ بها فرعٌ عن تصورها ، فأمَّا القسم الأول : فما دلَّ على محض الذات ، والثاني : فما دلَّ على الذات باعتبار صفة ، وقد يُنازع في بعضها ؛ كالسميع والبصير والمتكلم والباقي ؛ إذ الثلاثة الأولى الراجح أن دليلَها سمعي ، وقيل : عقلي ؛ لاقتضاء النقص بإثبات نقائضها ، وفي هذا تفصيلٌ يطلب في مطولات كتب العقائد ، وأما الباقي : فتقدم غيرَ مرة أنه دالٌّ على صفة سلب ، لا صفة ذات .

ثم تقسيم الاسم إلى ما هو عين المسمَّى ، وإلى ما ليس عيناً ولا غيراً ، وإلى ما هو غير : التحقيقُ أنه ليس تقسيماً للاسم ، بل لمفهوم الاسم ومدلوله ؛ وقد قال حجة الإسلام في « المقصد الأسنى » (ص ٦٦) : (ما أراد بالاسم الذي قسمَهُ إلى ثلاثة أقسام الاسمَ نفسه ، بل أراد به مفهومَ الاسم ومدلولَهُ ، ومفهومُ الاسم غيرُ الاسم) .

(٢) يعني : لو لم يرد بها السمع لما جاز لنا إثباتها صفات له تعالى وتقدَّس ، ولكن لمَّا وردت عن الشارع صار الإيمان بها واجباً .

له صفتانِ وليستا بجارحتينِ ، والعينُ له صفةٌ وليسَتْ بحدقة[1] ، طريقُ إثباتِها له صفاتِ ذاتٍ وردَ خبرُ الصادقِ به[2]

وأمّا صفاتُ فعلِهِ : فهي تسمياتٌ مشتقَّةٌ من أفعاله ، ورد السمعُ بها مستحقَّةً له فيما لا يزالُ دون الأزل[3] ؛ لأنَّ الأفعال التي اشتُقَّتْ منها لم تكنْ في الأزل ، وهو كوصف الواصف له بأنَّهُ : خالقٌ ، رازقٌ ، محيٍ ، مميتٌ ، منعمٌ ، مُفْضِلٌ[4]

فالتسميةُ في هذا القسم : إن كانت مِنَ الله عزَّ وجلَّ . . فهي صفة قائمةٌ بذاته ؛ وهو كلامُهُ ، لا يقال : إنَّها المسمَّى ولا غيرُ المسمَّى ، وإن كانت التسميةُ من المخلوق . . فهي فيها غيرُ المسمَّى .

ومِنْ أصحابنا مَنْ ذهب إلى أن جميع أسمائه لذاتِهِ الذي له صفاتُ الذات وصفاتُ الفعل ؛ فعلى هذا : الاسمُ والمسمَّى في الجميع واحدٌ ، واللهُ أعلم ،

---

(١) قوله (فالوجه له صفة . . .) إلى آخره : فيه أن هذه الألفاظَ دالةٌ على صفاتٍ له سبحانه وتعالى ، لا على أبعاضٍ جلَّ وعلا كما فهم ذلك المشبهة ، وقد جعلها الإمامُ المصنف هنا كصفات المعاني المفادة من الأسماء الدالَّة عليها ؛ كالحيِّ والعالم . . . إلى آخره ، ولذا لم يجعلها عين الذات ولا غير الذات ؛ فالوجه صفةٌ قائمة بذاته ، واليدان صفتان ـ وهذا تحقيقٌ من المصنف له قدره عند المتأمِّل ـ قائمتان بذاته ، وكذا العين والأعين صفاتٌ له لا أبعاضٌ ، لها محلٌّ واحدٌ تقوم به ؛ هو ذاتُ الحقِّ تعالى .

(٢) في (ج) : (ورودُ خبرِ الصادق به) .

(٣) اختار المصنف رحمه الله طريق الأشاعرة في كون أسماء الأفعال دالَّةً على صفاتٍ حادثة هي أفعاله تعالى، ودليل حدوثها المشاهدة، وعليه : فتسميته بها في الأزل مجاز ، وفيما لا يزال حقيقة ، وعند الماتريدية ترجع إلى صفة التكوين ، وهي عندهم قديمة ، والخطب في ذلك يسير ، على أن حجة الإسلام الغزالي يرى أن هذا الخلاف راجع لاختلاف جهة النظر

(٤) يقال : أفضل عليه إفضالاً ـ بمعنى : تفضَّل عليه ـ فهو مُفْضِلٌ ، قال سيدنا حسان : (من الكامل)

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ

يعني : المتفضِّل ، وانظر « تاج العروس » (ف ض ل) .

وعلى هذه الطريقةِ يدلُّ كلامُ المتقدِّمين من أصحابِنا[1]

١٨ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن السلميُّ ، أخبرنا الحسنُ بن رشيقٍ إجازةً ، حدثنا سعيدُ بن أحمد بن زكريا اللخميُّ ، حدثنا يونسُ بن عبد الأعلى قال : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : إذا سمعتَ الرجلَ يقول : الاسمُ غيرُ المسمَّى . فاشهدْ عليه بالزندقة[2]

قال الشيخُ :

وقد قال الشافعيُّ في (كتاب الإيمان)[3] ما دلَّ على أنه لا يُقالُ في أسماء الله تعالى : (إنَّها أغيارٌ) ، قد نقلنا كلامَهُ فيه في مواضعَ[4] ، وبالله التوفيقُ .

[زيادةٌ لم تكنْ في كتاب الإمام أبي عبد الله الفُراويِّ ، هي إجازة للشيخ من عبدِ الجبَّار ، أخبرَكَ أبو محمد بن عبدِ الجبَّار بن محمد البيهقيُّ إجازةً ، أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بن الحسينِ البيهقيُّ إجازةً إن لم يكن سماعاً][5] :

قال : ومَنْ قالَ بهذا . . احتجَّ بقول الله تعالى : ﴿ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ [مريم: ٧] ،

---

(١) كالإمام الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وأبي داود السجستاني ، وإسحاق بن راهويه ، ونعيم بن حماد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، ومحمد بن جرير الطبري ، كما ذكر اللالكائي في « السنة » (٣/ ٢٣٣) .

(٢) ورواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٠٥) ، وهذه الكلمة يومها كانت عَلَماً على متكلِّمي المعتزلة الذين جعلوا أسماءه تعالى حادثة ، ثم أرادوا التنزيه فوقعوا في ورطةِ (الاسم غير المسمَّى) ، أما أهل السنة فأثبتوا قدم أسمائه العظيمة سبحانه ، ومن قال منهم : عين المسمى ، أو غير المسمَّى ، أو لا عين ولا غير . . فباعتبارٍ آخرَ مباينٍ لاعتبار المعتزلة ، وقد قدَّمت الحديث عن ذلك موجزاً ، وعليه : فشهادةُ الإمام الشافعي على قائلي ذلك بالزندقة . . واقعةُ حال ؛ وأعلام أتباعه ومحررو مذهبه ؛ كالجويني والغزالي والرازي . . ممن يقولون ذلك ، وحاشاهم من الزندقة .

(٣) انظر « الأم » (٧/ ٦٤) .

(٤) انظر « معرفة السنن والآثار » للمصنف (١٤/ ١٥٥) .

(٥) كذا في (أ ، ب) وهامش (د) ، وهذه الزيادة إلى آخر هذا الباب .

فأخبر أنَّ اسمَهُ يحيى ، ثم قال : ﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢] ، فخاطبَ اسمه ، فعُلمَ أنَّ المخاطبَ يحيى ، وهو اسمُهُ ، واسمُهُ هو .

وكذلك قال : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم ﴾ [يوسف : ٤٠] وأرادَ المسمَّيات ، وقال : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٧٨] ، كما قال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان : ١] ، وكما قال : ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] .

ورُويَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثمَّ عن عمرَ بنِ الخطاب : « **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ ٱسْمُكَ** »(١)

كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الدعاء بعد السلام : « **تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ** »(٢)

وقال في دعاءِ القنوت : « **تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ** »(٣)

قال أبو منصور الأزهريُّ : (معنى « تباركَ » : تعالى وتعظَّمَ ، وقيل : هو « تفاعل » من البركة ؛ وهي الكثرةُ والاتساع)(٤)

١٩ـ وأخبرَنا أبو عبد الله ، أخبرَنا عبدُ الله بن إسحاقَ بن إبراهيمَ البغويُّ ببغدادَ ، حدثنا محمدُ بن العباس الكابُليُّ ، حدثنا عبدُ العزيز بن عبد الله

---

(١) رواه مرفوعاً أبو داود (٧٧٦) ، والترمذي (٢٤٣) ، وابن ماجه (٨٠٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، ورواه أبو داود (٧٧٥) ، والترمذي (٢٤٢) ، والنسائي (٢/ ١٣٢) ، وابن ماجه (٨٠٤) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٥٢/ ٣٩٩) من كلام سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٥٩١) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، ورواه أيضاً (٥٩٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه أبو داود (١٤٢٥ ، ١٤٢٦) ، والترمذي (٤٦٤) ، والنسائي (٣/ ٢٤٨) من حديث سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما

(٤) انظر « تهذيب اللغة » (ب ر ك) (١٠/ ١٣٠) ، في جملة معانٍ أوردها في تفسير ذلك .

الأويسيُّ ، حدثنا مالكُ بن أنس وغيرُهُ ، عن سعيد المقبُريِّ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **إذَا أَتَى أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ . . فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ، وَلْيَقُلْ : بِٱسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي ، وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لَهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَٱحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ** » ، غير أنَّ مالكاً لم يقل : « **فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ** »(١)

وروينا في حديث أبي ذرٍّ وحذيفةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم كان إذا أخذ مضجعَهُ قال : « **اللَّهُمَّ ؛ بِٱسْمِكَ أَحْيَا ، وَبِٱسْمِكَ أَمُوتُ** »(٢)

كما قال في روايةِ أبي هريرةَ في الدعاء عند الصباح « **اللَّهُمَّ ؛ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ** »(٣)

٢٠ـ وأخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا الحسنُ بن علي بن عفَّانَ ، حدثنا زيدُ بن الحباب ، حدثني عبدُ الرحمن بن ثابت بن ثوبانَ ، حدثني عميرُ بن هانئٍ ، قال : سمعت جنادةَ بن أبي أميَّةَ يقول : سمعت عبادةَ بن الصامت يذكرُ عن رسول الله صلَّى الله

---

(١) ورواه البخاري (٦٣٢٠ ، ٧٣٩٣) ، ومسلم (٢٧١٤) ، وصَنِفَةُ الثوب : طرفه، أو حاشيته، أو طرَّته ؛ وهو جانبه الذي لا هدب له ، وقد نقل الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١٠/ ٣٧٥) عن ابن بطال قولَه : (مقصودُ البخاريِّ بهذه الترجمة : تصحيحُ الدليل بأنَّ الاسم هو المسمَّى ؛ ولذلك صحَّت الاستعاذة به والاستعانة ؛ يظهر ذلك في قوله : « باسمِكَ ربِّي وضعتُ جنبي ، وبكَ أرفعُهُ » ، فأضاف الوضعَ إلى الاسم ، والرفعَ إلى الذات ، فدلَّ على أن الاسم هو الذات ، وقد استعان وضعاً ورفعاً بها لا باللفظ) ، والاسم يطلق على ثلاثة أشياء : اللفظ ، أو معناه قبل التسمية ، أو معناه بعد التسمية ، واتفق الجميع أن الاسم بالمعنيين الأولين غير المسمَّى ، وإنما الخلاف في المعنى الثالث

(٢) رواه البخاري (٦٣١٤) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، ورواه أيضاً (٦٣٢٥) من حديث سيدنا أبي ذرٍّ رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٦٨) ، والترمذي (٣٣٩١) ، وابن ماجه (٣٨٦٨) .

عليه وسلَّم : أنَّ جبريلَ عليه السلام جاءَهُ وهو يوعكُ ، فقال : « **أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ ، وَمِنْ كُلِّ حَسَدِ حَاسِدٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ ، وَٱسْمُ اللهِ يَشْفِيكَ** »[(١)]

قال الشيخُ رحمه الله :

ولو كان اسمُهُ غيرَهُ ، أو لا هو المسمَّى . . لكان القائلُ إذا قال : عبدتُ الله ، و(الله) اسمُهُ . . أن يكون عبدَ اسمه ؛ إما غيرَه ، أو ما لا يقال : إنَّهُ هو ! وذلك محالٌ .

وقوله « **إنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً** » ، معناهُ : تسمياتُ العباد لله ؛ لأنه في نفسه واحدٌ ، قال الشاعرُ[(٢)] : [من الطويل]

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ ٱسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا

قال أبو عبيد : أرادَ : ثم السلامُ عليكما ؛ لأنَّ اسمَ السلام : هو السلامُ[(٣)]

* *

---

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٣٢٣) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١٠٧٧٦) .

(٢) البيت لسيدنا لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه ، وهو بتمامه :

إلى الحول ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما ... ومَنْ يبكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذرْ

وانظر « خزانة الأدب » (٤/ ٣٣٩) .

(٣) في هامش (ب) : (إلى هنا إجازة الشيخ من عبد الجبار) ، ونسبة القول في مطبوع « خزانة الأدب » (٤/ ٣٣٩) لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، لا لأبي عبيد القاسم بن سلام

باب
ذكر آيات وأخبار وردت في صفات يستحقها الباري عز وجل بذاته سوى ما ذكرنا في البابين قبله(١)

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وقال : ﴿ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] .

وقال : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد : ٣] .

وقال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص : ١ـ٢] .

وقال : ﴿ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور : ٢٥] .

وقال : ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] .

وقال : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد :٩] .

وقال : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [صٓ : ٦٥] .

وقال : ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ [الأنفال : ٤٠] .

وقال : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٦٥] .

---

(١) قوله : (بذاته سوى ما ذكرنا في البابين قبله) زيادة في العنوان في (ب) ، وقد بُيِّضَ لأصل العنوان .

وقال : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء ١٣٩] .

وقال خبراً عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص : ٨٢] .

وقال : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

وقال : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٧٨] .

وقال : ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية : ٣٧] .

٢١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن صالح بن هانئٍ ، حدثنا الحسينُ بن الفضل البَجَليُّ ، حدثنا سليمانُ بن حَرْبٍ ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله ، حدثنا عليُّ بن حَمْشَاذَ ، حدثنا الحسنُ بن عليٍّ بن زياد ، حدثنا سعيدُ بن منصور ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، حدثنا معبدُ بن هلال العَنَزيُّ ، قال : انطلقنا إلى أنسِ بن مالك ، فذكر حديثَ الشفاعةِ .

ثم ذكر معبدٌ عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أنسِ بن مالكٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « **ثُمَّ أَقُومُ فِي الرَّابِعَةِ ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً ، فَيُقَالُ لِي : ٱرْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَٱشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَقُولُ : ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ ، فَيُقَالُ لِي : لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ** ـ أو : **لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ** ـ **وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي ؛ لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ** » ، وفي رواية سليمانَ بن حرب : « **وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَعَظَمَتِي** »(١)

٢٢ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرَنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن عبد الملك بن مروانَ ، حدثنا يزيدُ بن هارون ، أخبرَنا عاصمٌ ، عن أبي الوليد ، عن عائشةَ قالت : ما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم

---

(١) ورواه البخاري (٧٥١٠) ، ومسلم (٣٢٦/١٩٣) .

يجلسُ بعد الصلاة إلا قَدْرَ ما يقولُ : « **اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ السَّلامُ ، وَمِنْكَ السَّلامُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ** »(١)

٢٣ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذبارِيُّ ، أخبرَنا أبو بكر بنُ داسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا أحمدُ بن صالح ، حدثنا ابنُ وهب ، حدثني معاويةُ بن صالح ، عن عمرِو بن قيسٍ ، عن عاصمِ بن حميد ، عن عوفِ بن مالك الأشجعيِّ ، قال : قمتُ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ليلةً ، فقام فقرأ سورة (البقرةِ) ، لا يَمُرُّ بآية رحمةٍ إلا وقفَ فَسألَ ، ولا يَمُرُّ بآية عذابٍ إلا وقفَ فتعوَّذَ ، قال : ثم ركعَ بقدْرِ قيامه يقول في ركوعه : « **سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ** » ، ثم سجد بقَدْرِ قيامه ، ثم قال في سجوده مثلَ ذلك ، ثم قام فقرأَ بـ (آل عمرانَ) ، ثم قرأَ سورةً سورةً(٢)

وروينا في حديث ابن عباسٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الدعاء بعد الركوع : « **أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ** »(٣)

وهذه الصفاتُ من كمالِ أوصافِ الإلـٰهيَّةِ ، فوجبَ إثباتُ كلِّ مدحٍ له ، ونفيُ كلِّ نقصٍ عنه(٤)

* *

---

(١) ورواه مسلم (٥٩٢) .

(٢) ورواه أبو داود (٨٧٣) ، والنسائي (١١٣٢)

(٣) رواه مسلم (٢٠٦/ ٤٧٨) .

(٤) وهذا ما يلخِّصه علماء العقيدة إذ يقولون : يجب لله تعالى على الإجمال : إثباتُ كلِّ كمال ، ونفيُ كلِّ نقصٍ ومُحال .

باب
ذكر آيات وأخبار وردت في صفات زائدات على الذات قائمات به

قال الله جَلَّ ثَناؤُهُ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال : ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ ﴾ [طه : ١١١] ، وقال : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

فهو حيٌّ ، وله حياةٌ يُباينُ بها صفةَ مَنْ ليس بحيٍّ .

وقال : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] ، وقال : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ ﴾ [الأنعام : ٦٥] .

فهو قادرٌ ، وله قُدرةٌ يُباينُ بها صفةَ مَنْ ليس بقادرٍ .

وقال : ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقال : ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [فاطر : ١١] ، وقال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فهو عالمٌ ، وله عِلمٌ يُباينُ به صفةَ مَنْ ليس بعالمٍ .

وقال : ﴿ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] ؛ أنَّ علمَهُ أحاطَ بالمعلوماتِ كلِّها ، كما قُدرتُهُ عمَّتِ المقدُوراتِ كلَّها .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] ، وقال : ﴿ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، والقوةُ : القدرةُ .

وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج : ١٤] ، وقال : ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود : ١٠٧] ، وقال : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص : ٦٨] ، **والمشيئةُ والإرادةُ** عبارتان عن معنىً واحدٍ .

فهو مريدٌ ، وله إرادةٌ يُباينُ بها صفةَ مَنْ يكون ساهياً أو مغلوباً أو مُكرَهاً .

وقال : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء : ١٣٤] ، وقال : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة : ١] .

فهو سميعٌ بصيرٌ ، وله سمعٌ وبصرٌ ؛ يُدركُ بأحدهما جميعَ المسموعاتِ ، وبالآخرِ جميعَ المبصَراتِ .

وقال : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقال : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف : ١٤٤] ، وقال : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى : ٥١] ، وقال : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] .

فهو مُتكلِّمٌ ، وله كلامٌ يُباينُ به صفةَ الأخرسِ والساكتِ .

وقال : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد : ٣] ، وقال : ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقيل في معنى (القَيُّومِ) : إنه الدائمُ ، وقال : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

فهو باقٍ ، وله بقاءٌ ، ومعنى وصفِهِ بذلك : أنه واجبُ الوجودِ فيما لم يزلْ ، مستمرُّ الوجودِ فيما لا يزالُ[(١)]

٢٤ـ أخبرَنا السَّيِّد أبو الحسن محمدُ بنُ الحسين بن داود العَلَويُّ ، أخبرَنا أبو بكرٍ محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أبو الأزهرِ ، حدثنا ابنُ أبي فُدَيكٍ ، عن إبراهيمَ بن الفضل ، عن المقبُريِّ ، عن أبي هريرةَ قال : كان رسول الله

---

(١) وبهذا يكون المصنف قد ذكر صفات المعاني الثمانية على أن البقاء منها على قولٍ للإمام الأشعري رحمه الله تعالى

صلَّى الله عليه وسلَّم إذا اجتهد في الدعاء قال : « **يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ** »[١]

ورويناه في الحديث الثابت عن ابن عباسٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ كان يقول في دعائه : « **أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ ؛ أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ** »[٢]

وقال سعدُ بن عبادةَ ـ في حديث الإفك ـ بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . لسعد بن معاذٍ لَعَمْرُ اللهِ ؛ لا تقتلُهُ ، وقال أُسيد بن حُضير : لَعَمْرُ اللهِ ؛ لنقتلَنَّهُ[٣]

فحلف كلُّ واحد منهما بحياةِ الله وببقائِهِ والنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يسمعُ .

٢٥ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن أحمد بنِ عَبْدَانَ ، أخبرَنا أحمدُ بن عبيدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا القَعْنَبِيُّ ، عن عبد الرحمن بن أبي المَوالي ، عن محمد بن المنْكَدِرِ ، عن جابرٍ قال : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يُعلِّمُنا الاستخارة في الأمر كما يُعلِّمُنا السورةَ من القرآن ، يقول لنا[٤] : « **إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ . . فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ لِيَقُلِ : اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ** ـ تُسَمِّيهِ بعَيْنِهِ الَّذِي تُرِيدُ ـ **خَيْراً لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَمَعَادِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي . . فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ، اللَّهُمَّ ؛ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ شَرّاً لِي** ـ مثل الأوَّلِ ـ **فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ**

---

(١) ورواه الترمذي (٣٤٣٦) .

(٢) رواه البخاري (٧٣٨٣) ، ومسلم (٢٧١٧/ ٦٧)

(٣) رواه البخاري (٢٦٦١ ، ٤١٤١) ، ومسلم (٢٧٧٠/٥٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٤) في (ب) : (له) بدل (لنا) ، والمثبت من سائر النسخ

كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ » ، أو قال : « فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ »[1] .

وفي هذا الحديث الصحيح : إثباتُ صفةِ العلم وصفةِ القدرة ، واستخارةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بهما ، وقد ذكرنا شواهدَهُ في كتاب « الأسماء والصفات »[2]

٢٦ـ أخبرَنا أبو طاهرٍ محمدُ بن محمد الفقيهُ ، أخبرَنا أبو بكر القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلَميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرَنا مَعمَرٌ ، عن هَمَّام بن مُنبِّهٍ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ؛ قال : وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « لَا يَـقُولُ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ ؛ ٱغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، أَوِ ٱرْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، أَوِ ٱرْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ ؛ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، لَا مُكْرِهَ لَهُ »[3]

وفي هذا : إثباتُ المشيئة لله عزَّ وجلَّ ، وأنه يفعل ما يشاء ؛ وله شواهدُ كثيرة :

٢٧ـ أخبرَنا أبو القاسم عبدُ الرحمن بن عبيد الله الحُرْفِيُّ ببغدادَ ، حدثنا أحمدُ بن سلمانَ النَّجَّادُ ، حدثنا محمدُ بن عبد الله بن سليمانَ ، حدثنا عباسٌ النَّرْسِيُّ ، حدثنا جعفر بن سليمانَ[4] ، عن الجُرَيْرِيِّ ، عن أبي نَضرةَ ؛ قال : ينتهي القرآنُ كلُّهُ إلى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود : ١٠٧] .

ورواه سليمان التَّيْمِيُّ ، عن أبي نَضرة ، عن جابرٍ ، أو أبي سعيدٍ ، أو بعضِ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمعناه[5]

وفيه : إثباتُ الإرادة لله عزَّ وجلَّ ، وأنَّ ما أوعدَ عليه عبادَهُ فيما دون الشرك إلى مشيئتِهِ ؛ كما قال : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨] .

---

(١) ورواه البخاري (١١٦٦)

(٢) الأسماء والصفات (ص ١٤٣) .

(٣) ورواه البخاري (٧٤٧٧) ، ومسلم (٢٦٧٩/ ٩)، وقوله : (لا يقول) كذا في النسخ .

(٤) في (ب) : (حفص) بدل (جعفر) ، وفي سائر النسخ كالمثبت ، وهو الصواب .

(٥) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٤٨٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ٩٨) ، ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ كما في « الدر المنثور » (٤/ ٤٧٦) .

٢٨ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ رحمه الله ، أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا سَعدانُ بن نَصرٍ[١] ، حدثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمش ، عن تميم بن سلمة ، عن عروة ، عن عائشة قالت : الحمدُ لله الذي وسعَ سمعُهُ الأصواتَ ، لقد جاءَتِ المجادِلة تشكو إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأنا في ناحيةِ البيت ما أسمعُ ما تقولُ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١][٢] .

وفي هذا : إثباتُ السمع لله عزَّ وجلَّ .

٢٩ـ أخبرَنا أبو الحسين بن بِشرانَ ، أخبرَنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن عبيد الله بن المُنادي ، حدثنا يونسُ بن محمد ، حدثنا المعتمرُ بن سليمانَ ، عن أبيه ، عن يحيى بن يَعْمَرَ ، عن ابنِ عمر ، عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث الإيمان قال ـ يعني : السائل ـ : يا محمدُ ؛ ما الإحسان ؟ قال : « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَكُنْ تَرَاهُ . فَإِنَّهُ يَرَاكَ** »[٣]

وفي هذا : إثباتُ الرؤيةِ لله عزَّ وجلَّ ؛ والرؤية والبصر بمعنىً واحدٍ .

وروينا في حديث الحَرِّ والبردِ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « **إذَا كَانَ يَوْمٌ حَارٌّ أَلْقَى اللهُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ إلَى أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لا إلَهَ إلا اللهُ ، مَا أَشَدَّ حَرَّ هَذَا الْيَوْمِ ! اللَّهُمَّ ؛ أَجِرْنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ . قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجَهَنَّمَ : إِنَّ عَبْداً مِنْ عَبِيدِي ٱسْتَجَارَ بِي مِنْكِ ، وَإِنِّي أُشْهِدُكِ أَنِّي**

---

(١) اسمه سعيد ، ولقب بسعدان ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٣٥٧) .

(٢) وأورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم عن الأعمش قبل الحديث (٧٣٨٦) ، ورواه النسائي (٦/ ١٦٨) ، وابن ماجه (١٨٨) .

(٣) ورواه مسلم (١/ ٨) .

قَدْ أَجَرْتُهُ » ، وقال في اليوم الشديدِ البردِ معناه[١]

٣٠ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، ويحيى بنُ إبراهيم بن محمد بنِ يحيى قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا بحرُ بن نصرٍ ، حدثنا عبدُ الله بن وهْب ، أَخبرني عمرُو بن الحارث ، عن يزيدَ بن أبي حبيبٍ ، وأبيهِ الحارث بن يعقوبَ ، حدثاهُ عن يعقوبَ بن عبد الله بن الأشجِّ[٢] ، عن بُسر بن سعيد ، عن سعدِ بن أبي وقاص ، عن خولةَ بنتِ حكيم : أَنَّها سمعت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ[٣] ؛ فَإِنَّهُ لا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » ، وفي رواية يحيى : « بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ »[٤]

وفي هذا: إثباتُ صفة الكلامِ لله عزَّ وجلَّ ، وإنَّما قال (كلمات) على طريقِ التعظيم[٥]

---

(١) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٢٢٩) ، ورواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٠٦) من حديث أبي سعيد الخدري أو أبي هريرة رضي الله عنهما .

(٢) في (ب) : (يعقوبَ بن عبد الله الأشجِّ) ، والمثبت من سائر النسخ .

(٣) الذي في (أ ، ب) : (التامات) بدل (التامة) ، والمثبت من سائر النسخ ؛ لتتحقق المغايرة بين الروايتين .

(٤) ورواه مسلم (٥٥/٢٧٠٨) .

(٥) فالمراد بالكلمات : الكلام النفسي القديم له سبحانه ؛ لأن كلامه تعالى لا يتصوَّر فيه التجزُّؤ والتعدُّد، ووصف الكلمات بـ(التامة) أو (التامات). . وصفٌ لازم، لا بمعنى وجود المقابل ؛ أي: الكلمات الكاملة أو النافعة أو الشافية أو المباركة، وانظر «إرشاد الساري» (٥/ ٣٦١).

وجاء في هامش (و) : (الكلام الذي هو واحد لا يتعدد ، وهو الكلام بمعنى مبدأ التكلم ، وهو صفة أزلية ليست بحرف ولا صوت ، وأما الكلام بمعنى المتكلَّم به فيتعدد عند الأشعري بنقل إمام الحرمين عنه : أن الكلام ينقسم إلى خبر وأمر ونهي ، والكلمات من المتكلَّم به ، فلفظ الجمع على ظاهره بلا إشكال ، والخلط بين المعنيين يوجب اختلالاً في الأفهام ، ويدهش الأذهان ، فتنبه) .

ورويناه في (حديثِ الشفاعة) عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **وَلَكِنِ ٱئْتُوا مُوسَى ؛ عَبْداً آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيماً** »[1]

وفي حديث عديِّ بن حاتِمٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلا تَرْجُمَانٌ** » .

٣١ـ أخبرَناه أبو الحسين بن بِشرانَ ، أخبرَنا أبو جعفر الرَّزَّازُ ، حدثنا عبدُ الله بن محمد بن شاكر ، حدثنا أبو أسامةَ ، حدثنا الأعمشُ ، عن خَيْثَمَةَ بن عبد الرحمن، عن عديِّ بن حاتم قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. . . ، فذكره[2]

* *

(١) رواه البخاري (٧٤١٠) ، ومسلم (١٩٣) ، وسيأتي الحديث برقم (١٧٥)

(٢) ورواه البخاري (٦٥٣٩ ، ٧٤٤٣) ، ومسلم (١٠١٦/ ٦٧) .

باب
ذكر آيات وأخبار وردت في إثبات صفة الوجه واليدين والعين

وهذه صفاتٌ طريقُ إثباتها السمعُ ، فنثبتُها لورود خبرِ الصادق بها ، ولا نُكيِّفُها[١] .

قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن ٢٧] ، فأضاف الوجهَ إلى الذاتِ ، وأضاف النَّعتَ إلى الوجهِ فقال : ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ، ولو كان ذكرُ الوجهِ صلةً[٢] ، ولم يكن للذات صفةً . . لقال : (ذي الجلال والإكرام) ، فلمَّا قال : ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ . . علمنا أنَّهُ نعتٌ للوجهِ ؛ وهو صفةٌ للذات[٣] .

---

(١) وهي الصفات التي تقدَّم للمصنف الإمام نعتُها بالصفات السمعية في مقابلة الثابتة بالعقل ، وعقده لهذا الباب مفرداً هو لبيان أن هذه الصفات لا طريقَ لإثباتها إلا الخبرُ الصادق ، ولا يفوتنَّك أنها صفات للبارئ عز وجل ، لا أبعاضٌ تعالى ربُّنا وتقدَّس ؛ ولذا قال بعدم تكييفها .

(٢) أي : زائداً ؛ ليتوصل به إلى ذكر ذاته سبحانه في قوله : (ربك) ، ولا يقال : (زائداً) أدباً مع كلام الله تعالى .

(٣) قال العلامة الآمدي في « أبكار الأفكار » (١/ ٤٥١) : (ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري في أحد قوليه ، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، والسلف . . إلى أن الربَّ تعالى متَّصف بالوجه ، وأن الوجه صفة ثبوتية زائدة على ما له من الصفات ، متمسكين في ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ ، لا أنه بمعنى الجارحة ، ومن المشبهة من أثبت الوجه بمعنى الجارحة ، ومذهب القاضي والأشعري في قول آخر وباقي الأئمة : أن وجه الله تعالى : وجوده) .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] بتشديد الياءِ من الإضافة[١] ، وذلك تحقيقٌ للتثنية ، وفي ذلك مَنعٌ مِنْ حَمْلِهما على النِّعمة والقدرة ؛ لأنَّهُ ليس لتخصيص التثنية في نِعَم الله ولا في قدرته معنىً يَصحُّ ؛ لأنَّ نِعمَ الله أكثرُ من أن تحصى ، ولأنَّهُ خرج مَخرَجَ التخصيص ، وتفضيلِ آدمَ عليه السلام على إبليسَ ، وحملُهُما على القدرة أو على النعمة يزيلُ معنى التفضيل ؛ لاشتراكهما فيها ، ولا يجوز حملُهُما على الماء والطين ؛ لأنَّهُ لو أراد ذلك لقال : (لِما خلقتُ مِنْ يديَّ) ، كما يقال : (صفةُ هذا الكوزِ من الفضة أو من النحاس) ، فلمَّا قال : ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ . . علمنا أنَّ المرادَ بهما غيرُ ذلك[٢]

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] .

وقال : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] .

٣٢ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ رحمه الله ، أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا سَعْدانُ بن نَصرٍ ، حدثنا سفيانُ ، عن عمرو بن دينار ، سمع جابرَ بن عبد الله يقول : لمَّا نزل على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ . . قال : « أَعُوذُ

---

(١) يعني : إضافة (يدين) إلى ياء المتكلم بعد حذف النون من المضاف .

(٢) **فاليدان في الآية صفتان لذاته سبحانه وتعالى متباينتان في المعنى** ، والله تعالى ومَنْ منَّ عليه من أصفياء عباده من أنبيائه وأوليائه أعلمُ بالمراد ، وقد قال العلامة الآمدي في « أبكار الأفكار » (١/ ٤٥٣) : (وذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري إلى أن اليدين **صفتان ثبوتيتان زائدتان على ذاته وباقي صفاته ، لا أنَّهما بمعنى الجارحتين ، وهو مذهب السلف** ، وإليه ميل القاضي في بعض كتبه ، وذهب أكثر أئمتنا إلى تفسير اليدين **بالقدرة** ، وكثير من المعتزلة إلى التفسير بكونه **قادراً** ، وذهب بعض المعتزلة إلى التفسير بمعنى **النعمة**) ، ثم ذكر أن تفسيره بالقدرة لا يلزم منه إبطال التخصيص ؛ فقال : (قد يكون التخصيص بمعنى التشريف ؛ كما خصَّص المؤمنين بلفظ العباد وأضافهم بالعبودية إلى نفسه ، وخصَّص روح عيسى والكعبة بالإضافة إلى نفسه)

بوَجْهكَ » ، ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » ، ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٦٥] قال : « هَاتَانِ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ »(١)

٣٣ـ أخبرَنا أبو محمدٍ الأصبهانيُّ ، أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد بن الصَّبَّاحِ الزعفرانيُّ ، حدثنا رَوحُ بن عبادةَ ، حدثنا هشامُ بن أبي عبد الله ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ : أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُهَمُّونَ لِذَلِكَ(٢) ، فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ؛ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. . . » ، وذكر الحديث(٣)

٣٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرَنا أبو بكرٍ أحمدُ بن سلمانَ النَّجَّادُ ، حدثنا جعفرُ بن أبي عثمانَ الطيالسيُّ ، حدثنا أبو عمرَ الحَوْضيُّ ، حدثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إلا قَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ ، أَلا وَإِنَّهُ أَعْوَرُ ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ »(٤)

---

(١) ورواه البخاري (٧٣١٣ ، ٤٦٢٨) ، وقوله (وأيسر) كذا في النسخ ، وهي رواية لابن خزيمة كما في مطبوع كتابه « التوحيد » (ص ٢٧) ، والرواية الشائعة : (أو أيسر) على الشك ، قال الحافظ القسطلاني في« إرشاد الساري » (١٠/ ٣٢٥) : (« هاتان » المحنتان : اللبس والإذاقة. . « أهون أو » قال : « أيسر » ؛ لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهونُ وأيسرُ من عذاب الله على الكفر) .

(٢) يعني : يقلقون ويحزنون ، ويروى (يَهِمون) من الوهم ، و(يُهِمُّون) من الهَمِّ ، وفي « صحيح مسلم » : (يهتمون) أي : يعتنون ، وفيه أيضاً : (يُلهمون) .

(٣) ورواه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣) .

(٤) ورواه البخاري (٣٠٥٧ ، ٧١٣١) ، ومسلم (٢٩٣٣/ ١٠١) ، وفيهما ذكر المفعول الثاني لـ(أنذر) ؛ وهو (قومَه) .

وفي هذا نفيُ نقص العَوَرِ عن الله سبحانه ، وإثباتُ العينِ له صفةً ، وعرفنا بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وبدلائل العقل . . أنَّها ليسَتْ بحدقةٍ ، وأنَّ اليدين ليستا بجارحتين ، وأن الوجهَ ليس بصورة ، وأنَّها صفاتُ ذاتٍ أثبتناها بالكتاب والسنة بلا تشبيهٍ ، وبالله التوفيق .

* * *

باب
ذكر صفة الفعل

قال الله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] .

وقال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] .

وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [الروم : ٢٧] .

وقال : ﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ١٤] .

وقال : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [الأنعام : ١] .

إلى سائر ما وردَ في الكتاب في معنى هذه الآياتِ .

٣٥ـ أخبرَنا أبو الحسين بنُ الفضل القطَّانُ ؛ أخبرَنا عبدُ الله بن جعفر بن درستويهِ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا عمرُ بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمشُ ، حدثنا جامعُ بن شداد ، (ح) .

وأخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثني أبو بكرٍ محمدُ بن أحمد بن بالويه ، أخبرَنا بشرُ بن موسى ، حدثنا معاويةُ بن عمرو ، حدثنا أبو إسحاق الفَزاريُّ ، عن الأعمشِ ، عن جامعِ بن شداد ، عن صفوانَ بن مُحْرِزٍ ، عن عِمرانَ بن حُصين قال : أتيت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاءه نفرٌ من أهل اليمن فقالوا : يا رسول الله ؛ أتيناكَ لنتفقَّهَ في الدين ، ولنسألَكَ عن أوَّلِ هذا الأمر كيف كان ، قال : « **كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** »(١)

---

(١) ورواه البخاري (٧٤١٨) .

قوله : (كانَ اللهُ ولم يكنْ شيءٌ غيرُهُ) يدلُّ على أنَّهُ لم يكن شيءٌ غيرُهُ ؛ لا الماءُ ولا العرشُ ولا غيرُهما ، فكلُّ ذلك أغيارٌ ، وقوله : (وكانَ عرشُهُ على الماءِ) يعني به : ثم خلقَ الماءَ ، وخلق العرشَ على الماء .

وبيانُ ذلك : في حديثِ أبي رَزينٍ العُقيلي ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم حينَ قال : « ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ »(١)

٣٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرَنا أبو زكريا العنبريُّ ، حدثنا محمدُ بن عبد السلام ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم ، أخبرَنا عبد الرزاق ، عن عمر بن حبيب المكيِّ ، عن حميد بن قيس الأعرج ، عن طاوسٍ قال : جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عباسٍ فسأله ؛ فقال : مِمَّ خُلق الخَلقُ ؟ قال : مِنَ الماء والنور والظلمة والريح والتراب ، قال الرجل : فَمِمَّ خُلق هؤلاءِ ؟ فتلا عبدُ الله بن عباس : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣](٢) .

فأخبرَنا ابنُ عباس : أن الماءَ والنورَ والظلمةَ والريحَ والترابَ . . ممَّا في السماوات وما في الأرض ، وقد أخبر الله عزَّ وجلَّ أن مصدرَ الجميعِ منه ؛ أي : مِنْ خلقه وإبداعه واختراعه ؛ فهو خالقُ كلِّ شيء ، خلقَ الماءَ أولاً ، أو الماءَ وما شاء مِنْ خلقه ؛ لا عن أصلٍ ، ولا على مثالٍ سَبق ، ثم جعلَهُ أصلاً لما خَلق بعده ؛ فهو المبدعُ ، وهو البارئُ ، لا إلهَ غيرُهُ ، ولا خالقَ سواه .

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣١٠٩) ونعته بالحسن ، وفيه (قال أحمد بن منيع : قال يزيد بن هارون : العماء : أي : ليس معه شيء) ، وابن ماجه (١٨٢) .

(٢) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٤٥٢/٢) وصححه ، ورواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وغيرهم ، وانظر : « الدر المنثور » (٤٢٣/٧) .

باب
القول في القرآن

القرآنُ : كلامُ الله عزَّ وجلَّ ، وكلامُ الله صفةٌ من صفات ذاته ، ولا يجوزُ أن يكونَ شيءٌ من صفات ذاته مخلوقاً ولا مُحدَثاً ولا حادثاً[1] .

قال اللهُ جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] .

فلو كان القرآنُ مخلوقاً لكان اللهُ سبحانه قائلاً له : كُنْ ، والقرآنُ قولُهُ ، ويستحيلُ أن يكونَ قولُهُ مقولاً له ؛ لأنَّ هذا يُوجب قولاً ثانياً ، والقولُ في القولِ الثاني وفي تعلُّقِهِ بقول ثالثٍ كالأولِ ، وهذا يُفضي إلى ما لا نهايةَ له ؛ وهو فاسدٌ ، وإذا فسدَ ذلك فسدَ أن يكونَ القرآنُ مخلوقاً ، ووجب أن يكونَ القولُ أمراً أزليّاً متعلِّقاً بالمُكوَّن فيما لا يزالُ[2] ، كما أنَّ الأمرَ متعلِّقٌ بصلاة غدٍ وغدٌ غيرُ موجود ، ومتعلِّقٌ بمَن يُخلَق من المكلَّفين إلى يوم القيامة ، إلا أنَّ تعلُّقَهُ بهم على الشَّرط الذي يصحُّ فيما بعدُ ، كذلك قولُهُ في التكوين ، وهذا كما أنَّ علمَ الله أزليٌّ متعلِّقٌ بالمعلومات عند حدوثها ، وسمعَهُ أزليٌّ متعلِّقٌ بإدراك المسموعات عند ظهورها ، وبصرَهُ أزليٌّ متعلِّقٌ بإدراك المرئيات عند وجودِها ؛ من غيرِ حدوثِ معنىً فيه[3] ؛ تعالى عن أن يكونَ محلّاً للحوادث ،

---

(١) يقال : حَدَثَ الشيء فهو حادثٌ ، وأحدثه غيرُه فهو مُحْدَثٌ .

(٢) تعلُّقَ دلالة ، لا تعلُّقَ إيجاد كما يظهر من التمثيل الآتي ، فالعوالم أوجدها الله بقدرته وتكوينه مصحوبةً بكلمة (كن) .

(٣) فصفاته تعالى المذكورة كلُّها قديمة ، وإنما تعلُّق بعضها ـ كالسمع والبصر ـ هو الحادث ، وتعلق العلم قديم ولا يقتضي ذلك قِدم متعلقه .

وأن يكونَ شيءٌ من صفات ذاته مُحدَثاً .

ولأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [الرحمن : ١ ـ ٣] ، فلمَّا جمع في الذكر بين القرآن الذي هو كلامُهُ وصفتُهُ ، وبين الإنسان الذي هو خَلْقُهُ ومصنوعُهُ . . خَصَّ القرآنَ بالتعليم ، والإنسانَ بالتَّخْليق ؛ فلو كان القرآنُ مخلوقاً كالإنسان لقال : (خَلقَ القرآنَ والإنسانَ) .

وقال : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤]؛ ففرَّقَ بين خَلقِهِ وأمرِهِ بـ (الواو) الذي هو حرف الفصلِ بين الشيئين المتغايرين ، فدلَّ على أنَّ قولَهُ غيرُ خلقِهِ .

وقال : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] يعني : مِنْ قبلِ أن يخلُقَ الخَلق ومِنْ بعدِ ذلك(١) ، وهذا يُوجب أنَّ الأمرَ غيرُ مخلوق .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات ١٧١] .

وقال : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ [الأنفال : ٦٨] ، والسَّبْقُ على الإطلاق يقتضي سبقَ كلِّ شيءٍ سِوَاهُ .

وقال : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، ولا يجوزُ أن يكون كلامُ المتكلِّم قائماً بغيره ، ثم يكون هو به قائماً متكلِّماً مُكلِّماً دون ذلك الغير ، كما لا يجوزُ ذلك في العلم والسمع والبصر(٢)

---

(١) على قولٍ عند المفسرين في معنى هذه الآية ، وانظر « التفسير الوسيط » للواحدي (١/ ١٠٤) ، و« تفسير القرطبي » (٧/ ١٤) .

(٢) قد سمع سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كلامَ الله القديمَ عند الأشاعرة ، كما يرى المحسنون ذاته القديم في الآخرة ، وعليه : فقد قالوا بجواز تجلي القديم ببعض صفاته العلية للحادث الفاني ، فإن سُئلوا عن الكيفية بشأن الحادث عمدوا إلى ظواهر الأدلة النقلية ، ولذا قال الإمام الغزالي في « الاقتصاد » (ص ٢٥٩) بعد أن بيَّن أن السمع إنما هو نوع إدراك كالبصر : (ينبغي أن يعتقد : أنَّ كلامه صفة قديمة ليس كمثلها شي ، كما أنَّ ذاته ذاتٌ قديمة ليس كمثلها شيء ، وكما تُرى ذاته رؤيةً تخالف رؤية الأجسام والأعراض ولا تشبهها . . فيُسمع كلامه سماعاً يخالف الحروف والأصوات ولا يشبهها) ، ورحم الله =

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى : ٥١] ، فلو كان كلامُ الله لا يُوجدُ إلا مخلوقاً في شيء مخلوقٍ . . لم يكن لاشتراط هذه الوجوهِ معنىً ؛ لاستواء جميع الخلق في سماعِهِ مِنْ غيرِ الله ووجودِهم ذلك عند الجهمية مخلوقاً في غير الله[١] ، وهذا يُوجب إسقاطَ مرتبة النبيينَ صلواتُ الله عليهم أجمعين .

ويجب عليهم ـ إذا زعموا أنَّ كلامَ الله لموسى خَلَقَهُ في شجرةٍ ـ أن يكونَ مَنْ سمعَ كلامَ الله مِنْ مَلَكٍ أو من نبيٍّ أتاهُ به من عند الله . . أفضلَ مرتبةً في سماع الكلام مِنْ موسى ؛ لأنَّهم سمعوه مِنْ نبيٍّ ، ولم يسمعْهُ موسى مِنَ الله ، وإنَّما سمعَهُ من شجرة ! وأن يَزعُمُوا أنَّ اليهودَ ـ إذ سمعَتْ كلامَ الله مِنْ موسى نبيِّ الله ـ أفضلُ مرتبةً في هذا المعنى مِنْ موسى بن عمرانَ ؛ لأنَّ اليهودَ سمعته مِنْ نبيٍّ مِنَ الأنبياء ، وموسى سمعَهُ مخلوقاً في شجرة ![٢]

= العلامة الآلوسي إذ يقول في « روح المعاني » (١٠/ ٢٨٣) : والله تعالى وصفاته من وراء حُجب العزة والعظمة والجلال ، فلا يحدِّثَنَّ الفكرُ نفسَهُ بأن يكون له وقوفٌ على الحقيقة بحال من الأحوال .

مـرامٌ شَـطَّ مـرمـى العقـلِ فيـهِ ودونَ مـداهُ بِيـدٌ لا تبيـدُ

وقال الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الكبرى » (ص٣٧٧) : (قال بعض المحققين الحقُّ أن التطويل في مسألة الكلام ـ بل وفي جميع صفاته تعالى ـ بعد ما يستبين الحقُّ في ذلك . . قليلُ الجدوى ؛ لأن كُنهَ ذاته تعالى وكُنهَ صفاته محجوبٌ عن العقل ، وعلى تقدير التوصُّل إلى شيء من معرفة الذات . . فهو ذوقيٌّ لا يمكن التعبير عنه) .

(١) كما قال الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الكبرى » (ص ٣٨١) : (ولو كان اصطفاؤه بمجرد سماعه كلاماً حادثاً خلقه الله في جسم من الأجسام . . لكان كلُّ من سمع كلاماً من مخلوق قد شاركه في ذلك ؛ لأنَّ الذوات الحادثةَ وصفاتِها مخلوقةٌ لله تعالى ، فإن أجابوا بأنه خُصَّ بخلق الله الكلام فيما لا يعتادُ منه الكلام . . قيل لهم : وهذا أيضاً لا خصوصية فيه ؛ لوجود مثله في سائر الأنبياء) ، وقوله : (مخلوقاً) منصوب على الحالية .

(٢) وقد ذهب الماتريدية إلى امتناع سماع كلام الله تعالى النفسي ، وأن ما سمعه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام هو كلام مخلوق في الشجرة في البقعة المباركة ، ولكن انضمَّ إلى هذا=

ولو كان مخلوقاً في شجرة لم يكنِ الله مُكلِّماً لموسى من وراء حجاب ؛ ولأن كلام الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام لو كان مخلوقاً في شجرة كما زعموا.. لزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام مُتكلِّمةً ، ووجب عليهم أنَّ مخلوقاً من المخلوقِين كلَّمَ موسى وقال له : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه : ١٤] ، وهذا ظاهرُ الفساد .

وقد احتجَّ عليُّ بن إسماعيلَ رحمه الله بهذه الفصول[١] ، واحتجَّ بها غيرُهُ مِنْ سلفنا رحمهم الله

٣٧ـ وأخبرَنا أبو عبد الرحمن السُّلميُّ ، أخبرَنا الحسنُ بن رَشِيق إجازةً ، حدثنا محمدُ بن سفيانَ بن سعيد ، حدثنا محمدُ بن إسماعيلَ الأصبهانيُّ بمكةَ قال : سمعت الجاروديَّ يقول : ذَكَرَ الشافعيُّ إبراهيمَ بن إسماعيل ابنَ عُلَيَّةَ[٢] فقال : أنا مخالفٌ له في كلِّ شيء[٣] ، وفي قوله : لا إله إلا اللهُ ! لستُ أقول كما يقول ؛ أنا أقول : لا إله إلا اللهُ الذي كلَّمَ موسى من وراء حجاب ، وذاك يقول : لا إله إلا اللهُ الذي خلقَ كلاماً أسمعَهُ موسى من وراء حجاب[٤]

= السماع معنىً خلقه تعالى في قلب موسى دلَّ أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، ولا يقال : هذا عين قول أهل التعطيل والاعتزال ؛ لأن المعتزلة ومن تبعهم نفوا اتصافه سبحانه بالكلام أصلاً ، خلافاً للسادة الماتريدية الذين منعوا حقيقة سماع الكلام القديم ، وجوَّزوا سماع الدالِّ عليه مع تفاوت بين العباد في ذلك ، فأثبتوا الصفة ، وأثبتوا المزية للكليم عليه السلام ، وانظر « مفاتيح الغيب » للإمام الرازي (٢٤/ ١٥٧) .

(١) هو إمام أهل السنة والجماعة ؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢) وإبراهيم ابن عليَّة قال عنه الحافظ البغدادي في « تاريخه » (٦/ ٢٠) : (كان أحد المتكلمين ، وممن يقول بخلق القرآن ، وجرت له مع أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي مناظرات في بغداد ومصر) .

(٣) في (أ ، ب) : (في كلِّ) بدل (في كل شيء) ، ولكل توجيه .

(٤) ورواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٠٩) ، والحافظ ابن عبد البر في « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » (ص ١٣٢)

قلنا : ولأنَّ الله قال مخبراً عن المشركين أنَّهم قالوا : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥] **يَعنُون** : القرآنَ ، فمَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فقد جعلَهُ قولاً للبشر ! وهذا ممَّا أنكرَهُ الله على المشركين .

ولأنَّ الله تعالى قال : ﴿ لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] ، فلو كانت البحارُ مداداً يُكتب به لنفدتِ البحارُ وتكسَّرتِ الأقلامُ ولم يلحقِ الفَناءُ كلماتِ الله ؛ كما لا يلحقُ الفَناء علمَ الله ؛ لأنَّ مَنْ فنيَ كلامُهُ لحقتْهُ الآفاتُ وجرى عليه السكوتُ ، فلمَّا لم يجرِ ذلك على ربنا صحَّ أنَّهُ لم يزلْ مُتكلِّماً ولا يزالُ مُتكلِّماً ، قد نفى النفادَ عن كلامه كما نفى الهلاكَ عن وجهه(١)

وأما قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير : ١٩] معناه : قولٌ تلقَّاهُ عن رسولٍ كريمٍ ، أو سمعَهُ مِنْ رسولٍ كريمٍ ، أو نزلَ به رسولٌ كريمٌ ، فقد قال : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] ، فأثبت أنَّ القرآنَ كلامُ الله عزَّ وجلَّ ، ولا يكون شيءٌ واحدٌ كلاماً للرسول وكلاماً لله ؛ دلَّ أنَّ المرادَ بالأوَّلِ ما قلنا .

وقوله : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] **معناه** : سمَّيناهُ قرآناً عربياً ، أو أنزلناه مع المَلَكِ الذي أسمعناه إيَّاهُ حتى نزل به بلسان العرب ؛ ليعقِلُوا معناه ، وهو كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل : ٦٢] يعني

---

(١) ردَّ المصنف هنا على القائلين بحدوث كلامه وتجويز آفة السكوت عليه جلَّ وعزَّ ، فهو سبحانه وتعالى متكلِّمٌ أزلاً وأبداً بكلام قديم لا يُتصور فيه الانقطاعُ والتغيُّر ، وكلُّ نصٍّ يوهم خلاف ذلك يحمل على الذكر المحدث في نحو قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى : ٩].
وقال الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الكبرى » (ص ٣٧٩) : (ليس معنى «كلم موسى تكليما» : أنه ابتدأ الكلام له بعد أن كان ساكتاً ، ولا أنه بعد ما كلمه انقطع كلامه وسكت ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وإنَّما المعنى : أنَّه تعالى بفضله أزال المانع عن موسى عليه السلام وخلق له سمعاً وقواه حتى أدرك به كلامه القديم ، ثم منعه بعد ذلك وردَّه إلى ما كان قبل سماع كلامه ، وهذا معنى كلامه لأهل الجنة) .

يصفون لله ما يكرهون ، ولم يردْ به الخَلْقَ .

وقوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢] ، يحتملُ أن يكون معناه : ذكراً غيرَ القرآن ؛ وهو كلامُ الرسول ووعظه إيَّاهُم بقوله : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] ، ولأنَّهُ لم يقلْ : (لا يأتيهم ذكر إلا كان مُحدَثاً) ، وإنَّما قال : (لا يأتيهم ذكرٌ محدثٌ إلا استمعوه وهم يلعبون) ؛ فَدَلَّ : أنَّ ذكراً غيرُ مُحدَثٍ ، ثمَّ إنَّهُ إنَّما أراد : ذكرَ القرآن لهم ، وتلاوتَهُ عليهم ، وعلمَهم به ؛ وكلُّ ذلك محدَثٌ ، والمذكورُ المتلُوُّ المعلوم غيرُ مُحدَثٍ ، كما أنَّ ذكرَ العبد لله وعلمَه به وعبادَته له . . محدَثٌ ، والمذكور المعلومُ المعبود غيرُ محدَثٍ ، وحين احتُجَّ به على أحمدَ بن حنبلٍ رحمه الله قال أحمدُ بن حنبل : (قد يحتمل أن يكون تنزيلُهُ إلينا هو المُحدَثَ ، لا الذكرُ نفسُهُ مُحدَثٌ)(١)

قال الشيخ أحمد :

وهذا الذي أجابَ به أحمدُ بن حنبل ظاهرٌ في الآية ، فإتيانُهُ : تنزيلُهُ على لسان المَلَكِ الذي أتى به ، والتنزيلُ مُحدَثٌ .

وأمَّا تسميةُ عيسى بكلمة الله : فعلى معنى : أنَّهُ صار مُكوَّناً بكلمة الله من غير

---

(١) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٢٩٧) ، وقال بعده : (والذي يدلُّ على صحة تأويل أحمدَ بن حنبل رحمه الله ما حدثنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فورك . . . ، عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلَّمت عليه ، فلم يردَّ علي ، فأخذني ما قدم وما حدث ، فقلت : يا رسول الله ؛ أحدثَ فيَّ شيءٌ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحْدِثُ لنبيِّهِ مِنْ أمرِهِ ما شاءَ ، وإنَّ ممَّا أَحْدَثَ : أَلَّا تَكَلَّمُوا في الصلاةِ » ، في هذا بيانٌ واضحٌ لما قدَّمنا ذكره ؛ حيث قال : « يحدثُ لنبيِّهِ » ، وبالله التوفيق) ، ونقله عنه الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ٣٦١) ، وانظر « تفسير الطبري » (١٨/ ٤٠٩) ، و« شرح السنة » للبغوي (١/ ١٨٢) ، و« فتح الباري » (١٣/ ٤٥٤) ، و« إرشاد الساري » (١٠/ ٤٥٥) .

أبٍ ، كما صار آدمُ مُكوَّناً بكلمة الله من غير أبٍ ولا أمٍّ ، وقد بيَّنَه بقوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٥٩]

وقد روينا في الحديث الصحيحِ عن عمرانَ بن حُصينٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »[١] ، والقرآن فيما كُتبَ في الذكر ؛ لقوله عزَّ وجلَّ : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج : ٢١ـ ٢٢] ، وفي ذلك دلالة على قِدَمِ القرآن ووجوده قبل وقوع الحاجةِ إليه ؛ ممَّا يدلُّ على ذلك الحديثُ الصحيحُ الذي :

٣٨ـ [أخبرَناه محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ ، وأبو الفضل بن إبراهيم قالا : حدثنا أحمد بن سلمةَ ، حدثنا إسحاقُ بن موسى الأنصاريُّ][٢] ، حدثنا أنسُ بن عياض ، حدثنا الحارثُ بن أبي ذُبابٍ ، عن يزيدَ بن هرمز ، وعن عبد الرحمن الأعرج ، قالا : سمعنا أبا هريرةَ يقول : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ٱحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ رَبِّهِمَا ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ؛ فَقَالَ مُوسَى : أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الأَرْضِ ؟! قَالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَى الَّذِي ٱصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاتِهِ وَكَلاَمِهِ ، وَأَعْطَاكَ الأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَقَرَّبَكَ نَجِيّاً ؟! فَبِكَمْ وُجِدَتِ التَّوْرَاةُ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ قَالَ مُوسَى : بِأَرْبَعِينَ عَاماً ، قَالَ آدَمُ : فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه : ١٢١] ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَفَتَلُومُنِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَعْمَلُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟! » ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى »[٣]

---

(١) رواه البخاري (٣١٩١) .

(٢) ما بين معقوفين سقط من (أ ، ب) ، وأثبت من سائر النسخ .

(٣) ورواه البخاري (٣٤٠٩ ، ٦٦١٤) ، ومسلم (١٥/ ٢٦٥٢)

وهذا التاريخُ يَرجع إلى إظهارِهِ ذلك لمَنْ شاءَ مِنْ ملائكتِهِ ، وفي ذلك مع الآية دلالةٌ على وجوده قبل وقوعِ الخطيئة مِنْ آدمَ عليه السلامُ .

فكلامُ الله تعالى موجودٌ فيما لم يزلْ ، موجودٌ فيما لا يزالُ ، وبإسماعِهِ كلامَهُ مَنْ شاء من ملائكته ورسلِهِ وعباده متى شاءَ . . صار كلامُهُ مسموعاً له بلا كيف[1] ، والمسموعُ كلامُهُ الذي لم يزلْ ولا يزالُ موصوفاً به ، وكلامُهُ لا يشبهُ كلامَ المخلوقين ، كما لا تشبهُ سائرُ أوصافه أوصافَ المخلوقين ، وبالله التوفيق .

٣٩ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسنُ بن أحمد بن إبراهيم بن شاذانَ ببغدادَ ، أخبرَنا حمزةُ بن محمد بن العباس ، حدثنا العباسُ بن محمد الدُّوريُّ ، حدثنا محمدُ بن كثيرٍ العَبْديُّ ، أخبرَنا إسرائيلُ ، حدثنا عثمانُ بن المغيرةِ ، عن سالمٍ ـ يعني : ابنَ أبي الجَعْد ـ ، عن جابرِ بن عبد الله قال : لمَّا أُمِرَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يبلِّغَ الرسالة . . جعل يقول : « **يَا قَوْمِ ؛ لِمَ تُؤْذُونَنِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي ؟!** »[2] ؛ يعني : القرآنَ .

٤٠ـ أخبرَنا الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرَنا محمدُ بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا العباسُ بن عبد العظيم ، حدثنا الأحوصُ بن جَوَّاب ، حدثنا عمَّارُ بن رُزَيق ، عن أبي إسحاقَ ، عن الحارثِ وأبي ميسرةَ ، عن عليٍّ رضي الله عنه ، عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ كان يقول عند مضجعِهِ : « **اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ ، اللَّهُمَّ ؛ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ** »[3]

---

(١) وهذا الإسماع هو المعبَّرُ عنه ـ كما سبق تعليقاً ـ برفع المانع عن السامع .

(٢) ورواه أبو داود (٤٧٣٤) ، والترمذي (٢٩٢٦) وقال : (حديث حسن صحيح) .

(٣) ورواه أبو داود (٥٠٥٢) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٧٦٨٥)

فاستعاذَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الخبر وغيرِه[1] بكلماتِ الله كما استعاذ بوجهِهِ الكريم ، وكما أنَّ وجهَهُ الذي استعاذَ به غيرُ مخلوقٍ . . فكذلك كلماتُه التي استعاذَ بها غيرُ مخلوقةٍ

وكلامُ الله واحدٌ لم يزلْ ولا يزالُ ، وإنَّما جاء بلفظ الجمع على معنى التعظيم ؛ كقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩][2] ، وإنَّما سمَّاها تامَّةً ؛ لأنَّهُ لا يجوزُ أن يكون في كلامه عيبٌ أو نقصٌ كما يكونُ ذلك في كلامِ الآدميين .

٤١ـ أخبـرَنـا أبـو طـاهـر الفقيـه ، أخبـرَنـا أبـو طـاهـرٍ محمـدُ بـن الحسـن المُحَمَّداباذِيُّ[3] ، حدثنا حامدُ بن محمود ، حدثنا إسحاقُ بن سليمانَ الرازيُّ ، قال : سمعتُ جرَّاحَ الكنديَّ ، عن علقمةَ بن مَرْثَدٍ ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميِّ ، عن عثمانَ بن عفَّانَ رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « خِيَارُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

قال أبو عبد الرحمن : (فذاك الذي أجلسني هذا المجلس) ـ وكانَ يُقرئُ القرآنَ ـ ، قال : « وَفَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ الرَّبِّ عَلَى خَلْقِهِ ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّهُ مِنْهُ »[4]

---

(١) كما تقدم (ص ١٣٣) .

(٢) فكما أنه تعالى عظَّم ذاته بضمير الجمع في الموضعين من الآية . . فكذلك عظَّم كلامه الذي هو صفته بالجمع في الحديث ، وانظر ما تقدم (ص ١٣٣) .

(٣) كذا ضبطه ابن الأثير في « اللباب » (٣/ ١٧٥) ، وعند الحافظ السمعاني في « الأنساب » (١٢/ ١٢٠) : (المُخمَدَاباذي) .

(٤) ورواه البخاري (٥٠٢٧) دون زيادة قوله : (وفضل القرآن . . .) ، وإنما روى هذا الحديث بهذه الزيادة أيضاً ابن الضريس في « فضائل القرآن » (١٣٨) ، وانظر « فتح الباري » (٩/ ٦٦) .

قال الشيخ :

قوله : (بأنه منه) يريد به : أنَّهُ من صفاتِهِ[1]

٤٢ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أبو أسامةَ الكلبيُّ ، حدثنا شهابُ بن عبَّادٍ ، حدثنا محمدُ بن الحسن بن أبي يزيدَ ، عن عمرو بنِ قيسٍ ، عن عطيَّةَ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كَلامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ** »[2]

قال أصحابنا : (ولمَّا كان مِنْ فضل الله على خلقه أنَّهُ قديمٌ غيرُ مخلوقٍ . . كان مِنْ فضل كلامِهِ على كلام خلقه أنَّهُ لم يزلْ غيرَ مخلوقٍ) .

٤٣ـ أخبرَنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، أخبرَنا أحمدُ بن عبيد الصَّفَّارُ ، حدثنا

---

(١) ومثل ذلك : الحديثُ الذي رواه الترمذي (٢٩١٢) عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّكم لن تَرجِعوا إلى اللهِ بأفضلَ ممَّا خَرَجَ منهُ » ؛ يعني : القرآنَ .
قال المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٣٠٥) : (وقوله : « خرج منه » يريد : أنه وُجد منه ؛ بأن تكلَّم به ، وأنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأفهمه عباده ، وليس ذلك الخروج ككلامنا ؛ فإنه عز وجل صمدٌ لا جوفَ له، تعالى الله عن شبه المخلوقين علواً كبيراً ، وإنما كلامه صفةٌ له أزلية موجودة بذاته ، لم يزل كان موصوفاً به ، ولا يزال موصوفاً به ، فما أفهمه رسله وعلَّمهم إياه ، ثم تلوه علينا وتلونا ، واستعملنا مُوجَبَه ومقتضاه . . فهو الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فيما روينا عنه ، وبالله التوفيق) .
وقال العلامة الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٢/٥٥٦) في شرح هذا الحديث : (قال البخاري : خروجُهُ منه ليس كخروجه منك إن كنت تفهم ، وقال ابن فورك : الخروج : خروجُ جسم من جسم ؛ بمفارقة محلِّهِ واستبدالِهِ محلاً آخر ، وذا محالٌ هنا ، وظهور شيء من شيء ؛ يقال : خرج لنا من كلامك نفعٌ ، وهو المراد هنا ؛ أي : ما أنزل الله على نبيه ، وقيل : ضمير « منه » يعود للعبد ، وخروجه منه : وجوده بلسانه ، محفوظاً بصدره ، مكتوباً بيده) .

(٢) ورواه الترمذي (٢٩٢٦) وقال : (حديث حسن غريب) .

عبدُ الله بن أحمدَ بن حنبل ، حدثنا أبو مَعمَرٍ الهذليُّ ، عن سريجِ بن النُّعمان ، حدثني عبدُ الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروةَ بن الزبير ، عن نِيَارِ بن مُكرَم : أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه قرأَ عليهم ؛ يعني : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [الروم : ١-٢] ، فقالوا : كلامُكَ هذا ، أم كلامُ صاحبِكَ ؟ قال : ليس بكلامي ولا كلامِ صاحبي ، ولكنَّهُ كلامُ الله عزَّ وجلَّ(١)

٤٤- أخبرَنا أبو عليٍّ الحسين بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرَنا أبو بكر بن دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا إبراهيمُ بن موسى ، حدثنا ابنُ أبي زائدة ، عن مُجالِدٍ ، عن عامرٍ - يعني : الشعبيَّ - ، عن عامرِ بن شَهْر قال : كنتُ عند النجاشيِّ ، فقرأ ابنٌ له آيةً مِنَ الإنجيل ، فضحكتُ ، فقال : أتضحكُ من كلامِ الله عزَّ وجلَّ ؟!(٢)

٤٥- أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو زكريا العنبريُّ ، حدثنا محمدُ بن عبد السلام ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم ، أخبرَنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن هلالِ بن يِسَافٍ ، عن فَروةَ بن نوفلٍ الأشجعيِّ قال : كنتَ جاراً لخبَّابِ بن الأرتِّ ، فخرجنا مرة مِنَ المسجد ، فأخذ بيدِي فقال : (يا هَنَاهُ ؛ تقرَّبْ إلى الله بما استطعتَ ، وإنَّكَ لن تَقَرَّبَ إليه بشيءٍ أحبَّ إليه مِنْ كلامِهِ)(٣)

---

(١) ورواه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٧/ ٤٤٢) ، والواحدي في تفسيره « الوسيط » (٣/ ٤٢٨) ، وصحَّح إسناده المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٣٠٩) ، وأصل الحديث عند الترمذي (٣١٩٤) عن البخاري ، وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح) ، وانظر « فتح الباري » (١٣/ ٤٥٤) .

(٢) ورواه أبو داود (٤٧٣٦) ، وفيه روايته عن إسماعيل بن عمر ، عن إبراهيم بن موسى ، وهو يروي عن الأخير مباشرة أيضاً

(٣) ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٢٢)، والحاكم في « المستدرك » (٤٤١/٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٢٧٢) ، وصحَّحَ إسناده المصنف في « الأسماء والصفات » (ص٣١٠) ، وقوله : (يا هناه) ، هَنٌ : كلمةٌ يُكنى بها عن اسمِ الإنسانِ ، ويجوز في الهاء آخرَها الكسرُ لالتقاء الساكنين ، والضمُّ بتقدير أنَّها آخر الاسم .

٤٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا الحسنُ بن علي بن عفَّانَ ، حدثنا ابنُ نمير ، حدثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن عبد الرحمن بن عابس ، حدثني ناسٌ[١] ، عن عبدِ الله بن مسعود : أنَّهُ كان يقولُ في خطبته : (إنَّ أصدقَ الحديث كلامُ الله عزَّ وجلَّ)[٢]

٤٧ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد المقرئُ ، أخبرَنا أبو عمرو أحمدُ بن محمد بن عيسى الصَّفَّارُ ، حدثنا أبو عوانةَ ، حدثنا عثمانُ بن خُرَّزَاذَ ، حدثنا خالدُ بن خِدَاش ، حدثني ابنُ وهْب ، أخبرَنا يونسُ بن يزيد ، عن الزهريِّ قال : قال عمرُ رضي الله عنه : (القرآنُ كلامُ الله)[٣]

وروي أيضاً عن أبي الزَّعرَاءِ ، عن عمرَ رضي الله عنه[٤]

٤٨ـ أخبرَنا أبو بكرِ بنُ الحارث الفقيهُ ، أخبرَنا أبو محمدِ بنُ حيَّانَ ، حدثنا محمدُ بن العباس بن أيوبَ ، حدثنا أبو عمرَ بن أيوبَ الصَّرِيفِينِيُّ ، حدثنا سفيانُ بن عيينةَ ، حدثنا إسرائيلُ أبو موسى[٥] قال : سمعت الحسنَ يقول : قال أميرُ المؤمنين عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه : (لو أنَّ قلوبَنا طَهُرَتْ . . ما شبعنا من كلام ربِّنا ، وإنِّي لأكرهُ أن يأتيَ عليَّ يومٌ لا أنظرُ في المصحف)[٦]

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي (و) : (أناسٌ) ، ومن صحَّفها إلى (إياس) فقد أبعد

(٢) ورواه ابن أبي شيبة (٣٥٦٩٤) ، والبخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٤٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ٩٧) .

(٣) ورواه الآجري في « الشريعة » (١٥٥) ، وذكر المصنف طرقه في « الأسماء والصفات » (ص ٣١١) .

(٤) ورواه أيضاً من هذا الطريق الدارمي في « سننه » (٣٣٩٨) .

(٥) كذا في (أ ، ب) ، وفي (و) : (ابن موسى) بدل (أبو موسى) ، وكلاهما صواب ؛ لأن إسرائيل بن موسى يكنى بأبي موسى .

(٦) ورواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٧٧٥ ، ٧٧٦) ، و« الزهد » (٦٨٠ ، ٦٨١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٣٠٠) .

ورويْنا في كتاب « الأسماء والصفات » ، عن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال : (ما حَكَّمتُ مخلوقاً ، ما حَكَّمتُ إلَّا القرآنَ)[١]

وعن عكرمةَ قال : صلَّى ابنُ عباس على جنازة ، فقال رجلٌ من القوم : اللهمَّ ، ربَّ القرآن العظيم ؛ اغفرْ له ، فقال ابنُ عباس : ثَكِلَتْكَ أمُّكَ ! إنَّ القرآنَ منه[٢] .

(إنَّ القرآن منه) يعني : أنَّهُ من صفاتِهِ .

٤٩ـ أخبرَنا أبو منصورِ الفقيهُ ، أخبرَنا أبو أحمدَ الحافظُ ، أخبرَنا أبو عَروبةَ السُّلَميُّ ، قال : حدثنا ابنُ شَبيب ، حدثنا الحكمُ بن محمد ، حدثنا سفيانُ بن عيينةَ ، عن عمرو بن دينار قال : سمعتُ مشيختَنا[٣] منذ سبعين سنةً يقولون .

قال أبو أحمدَ : (ح)[٤] وأخبرنا محمدُ بن سليمان بن فارسٍ واللفظُ له ، حدثنا محمدٌ ـ يعني : ابنَ إسماعيلَ البخاريَّ ـ ، قال : الحكم بن محمد أبو مروان الطبريُّ حدثناه ، سمعَ سفيانَ بن عيينةَ قال : أدركتُ مشيختَنا منذ سبعينَ سنةً[٥]

(١) الأسماء والصفات (ص ٣١٣) ، وقال : (هذه الحكاية عن علي رضي الله عنه شائعةٌ فيما بين أهل العلم ، ولا أُراها شاعت إلا عن أصل ، والله أعلم) ، ورواه اللالكائي في « السنة » (٣٧٠) وما بعده ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٢٢٣) .

(٢) رواه المصنف بسنده في « الأسماء والصفات » (ص ٣١١) ، ورواه ابن بطة في « الإبانة الكبرى » (٤٠) ، واللالكائي في « السنة » (٣٧٦) .
وهناك توجيه آخر، تدركه مما رواه الترمذي (٢٨٨٣) من حديث سيدنا نواس بن سمعان مرفوعاً: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يا ربِّ؛ حَلِّهِ. . . » الحديث، وهنا لا يفسر القران بالصفة القديمة .

(٣) في (ب) هنا وفي الموضع الآتي : (مشايخنا) ، وكلٌّ بمعنىً .

(٤) رمز التحويل زيادة من (و) فقط ، **وأبو أحمد** هنا : هو محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي المعروف **بالحاكم الكبير** صاحب كتاب « الأسماء والكنى » ، والراوي عنه ـ وهو من شيوخ المصنف ـ **هو الأستاذ الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي الإسفرايني** صاحب كتاب « الفرق بين الفرق » و« فضائح الكرامية » وغيرها ، وخليفةُ شيخه **الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني** .

(٥) قال اللالكائي في « السنة » (٣٩٦) : (ولقد لقي ابن عيينة نحواً من مئتي نفس من التابعين =

ـ منهم عمرو بن دينار ـ يقولون : (القرآنُ ؛ كلامُ الله . . ليسَ بمخلوقٍ) .

هكذا وقعت هذه الحكايةُ في « تاريخ البخاري »[1] ، عن الحكم بن محمد ، عن سفيان : (أدركتُ . . .) .

ورواه غيرُهُ عن الحكم عن سفيان ، عن عمرو أنَّهُ قال : (سمعتُ . . .)[2]

وكذلك رواه الحميديُّ وغيرُهُ ، عن سفيان ، عن عمرو أنَّهُ قال : (أدركتُ . . .)[3] .

ومشايخُ عمرو بن دينار جماعةٌ من الصحابة ، ثم أكابر التابعين ؛ فهو حكايةُ إجماعٍ منهم[4]

٥٠ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن أحمد بن أبي طاهر الدَّقَّاقُ ببغدادَ ، حدثنا أحمدُ بن عثمان الآدَميُّ ، حدثنا ابنُ أبي العَوَّام ، حدثنا موسى بن داود الضَّبِّيُّ ،

= من العلماء ، وأكثر من ثلاث مئة من أتباع التابعين من أهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن) .

(١) التاريخ الكبير (٢/ ٣٣٨) (٢٦٦٦) ، ورواه أيضاً في « التاريخ الأوسط » (٢/ ٣٢٧) (٢٧٧٧) ، وفي « خلق أفعال العباد » (ص ٢٩) ، واللالكائي في « السنة » (٣٨٦ ، ٣٩٦) .

(٢) رواه البغوي في « شرح السنة » (١/ ١٨٦) .

(٣) رواه اللالكائي في « السنة » (٣٨١ ، ٣٨٣) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٢٤/ ١٨٦) .

(٤) وروى اللالكائي في « السنة » (٣٨٠) عن عمرو بن دينار قال : (أدركتُ تسعةَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : مَنْ قال : القرآن مخلوق . . فهو كافر) .

وقال المصنف رحمه الله تعالى في « شعب الإيمان » (١/ ٣٣١) : (مشيخةُ عمرو بن دينار جماعةٌ من الصحابة ؛ منهم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن الزبير ، وأكابر التابعين) .

ونقل في « السنن الكبرى » (١٠/ ٢٠٥) عن إسحاق بن راهويه رحمه الله قال : (وقد أدرك عمرو بن دينار أجلَّةَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البدريين والمهاجرين والأنصار ؛ مثل جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وأجلَّة التابعين ، وعلى هذا مضى صدرُ هذه الأمة) .

عن معبدٍ أبي عبد الرحمن ، عن معاويةَ بن عمار قال : سمعت جعفرَ بن محمد ، فقلت : إنَّهم يسألوننا عن القرآن : أمخلوقٌ هوَ ؟ قال : ليس بخالقٍ ولا مخلوقٍ ، ولكنَّه كلامُ الله عزَّ وجلَّ[(١)]

وكذلك رواه سُويد بن سعيد ، عن معاويةَ بن عمَّار ، عن جعفرٍ الصادق .

وكذلك رواه قيسُ بن الربيع ، عن جعفرٍ ، فهو عن جعفرٍ صحيحٌ مشهور[(٢)]

وقد روي ذلك عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين[(٣)]

وروي عن الزهري ، عن علي بن الحسين[(٤)]

ورويناه من أوجه عن مالك بن أنس[(٥)]

وهو مذهب كافة أهل العلم قديماً وحديثاً ، وقد ذكرنا أساميَ أئمَّتِهم وكبرائِهم الذين صرَّحوا بهذا ورأوا استتابة مَنْ قال بخلافه . . في كتاب « الأسماء والصفات »[(٦)]

وروينا عن محمد بن سعيد بن سابقٍ أنَّهُ قال : سألت أبا يوسفَ فقلتُ : أكان

---

(١) ورواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٤٤) ، و« التاريخ الكبير » (٧/ ٤٠٠) (١٧٤٧) ، والآجري في « الشريعة » (١٥٩) ، والبغوي في « شرح السنة » (١/ ١٨٧) ، والقائل : هو جعفر الصادق ابن محمد الباقر رحمهما الله تعالى .

(٢) ورواه المصنف بطرقه في « الأسماء والصفات » (ص ٣١٥) .

(٣) رواه اللالكائي في « السنة » (٣٨٧ ، ٣٨٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣/ ١٨٨) .

(٤) رواه اللالكائي في « السنة » (٣٨٩) .

(٥) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٣١٨) ، وفي « السنن الكبرى » (١٠/ ٢٠٦) ، ورواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (٣٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/ ٣٢٥) ، والحافظ ابن عبد البر في « الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » (ص ٧١) .

(٦) الأسماء والصفات (ص ٣٠٩)

أبو حنيفةَ يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال : معاذَ اللهِ ! ولا أنا أقوله[١]

٥١ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا عبدُ الله بن محمد الفقيهُ ، أخبرَنا أبو جعفر الأصبهانيُّ ، أخبرَنا أبو يحيى السَّاجيُّ إجازةً قال سمعتُ أبا شعيب المصريَّ يقول : سمعت محمدَ بن إدريس الشافعيَّ يقول : (القرآنُ ؛ كلامُ اللهِ . غيرُ مخلوقٍ)

وبمعناه رواه الربيع بن سليمان ، عن أبي شعيب ، عن الشافعيِّ[٢]

وقد ذكر الشافعيُّ رحمه الله ما دلَّ على أنَّ ما نتلُوهُ من القرآن بألسنتِنا ، ونسمعُهُ بآذانِنا ، ونكتبُهُ في مصاحفِنا . . يُسمَّى : كلامَ الله عزَّ وجلَّ ، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ كلَّمَ به عباده ؛ بأنْ أرسلَ به رسولَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم[٣]

وبمعناه ذكره أيضاً عليُّ بن إسماعيلَ في كتابه « الإبانة »[٤]

قال الشافعي في كتاب (الجزية) : (من جاء من المشركين يسأل ـ يعني : الإمام ـ أن يجيرَهُ حتى يسمع كلام الله ثم يُبلِغَهُ مأمنَهُ . . كان ذلك فرضاً على الإمام ؛ لقول الله لنبيه صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة : ٦])[٥]

وقال في كتاب (الأيمان) فيمن حلف لا يُكلِّمُ رجلاً فأرسل إليه رسولاً :

---

(١) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٣٢١) ، وقال : (رواته ثقات) ، واللالكائي في « السنة » (٤٧٠) وما بعده .

(٢) ورواه الآجري في « الشريعة » (١٧٦) ، واللالكائي في « السنة » (٤١٨) وما بعده ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (١/ ١٨٧) .

(٣) ورواه اللالكائي في « السنة » (٤٥٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٢) .

(٤) الإبانة (ص ١٠٠) ، وسيأتي نقل نصِّه قريباً .

(٥) انظر « الأم » (٤/ ٢٠٠) .

(مَنْ قال : يحنثُ . . ذهب إلى أنَّ الله تعالى قال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى : ٥١]) ، وقال : (إن الله تعالى يقول للمؤمنين في المنافقين : ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [التوبة : ٩٤] ، وإنَّما نبَّأهم مِنْ أخبارهم بالوحي الذي تنزَّلَ به جبريلُ عليه السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ويخبرُهم النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بوحي الله) .

قال : (ومَنْ قال : لا يحنث . . قال : إنَّ كلام الآدميين لا يُشْبِهُ كلامَ الله عزَّ وجلَّ ، كلامُ الآدميين بالمواجهة) وذكر باقي المسألة[1]

٥٢ـ وهو فيما قرأته على أبي سعيد بن أبي عمرو في هذين الكتابينِ : أنَّ أبا العباس محمدَ بن يعقوبَ حدَّثَهم ، أخبرَنا الربيع بن سليمان ، أخبرَنا الشافعيُّ ، فذكره .

فقد سَمَّى الشافعيُّ رحمه الله على القولين جميعاً ما يُسمَعُهُ[2] من القرآن كلامَ الله ، وأنَّ الله َكلَّمَ به عبادَه ؛ بأنْ أرسل به رسولَه صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأنَّ كلامَ الآدميين وإن كان يكونُ بالمواجهة في الحكم في أحد القولين . . فكلامُ الله تعالى عبادَهُ قد يكون بالرسالة والوحي كما جاء به الكتابُ ؛ ويُسمَّى ذلك كلاماً وتكليماً ، والله أعلم .

وقال أبو الحسن عليُّ بن إسماعيل رحمه الله تعالى في كتابه : (فإن قال قائل : حدثونا ؛ أتقولون : إنَّ كلامَ الله في اللوح المحفوظ ؟

---

(١) انظر « الأم » (٧/ ٨٤) ، و« السنن الكبرى » للمصنف (١٠/ ١٠٨) ، وقوله : (الآدميين بالمواجهة) فسَّرها بقوله بعدُ : (ألا ترى لو هجر رجل رجلاً كانت الهجرة محرمةً عليه فوق ثلاث ، فكتب إليه ، أو أرسل إليه وهو يقدر على كلامه . . لم يخرجه هذا من هجرته التي يأثم بها) ، أما كلام الله فيكون مكتوباً وموحىً به ويكون بالرسالة وهو كلامه .

(٢) كذا ضبطت في (ب) دون فتح الميم .

قيل له نقول ذلك ؛ لأنَّ الله قال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢٢] ؛ فالقرآنُ في اللوح المحفوظ ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم ؛ قال الله : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] ، وهو متلُوٌّ بالألسنة ؛ قال الله : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾ [القيامة ١٦] ، فالقرآن مكتوبٌ في مصاحفنا في الحقيقة ، محفوظٌ في صدورنا في الحقيقة ، متلُوٌّ بألسنتنا في الحقيقة ، مسموعٌ لنا في الحقيقة ؛ كما قال : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦])[١]

٥٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ في « التاريخ » ، حدثنا أبو بكر محمدُ بن أبي الهيثم المُطَّوِّعِيُّ ببخارى ، حدثنا محمدُ بن يوسف الفربريُّ قال : سمعت أبا عبد الله محمدَ بن إسماعيلَ البخاريَّ يقول : سمعتُ عبيدَ الله بن سعيد[٢] ـ يعني : أبا قُدامة ـ يقول : سمعتُ يحيى بن سعيد ـ يعني : القطَّان ـ يقول : ما زلتُ أسمعُ أصحابنا يقولون : أفعالُ العباد مخلوقةٌ[٣]

قال أبو عبد الله البخاري : حركاتُهُم وأصواتُهُم واكتسابُهُم وكتابتُهُم . . مخلوقةٌ ، فأمَّا القرآن المتلُوُّ المبينُ ، المثبتُ في المصاحف ، المسطورُ المكتوبُ ، المُوعَى في القلوب . . فهو كلامُ الله ليس بخَلْقٍ[٤] ، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

قال الشيخ :

وهذا القولُ لا يخالف قولَ أحمد بن حنبل رحمه الله ؛ فقد روينا عنه في

---

(١) الإبانة (ص ١٠٠) .

(٢) في (ب ، و) : (عبد الله) بدل (عبيد الله) ، والمثبت هو الصواب .

(٣) ورواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٤٧) ، وانظر « الأسماء والصفات » للمصنف (ص ٣٣٢) .

(٤) كذا في (أ ، ب) ومصادر التخريج ، فقوله : (بخَلْق) المصدر هنا بمعنى اسم المفعول ، وفي بعض النسخ : (بمخلوق) .

كتاب « الأسماء والصفات »[1] أنَّهُ أنكر على أبي طالبٍ تلميذِهِ قولَهُ : (لفظي بالقرآن غيرُ مخلوق) ، وكرهَ الكلامَ في اللفظ

٥٤ـ سمعتُ أبا عمرو الأديبَ يقول : سمعتُ أبا بكر الإسماعيليَّ يقول : سمعتُ عبد الله بن محمد بن ناجِيَةَ يقول : سمعتُ عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ يقول : سمعت أبي يقول : (من قال : لفظي بالقرآن مخلوقٌ ؛ يريد به القرآنَ . . فهو كافرٌ)[2]

قال الشيخ رضي الله عنه :

فإنما أنكر قول مَنْ تذرَّعَ بهذا إلى القول بخلق القرآن ، وكان يَستحبُّ ترك الكلام فيه لهذا المعنى ، والله أعلم .

* *

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٢٥٦) ، وروى الحكاية أبو بكر الخلال في « السنة » (٢١٥٣) وما بعده مطولة .

(٢) ورواه ابن شاهين في « شرح مذاهب أهل السنة » (٢٨) ، واللالكائي في « السنة » (٦٠٠) .

قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١١/٢٨٨) : (الذي استقرَّ الحال عليه : أن أبا عبد الله كان يقول : « من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق . . فهو مبتدع » ، وأنه قال : « من قال : لفظي بالقرآن مخلوق . . فهو جهمي » ، فكان رحمه الله لا يقول هذا ولا هذا ، وربما أوضحَ ذلك فقال : « من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ؛ يريد به القرآن . . فهو جهمي ») .

وقال القاضي الباقلاني في « رسالة الحرة » المطبوع باسم « الإنصاف » (ص ٧١) : (ولا يجوز أن يقول أحدٌ : لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ، ولا : إنِّي أتكلَّم بكلام الله) .

باب
القول في الاستواء

قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه ٥] ، والعرش : هو السريرُ المشهور فيما بين العقلاء[1]

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود : ٧] .

وقال : ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

وقال : ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج : ١٥] .

وقال : ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر : ٧٥] .

وقال : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ . . .﴾ [غافر : ٧] الآيةَ .

وقال : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٧] .

وقال : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

---

(١) وانظر « تفسير الطبري » (٢١/ ٣٦٣) ، و« تفسير الرازي » (١٤/ ٢٦٩) (٢٢/ ٩) (٣١/ ١١٤) ، و« تفسير القرطبي » (٣/ ٢٧٧) ، (١٥/ ٢٩٤) ، و« تفسير روح المعاني » عند الآية (٥) من سورة (طه) ، وقد قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٥/ ٢٤٩) : (وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلكٌ مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ، وربما سمَّوه الفلكَ التاسع والفلكَ الأطلس ، قال ابن كثير : وهذا ليس بجيد ؛ لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل ، وأيضاً فإن العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك ، وليس هو فلكاً ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وكالقبة على العالم ، وهو سقف المخلوقات) .

وقال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد : ٢] .

وقال : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان : ٥٩] .

وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٨] .

وقال : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل : ٥٠] .

وقال : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

إلى سائر ما ورد في هذا المعنى(١)

وقال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك ١٦] ، **وأراد** : مَنْ فوقَ السماء ، كما قال ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه : ٧١] **يعني** : على جذوع النخل ، وقال : ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [التوبة : ٢] **يعني** : على الأرض ، وكلُّ ما علا فهو سماءٌ ، والعرشُ أعلى السماوات ، فمعنى الآية والله أعلم : (أأمنتم مَنْ على العرش) ، كما صَرَّح به في سائر الآيات(٢)

٥٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا بكرُ بن محمد بن حمدانَ ، حدثنا محمدُ بن غالب ، حدثنا سعدُ بن عبد الحميد بن جعفر ، حدثنا فُلَيح بن سليمانَ ، عن هلالِ بن علي ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في حديثٍ ذكره : « **فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ**(٣) **مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** ،

---

(١) **يعني** : من ذكر ووصف العرش ، ووصفه جلَّ جلاله بصفة العلو والاستواء .

(٢) وهو بتعيين معنىً لـ (مَنْ) ، وبتأويل معنى (في) بـ (على) في الآية ، وإلا . . فكما نقل الإمام الرازي في « تفسيره » (٣٠/ ٥٩٢) عن أبي مسلم الأصبهاني قال : (كانت العرب مقرِّين بوجود الإله ، لكنهم كانوا يعتقدون أنه في السماء على وَفْقِ قول المشبهة ، فكأنه تعالى قال لهم : أتأمنون مَنْ قد أقررتم بأنه في السماء ، واعترفتم له بالقدرة على ما يشاء . . أن يخسف بكم الأرض) .

(٣) في (ب) وحدها : (فإن لي في الجنة . . .)

فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ »(١)

٥٦ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن خالد بن خَلِيٍّ ، حدثنا بشرُ بن شُعيب بن أبي حمزةَ ، عن أبيه ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ ـ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ـ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي** »(٢)

والأخبارُ في مثل هذا كثيرةٌ ، وفيها وفيما كتبنا مِنَ الآيات دلالةٌ على إبطال قولِ مَنْ زعم مِنَ الجَهمِيَّةِ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى بذاتِهِ في كلِّ مكان ، وقولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] إنما أراد به : بعلمه ، لا بذاته(٣)

ثم المذهبُ الصحيحُ في جميع ذلك : الاقتصارُ على ما ورد به التوقيفُ دون التكييف ، وإلى هذا ذهبَ المتقدِّمون من أصحابنا ومَنْ تبعهم مِنَ المتأخرين ، وقالوا : الاستواءُ على العرش قد نطقَ به الكتابُ في غيرِ آية ، ووردَتْ به الأخبار الصحيحةُ ، فقَبولُهُ مِنْ جهة التوقيف واجبٌ ، والبحثُ عنه وطلبُ الكيفيَّةِ له غيرُ جائزٍ .

٥٧ـ أخبرَنا أبو بكر أحمدُ بن محمد بن الحارث الفقيهُ ، أخبرنا أبو محمدِ بنُ

---

(١) ورواه البخاري (٢٧٩٠) .

(٢) ورواه البخاري (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١/ ١٤) .

(٣) وهو معنا سبحانه بقدرته وتكوينه وسمعه وبصره ، أو هو معنا سبحانه معية تليق بذاته ، وجاء في هامش (د) : (إذا كانت المعية بلا تكييف كسائر المتشابهات . . فلا مُوجِب لتأويلها بالعلم ، ولا دلالة في الآيات المذكورة على إبطال المعية بلا تكييف ؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر ليس نفياً لما عداه ، وإنما فيها إثباتُ تجلٍّ خاصٍّ ، لا نفيُ سائر التجليات ، لكن هذا لا يفهمه إلا من فهم إطلاق الحق تعالى ، وأنه إطلاق حقيقي ، فلا يقيده التجلياتُ الأسمائية ، ومن يفهم هذا عزيز جداً ، والسلام ، « ١٠٨٧ » سلخ محرم) .

حيَّانَ ، حدثنا أبو جعفر أحمدُ بن زَيْرَكَ اليَزْدِيُّ[1] قال : سمعتُ محمدَ بن عمرو بن النضر النيسابوريَّ يقول : سمعتُ يحيى بنَ يحيى يقول : كنَّا عند مالكِ بن أنس ، فجاء رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله ؛ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، كيف استوى ؟ قال : فأطرق مالكٌ رأسه ، حتى علاه الرُّحَضاءُ[2] ، ثم قال : (الاستواءُ غيرُ مجهولٍ ، والكيفُ غيرُ معقولٍ ، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ عنه بدعةٌ ، وما أُراك إلا مبتدعاً) ، فأَمرَ به أن يُخرَجَ[3]

قال الشيخ :

وعلى مثل هذا دَرَجَ أكثرُ علمائِنا في مسألةِ الاستواء ، وفي مسألة المجيءِ والإتيانِ والنزولِ[4] ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر : ٢٢] ،

---

(١) في (ب) : (حدثنا أبو جعفر عن أحمد بن زيرك) ، والمثبت موافق لما في « الأسماء والصفات » (ص ٣٧٩) .

(٢) الرحضاء : عَرَقُ المحموم ، وعرق يغسل الجلد لكثرته ، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض ، وانظر « النهاية » (رح ض)

(٣) ورواه المصنف من طريقين في « الأسماء والصفات » (ص ٣٧٩) ، ورواه اللالكائي في « السنة » (٦٦٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/ ٣٢٥) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٣٦٥) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٧/ ١٥١) ، والبغوي في « معالم التنزيل » (٢/ ١٩٧) ، و« شرح السنة » (١/ ١٧١) ، وقال الحافظ ابن حجر : (أخرجه البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب) ، وانظر « فتح الباري » (١٣/ ٤٠٦) ، وانظر في الحديث عن هذا الأثر كتاب « القول التمام » لفضيلة الدكتور سيف العصري .

(٤) يعني : التفويض ؛ إذ التأويل ـ كما قرر حجة الإسلام الغزالي ـ مذهبُ الضعفاء ، فلا يُصار إليه إلا عند الحاجة ؛ كخوف الوقوع في التشبيه ، والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وأنت ترى أن الإمام مالكاً ـ ومثله عموم السلف الصالح ـ لم يزد على ما جاءت به الآية ، وهو معنى قولهم : تفسيرها قراءتُها ، وقولهم : أمرُّوها كما جاءت ، ومن تأوَّل هذه الآيات بقانونٍ تقرُّه اللغة ولا يخالف أصول الشريعة . . فلا يُرمى ببدعة الفسق فضلاً عن الضلال والكفر ، بل بمعنى أنه جاء بقولٍ لم يفشُ عند السلف .

وقال : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

٥٨ـ وأخبرَنا عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ، حدثنا أحمدُ بن سلمانَ ، قال : قُرِئَ على سليمانَ بن الأشعث ، (ح) .

وأخبرَنا أبو علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ داسَهْ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا القَعْنَبِيُّ ، عن مالكٍ ، عن ابن شهابٍ ، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن وعن أبي عبد الله الأَغرِّ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يَنْزِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** »(١)

وهذا حديث صحيح رواه جماعةٌ مِنَ الصحابة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم(٢)

وأصحابُ الحديث فيما ورد به الكتابُ والسنَّة مِنْ أمثال هذا ، ولم يتكلَّمْ أحدٌ مِنَ الصحابة والتابعين في تأويله . . على قسمين(٣) :

ـ منهم : مَنْ قَبِله وآمنَ به ولم يؤوِّلْهُ ، وَوَكَلَ علمَهُ إلى الله ، ونفى الكيفيَّةَ والتشبيهَ عنه .

---

(١) ورواه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨/١٦٨) ، وأبو داود (١٣١٥) .

(٢) قال الترمذي رحمه الله عند الحديث (٤٤٦) : (وفي الباب عن علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد ، ورفاعة الجهني ، وجبير بن مطعم ، وابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وعثمان بن أبي العاص ، حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح ، وقد روي هذا الحديث من أوجه كثيرة ؛ عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزلُ اللهُ عزَّ وجلَّ حينَ يبقى ثلثُ الليلِ الآخرِ . . » ، وهو أصح الروايات) ، وانظر « عمدة القاري » (١٩٨/٧) .

(٣) هذا مطلبٌ في كون أهل الحديث منقسمين إلى مَنْ يرى التفويض ، وإلى مَنْ يرى التأويل بقانون صحيح .

ـ ومنهم : مَنْ قَبِله وآمنَ به وحملَهُ على وجهٍ يصحُّ استعمالُهُ في اللغة ، ولا يُناقض التوحيدَ .

وقد ذكرنا هاتينِ الطريقتينِ في كتاب « الأسماء والصفات » في المسائل التي تكلَّموا فيها مِنْ هذا الباب[1]

وفي الجملة : يجب أن يُعلَمَ أن استواءَ الله سبحانه وتعالى : ليس باستواءِ اعتدالٍ عن اعوجاجٍ ، ولا استقرارٍ في مكانٍ ، ولا مماسَّةٍ لشيء من خلقه ؛ لكنه مُستوٍ على عرشه كما أخبر . . بلا كيف[2] ، بائنٌ من جميع خلقه ، وأنَّ إتيانَهُ ليس بإتيانٍ مِنْ مكانٍ إلى مكان ، وأن مجيئَهُ ليس بحركةٍ ، وأنَّ نزولَهُ ليس بنُقْلَةٍ ، وأنَّ نفسَهُ ليس بجسمٍ ، وأنَّ وجهَهُ ليس بصورةٍ ، وأنَّ يدَهُ ليست بجارحةٍ ، وأنَّ عينَهُ ليست بحدقةٍ ؛ وإنَّما هذه أوصافٌ جاء بها التوقيف ، فقلنا بها ، ونفينا عنها التكييفَ ؛ فقد قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] ، وقال : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ٤] ، وقال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] .

٥٩ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن أحمد بن بالويه ، حدثنا محمدُ بن بشر بن مطر ، حدثنا الهيثمُ بن خارجة ، حدثنا الوليدُ بن مسلم قال : سُئل الأوزاعيُّ ومالك وسفيان الثوريُّ والليث بن سعد عن هذه الأحاديث ؛ فقالوا : (أَمِرُّوهَا كما جاءت بلا كيفيَّةٍ)[3]

٦٠ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرني محمدُ بن يزيدَ ، سمعتُ أبا يحيى البزازَ يقول : سمعتُ العباسَ بن حمزةَ يقول : سمعتُ أحمدَ بن أبي الحواري

---

(١) الأسماء والصفات (ص ٣٨٣) .

(٢) في (د) : زيادة : (بلا أين) .

(٣) ورواه الآجري في « الشريعة » (٧٢٠) ، وابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٨٣) ، واللالكائي في « السنة » (٩٣٠) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٧/١٤٩) ، و« الاستذكار » (٢/٥١٣) .

يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : (كلُّ ما وَصَفَ اللهُ به نفسَهُ في كتابه[١] . . فتفسيرُهُ تلاوتُهُ ، والسكوتُ عليه)[٢]

قال الشيخ :

وإنَّما أراد ـ والله أعلم ـ فيما تفسيره يؤدِّي إلى تكييفٍ ، وتكييفُهُ يقتضي تشبيهاً له بخلقه في أوصاف الحَدَثِ .

٦١ـ أخبرَنا أبو عليِّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا محمدُ بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا القَعْنَبِيُّ ، حدثنا يزيدُ بن إبراهيمَ ، عن عبد الله بن أبي مُليكةَ ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشةَ قالت : قرأ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالت : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ . فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ ؛ فَاحْذَرُوهُمْ »[٣]

٦٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني أبو بكر محمدُ بن علي الفقيهُ القفَّالُ، حدثنا عمرُ بن محمد بن بُجير، حدثنا يونسُ بن عبد الأعلى قال : قال لي محمدُ بن إدريسَ الشافعيُّ رحمه الله : (لا يُقال للأصلِ : لِمَ ، ولا كيفَ)[٤] .

---

(١) في (د) : (من) بدل (به) .

(٢) ورواه ابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٢٣) ، واللالكائي في « السنة » (٧٣٦) .

(٣) ورواه البخاري (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي (٢٩٩٣) .

(٤) ورواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/٣٦٧) ، وابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٥٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٠٥) وتمامه إلى قوله هنا : (الأصلُ : قرآنٌ وسنَّةٌ ، فإن لم يكن فقياسٌ عليهما ، وإذا اتصل الحديثُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحَّ الإسناد عنه فهو سنةٌ ، والإجماعُ أكثرُ من الخبر المنفرد ، والحديثُ =

قال الشيخ :

وفي رواية الرَّبيعِ بن سليمان عنه : (الأصلُ : كتابٌ ، أو سنَّةٌ ، أو قولُ بعضِ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، أو إجماعُ الناس)[(١)]

٦٣ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ قال : قال الشافعيُّ ، فذكره .

* * *

= على ظاهره ، وإذا احتمل المعانيَ فما أشبهَ منها ظاهرَهُ أولاها به ، وإذا تكافأت الأحاديثُ فأصحها إسناداً أولاها ، وليس المنقطع بشيءٍ ما عدا منقطعَ ابنِ المسيب ، ولا يقاس أصلٌ على أصل ، ولا يقال لأصلٍ : لمَ ولا كيف ، وإنَّما يقال للفرع : لمَ ، فإذا صحَّ قياسُهُ على الأصلِ . . صحَّ ، وقامت به الحُجَّةُ) .

(١) انظر « الأم » (٣١/٢) ، و« حلية الأولياء » (١٠٥/٩) .

باب
القول في إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة بالأبصار

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ **يعني** : يومَ القيامةِ ، ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ **يعني** : مشرقةٌ ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ـ٢٣] .

وليس يخلو النظرُ من وجوهٍ :

إمَّا أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ عنى به **نظرَ الاعتبارِ** ؛ كقوله : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

أو يكونَ عنى **نظرَ الانتظارِ** ؛ كقوله : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٤٩] .

أو يكونَ عنى **نظرَ التعطُّفِ والرحمةِ** ؛ كقوله : « لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ »(١)

أو يكونَ عنى **نظرَ الرؤيةِ** ؛ كقوله : ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد : ٢٠] .

ولا يجوزُ أن يكون الله سبحانه عنى بقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ **نظرَ التفكُّر والاعتبار** ؛ لأنَّ الآخرة ليست بدارِ استدلالٍ واعتبار ، إنَّما هي دارُ اضطرار .

ولا يجوزُ أن يكون عنى **نظرَ الانتظار** ؛ لأنَّه ليس في شيء من أمر الجنة انتظار ؛ لأنَّ الانتظارَ معه تنغيصٌ وتكدير ، والآية خرجت مَخرَجَ البِشارة ، وأهل الجنة فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ من العيش السليم والنعيم المقيم ،

---

(١) في نحو الحديث الذي رواه البخاري (٢٣٥٨) : « ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ . . . » .

فهم مُمكَّنُونَ ممَّا أرادوا ، وقادرون عليه ، وإذا خطر ببالهم شيء . . أُتُوا به مع خُطوره ببالهم .

وإذا كان كذلك . . **لم يجزْ** أن يكونَ اللهُ أراد بقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ **نظرَ الانتظار .**

ولأنَّ النظرَ إذا ذُكر مع ذكر الوجوه . . **فمعناه** : نظرُ العينين اللتين في الوجهِ ؛ كما قال : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٤٤] ، **وأراد** : تقلُّبَ عينيه نحو السماء .

ولأنَّهُ قال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ونظرُ الانتظار لا يكون مقروناً بـ (إلى) ؛ لأنَّهُ لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار : (إلى) ، ألا ترى أنَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا قال : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ . . لم يقل : (إلى) ؛ إذ كان معناه الانتظارَ ، وقالت بلقيسُ فيما أخبر الله عنها : ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٥] ، فلمَّا أرادت الانتظار لم تقل : (إلى) .

قلنا : ولا يجوزُ أن يكون الله سبحانه أراد **نظرَ التعطُّف والرحمة** ؛ لأنَّ الخَلْق لا يجوزُ أن يتعطَّفُوا على خالقِهم .

فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة . . **صحَّ القسمُ الرابع من أقسام النظر** ؛ وهو أنَّ معنى قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أنَّها رائيةٌ ؛ ترى الله عزَّ وجلَّ .

ولا يجوزُ أن يكون معناه : إلى ثواب ربِّها ناظرة ؛ لأنَّ ثواب الله غيرُ الله ، وإنَّما قال الله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، ولم يقل : إلى غير ربِّها ناظرة .

والقرآنُ على ظاهره ، **وليس لنا أن نُزيلَهُ عن ظاهره إلا بحجَّة** ، ألا ترى أنَّهُ لمَّا قال : ﴿ ٱعْبُدُونِي ﴾ [يس : ٦١] ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِي ﴾ [البقرة : ١٥٢] . . لم يجزْ أن يقال : أرادَ : ملائكتي أو رسلي .

ثم نقول : إنْ جاز لكم أن تدَّعُوا هذا في قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . . جاز لغيركم أن يدَّعِيَهُ في قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، **فيقول** : أراد

أنَّها لا تدركُ غيرَهُ[1] ، ولم يُرِدْ أنَّها لا تدركُهُ ؛ فإن لم يجزْ ذلك لم يجزْ هذا .

ولا حُجَّة لهم في قوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فإنَّهُ إنَّما أراد به لا تدركُهُ أبصارُ المؤمنين في الدنيا دون الآخرة ، ولا يدركُهُ أبصارُ الكافرين مطلقاً ، كما قال : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ، فلمَّا عاقب الكفَّارَ بحجبهم عن رؤيته . . دلَّ أنَّهُ يثيب المؤمنين برفع الحجابِ عن أعينهم حتى يروه .

ولمَّا قال في وجوه المؤمنين ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، فقيَّدَها بيوم القيامة ، ووصفَها فقال : ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ ، ثم أثبتَ لها الرؤيةَ فقال : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . . علمنا أنَّ الآيةَ الأخرى في نفيها عنهم في الدنيا دون الآخرة ، وفي نفيها عن الوجوه الباسِرَةِ دون الوجوه الناضِرَةِ ؛ جمعاً بين الآيتين ، وحملاً للمطلق مِنَ الكلام على المقيَّدِ منه[2]

ثم قد قال بعضُ أصحابنا : (إنَّما نفى عنه الإدراكَ دون الرؤية ، والإدراكُ : الإحاطةُ بالمرئي ، دون الرؤية ؛ فالله يُرى ولا يُدرَكُ ، كما يُعلَمُ ولا يُحاط به علماً)[3]

---

(١) في (و) : (بها) بدل (أنها) .

(٢) قال العلامة أبو المظفر الإسفرايني في « التبصير » (ص ١٥٧) : (وفي الحديث قيدٌ تحمل عليه آيةُ الرؤية ـ يعني : « إنكم سترون ربكم » ـ فكأنه قال : لا تدركه الأبصار في غير القيامة ، وتدركه يومئذ ؛ فإن المطلق يحمل على المقيد) .

(٣) قال الحافظ ابن الجوزي في « زاد المسير » (٢/ ٦٢) : (وهذا مذهب أهل السُّنَّة والعلم والحديث)، وقال الإمام السنوسي في « الكبرى » كما في « شرح العقيدة الكبرى » (ص٤٨٦) : (ولا يعارضها قولُه تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ؛ لأن الإدراك أخصُّ ؛ لإشعاره بالإحاطة ، ولا شكَّ أنها منفية مطلقاً ، سلمنا أنه الرؤية ، لكن المراد في الدنيا ، أو هو من باب الكلِّ لا الكلية ، ولا قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ؛ لأن المراد في الدنيا ؛ إذ هو المسؤول لموسى عليه السلام ، والأصل في الجواب المطابقةُ ، ولهذا قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ، =

وممَّا يدلُّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يُرى بالأبصار : قولُ موسى الكليمِ عليه السلام : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، ولا يجوزُ أن يكونَ نبيٌّ مِنَ الأنبياء ، قد أَلبَسَهُ الله جلبابَ النبيينَ ، وعصمَهُ ممَّا عصم منه المرسلينَ . . يَسأَلُ ربَّهُ ما يستحيلُ عليه ، وإذا لم يجزْ ذلك على موسى عليه السلام . . فقد علمنا أنَّهُ لم يسألْ ربَّهُ مستحيلاً ، وأنَّ الرؤيةَ جائزةٌ على ربِّنا جَلَّ وَعَزَّ .

وممَّا يدلُّ على ذلك : قولُ الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام : ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فلمَّا كان الله قادراً على أن يجعلَ الجبلَ مُستقِرّاً . . كان قادراً على الأمرِ الذي لو فعله لرآهُ موسى ؛ فدلَّ ذلك على أنَّ اللهَ قادرٌ على أن يُريَ نفسَهُ عبادَهُ ، وأنَّهُ جائزٌ رؤيتُهُ .

وقولُه : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] أراد به : في الدنيا دون الآخرة ؛ بدليلِ ما مضى مِنَ الآية .

ولأنَّ اللهَ تعالى قال : ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] ، واللقاءُ إذا أطلق على الحيِّ السليم . . لم يكنْ إلا رؤيةَ العين ، وأهلُ هذه التَّحيَّة لا آفةَ بهم .

ولأنَّهُ قال : ﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾ [ق : ٣٥] ، وقال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [يونس : ٢٦] .

وقد فسَّرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم المُبَيِّنُ عن الله عزَّ وجلَّ ، فمَنْ بعده من الصحابة الذين أخذوا عنه ، والتابعين الذين أخذوا عن الصحابة . . أنَّ الزيادةَ في هذه الآية : النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالى ، وانتشرَ عنه وعنهم إثباتُ رؤية الله تعالى في الآخرة بالأبصار ، ونحن ذاكرون أقوالَ بعضِهم على طريق

= ولم يقل : لن أُرى ، أو لن تمكنَ رؤيتي) ، ثم قال : (وأما إثباتها بالدليل العقلي المشهور ، وهو أنَّ مُصحِّح الرؤية الوجود . . فضعيف ؛ لأن الوجود عين الموجود فلا يصح علة) .

الاختصار ، فقد أفردنا لإثباتِ الرؤية كتاباً[1] ، وبالله التوفيق

٦٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحسينُ بن عمر بن برهانٍ ، وأبو الحسينِ بن بِشرانَ في آخرين ببغدادَ قالوا أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسنُ بن عرفةَ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، عن حمَّادِ بن سلمةَ ، عن ثابتٍ البُنانيِّ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهيبٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ؛ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِداً لَمْ تُرَوْهُ** » ، قالَ : « **فَيَقُولُونَ : فَمَا هُوَ ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ ، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟!** » قالَ : « **فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ** » ، قالَ : « **فَوَاللهِ ؛ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ شَيْئاً هُوَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ** » ، قالَ : ثمَّ قرأَ : « ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ »[2]

ورواه هُدْبَةُ بن خالد ، عن حمَّاد بن سلمةَ بإسناده ومعناه ، إلا أنَّهُ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئاً هُوَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ وَلَا أَقَرَّ لِأَعْيُنِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى** »

٦٥ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرني أبو النضر الفقيهُ ، حدثنا محمدُ بن نصر المروزيُّ ، حدثنا هُدْبَةُ ، حدثنا حمَّادُ بن سلمةَ ، فذكره[3]

وروينا عن أُبَيِّ بن كعب ، وكعبِ بن عُجْرَةَ ، عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في قوله : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : « **النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الرَّحْمَنِ** »[4]

---

(١) وهو كتاب « الرؤية » . انظر « كشف الظنون » (٢/ ١٤٢١) .

(٢) ورواه مسلم (٢٩٧/ ١٨١) .

(٣) ورواه ابن ماجه (١٨٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١١٧٠) .

(٤) رواه المصنف من حديث سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه في كتاب « الرؤية » كما في « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٧) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٩) ، والدارقطني في « الرؤية » (١٨٣) .

ورواه من حديث سيدنا كعب بن عجرة رضي الله عنه في كتاب « الرؤية » كما في « الدر =

٦٦ـ أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ أبي عمرو ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، حدثنا محمد بن الجَهْمِ ، حدثنا الفَرَّاءُ ، حدثني أبو الأحوص ، عن أبي إسحاقَ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو طاهرِ الفقيهُ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ بلال ، حدثنا أحمدُ بن منصور المروزيُّ ، حدثنا عمرُ بن يونسَ ، أخبرنا محمدُ بن جابر ، عن أبي إسحاقَ ، عن عامرِ بن سعد ، عن أبي بكرٍ الصديق في قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : (زيدوا النظرَ إلى ربِّهم)[1]

وفي روايةِ أبي الأحوص قال : (النظرُ إلى وجهِ الربِّ عزَّ وجلَّ)

تابعهما إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ .

وروينا هذا التفسيرَ عن حذيفةَ بن اليمان ، وأبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنهما[2]

= المنثور » (٤/ ٣٥٧) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٨) ، وقال الحافظ في « فتح الباري » : (ولكن في إسناده ضعف) ، ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (٢٣٣٠) ، واللالكائي في « السنة » (٧٨١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥/ ٢٠٤) .

(١) ورواه المصنف في كتاب « الرؤية » كما في « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٨) ، ورواه ابن راهويه في « مسنده » (١٤٢٤) ، والطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٣) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٥٠) ، والآجري في « الشريعة » (٥٨٩ ، ٥٩٠) ، والدارقطني في « الرؤية » (١٩٢) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٨٣ ، ٧٨٤) .

(٢) رواه من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه الطبريُّ في « تفسيره » (١٥/ ٦٤) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٥٢) ، والآجري في « الشريعة » (٥٩١) ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٠٢) وما بعده ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٨) ، ورواه من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ابن راهويه في « مسنده » (١٤٢٥) ، والطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٤) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٥٦) ، والآجري في « الشريعة » (٦٠٧) وما بعده ، والدارقطني في « الرؤية » (٣٩) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٨٥ ، ٧٨٦) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٧ـ٣٥٨) .

٦٧ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا أبو الأشهب هَوْذةُ بن خليفَة ، عن الحسن : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾ قال : الجنةُ ، ﴿وَزِيَادَةٌ ﴾ قال : النظرُ إلى الربِّ عزَّ وجلَّ[١]

وروينا عن سعيد بن المسيَّبِ[٢] ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٣] ، وعبد الرحمن بن سابط[٤] ، وقتادةَ[٥] ، وغيرِهم من التابعين[٦] معنى قولِ

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٧) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٥٤) ، والدارقطني في « الرؤية » (٢١٧) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٩٠ ، ٧٩١) .

(٢) رواه اللالكائي في « السنة » (٧٨٩) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٦) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٤٧) وما بعدها ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٠٨) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٩٢) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٩ـ ٣٦٠) .

(٤) رواه الدارقطني في « الرؤية » (٢٢١) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٩٥) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٩) .

(٥) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٦٨) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٤٥٧) وما بعدها ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٢٤) وما بعده ، واللالكائي في « السنة » (٧٩٨) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٣٥٨) .

(٦) قال الحافظ الزرقاني رحمه الله في « شرح المواهب اللدنية » (١٢/ ٤٢٤) : (وجاء مرفوعاً : « الحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الرحمن » من حديث أبي موسى ، وكعب بن عجرة ، وابن عمر ، وأُبَيّ بن كعب ، وأنس ، وأبي هريرة ، كلُّهم عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وجاء موقوفاً على الصدِّيق ، وحذيفة ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وجاء عن جماعة من التابعين كما بسطه في « البدور » ، وقال : قال البيهقي : هذا تفسيرٌ قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ، ومثلُهُ لا يقال إلا بتوقيف ، وقال يحيى بن معين : عندي سبعةَ عشرَ حديثاً كلُّها صحاح ، وزاد عليه في « البدور » اثنين ، وساق ألفاظَ الجميع عازياً لمخرجيهم ، وقال : إنَّها بلغت مبلغ التواتر عندنا معاشرَ أهل الحديث) ، وانظر « فتح الباري » (٨/ ٣٤٧) ، و« الدر المنثور » (٤/ ٣٥٦) وما بعدها

الحسن البصري في تفسير الزيادة في هذه الآية : (النظرُ إلى وجهِ ربِّهم عزَّ وجلَّ)[(١)]

٦٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سلمةُ بن سَابُورَ[(٢)] ، عن عطيَّةَ ، عن ابن عباسٍ : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ يعني : حُسْنَها ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : نَظَرَتْ إلى الخالق[(٣)]

٦٩ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا عبدُ الرحمن بن الحسن القاضي ، حدثنا إبراهيمُ بن الحسين ، حدثنا آدمُ بن أبي إياسٍ ، حدثنا المباركُ بن فَضالةَ ، عن الحسن في قوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : حَسَنَةٌ ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ قال : تنظرُ إلى ربِّها عزَّ وجلَّ ، حَسَّنَها اللهُ بالنظر إليه ، وحُقَّ لها أن تَنْضُرَ وهي تنظرُ إلى ربِّها[(٤)]

وروينا في ذلك عن عكرمة[(٥)] وغيره مِنَ التابعين[(٦)]

٧٠ـ أخبرَنا محمد بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوبَ

---

(١) في (ج ، د) : (بالنظر) بدل (النظر) .

(٢) في (أ ، ب) : (سابق) ، وما أثبت من سائر النسخ هو الصواب الذي عليه كتب التراجمات .

(٣) ورواه المصنف في كتاب « الرؤية » كما في « الدر المنثور » (٣٤٩/٨) ، والآجري في « الشريعة » (٥٨٤) ، واللالكائي في « السنة » (٧٩٩) .

(٤) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٧١ـ ٧٢) عن البخاري ، وابن خزيمة في « التوحيد » (٤٥٦/٢) ، والآجري في « الشريعة » (٥٨٥) ، والدارقطني في « الرؤية » (٢٠٧) ، واللالكائي في « السنة » (٨٠٠) ، وانظر « الدر المنثور » (٨/ ٣٥٠) .

(٥) رواه المصنف في « الرؤية » كما في « الدر المنثور » (٣٤٩/٨) ، والطبري في « تفسيره » (٧٢/٢٤) ، والآجري في « الشريعة » (٥٨٦ ، ٥٨٧) ، واللالكائي في « السنة » (٨٠٣) وما بعده .

(٦) انظر « الدر المنثور » (٣٤٩/٨) وما بعدها .

الحافظُ ، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى ، حدثنا مسددٌ ، حدثنا إسماعيلُ ابن عُلَيَّةَ ، حدثنا أبو حيَّانَ ، عن أبي زرعةَ ، عن أبي هريرةَ قال : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً بارزاً للناس ، فأتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ؛ ما الإيمانُ ؟ قال : « **الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ** . . . » وذكر باقيَ الحديث(١)

واللقاءُ المذكور في هذا الحديث : هو لقاءُ الله عزَّ وجلَّ ؛ فقد أفرد البعثَ بالذكر .

وقال في حديثِ دعاء التهجُّد : « **وَعْدُكَ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ** »(٢) .

وفي رواية أبي بكرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ** »(٣)

وفي حديث أنسِ بن مالك في قصَّة الأنصار : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لهم : « **اَصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ** »(٤)

وفي الكتاب : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

٧١ـ **وأخبرَنا** أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر الجَرَّاحيُّ ، حدثنا يحيى بن ساسويه ، حدثنا عبد الكريم السُّكَّريُّ ، حدثنا وهْب بن زَمعةَ ، أخبرني عليٌّ البَاشَانِيُّ(٥) قال : سألتُ عبدَ الله بن المبارك عن قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ

---

(١) ورواه البخاري (٥٠) ، ومسلم (٩/ ٥) .
(٢) رواه البخاري (١١٢٠) ، ومسلم (٧٦٩/ ١٩٩) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .
(٣) رواه البخاري (٤٤٠٦) ، ومسلم (١٦٧٩/ ٣٠) .
(٤) رواه البخاري (٣١٤٧) ، ومسلم (١٠٥٩/ ١٢٣)
(٥) كذا في جميع النسخ : (علي الباشاني) ، وهذه النسبة الى (باشان) ، قرية من قرى هراة ، وهي اليومَ تقع غربيَّ أفغانستان ، وانظر « الأنساب » للسمعاني (٢/ ٣٧) .

لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا . . . ﴾ [الكهف : ١١٠] الآيةَ ، فقال عبد الله مَنْ أراد النظرَ إلى وجهِ خالقه . . فليعملْ عملاً صالحاً ، ولا يخبرْ به أحداً[(١)]

٧٢ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد بن الصَّبَّاح ، حدثنا وكيعُ بن الجرَّاح ، حدثنا إسماعيلُ بن أبي خالد ، عن قيسِ بن أبي حازم ، عن جريرِ بن عبد الله قال : كنَّا جلوساً عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فنظرَ إلى القمر ليلةَ البدر فقال : « **أَمَا إِنَّكُمْ سَتُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَرَوْنَهُ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا . . فَٱفْعَلُوا** »[(٢)]

٧٣ـ وأخبرَنا أبو عبد الرحمن محمدُ بن الحسين السُّلميُّ ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، حدثني أحمدُ بن يونسَ الضَّبِّيُّ ، حدثنا يعلى بن عُبيد ، حدثنا إسماعيلُ بن أبي خالد، فذكره بإسناده ومعناه ؛ زادَ عند قوله : (وقبلَ غروبِها) : ثم قرأَ : «﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [قٓ : ٣٩] »[(٣)]

* سمعتُ الشيخَ الإمامَ **أبا الطيب سهلَ بن محمد بن سليمانَ**[(٤)] رحمه الله يقولُ فيما أملاهُ علينا في قوله : « لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ » : (**بضمِّ التاء وتشديدِ الميم** : لا تجتمعون لرؤيته في جهةٍ ، ولا يُضَمُّ بعضُكم إلى بعض لذلك ؛ **فإنَّهُ عزَّ وجلَّ لا يُرى في جهة كما يُرى المخلوق في جهة ، ومعناه بفتح التاء** : لا تَضامُّون لرؤيته مثلُ معناه بضمِّها ؛ لا تَتَضامُّون في رؤيته بالاجتماع في جهة ،

---

(١) ورواه اللالكائي في « السنة » (٨٩٥) .

(٢) ورواه البخاري (٥٥٤) ، ومسلم (٦٣٣/ ٢١٢) .

(٣) وهذه الزيادة موجودة فيما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن .

(٤) هو الإمام أبو الطيب بن الإمام الأستاذ **أبي سهل الصعلوكي** النيسابوري ، الفقيه الشافعي ، مفتي نيسابور وابن مفتيها ، المتوفى سنة (٤٠٤ هـ) بنيسابور ، والمصنف ممن روى عنه مباشرة كما هنا ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٣٩٣) .

وهو دون تشديد الميم مِنَ الضَّيم ؛ معناه : لا تُظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض ، وأنَّكم ترونه في جهاتكم كلِّها ، وهو يتعالى عن جهة)[1]

قال : (والتشبيهُ برؤية القمر ليقينِ الرؤية ، دون تشبيهِ المرئيِّ ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً)[2]

٧٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني الحسينُ بن علي الدارميُّ ، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، حدثنا يوسفُ بن موسى ، حدثنا عاصمُ بن يوسفَ اليربوعيُّ ، حدثنا أبو شهاب ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيسٍ ، عن جريرٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَاناً »[3]

٧٥ـ أخبرَنا عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ، حدثنا أبو سهلِ بنُ زياد القطَّانُ ، حدثنا إبراهيمُ بن الهيثم البَلَديُّ ، حدثنا أبو اليمان الحكمُ بن نافع ، حدثنا شعيبُ بن أبي حمزةَ ، عن الزهريِّ ، أخبرني سعيدُ بن المسيب وعطاءُ بن يزيدَ الليثيُّ : أنَّ أبا هريرةَ أخبرهما : أنَّ الناس قالوا : يا رسولَ الله ؛ هل نرى

---

(١) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ١٨) : (تضامون : بتشديد الميم وتخفيفها ؛ فمن شددها فتح التاء ، ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشدد : هل تَتَضامُّون وتَتَلطَّفون في التوصل إلى رؤيته ؟ ومعنى المخفف : هل يلحقكم ضيمٌ ؟ وهو المشقة والتعب ، قال القاضي عياض رحمه الله : « وقال فيه بعض أهل اللغة : تضارون أو تضامون ، بفتح التاء وتشديد الراء والميم » ، وأشار القاضي بهذا إلى أن غير هذا القائل يقولهما بضم التاء سواء شدد أو خفف ، وكل هذا صحيحٌ ظاهر المعنى) .

(٢) انظر « فتح الباري » (١١/ ٤٤٦) ، و« عمدة القاري » (٥/ ٤١) و(١٨/ ١٧٣) ، و« إرشاد الساري » (٩/ ٣٣١) ، وقد قال الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الكبرى » (ص ٤٨٤) : (ووجه التشبيه بالقمر ما أشار إليه آخرُ الحديث من عدم تضارٍّ بعضِهم ببعض وقتَ الرؤية ، أما الجهةُ والجسمية ولوازمهما . . فمستحيلةٌ في حقِّهِ تعالى .
وبالجملة : فالمقصودُ تشبيهُ الرؤية بالرؤية فيما ذكر ، لا المرئيِّ بالمرئيِّ ، وهذه الأدلةُ ونحوها من أدلَّة السمع وإن كان كلٌّ منها ظاهراً ليس بنصٍّ . . فهي لكثرتها وتواطئها على معنىً واحدٍ تفيد القطع بالرؤية . . . والظواهر إذا كثرت في شيءٍ أفادت القطعَ به) .

(٣) ورواه البخاري (٧٤٣٥) .

ربَّنا يوم القيامة ؟ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **هَلْ تَمَارَونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَـةَ الْبَدْرِ وَلَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، قال « **هَلْ تَمَارَونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ** »[1]

٧٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو زكريا يحيى بنُ إبراهيم بن محمد بنِ يحيى قالا ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهاب ، أخبرنا جعفرُ بن عون ، أخبرنا هشامُ بن سعد ، حدثنا زيدُ بن أسلمَ ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : قلنا : يا رسول الله ؛ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « **هَلْ تَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ صَحْواً لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ ؟** » قال : قلنا لا يا رسول الله ، قال : « **فَهَلْ تَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَـةَ الْبَدْرِ صَحْواً لَيْسَ فِيهِ سَحَابٌ ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ، قال : « **مَا تَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا كَمَا تَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا** »[2]

قوله : (تَمارَونَ) : أصله : تَتَمارون ، فأُسقطت إحداهما[3] ؛ وهو من المِرْيَةِ ؛ وهي : الشَّكُّ في الشيء والاختلافُ فيه ؛ يقول : ترون ربَّكم يومَ القيامة بلا شكٍّ ولا مريةٍ ، كما ترون الشمسَ والقمر في دارِ الدنيا بلا شكٍّ ولا مريةٍ .

٧٧ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو الفضل محمدُ بن إبراهيمَ المُزَكِّي ، حدثنا أحمدُ بن سلمة ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ ، أخبرنا عبدُ العزيز بن عبد الصمد العَمِّيُّ ، حدثنا أبو عمرانَ الجَوْنيُّ ، عن أبي بكر بن

---

(١) ورواه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢/ ٣٠٠) .

(٢) ورواه البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣/ ٣٠٢) وفيهما : (تضارون) بدل (تمارون) .

(٣) يعني : إحدى التاءين ؛ كقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر : ٤] أي : تتنزَّل ، ويجوز ضمُّ التاء والراء معاً ، فيكون من المماراة ؛ وهي المجادلة .

عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ . . إلا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ** »[1]

قوله : (رداءُ الكبرياءِ) : هو ما يتَّصف به مِنْ إرادة احتجاب الأعينِ عن رؤيته ، فإذا أراد إكرامَ أوليائه بها رفعَ ذلك الحجابَ عن أعينهم ؛ بخلْقِ الرؤية فيها[2] ؛ لِيَرَوْهُ بلا كيفٍ ، كما عرفوهُ بلا كيفٍ[3]

وقوله : (في جنَّاتِ عَدْنٍ) يعني : والناظرون في جنات عدنٍ .

ولهذه الأخبار الصحيحةِ شواهدُ مِنْ حديث عليٍّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعُبادةَ بن الصامت ، وجابر بن عبد الله الأنصاريِّ ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرَ ، وعَدي بن حاتم ، وأبي رَزينٍ العُقيلي ، وأنس بن مالك ، وبُريدةَ بن حُصَيب ، وغيرهم رضي الله عنهم ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وروينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق ، وحذيفةَ بن اليمان ،

---

(١) ورواه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠)

(٢) فرؤيته سبحانه فعلٌ من أفعاله ، يخلقُها في عيني من ارتضاه من عباده ، أو في وجوههم ، أو في جملة ذواتهم ، فهي نوعُ إدراكٍ يطيقه المخلوق لذاته العليّة الجليلة ، وهذا الإدراكُ لا يغني عنه العلم به الذي يحصل في الدنيا ، كما لا تغني صفة العلم له جلَّ وعزَّ عن صفتي السمع والبصر .

(٣) قال العلامة الإمام الطيبي في « شرح مشكاة المصابيح » (١١/ ٣٥٥٤) : وقوله : « في الجنة » متعلقٌ بمعنى الاستقرار في الظرف ، فيفيد بالمفهوم : انتفاءَ هذا الحصر في غير الجنة ، وإليه أشار الشيخ التوربشتي بقوله : يريدُ بذلك : أن العبد المؤمن إذا تبوَّأ مقعدَهُ من الجنة . . تبوَّأَ والحجبُ مرتفعة ، والموانعُ التي تحجبُهُ عن النظر إلى ربِّهِ مضمحلَّة ، إلا ما يصدُّهم من هيبة الجلال ، وسُبحات الجمال ، ورتبة الكبرياء ، فلا يرتفعُ ذلك إلا برأفة ورحمة منه تفضلاً على عباده . انتهى كلامه ، وأنشد في المعنى : [من مجزوء الكامل]

أشتـاقُـهُ فـإذا بـدا ... أطـرقْـتُ مـن إجـلالِـهِ
لا خيفـةً بـل هيبـةً ... وصيـانـةً لجمـالِـهِ
وأصـدُّ عنـه تجلـداً ... وأرومُ طيـفَ خيـالِـهِ

وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وأبي موسى ، وغيرِهم[1]

ولم يُروَ عن أحد منهم نفيُها ، ولو كانوا فيها مختلفين لنُقل اختلافُهم إلينا ، كما أنَّهم لمَّا اختلفوا في الحلال والحرام والشرائع والأحكام . . نُقل اختلافُهم في ذلك إلينا ، وكما أنَّهم لمَّا اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا . . نُقل اختلافُهم في ذلك إلينا ، فلمَّا نُقلت رؤيةُ الله بالأبصار في الآخرة عنهم ، ولم يُنقلْ عنهم في ذلك اختلافٌ كما نُقل عنهم فيها اختلافٌ في الدنيا . . علمنا أنَّهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متَّفقين مجتمعين ، وبالله التوفيق[2]

٧٨ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن محمدُ بن الحسين السُّلميُّ ، سمعت جعفرَ بن محمد بن الحارث يقول : سمعتُ الحسينَ بن محمد بن بحر يقول : سمعت المُزَنيَّ ، يقول : سمعتُ ابن هَرِمٍ القرشيَّ يقول : سمعتُ الشافعيَّ رحمه الله يقول في قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] قال :

---

(١) وقد أفرد الإمام البيهقي رحمه الله تعالى ما ورد في ذلك في تصنيف سماه : « الرؤية » كما أشار (ص١٧٢) ونقلَ عنه ، وبعضها منثورة في باقي مصنفاته ، ومن العلماء الذين أفردوا هذه المسألة بالتصنيف : الإمام أبو الحسن الأشعري ، والإمام الصبغي ، والإمام الطبراني ، والإمام الدارقطني ، والإمام الآجري ، وابن النحاس ، والحافظ أبو شامة ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، والإمام السيوطي ، وغيرهم رحمهم الله تعالى .

(٢) وقد قال العلامة محمد مهدي الفاسي في « مطالع المسرات » (ص ٣٢٢) : (والنظر إلى وجه الله سبحانه في الجنة جائز عقلاً ، وثابت نقلاً بالكتاب والسنة والإجماع :
أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ، وقوله ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ ؛ يعني : الكفار ، وقد بلغ ما جاء مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين في تفسير هذه الآيات بالرؤية مبلغَ التواتر .
وأما السنَّة : فقد ثبتت الرؤية من حديث نحو العشرين صحابياً ، كلُّها أحاديثُ مسندة صحيحة إلى ما يتبعها من المراسيل والمعضلات والموقوفات والمقطوعات .
وأما الإجماع : فقد أجمع عليها أهل السنة قبل ظهور أهل البدع والأهواء الذين أعماهم الضلال) ، وانظر « فتح الباري » (١٣/٤١٩) .

فلمَّا حجبَهم في السَّخَطِ . . كان هذا دليلاً على أنهم يرونَهُ في الرضا[1]

٧٩ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن السُّلميُّ ، أخبرنا عليُّ بن عمر الحافظُ قال : ذكر إسحاقُ الطحانُ المصريُّ ، حدثنا سعيدُ بن أسد قال : قلت للشافعيِّ : ما تقول في حديث الرؤية ؟ فقال لي : يا بنَ أسدٍ ؛ اقضِ عليَّ حَيِيْتُ أو مُتُّ : أنَّ كلَّ حديث يصحُّ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . فإنِّي أقولُ به وإن لم يَبْلُغْني ، والله أعلم[2]

* * *

(١) ورواه المصنف في « معرفة السنن والآثار » (١/ ١٩١) ، و« مناقب الشافعي » (١/ ٤١٩) وما بعدها ، واللالكائي في « السنة » (٨٠٩) وما بعده ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٧)

(٢) ورواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) ، وانظر رسالة الإمام تقي الدين السبكي رضي الله عنه : « معنى قول الإمام المطلبي : إذا صح الحديث فهو مذهبي » .
لطيفةٌ بشأن رؤية الحق تعالى في الآخرة : قال حُجَّة الإسلام الغزالي في « إحيائه » (٨/ ٤٢٥) : (فيتجلى له سبحانه تجلياً يكون انكشافُ تجلِّيه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيَّله ، وهذه المشاهدةُ والتجلي هي التي تُسمَّى رؤيةً ، فإذاً الرؤيةُ حقٌّ ؛ بشرط ألا يُفهم من الرؤية استكمالُ الخيال في متخيَّل متصوَّر مخصوصٍ بجهة ومكان ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يتعالى عنه ربُّ الأرباب علواً كبيراً ، بل كما عرفته في الدنيا معرفةً حقيقية تامة من غير تخيُّل وتصوُّر وتقديرِ شكلٍ وصورةٍ . . فتراه في الآخرة كذلك) .
ثم قال رحمه الله تعالى : (وكلُّ من لم يعرف الله في الدنيا . . فلا يراه في الآخرة ، وكلُّ من لم يجد لذةَ المعرفة في الدنيا . . فلا يجدُ لذة النظر في الآخرة ؛ إذ ليس يُستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ، ولا يحصد أحدٌ إلا ما زرع ، ولا يحشر المرءُ إلا على ما مات عليه ، ولا يموت إلا على ما عاش عليه ، فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعَّمُ به بعينه فقط ، إلا أنه ينقلبُ مشاهدة بكشف الغطاء ، فتتضاعف اللذةُ به كما تتضاعف لذةُ العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤيةَ صورته ؛ فإن ذلك منتهى لذته ، وإنما طيبة الجنة أن لكلِّ أحد فيها ما يشتهي ، فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى . . فلا لذة له في غيره ، بل ربَّما يتأذَّى به ، فإذاً نعيمُ الجنة بقدرِ حبِّ الله تعالى ، وحبُّ الله تعالى بقدر معرفته ، فأصلُ السعادات هي المعرفةُ التي عبَّرَ الشرعُ عنها بالإيمان) .

باب
القول في الإيمان بالقدر

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] .

وقال : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد : ٢٢] .

وقال : ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] .

وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

والقَدَرُ : اسمٌ لما صدر مُقدَّراً عن فعلِ القادرِ ؛ يقال : قَدَّرتُ الشيءَ وقَدَرتُه ـ بالتشديد والتخفيف ـ فهو قَدَرٌ ؛ أي : مَقدُورٌ ومُقدَّرٌ ، كما يقال : هَدَمتُ البناء فهو هَدَمٌ ؛ أي : مَهدُومٌ ، وقَبَضتُ الشيءَ فهو قَبَضٌ ؛ أي : مَقبُوضٌ .

فالإيمانُ بالقدر : هو الإيمانُ بتقدُّم علمِ اللهِ سبحانه بما يكون مِنْ أكسابِ الخلقِ وغيرها مِنَ المخلوقات ، وصُدُورِ جميعِها عن تقديرٍ منه وخَلْقٍ لها خيرِها وشرِّها[1]

٨٠ ـ أخبرَنا أبو الحسين بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفر محمدُ بن عمرٍو الرَّزَّازُ ، حدثنا عيسى بنُ عبد الله الطَّيَالسيُّ ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئُ ،

(١) وإرجاعُ القدر لصفة العلم له تعالى من أشهر أقوال أهل السنة ، وستأتي شواهده للإمام المصنف ، ومنهم من يرجعه لصفة الإرادة وصفة القدرة ، وعلى الجملة : فما من حادث يحدثُ إلا بعلم الله وإرادته وقدرته ، فهو تعالى المستبدُّ بكل فعل ، ولا استقلالَ بفعلٍ لسواه ، ثم الإيمانُ بالقضاء والقدر أحدُ أصول الإيمان الستة التي لا غَناء عنها .

حدثنا كَهمَسُ بن الحسن قال : سمعتُ عبدَ الله بن بُريدةَ يحدِّث أنَّ **يحيى بنَ يَعْمَرَ قال** : كان أوَّلَ مَنْ قال في القدَرِ بالبصرة مَعبَدٌ الجُهَنِيُّ ، فانطلقنا حُجَّاجاً أنا وحُميدُ بن عبد الرحمن ، فلمَّا قدمنا قلنا : لو لقينا بعضَ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فسألْنا[1] عمَّا يقول هؤلاءِ القومُ في القدر .

قال : فوافقْنا عبدَ الله بن عمر في المسجد ، فاكتنفتُهُ أنا وصاحبي ؛ أحدُنا عن يمينه والآخرُ عن شماله ، **قال يحيى** : فظننتُ أنَّ صاحبي يَكِلُ الكلامَ إليَّ ؛ فقلتُ : يا أبا عبد الرحمن ؛ إنَّهُ ظهر قِبَلَنا ناسٌ يقرؤون القرآنَ ، ويعرفون العلمَ ؛ يزعمون أنْ لا قَدَرَ ! وإنَّما الأمر أُنُفٌ[2] ، فقال عبد الله فإذا لقيتم أولئك فأخبروهم أني بريءٌ منهم ، وهم مني بُرَآءُ ، والذي يحلفُ به عبدُ الله بن عمر ؛ لو كان لأحدهم مثلُ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه . . ما قَبِلَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ منهُ حتى يؤمنَ بالقدَر كلِّه خيرِهِ وشرِّهِ .

ثم قال : حدثني عمرُ بن الخطاب قال : بينا نحنُ عند رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذاتَ يومٍ . . إذ طلعَ رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ ، شديدُ سوادِ الشَّعرِ ، لا نَرى[3] عليه أثرَ السَّفرِ ولا نعرفُهُ ، حتَّى جلسَ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، فأسندَ ركبتهُ إلى ركبتِهِ ، ووضعَ كفَّيهِ على فخذيهِ ، ثمَّ قالَ : يا محمدُ ؛ أَخبرني عنِ الإسلامِ : ما الإسلامُ ؟ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم « **الإِسْلَامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ السَّبِيلَ** » ،

---

(١) كذا في جميع النسخ بدون هاء ، والذي في « صحيح مسلم » (١/٨) : (سألناه) بزيادة هاء الضمير

(٢) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١/١٥٦) : (هو بضم الهمزة والنون ؛ أي : مستأنف لم يسبق به قدرٌ ولا علمٌ من الله تعالى ، وإنما يعلمه بعد وقوعه) ، وهذا قولُ غلاة القدرية أسلاف المعتزلة ، وهو كفرٌ ، والمعتزلةُ متبرِّئة من هذه الشناعة .

(٣) كذا في (أ ، ب) ، وفي سائر النسخ : (يُرى) ، وهي رواية الصحيح .

فقالَ الرَّجلُ : صدقْتَ ، قالَ عمرُ : فعجبْنا له ؛ يسألُهُ ويُصَدِّقُهُ ! ثمَّ قالَ : يا محمدُ ؛ أخبرني عن الإيمانِ : ما الإيمانُ ؟ قالَ : « **الإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » ، فقالَ : صدقْتَ ، فقالَ : أخبرْني : ما الإحسانُ ؟ فقالَ : « **الإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** » ، قالَ : فحدِّثْني عن السَّاعةِ متى السَّاعةُ ؟ قالَ : « **مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ** » ، قالَ : فأخبِرْني عَنْ أمارتِها ؟ قالَ : « **أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ** »(1) ، ثم انطلقَ ، فقالَ عمرُ : فلبثْتُ ثلاثاً ؛ ثمَّ قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « **يَا عُمَرُ ؛ مَا تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟** » قُلْتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قالَ : « **ذَاكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ** »(2)

٨١ ـ **وأخبرَنا** عليُّ بن بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا يعلى بنُ عبيدٍ ، حدثنا أبو سنانٍ ، عن علقمةَ بن مَرْثَدٍ ، عن ابن بُريدةَ قال : كنتُ أنا وابنُ يَعْمَرَ جالسينَ في المسجدِ ، فجاء ابنُ عمر . . . ، فذكر الحديث في سؤال الرجل رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الإيمان ، وقالَ في جوابه : قال : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْقَدَرِ ؛ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ** » .

٨٢ ـ **أخبرَنا** أبو الحسين محمدُ بن الحسين بن محمد بن الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا سفيانُ ، (ح) .

---

(١) كذا في أصول جميع النسخ ، وفي هامش بعضها إشارة إلى نسخة : (البنيان) كرواية « الصحيح » المشهورة .

(٢) ورواه مسلم (١/٨) وما بعده ، والمصنف في « البعث والنشور » (١٦١) ، وانظر الحديث الآتي (١٩٢) .

وأخبرَنا أبو ذَرٍّ بنُ أبي الحسين بن أبي القاسم المُذكِّر ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الأصبهانيُّ الزاهدُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن إبراهيم المُؤدِّبُ ، حدثنا الحسينُ بن حفص ، حدثنا سفيانُ ، عن زيادِ بن إسماعيل السَّهمِيِّ ، عن محمد بن عبَّادٍ المخزوميِّ ، عن أبي هريرةَ قال : جاء مشركو قريشٍ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخاصمونَهُ في القدَرِ ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٧ـ٤٩][1] .

٨٣ ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرني أبو النضر الفقيهُ ، حدثنا محمدُ بن نصرٍ ، حدثنا عبدُ الأعلى بنُ حماد النَّرْسِيُّ قال : قرأتُ على مالكِ بن أنس ، عن زياد بن سعد ، عن عمرو بن مسلم ، عن طاوسٍ قال : أدركتُ ناساً مِنْ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقولون : كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ[2]

قال[3] : وسمعتُ عبدَ الله بن عمر يقول : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ** » أو : « **الْكَيْسُ وَالْعَجْزُ** »[4]

---

(١) ورواه مسلم (٢٦٥٦) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١٠/ ٤٧٢) : (يعني : مُقدَّراً مرتباً على مقتضى الحكمة ، أو مُقدَّراً مكتوباً في اللوح المحفوظ ، معلوماً قبل كونه ، قد علمنا حاله وزمانه) .

(٢) ورواه مسلم (٢٦٥٥) .

(٣) يعني : طاوسَ بن كيسان اليماني .

(٤) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٦/ ٢٠٤) : (قال القاضي : رويناه برفع « العجز والكيس » عطفاً على « كلُّ » ، وبجرهما عطفاً على « شيءٍ » ، قال : ويحتمل أن العجزَ هنا على ظاهره ؛ وهو عدمُ القدرة ، وقيل : هو ترك ما يجب فعله ، والتسويف به وتأخيره عن وقته ، قال : ويحتمل العجز عن الطاعات ، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة ، والكيس ضد العجز ؛ وهو النشاط والحذق بالأمور ؛ ومعناه : أن العاجز قد قدر عجزه ، والكيس قد قدر كيسه) .

٨٤ ـ أخبرَنا محمد بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا بكر بن محمد الصَّيرَفِيُّ بمروَ ، حدثنا عبدُ الصمد بن الفضل ، حدثنا عبدُ الله بن يزيدَ المقرئُ ، حدثنا حَيْوَةُ ، حدثنا أبو هانئ : أنَّهُ سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلِيَّ قال : سمعتُ عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** »(١)

٨٥ ـ أخبرَنا الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكر بن دَاسَهْ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا جعفرُ بن مسافر الهذليُّ ، حدثنا يحيى بن حسَّان ، حدثنا الوليد بن رباح ، عن إبراهيمَ بن أبي عَبلَةَ ، عن أبي حفصةَ قال : قال عُبادةُ بن الصامت لابنه يا بُنَيَّ ؛ إنَّكَ لن تجدَ طعم حقيقة الإيمان حتى تعلمَ : أنَّ ما أصابَكَ لم يكنْ ليُخْطِئَكَ ، وما أخطأَكَ لم يكنْ ليُصيبَكَ ، سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ الْقَلَمُ**(٢) ، **فَقَالَ لَهُ : ٱكْتُبْ ، قَالَ : رَبِّ ؛ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : ٱكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ** » ، يا بُنَيَّ ؛ إنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا .. فَلَيْسَ مِنِّي** »(٣)

٨٦ ـ أخبرَنا أبو الفتح محمدُ بن أحمدَ بن أبي الفوارس الحافظُ رحمه الله

---

(١) ورواه مسلم (٢٦٥٣/١٧) ، وقوله : (قدَّر اللهُ) يشهد لمن جعل القدر راجعاً لصفة الإرادة ، ورواية مسلم : (كتب) ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٢٠٣/١٦) : (قال العلماء : المراد : تحديدُ وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره ، لا أصلُ التقدير ؛ فإن ذلك أزليٌّ لا أولَ له) .

(٢) قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (١٦٨/١) : (القلم بالرفع وهو ظاهر ، وروي بالنصب ، قال بعض المغاربة : رفع القلم هو الرواية ، فإن صح النصب كان على لغة من ينصب خبر « إن » ، وقال المالكي : يجوز نصبه بتقدير « كان ») .

(٣) ورواه أبو داود (٤٧٠٠) ، والترمذي (٢١٥٥) .

ببغدادَ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن عبد الله الشافعيُّ ، حدثنا إسحاقُ بن الحسن ، حدثنا أبو نعيمٍ[1] ، حدثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن سعدِ بن عبيدةَ[2] ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميِّ ، عن عليٍّ رضي الله عنه قال : كنَّا مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في بَقِيعِ الغَرقَدِ في جنازة ، فقال : « **مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إلا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ** » ، قالوا : يا رسول الله ؛ أفلا نَتَّكِلُ ؟ قال : « **اعْمَلُوا ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ** »[3] ، ثم قرأ : «﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل : ٥ ـ ١٠]»[4] .

قال الشيخ

وقوله : (فكلٌّ مُيسَّرٌ) يريدُ : أنه مُيسَّرٌ في أيام حياته للعمل الذي سبقَ له القدَرُ به قبلَ وجوده وكونه ، وأُمِرَ بالعمل الذي هو أمارةٌ له ؛ ليكونَ راجياً خائفاً

٨٧ ـ أخبرَنا عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرنا أبو جعفر محمدُ بن عمرو الرَّزَّازُ ، حدثنا سعدانُ بن نصر ، حدثنا أبو معاويةَ ، حدثنا الأعمشُ ، عن زيد بن وهْب ، عن عبدِ الله رضي الله عنه قال : حدثنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو الصادقُ المصدوقُ : « **إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ : اكْتُبْ رِزْقَهُ ، وَعَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ،**

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي سائر النسخ : (إبراهيم) ، وهو تصحيف (أبو نعيم) ، وهو الفضل بن دكين .

(٢) كذا (عبيدة) مصححاً في هامش (أ) ، وهو الصواب .

(٣) كذا هي الرواية ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٧/ ٤٢١) : (أي : مهيأ لما خُلق له) ، وفي رواية عند البخاري (٤٩٤٩) ، ومسلم (٢٦٤٧) بزيادة : (لما خُلق له) ، فأعمالُ الخلق مُظهِرةٌ لما سبق في علم الله تعالى .

(٤) ورواه البخاري (١٣٦٢ ، ٤٩٤٥) ، ومسلم (٢٦٤٧)

وَشَقِيٌّ هُوَ أَمْ سَعِيدٌ ، وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ ؛ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ؛ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ؛ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا »(١)

٨٨ ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيد أحمدُ بن محمد بن زياد البصريُّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفرانيُّ ، حدثنا سفيانُ بن عيينةَ ، عن عمرو ، عن طاوسٍ ، سمع أبا هريرةَ يقول : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ٱحْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ ، فَقَالَ مُوسَى : أَنْتَ أَبُونَا ، خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ ! فَقَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوسَى ؛ ٱصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلامِهِ ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ؟! قَالَ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى »(٢)

ورواه أيضاً عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو سعيد الخدريُّ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم(٣)

٨٩ ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله بن أحمد الصَّفَّارُ ، حدثنا أبو السَّريِّ موسى بنُ الحسن ، حدثنا عبدُ الله بن مسلمةَ القَعْنَبيُّ ، حدثنا المعتمرُ بن سليمانَ ، عن أبيه ، عن رَقَبَةَ بن مَسْقَلَةَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن سعيدِ بن جُبير ، عن ابن عباسٍ ، عن أُبيِّ بن كعب قال : قال

---

(١) ورواه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣/ ١) .

(٢) ورواه البخاري (٣٤٠٩ ، ٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢/ ١٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٧٠٢) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه ، والبزار كما في « كشف الأستار » (٢١٤٧) ، وأبو يعلى في « مسنده » (١٢٠٤) موقوفاً ، وأشار الترمذي إليه (٢١٣٤) مرفوعاً من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « فتح الباري » (١١/ ٥٠٥) وما بعدها .

(٣) انظر « سنن الترمذي » (٢١٣٤) ، و« الجمع بين الصحيحين » للحميدي (١/ ١٤٢) .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إنَّ الْغُلامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِراً ، وَلَوْ عَاشَ لأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَاناً وَكُفْراً** »[١]

٩٠ـ أخبرَنا أبو الخير جامعُ بنُ أحمدَ الوكيلُ المُحَمَّدَاباذيُّ ، أخبرنا أبو طاهر محمدُ بن الحسن المُحَمَّدَاباذيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارميُّ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن المبارك ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، عن هشامِ بن حسَّانَ ، عن ابن سيرينَ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ** »[٢]

ورواه يحيى بن عبد الله التَّيْميُّ[٣] ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وزاد فيه : « **وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ** »[٤]

٩١ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بنُ يحيى بنِ عبد الجبَّار السُّكَّرِيُّ ببغدادَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا عباسُ بن عبد الله التَّرْقُفِيُّ ، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئُ ، حدثنا نافعُ بن يزيدَ ، وابنُ لهيعةَ ، وكَهْمَسُ بن الحسن ، وهمامُ بنُ يحيى ، عن قيس بن الحجاج[٥] ، عن حَنَشٍ ، عن ابن

---

(١) ورواه مسلم (٢٦٦١/٢٩) ، وسيأتي في (باب القول في الأطفال) ، وفي معناه ما رواه البخاري (٦١٩٤) عن إسماعيل بن أبي خالد البجلي قال : قلت لابن أبي أوفى : رأيت إبراهيم بنَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مات صغيراً ، ولو قُضيَ أن يكون بعد محمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيٌّ . . عاش ابنه ، ولكن لا نبي بعده .

(٢) ورواه البزار كما في « كشف الأستار » (٢١٥٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٤٦٥) ، و« المعجم الصغير » (٧٧٣) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ١٩٣) : (ورجال البزار رجال الصحيح) .

(٣) كذا في جميع النسخ : (عبد الله) ، وإنما هو (عبيد الله) ، وهو يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب التيمي المدني ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٩/ ٣٣٤)

(٤) ورواه المصنف في « القضاء والقدر » (١٠٨) ، والآجري في « الشريعة » (٣٦٦) .

(٥) في (أ ، ب) : (قيس بن أبي الحجاج) ، والصواب ما أثبت من (ج ، و) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٨/ ٢٠٥) .

عباسٍ قال : كنتُ رَدِيفَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال لي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « يَا غُلامُ ـ أو : يَا بُنَيَّ ـ أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ ؟ » فقلتُ : بلى ، فقال : « ٱحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، ٱحْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَكَ . لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ عَلَيْكَ . لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، واعْمَلْ لِلهِ بِالشُّكْرِ فِي الْيَقِينِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً »[١]

ورواه الليثُ بن سعد ، عن قيسِ بن الحجاج ، وقال في الحديث : « رُفِعَتِ الصُّحُفُ ، وَجَفَّتِ الأَقْلامُ »[٢]

ولهذا الحديثِ شواهدُ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما[٣] .

وحديث : « السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ » لا يخالفُ الأحاديثَ الواردة في المقاديرِ وجريانِ القلم بما يكون[٤] ؛ فإنَّهُ إنما يَسعدُ في بطن أُمِّهِ مَنْ جرى القلمُ

---

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) ، والترمذي (٢٥١٦) وقال: (حسن صحيح) .

(٢) ورواها ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (٦) ، وقيل بأن جفاف الأقلام ورفع الصحف أبلغ في انقضاء الأمر ؛ يعني: مما رواه الترمذي (٢٥١٦) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما : « رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » .

(٣) قوله : (ولهذا الحديث . . .) زيادة ليست في (أ ، ب) ، قال العلامة ابن رجب في « جامع العلوم والحكم » (١/ ٤٦١) : (وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وصَّى ابن عباس بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالب ، وأبي سعيد الخدري ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن جعفر ، وفي أسانيدها كلها ضعف ، وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة ، وبعضها أصلح من بعض ، وبكلٍّ حال ؛ فطريقُ حنشٍ التي خرجها الترمذي حسنةٌ جيدة) .

(٤) في (أ، ب): (العلم) بدل (القلم) ، والمثبت من سائر النسخ ، وهو الموافق للسياق .

بسعادته ؛ وإنَّما جرى القلمُ بسعادة مَنْ كان في علمِ الله وفي تقديرِهِ سعادتُهُ[1]

٩٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا الحسنُ بن علي بن زياد ، حدثنا سعيدُ بن سليمان ، حدثنا سعيدُ بن عبد الرحمن قال : سمعتُ أبا حازمٍ يقول : (إنَّ الله عزَّ وجلَّ عَلِمَ قبلَ أن يكتبَ ، وكتبَ قبلَ أن يخلقَ ؛ فمضى الخَلْقُ على علمِهِ وكتابه)[2]

٩٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا بحرُ بن نصر ، حدثنا ابنُ وهْب ، أخبرني عمرُو بن الحارث ، عن ابنِ شهاب ، أنَّ أبا خِزَامَةَ حَدَّثَهُ ، أنَّ أباه حَدَّثَهُ أنَّهُ قال : يا رسولَ الله ؛ أرأيتَ دواءً نتداوى به ، ورُقىً نسترقيها ، وتُقىً نَتَّقيه ؛ هل يَرُدُّ ذلك مِنْ قَدَرِ اللهِ مِنْ شيءٍ ؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إنَّهُ مِنْ قَدَرِ اللهِ** »[3]

قال الشيخ

والذي يشهدُ لهذا الحديث بالصحَّة : قولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** »[4] ، فهو إذا تداوى أو استرقى أو اتقى . فبتقدير الله وتيسيره أمكنَهُ ذلك ، **ولو لم يُقدِّرْهُ . لم يتيسَّرْ منه فعلُ ذلك** ، وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) **واتفق المتكلمون** : أنَّ العلم ليس من صفات التأثير ؛ فلا يحتجُّ به من حيث التأثير ، بل من حيث إنه لا يقعُ إلا ما علم ؛ إذ يستحيل انقلابُ العلم القديم جهلاً ، ومثل العلم : الحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وإنما صفاتُ التأثير هي الإرادة والقدرة باتفاق ، مع التكوين عند السادة الماتريدية .

(٢) ورواه ابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٨٢٨) .

(٣) ورواه الترمذي (٢٠٦٥) وحسَّنه ، وابن ماجه (٣٤٣٧) ، **وأبو خزامة** : هو الصحابي أبو خزامة السعدي رضي الله عنه ، أحد بني سعد بن الحارث بن هذيم ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٣/٢٧٩)، ووالده اسمه : يَعْمَر السعدي رضي الله عنه . انظر « تقريب التهذيب » (ص ٦٣٦) .

(٤) رواه مسلم (٢٦٤٩) من حديث سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

باب
القول في خلق الأفعال

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر : ٦٢] ، فدخل فيه الأعيانُ والأفعالُ مِنَ الخير والشر .

وقال : ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد : ١٦] ، فنفى أن يكونَ خالقٌ غيرُهُ ، ونفى أن يكونَ شيءٌ سواه غيرُ مخلوقٍ ، فلو كانت الأفعال غيرَ مخلوقةٍ . . لكان اللهُ سبحانه خالقَ بعض الأشياء دون جميعِها ؛ وهذا خلافُ الآية ، ومعلومٌ أنَّ الأفعالَ أكثرُ مِنَ الأعيان ، فلو كان اللهُ خالقَ الأعيان والناسُ خالقي الأفعال . . لكان خَلْقُ الناس أكثرَ مِنْ خَلْقِهِ ، ولكانوا أَتمَّ قُوةً منه ، وأَولى بصفة المدح مِنْ ربِّهم سبحانه !

ولأنَّ اللهَ تعالى قال ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات : ٩٦] ؛ فأخبر أنَّ أعمالَهم مخلوقةٌ لله .

٩٤ـ أَخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عبيد الله بن المُنادي ، حدثنا يونسُ بن محمد ، حدثنا شيبانُ ، عن قتادةَ في قوله تعالى : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات : ٩٥] قال : الأصنامَ ، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ قال : خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم(١)

قلنا : ولأنَّ اللهَ تعالى قال : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : ١٠١] ،

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢١/ ٧٠) ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٢١) .

فامتَدَحَ بالقولينِ جميعاً ، فكما لا يخرج شيءٌ مِنْ علمه . . لا يخرج شيء غيرُهُ مِنْ خلقه .

ولأنَّهُ قال : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك : ١٣ـ ١٤] ، فأخبر أنَّ قولَهم وسِرَّهم وجهرَهم خلقُهُ ، وهو بجميع ذلك عليمٌ .

وقال : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ ، كما قال : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم : ٤٣ـ ٤٤] فكما كان مُميتاً مُحيياً[١] ؛ بأنْ خلقَ الموت والحياة . . كان مُضحِكاً ومُبكِياً ؛ بأن خلقَ الضحك والبكاء ، وقد يضحكُ الكافرُ سروراً بقتل المسلمين وهو منه كفرٌ ، وقد يبكي حُزناً بظهور المسلمين وهو منه كفرٌ[٢] ؛ فثبت أنَّ الأفعالَ كلَّها خيرَها وشرَّها صادرةٌ عن خَلْقِهِ وإحداثِهِ إيَّاها .

ولأنَّهُ قال : ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وقال : ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة : ٦٤] ، فسلب عنهم فعلَ القتلِ والرمْيِ والزرعِ مع مباشرتهم إيَّاه ، وأثبت فعلَها لنفسه ؛ ليدلَّ بذلك على أنَّ المعنى المُؤثِّرَ في وجودها بعد عدمها . . هو إيجادُهُ وخلقُهُ ، وإنَّما وجدَتْ مِنْ عباده مباشَرَةُ تلك الأفعال بقدرة حادثة أحدثَها خالقُنا على ما أراد ؛ فهي مِنَ الله سبحانه خَلْقٌ ؛ على معنى أنَّهُ هو الذي اخترعَها بقدرته القديمة[٣] ،

---

(١) في (أ ، ب) : (فلمَّا) بدل (فكما) .

(٢) قال العلامة الآمدي في « أبكار الأفكار » (٢/ ٢٤٨) : (وحملُ ذلك على خلق الأسباب الموجبة للإضحاك والإبكاء . . تركٌ للظاهر من غير دليلٍ ؛ فلا يسمع) ، وعلى التسليم بذلك فيقول الحافظ اليافعي في « مرهم العلل المعضلة » (ص ١٥٨) : (والمتوقفُ على المتوقف على شيء متوقفٌ على ذلك الشيء ، فالمسبَّبُ متوقِّفٌ على المسبِّبِ ، والمتوقفُ على شيء . . لا يوجدُ إلا بذلك الشيء ، ومسبِّبُ الأسباب هو ربُّ الأرباب ، فجميعُ الأسباب والمسببات لا توجد إلا به ، والقتل في الصورة المذكورة سببٌ ، والضحك مسبَّبٌ ، فلا يوجد إلا به ، وهو المطلوب ، والحمد لله) .

(٣) في (أ ، ب) : (على معنىً هو) بدل (على معنى أنه هو) .

وهي مِنْ عباده كسبٌ ؛ على معنى تعلُّق قدرةٍ حادثةٍ بمباشرتهم التي هي أكسابُهم .

ووقوعُ هذه الأفعال أو بعضِها على وجوهٍ تخالف قصْدَ مكتسِبِها[١] . . يدلُّ على مُوقِعٍ أوقعَها على ما أراد غيرِ مكتسِبِها ؛ وهو اللهُ ربُّنا ، خَلَقَنا وخَلَقَ أفعالنا ، لا شريكَ له في شيء مِنْ خلقه ، تبارك الله ربُّ العالمين .

* وكان الإمام أبو الطيِّب سهلُ بن محمد بن سليمانَ يُعبِّر عن هذا بعبارة حسنة ؛ فيقول : (فعلُ القادر القديم خلْقٌ ، وفعلُ القادر المُحدَث كسبٌ ؛ فتعالى القديمُ عن الكسب وجلَّ ، وصَغُرَ المُحدَث عن الخلْقِ وذلَّ)[٢]

وقد أثبت اللهُ سبحانه كسبَ العباد وخلقَهُ كسبَهم ؛ بما ذكرنا مِنَ الآيات في هذا الموضع ، وفي كتاب « القدر » ممَّا لم نذكرْهُ ها هنا[٣] ، وبمثل ذلك جاءت السنَّةُ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

٩٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو النضر الفقيهُ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارميُّ ، حدثنا عليُّ بن المدينيِّ ، حدثنا مروانُ بن معاويةَ ، حدثنا أبو مالك الأشجعيُّ ، عن رِبعِيِّ بن حِرَاشٍ ، عن حذيفةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ »[٤]

٩٦ـ أَخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَكَ[٥] ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ

---

(١) في (أ ، ب) : (فعل) بدل (قصد) .

(٢) انظر « إرشاد الساري » (١٠/ ٤٧٢) .

(٣) انظر « القضاء والقدر » للمصنف (ص ١٦٥) .

(٤) ورواه البخاري في « خلق أفعال العباد » (ص ٤٦) ، والبزار في « مسنده » (٢٨٣٧) ، والحاكم في « المستدرك » (٣١/١) ، وروى أيضاً في « المستدرك » (٣٨٣/٣) من حديث سيدنا خباب رضي الله عنه مرفوعاً : « اتقوا الله ؛ فإن الله فاتحٌ لكم وصانعٌ » .

(٥) لا تخفى دلالة رواية هذا الحديث من طريق الأستاذ ابن فورك رحمه الله تعالى ـ وهو من شيوخ المصنف ـ فهو من أعلام المتكلمين في عصره .

الأصبهانيُّ ، حدثنا يونسُ بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا هشامٌ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا محمدُ بن عيسى بن السكن الواسطيُّ ، حدثنا القواريريُّ ، حدثنا معاذُ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، عن أبي موسى : أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **الْخَيْرُ وَالشَّرُّ خَلِيقَتَانِ يُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1]

وفي رواية أبي داود[2] : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ إِنَّ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ لَخَلِيقَتَانِ يُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ فَيَعِدُ أَهْلَهُ الْخَيْرَ وَيُمَنِّيهِ ، وَأَمَّا الْمُنْكَرُ فَيَقُولُ : إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ ، وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلَّا لُزُوماً** » .

٩٧ـ أخبرَنا أبو منصور أحمدُ بن عليِّ بن محمد بن منصور الدَّامَغَانِيُّ نزيلُ بيهقَ ، حدثنا أبو بكر الإسماعيليُّ الجرجانيُّ ، أخبرني الحسنُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو عمَّار ، حدثنا الفضلُ بنُ موسى ، عن أبي فَروةَ الرُّهاويِّ ، عن أبي يحيى الكَلَاعيِّ ، عن أبي أمامةَ الباهليِّ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يَقُولُ : أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَقَدَّرْتُهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ خَلَقْتُهُ لِلْخَيْرِ ، وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ لَهُ ، وَأَجْرَيْتُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلا**

---

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٩١) ، والبزار في « مسنده » (٣٠٧١) ، والطبراني في « الأوسط » (٨٩٢٥) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢٦٢) : (رواه أحمد والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في « الأوسط ») .

(٢) يعني : الطيالسي ، رواه في « مسنده » (٥٣٧) ، قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » عند الحديث (٥١٥٤) : (خليقتان ؛ أي : مخلوقتان ، ذكره الطيبي رحمه الله ، والظاهر أن المعنى : سيخلقان خلقاً آخر كسائر المعاني من الأعمال والموت ونحو ذلك ، فيجسدان ويجسمان) يعني: بتأويل لا يخفى ، ثم قال : (والحاصل : أن العمل الصالح يظهر في أحسن صورة وأطيب ريح في القبر ، وكذا يوم القيامة ، والعمل الطالح بخلاف ذلك ، ويؤيده ما ورد في حديث قدسي : « يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ، ثم أوفيكم إياها ؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ») .

أَنَا ، خَلَقْتُ الشَّرَّ وَقَدَّرْتُهُ ، فَوَيْلٌ لِمَنْ خَلَقْتُ الشَّرَّ لَهُ ، وَخَلَقْتُهُ لِلشَّرِّ ، وَأَجْرَيْتُ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ »[١]

وأمَّا ما رُوِيَ في حديث دعاء الاستفتاح : « وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »[٢] . . فإنَّما معناه : الإرشادُ إلى استعمال الأدبِ في الثناء على الله عزَّ وجلَّ والمدحِ له ؛ بأن يُضافَ إليه محاسنُ الأمور دون مساويها ، ولم يقصدْ به إدخالَ شيء في قدرته ، ونفيَ ضدِّهِ عنه ، فقد قال في هذا الحديث : « وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ »[٣] ، وفي حديث آخرَ : « وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ »[٤]

وفي ذلك دلالةٌ على أنَّهُ يَهدي قوماً دون قومٍ ، ويعصمُ قوماً دون قومٍ آخرينَ ، ومَنْ لم يعصمْهُ فقد خذلَهُ ، ومَنْ خذلَهُ لم يُرِدْ به خيراً ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١]

وكان النضر بن شُميل يقول : معناه : الشَّرُّ لا يُتقرَّب به إليك[٥]

---

(١) قال الحافظ العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (ص ١٧١٢) : (أخرجه ابن شاهين في « شرح السنة » عن أبي أمامة بإسناد ضعيف) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/١٧٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « مجمع الزوائد » (٨/١٩٢) .

(٢) رواه المصنف في « السنن الكبرى » (٢/٣٢) وغيرها ، ورواه مسلم (٧٧١/٢٠١) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه ، وظاهر الحديث شبهةُ دليلٍ أخذت بها القدرية والمعتزلة ، فجعلوا الحديث من المحكم ، وجعلوا ما سبق من المتشابه !

(٣) وهي رواية المصنف في « السنن الكبرى » (٢/٣٢) ، والإمام الشافعي في « الأم » (١/١٢٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٧٧١) ، والدارقطني في « سننه » (١١٣٨) .

(٤) رواه المصنف في « القضاء والقدر » (٣٩٥) ، ورواه البخاري (٦٦١١) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) قال الإمام النووي في « الأذكار » (ص ١٠٦) : (وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « والشرُّ ليسَ إليكَ » فاعلم: أنَّ مذهب أهل الحقِّ من المحدثين والفقهاء والمتكلمين من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من علماء المسلمين . أنَّ جميع الكائنات ؛ خيرِها وشرِّها ، نفعها =

٩٨ـ أَخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ قال : سمعتُ العباسَ بن محمد الدوريَّ يقول : سمعتُ يحيى بنَ معين يقول : قال النضرُ بن شُميل : (« والشرُّ ليسَ إليكَ » تفسيره : لا يُتقرَّبُ به إليك)[١]

٩٩ـ أَخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطَّانُ في آخرين قالوا : أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسنُ بن عَرَفةَ ، حدثنا إسماعيلُ ابن عُلَيَّةَ ، عن يزيدَ ، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ ، (ح) .

وأَخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن قتيبةَ ، حدثنا يحيى بن يحيى ، أخبرنا حمَّادٌ ، عن يزيدَ الرِّشْكِ ، حدثنا مطرِّفٌ ، عن عمرانَ بن حُصين قال : قيل : يا رسول الله ؛ أَعُلِمَ أهلُ الجنة مِنْ أهل النار ؟ قال : « نَعَمْ » ، قال : ففيمَ يعملُ العاملون ؟ قالَ : « **كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ** »[٢]

وفي رواية ابن عُلَيَّةَ قال : « **اعْمَلُوا ؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ** » أو كما قال[٣]

قال أبو سليمانَ الخطابيُّ رحمه الله فيما بلغني عنه في هذا الحديث : (فأعلَمَهم صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ العلمَ السابقَ في أمرهم واقعٌ على معنى تدبيرِ

= وضرِّها كلُّها من الله سبحانه وتعالى ، وبإرادته وتقديره ، وإذا ثبت هذا فلا بدَّ من تأويل هذا الحديث ؛ فذكر العلماء فيه أجوبةً : أحدها وهو أشهرها : قاله النضر بن شميل والأئمة بعده ؛ معناه : الشرُّ لا يتقرَّب به إليك ، والثاني : لا يصعد إليك ، إنما يصعد الكلمُ الطيب ، والثالث : لا يضاف إليك أدباً ، فلا يقال : يا خالق الشر ، وإن كان خالقه ، كما لا يقال : يا خالق الخنازير ، وإن كان خالقها ، والرابع : ليس شراً بالنسبة إلى حكمتك ؛ فإنَّك لا تخلق شيئاً عبثاً ، والله أعلم) ، وانظر « المجموع » (٣/ ٣١٧) ، و« شرح صحيح مسلم » (٣/ ٣١٧) ، و« الفتوحات الربانية » لابن علَّان (١٧٩/٢) .

(١) ورواه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٤/ ٢٢١) .

(٢) ورواه البخاري (٦٥٩٦) ، ومسلم (٢٦٤٩) .

(٣) رواها ابن أبي عاصم في « السنة » (٤١٢) .

الربوبية ، وأنَّ ذلك لا يُبطلُ تكليفَهم العملَ بحقِّ العبودية ، إلا أنَّهُ أخبر أنَّ كلاً مِنَ الخلْقِ مُيَسَّرٌ لما دُبِّرَ له في الغيب ، فيسوقُهُ العملُ إلى ما كُتِب له مِنْ سعادة أو شقاوة ؛ فيثابُ ويعاقبُ على سبيل المجازاة ، فمعنى العمل التعريضُ للثواب وللعقاب ، وبه وقعت الحُجَّةُ ، وعليه دارَتِ المعاملةُ)(١)

* وكان الشيخ أبو الطيِّب سهلُ بن محمد بن سليمانَ رحمه الله يقول : (أعمالُنا أعلامُ الثواب والعقاب) .

قلنا : وليس لقائل أن يقولَ : إذا خلق كسبَهُ، ويسَّرَهُ لعمل أهل النار، ثم عاقبه عليه. . كان ذلك منه ظلماً ، كما ليس له أن يقولَ : إذا أمكنَهُ منه، وعَلِمَ أنَّهُ لا يتأتَّى منه غيرُهُ، ثم عاقبه. . كان ذلك منه ظلماً؛ لأنَّ الظلمَ في كلام العرب مجاوزةُ الحدِّ، والذي هو خالقُنا وخالقُ أكسابنا لا آمرَ فوقه ، ولا حادَّ دونه ، وكلُّ مَنْ سواه خلقُهُ وملكُهُ ؛ فهو يفعلُ في مُلكه ما يشاء ، لا يُسأل عمَّا يفعل وهم يسألون(٢)

---

(١) انظر « أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري » (١/ ٧٢٠) .

(٢) قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (٨/ ٣٢٢٤) : (وتحقيق المرام في هذا المقام : أن أفعال العباد وإن كانت غير مُوجِبة للثواب والعقاب بذواتها ، إلا أنه تعالى أجرى عادته بربطهما ربط المسبَّبات بالأسباب ، وأنشد بعض أرباب الألباب : [من الطويل]

أخافُ وأرجو عفوَهُ وعقابَهُ ... وأعلمُ حقّاً أنَّهُ حكَمٌ عدلُ
فإنْ يكُ عفواً فهْوَ منهُ تفضُّلٌ ... وإنْ يكُ تعذيباً فإنِّي له أهلُ

والتدقيق والله ولي التوفيق : أن السبب الفاعلي للخير والشر ليس إلا الله وحده بمقتضى فضله وعدله ، وبمُوجَب جماله وجلاله ، وأما السبب القابلي : فهو وإن كان أيضاً منه في الحقيقة إلا أنَّ قابليةَ الخير. . من الاستعداد الأصلي الذي من الفيض الأقدس ؛ الذي لا دخل للاختيار فيه ، وقابليةَ الشر. . من الاستعداد الحادث؛ بسبب ظهور النفس بالصفات والأفعال الحاجبة للقلب ، المكدرة لجوهر الروح ، حتى احتاج إلى الصقل بالرزايا والبلايا ونحوها ، ولذا قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى : ٣٠] ، وها هنا يتموَّج أمواج بحر القضاء والقدر لتقسم العباد فيما يفعلون ، وسفينة النجاة قوله تعالى : ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣]) .

١٠٠ـ أَخبرَنا أبو طاهر محمدُ بن محمد بن مَحْمِشٍ الفقيهُ ، أخبرنا أبو طاهر محمدُ بن الحسن المُحمَّدَاباذيُّ ، حدثنا أبو قِلابةَ ، حدثنا عثمانُ بن عمرَ ، (ح)

وأخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا محمدُ بن يعقوبَ الشيبانيُّ ، حدثنا محمدُ بن شاذانَ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ ، أخبرنا عثمانُ بن عمرَ ، أخبرنا عَزْرَةُ بن ثابت ، عن يحيى بن عُقيل ، عن يحيى بن يَعْمَرَ ، عن أبي الأسود الدِّيلِيِّ ، قال : قال لي عمرانُ بن حُصين : أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ ويكدحونَ فيه ؛ أشيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم مِنْ قدرٍ قد سبق ، أو فيما يستقبلونه ممَّا أتاهم به نبيُّهُم صلَّى الله عليه وسلَّم ، وثبتت به الحُجَّةُ عليهم ؟

فقلتُ : بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم

قال : فقال : أفلا يكون ظلماً ؟[١]

قال : فَفَزِعْتُ مِنْ ذلك فَزَعاً شديداً ! وقلتُ : كلُّ شيء خَلْقُ الله ومُلْكُ يده ؛ فلا يُسأل عمَّا يفعل وهم يسألون ، فقال لي : يرحمُكَ الله ، إنِّي لم أردْ بما سألتُكَ عنه إلَّا لأَحْزرَ عقلَكَ[٢] ؛ إنَّ رجلينِ مِنْ مزينةَ أتيا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقالا : يا رسول الله ؛ أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليومَ ويكدحون ، أشيءٌ قُضيَ عليهم ومضى فيهم مِنْ قدرٍ قد سبق ، أو ممَّا يستقبلونه به ممَّا أتاهم به نبيُّهُم صلَّى الله عليه وسلَّم ، وثبتت عليهم الحُجَّةُ ؟ فقال : « **لا ، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ** » ، قال : ففيمَ نعملُ إذاً ؟ قال : « **مَنْ كَانَ اللهُ خَلَقَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ . فَيُيَسِّرُهُ لَهَا ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾** *

(١) في (أ ، ب) : (فلا) على تقدير حرف الاستفهام .
(٢) قوله : (لأحزر عقلك) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٦/١٩٩) : (أي : لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك) .

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس : ٧ـ٨] »[١]

١٠١ ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بنُ محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسنُ بن مُكْرَمٍ ، حدثنا إسحاقُ بن سليمانَ الرازيُّ[٢] ، حدثنا أبو سنانٍ سعيدُ بن سنانٍ الشيبانيُّ ، قال : سمعتُ وهْبَ بن خالد الحمصيَّ يحدثنا عن ابنِ الديلميِّ قال : وقعَ في نفسي شيءٌ مِنَ القدر ، فأتيتُ أُبيَّ بن كعب ، فقلتُ : أبا المنذر ؛ وقع في نفسي شيءٌ مِنَ القدر ، فخفتُ أن يكونَ فيه هلاكُ ديني أو أمري ، فقال : يا بنَ أخي ؛ إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لو عذَّبَ أهلَ سماواته وأهلَ أرضه لعذَّبَهُم وهو غيرُ ظالمٍ لهم ، ولو رحمَهم لكانت رحمتُهُ خيراً لهم مِنْ أعمالهم ، ولو أنَّ لك مثلَ أُحُدٍ ذهباً أنفقتَهُ في سبيل الله . . ما قَبِلَهُ اللهُ منك حتى تؤمنَ بالقدر ؛ وتعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكنْ ليخطئَكَ ، وأنَّ ما أخطأَكَ لم يكنْ ليصيبَكَ ، وأَنَّكَ إنْ مُتَّ على غير هذا دخلْتَ النار ، ولا عليك أنْ تأتيَ أخي عبدَ الله بن مسعود فتسألَه .

فأتيت عبدَ الله بن مسعود ، فسألته ، فقال مثلَ ذلك ، وقال لي : لا عليك أن تأتيَ حذيفةَ بن اليمان فتسألَه .

فأتيت حذيفةَ بن اليمان ، فسألته ، فقال لي مثلَ ذلك ، وقال : ائتِ زيد بن ثابت فسلْهُ .

فأتيتُ زيدَ بن ثابت ، فسألته ، فقال : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول ؛ فذكر مثلَ ذلك .

تابعه سفيانُ الثوري ؛ فرواه في « جامعه » ، عن أبي سنانٍ هذا ، ورواه أيضاً

---

(١) ورواه مسلم (٢٦٥٠) .

(٢) في (أ ، ب) : (سفيان) بدل (سليمان) ، والمثبت من سائر النسخ ، وهو الصحيح كما في مصادر التخريج وكتب الترجمات

كثيرُ بن مُرَّةَ عن ابن الديلمي ، إلا أَنَّهُ زاد سعدَ بن أبي وقاص في أوله ، ولم يذكرْ حذيفة[1] .

١٠٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا محمدُ بن علي بن عبد الحميد الصَّغَانيُّ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الدَّبَرِيُّ ، أخبرنا عبدُ الرزاق ، عن معمرٍ قال : بلغني أنَّ عمرَو بن العاص قال لأبي موسى الأشعريِّ : وددتُ أنِّي أجدُ مَنْ أخاصم إليه ربِّي ، فقال أبو موسى : أنا ، فقال عمرو : أَيُقَدِّرُ عليَّ شيئاً ويعذِّبُنِي عليه ؟ فقال أبو موسى : نعم ، قال : لِمَ ؟ قال : لأَنَّهُ لا يظلمُكَ ، فقال : صدقتَ[2] .

١٠٣ـ أَخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا الشيخُ أبو بكر أحمدُ بن إسحاقَ بن أيوبَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا محمدُ بن عبيد ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، عن حبيبِ بن الشهيد قال : سمعتُ إياسَ بن معاويةَ يقول : لم أخاصمْ بعقلي كلِّهِ مِنْ أهل الأهواء غيرَ أصحاب القدَرِ ، قلتُ : أخبرني عن الظلم في كلام العرب ما هوَ ، قال : أن يأخذَ الرجلُ ما ليس له ، قلتُ : فإنَّ اللهَ له كلُّ شيء[3] .

قال الشيخ أبو بكر[4] : (الظلم عند العرب : هو فعلُ ما ليس للفاعل فعلُهُ ، وليس مِنْ شيء فَعَلَهُ الله إلا وله فعلُهُ ؛ ألا ترى أَنَّهُ فاعلٌ بالأطفال والمجانين والبهائم ما شاء من أنواع البلاء ؛ فقال : ﴿ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ [نوح : ٢٥] ؛ فأغرقهم صغيرَهم وكبيرَهم ، وقال في عادٍ[5] : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ

---

(١) ورواه أبو داود (٤٦٩٩) ، وابن ماجه (٧٧) .
(٢) ورواه معمر في « جامعه » (٢٠٠٩٧) .
(٣) ورواه الفريابي في « القدر » (٣٣٥) ، والآجري في « الشريعة » (٤٧٨) من طريق الفريابي ، واللالكائي في « السنة » (١٢٨٠) .
(٤) يعني : أحمد بن إسحاق شيخَ الحاكم شيخِ المصنف .
(٥) كذا في النسخ ، ويمكن أن تكون بُداءة الآية : ﴿ وَفِي عَادٍ . . . ﴾ بإسقاط الواو . =

ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] ، وغيرَ ذلك مِنَ الآيات الواردة في تعذيب الصغير والكبير والأطفال والمجانين بأنواع البلاء) .

* * *

= وقد عقد المصنف باباً في « السنن الصغير » (١/ ١٧) فقال : (باب استعانة العبد بمعبوده على حسن عبادته علماً منه بأنه لا يمكن ذلك إلا بمعونته : قال الله عز وجل فيما علَّمنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] يعني : قولوا : إياك نعبد وإياك نستعين ، وعلَّمَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أخبار كثيرة أن نقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » يعني : لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله) .

باب
القول في الهداية والإضلال

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧]

وقال : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٣٩] .

وقال : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وقال معناه في غير آية مِنْ كتابه ، قد كتبناها في كتاب « القدر »[1]

١٠٤ــ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ رحمه الله ، أخبرنا أبو عمرِو بنُ السَّمَّاك ، حدثنا عبدُ الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا يحيى بنُ سعيد ، حدثنا يزيدُ بن كَيسانَ ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لعمِّهِ : « **قُلْ : لا إلَهَ إلا اللهُ . أَشْهَدْ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » ، فقال : لولا أن تُعَيِّرَني نساءُ قُريشٍ . لأَقْرَرْتُ بها عينَكَ ؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[2]

ورواه أيضاً سعيدُ بن المسيَّب بن حَزْنٍ القرشيُّ ، عن أبيهِ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[3]

---

(١) القضاء والقدر (ص ٢٥١) .

(٢) ورواه مسلم (٢٥/ ٤٢) .

(٣) ورواه البخاري (١٣٦٠ ، ٣٨٨٤) ، ومسلم (٢٤/ ٣٩) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٧/ ٢٨١) : (ولا تنافيَ بين هذه وبين قوله في الآية الأخرى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] لأن الذي أثبته وأضافه إليه : الدعوةُ ، والذي =

١٠٥ـ أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، وأبو زكريا بن أبي إسحاقَ في آخَرِينَ قالوا : حدثنا أبو العباس ـ هو الأصمُّ ـ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا بِشْرُ بن بكر ، عن ابن جابرٍ قال : سمعتُ بُسْرَ بن عُبيد الله قال : سمعتُ أبا إدريسَ الخولانيَّ يقول : سمعتُ النَّوَّاسَ بن سمعانَ الكِلابيَّ قال : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَا مِنْ قَلْبٍ إلا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؛ إِنْ شَاءَ . . أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ . . أَزَاغَهُ** » ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **اللَّهُمَّ ، يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ؛ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ ؛ يَرْفَعُ أَقْوَاماً وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** »(١)

قال الشيخ :

وقوله : (بينَ إصْبَعَينِ مِنْ أصابعِ الرَّحمـٰنِ) أراد به : كونَ القلوب تحت قدرة الرحمن .

وقد أثنى ربُّنا على الراسخين في العلم الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] ، وفيه وفي السنَّة دلالةٌ على أنَّ اللهَ تعالى إن شاءَ هداهم وثبَّتَهم ، وإن شاءَ أزاغ قلوبَهم وأضلَّهم ، نعوذُ بالله مِنْ زيغ القلوب .

١٠٦ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسينُ بن الحسن بن أيوبَ قال : حدثنا أبو يحيى بن أبي مَسَرَّةَ(٢) ، حدثنا خَلَّاد بنُ يحيى ، حدثنا عبد الواحد بن أيمنَ المكيُّ ، عن عُبيد بن رفاعةَ بن رافع الزُّرَقيِّ ، عن أبيه

= نفى عنه : هدايةُ التوفيق وشرحُ الصدر ؛ وهو نورٌ يقذف في القلب فيحيا به) .

(١) ورواه النسائي في « السنن الكبرى » (٧٦٩١) ، وابن ماجه (١٩٩) .

(٢) قوله : (قال : حدثنا) أثبت من (ج) وحدها ، ففيها : (قال : نا أبو . . .) ، وفي (د) : (قال أبو يحيى . . .) ، وسقطت من سائر النسخ صيغة التحديث ، والصواب المثبت ؛ إذ الحسينُ بن الحسن بن أيوب روى عن ابن أبي مسرة « مسنده » بمكة كما في « سير أعلام النبلاء » (١٧/٣٥٨) .

قال : لمَّا كان يومُ أُحُدٍ . . انكفأَ المشركون ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ٱسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي » ، فصاروا خلفَهُ صفوفاً ، فقال : « اللَّهُمَّ ؛ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ ، اللَّهُمَّ ؛ لا مَانِعَ لِمَا بَسَطْتَ ، وَلا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ ، وَلا هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ ، وَلا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ ، وَلَا مُنْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلا مَانِعَ لِمَا أَنْطَيْتَ[١] ، وَلا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ؛ ٱبْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ ، اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللَّهُمَّ ؛ عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا ، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا ، اللَّهُمَّ ؛ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ ؛ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِينَ ، اللَّهُمَّ ؛ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ »[٢]

١٠٧ـ أخبرَنا أبو زكريا بنُ أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن محمد بن عَبدُوسٍ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارميُّ ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾ [المائدة : ٧٤] قال : قد دعا اللهُ عزَّ وجلَّ إلى توبته ، ولكن لا يَقدِرُ العبدُ أن يتوبَ حتى يتوبَ اللهُ عليه ؛ قولَهُ : ﴿ ثُمَّ تَابَ

(١) قوله : (منطي ، أنطيت) قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ن ط و) : (هي لغةُ سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار يجعلون العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء) ، وقال العلامة السمين الحلبي في « الدر المصون » (١١/ ١٢٥) : (قرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفراني : « أَنطَيْناك » . . . ، قال التبريزي : هي لغةُ العرب العاربة من أولي قريش ، وفي الحديث عنه صلَّى الله عليه وسلَّم : « اليدُ العليا : المُنْطِيَةُ ، واليدُ السفلى : المُنْطاة ») .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٢٤) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١٠٣٧٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٠٦) .

﴿عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة : ١١٨] فبدْءُ التوبة مِنَ الله عزَّ وجلَّ(١)

١٠٨ـ وبإسناده عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال : ٢٤] **يقول** : يحول بين المؤمن وبين الكفر ، ويحول بين الكافر والإيمان(٢)

١٠٩ـ وقولِهِ : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام : ١١٠] **قال** : لو رُدُّوا إلى الدنيا لحيلَ بينهم وبين الهُدى ، كما حيلَ بينهم أوَّلَ مرة في الدنيا(٣)

١١٠ـ وقولِهِ : ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس : ٨٨] **قال** : فاستجاب الله لموسى عليه السلام ، وحال بين فرعونَ وبين الإيمان حتى أدركَهُ الغرقُ ، فلم ينفعْهُ الإيمانُ(٤)

١١١ـ وقولِهِ : ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر : ٣٩] **يقول** : أضلَلْتَني(٥)

---

(١) انظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٣٣) ، و« تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٢٨) ، و« الدر المنثور » (٤/ ٣١٥) (٧/ ٢٣٨) .

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٤٦٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٢٦٥) وصححه ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٥٠) ، و« تفسير ابن كثير » (٤/ ٣٥) ، و« فتح الباري » (١١/ ١١٤) ، و« الدر المنثور » (٤/ ٤٤ـ ٤٥) .

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ٤٤) (٢١/ ٣١٦) ، واللالكائي في « السنة » (١٠١٠) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢١٠) ، و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٣١٧) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٢٦٢) ، و« حاشية الصاوي على الجلالين » عند الآية (١١٠) من سورة (الأنعام)

(٤) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ١٨١) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٨١) ، و« الدر المنثور » (٤/ ٣٨٤) ، وروى الترمذي (٣١٠٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر : « أنَّ جبريلَ جعلَ يدسُّ في في فرعونَ الطينَ خشيةَ أن يقولَ : لا إلهَ إلَّا اللهُ ، فيرحمَهُ اللهُ » ، أو « خشيةَ أن يرحمَهُ اللهُ » ، وقال : (هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه) ، ويشهد هذا الأثر لمن قال بقبول توبة اليأس أو البأس إن وقعت .

(٥) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ٣٣٢) ، واللالكائي في « السنة » (١٠٠٢) ،=

١١٢ـ وقولِهِ : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات ١٦١ـ١٦٣] يقول : لا تُضِلُّونَ أنتم ، ولا أُضِلُّ منكم إلا مَنْ قَضيتُ له أنَّهُ صالِ الجحيم(١)

١١٣ـ وقولِهِ : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] قال : زيَّنَ لكلِّ أمَّةٍ عملَهم الذي يعملون حتى يموتوا(٢)

١١٤ـ وقولِهِ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] يقول : خلقنا لجهنَّمَ كثيراً مِنَ الجنِّ والإنس(٣)

١١٥ـ وقولِهِ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف : ٢٩ـ ٣٠] قال : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بدأَ خلق ابن آدم مؤمناً وكافراً ؛ كما قال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن ٢] ، ثم يُعيدُهم يومَ القيامة كما بدأَ خلقهم مؤمناً وكافراً(٤) .

= وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص٢٠٦) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٤٢٥) .

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢١/ ١٢٣) ، واللالكائي في « السنة » (١٠٠٤) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٢٤) ، و« الدر المنثور » (٧/ ١٣٤) .

(٢) انظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢١٠) ، وبمعناه « تفسير الواحدي » (٢/ ٣١٠) ، و« تفسير القرطبي » (٧/ ٦١) ، وقد روي عن زيد بن أسلم ، وانظر « الدر المنثور » (٣/ ٣٣٩)

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٢٧٨) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٤١) ، و« تفسير الرازي » (١٥/ ٤٠٨) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٦١٣) ، و« فيض القدير » (١/ ٣٤٧) .

(٤) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ٣٨٢) ، والفريابي في « القدر » من طريق آخر (٤٢١) ، والآجري في « الشريعة » (٣١٧ ، ٤٤٠) من طريق الفريابي ، واللالكائي في « السنة » (٩٦١) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٢٤) ، و« التمهيد » (١٨/ ٧٩) ، و« زاد المسير » (٢/ ١١٢) ، و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٤٠٤) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٤٣٧) .

١١٦ـ وقال في قوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت : ١٧] **يقول** : بيَّنَّا لهم(١)

١١٧ـ وقولِهِ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٢٣] **يقول** : أمرَ(٢)

١١٨ـ وقولِهِ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] **يقول** : الحسنةُ والسيئةُ مِنْ عند الله ؛ أمَّا الحسنةُ فأنعمَ اللهُ بها عليكَ ، وأمَّا السيئة فابتلاكَ اللهُ بها(٣)

١١٩ـ وقولِهِ : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] **قال** : الحسنةُ : ما فتح الله عليه يوم بدر ، وما أصاب مِنَ الغنيمة والفتح ، والسيئةُ : ما أصاب يوم أُحُدٍ ؛ أن شُجَّ في وجهه ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ(٤)

---

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/٤٤٨)، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٣٩)، و« تفسير ابن كثير » (٧/ ١٦٩) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٣١٨) ، قال أبو مظفر السمعاني رحمه الله في « تفسيره » (١/ ٣٨) : (والهداية في القرآن على معانٍ ؛ فتكون الهداية بمعنى **الإلهام** ، وتكون بمعنى **الإرشاد** ، وتكون بمعنى **البيان** ، وتكون بمعنى الدعاء .
أما الإلهام : قال الله تعالى : ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه : ٥٠] أي : ألهم ، **وأما الإرشاد** : قوله تعالى : ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [صٓ : ٢٢] ، **وأما البيان** : قوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ [فصلت: ١٧] أي : بيَّنا لهم ، **وأما الدعاء** : مثل قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧] أي : داعٍ ؛ فهو بمعنى الاسترشاد ها هنا) .

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٤١٣) ، وذكره البخاري في « صحيحه » (كتاب التفسير ، سورة بني إسرائيل) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٣١٨) ، و« تفسير البغوي » (٣/ ١٢٦) ، و« فتح الباري » (٨/ ٣٨٩) ، و« عمدة القاري » (١٩/ ١٩) ، و« الدر المنثور » (٥/ ٢٥٨) .

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ٥٥٧) ، واللالكائي في « السنة » (٩٧٦) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ١٥١) ، و« تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٦٢) ، و« الدر المنثور » (٢/ ٥٩٧) .

(٤) ورواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ٥٥٨) ، واللالكائي في « السنة » (٩٧٧) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ١٥١ـ١٥٢) ، و« زاد المسير » (١/ ٤٣٥) ، و« الدر=

هذا كلُّهُ عن عليٍّ بن أبي طلحةَ(١) ، عن ابن عباسٍ .

وروينا عن سعيد بن المسيَّبِ أنَّهُ قال في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] قال : ما خلقتُ مَنْ يعبدُني إلا ليعبُدَني(٢)

وفي قوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٤٤] قال : إن مِنْ شيء يُسبِّحُ إلا يُسبِّحُ بحمده(٣)

وقيل قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أي : إلَّا لآمُرَ أهلَ التكليف منهم بعبادتي ، وقيل : إلَّا لتكونوا لي عباداً ؛ كقوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] (٤) .

* * *

= المنثور » (٢/ ٥٩٧) ، و« فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن » لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ص ١١٩) ، و« الزواجر عن اقتراف الكبائر » (الكبيرة الثانية والخمسون : التكذيب بالقدر) .

(١) روىٰ ذلك في « صحيفته » المشهورة ، ونقل الحافظ الذهبي في « تاريخه » (٩/ ٢٢٧) عن أحمد بن حنبل أنه قال : (روى التفسير عن ابن عباس ولم يره) ، وقد توفي سنة (١٤٣ هـ) .

(٢) انظر « زاد المسير » (٤/ ١٧٣) ، ونقل عقبه عن القاضي أبي يعلى أنه قال : (معنى هذا : الخصوصُ لا العمومُ ؛ لأن البُلْهَ والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس ، فكذلك الكفار يخرجون من هذا بدليل قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ، فمن خُلق للشَّقاء ولجهنَّم . . لم يخلق للعبادة) ، وبنحو هذا يقال في توجيه الأثر الآتي .

(٣) انظر ما ورد في ذلك عند الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٤٥٥) وما بعدها ، و« شرح صحيح مسلم » للإمام النووي (٣/ ٢٠٢) ، و« تفسير ابن كثير » (٥/ ٧٩) ، و« الدر المنثور » (٥/ ٢٨٩) ، وهو ليس باللفظ المذكور هنا ، وفي هامش (أ) : (آخر الجزء الأول من آخر الحافظ رحمه الله) ، وكُتب بعده بلاغُ سماعٍ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ، وأيضا جاء في الهامش : (بلغ قراءة عليٍّ ، كتبه علي النُّشَبيُّ) .

(٤) قوله : (وقيل : قوله . . .) إلى آخره : مثبتٌ من (د ، هـ) فقط ، وسقط من سائر النسخ .

باب

القول في وقوع أفعال العبد بمشيئة الله عز وجل[(١)]

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] فأخبرَ أنَّا لا نشاء شيئاً إلا بأن يكونَ قد شاء .

وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] .

وقال : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة : ١٣] .

وقال : ﴿ مَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام : ١١١][(٢)]

وقال : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وقال : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة : ٤١] .

وآياتُ القرآن في معنى هذه الآيات كثيرةٌ ، قد كتبناها في كتاب « الأسماء والصفات »[(٣)] ، وفي كتاب « القدر »[(٤)]

١٢٠ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن عليٍّ المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا حفصُ بن عمرَ الحَوْضيُّ ، حدثنا شعبةُ ، عن منصورٍ قال : سمعتُ عبدَ الله بن يَسارٍ ، عن

---

(١) في هامش (أ) : (وأول الجزء الثاني) .

(٢) في النسخ : (وما كانو ليؤمنوا . . .) بزيادة واو .

(٣) الأسماء والصفات (ص ١٣٨) .

(٤) القضاء والقدر (ص ١٧٩) .

حذيفةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **لا تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلانٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فَلانٌ** »(١)

١٢١ـ أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ أبي عمرٍو ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ قال : قال الشافعيُّ رحمه الله : (المشيئةُ : إرادةُ الله ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] ، فأعلمَ اللهُ خلقَهُ أنَّ المشيئةَ له دون خلقِهِ ، وأنَّ مشيئتَهم لا تكون إلا أن يشاء)(٢)

١٢٢ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو محمدِ بنُ يوسفَ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ قالا : حدثنا سعدانُ بن نصر ، حدثنا سفيانُ ، عن الزهريِّ ، سمع عروةَ يحدِّثُ عن كُرْزِ بن علقمةَ الخزاعيِّ قال : سأل رجلٌ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم : هل للإسلام مِنْ منتهىً ؟ فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ أَوِ الْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً . أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلامَ** » ، فقال : ثمَّ ماذا ؟ قال « **ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ** »(٣)

١٢٣ـ أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ، أخبرنا أبو طاهر محمدُ بن الحسن المُحمَّداباذيُّ،

---

(١) ورواه أبو داود (٤٩٨٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١٠٧٥٥) ، وصحح إسناده الإمام النووي رحمه الله في « الأذكار » و« رياض الصالحين » ، وجاء في هامش (د) : (لأن الواو ليس نصاً في الترتيب فيتوهم المشاركة ، والله لا شريك له في المشيئة ؛ فإن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الحق تعالى ، لا مقارنة ، و« ثم » نصٌّ في الترتيب ، فلا تفهم المقارنة) .

(٢) ورواه اللالكائي في « السنة » (١٠١٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٢) .

(٣) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/ ٤٧٧) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٣٤) وقال : (هذا حديث صحيح وليس له عِلَّة) ، وقال الهيثمي رحمه الله في « مجمع الزوائد » (٧/ ٣٠٥) : (رواه أحمد والبزار والطبراني بأسانيد ، وأحدها رجاله رجال الصحيح) .

أخبرنا إبراهيمُ بن عبد الله السعديُّ ، أخبرنا يزيدُ بن هارونَ ، أخبرنا حُميدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بن مالك : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **لا عَلَيْكُمْ أَلا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّى تَنْظُرُوا بِمَا يُخْتَمُ لَهُ ؛ فَإِنَّ الْعَامِلَ يَعْمَلُ زَمَاناً مِنْ عُمُرِهِ ـ أو : بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ**[1] ـ **بِعَمَلٍ صَالِحٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً سَيِّئاً ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ قَبْلَ مَوْتِهِ زَمَاناً مِنْ دَهْرِهِ بِعَمَلٍ سَيِّئٍ لَوْ مَاتَ عَلَيْهِ لَدَخَلَ النَّارَ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فَيَعْمَلُ عَمَلاً صَالِحاً ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً .. اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ** » ، قالوا : يا رسول الله ؛ وكيف يستعملُهُ ؟ قال : « **يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ** »[2]

١٢٤ـ أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلَميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن همَّام بن مُنبِّهٍ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَا لِي لا يَدْخُلُنِي إِلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ ؟**[3] **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَنَّةِ : إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا** »[4]

---

(١) قوله : (برهةً) يعني : زماناً طويلاً ، أقلُّهُ نحو سنة .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٣/ ١٢٠) ، والترمذي (٢١٤٢) مختصراً وصحَّحه .

(٣) قوله : (وغِرَّتهم) قال العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٦٢٨) : (بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء ؛ وهي عدم التجربة ، أو وجود الغفلة ؛ بمعنى : الذين لا تجربة لهم في الدنيا ، ولا اهتمام لهم بها ، أو الذين هم غافلون عن أمور الدنيا ، شاغلون بمهمِّ العقبى ، على ما ورد في الخبر : « أكثرُ أهلِ الجنةِ البُلْهُ » أي : في أمور الدنيا ، بخلاف الكفار ؛ فإنهم كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧]) ، وروى أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٠) من حديث سيدنا أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه مرفوعاً : «إذا أراد الله بعبد خيراً عسله» ، قيل وما عسله؟ قال : «يفتح الله له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه» ، وعسله : تشدَّد سينه وتخفف كما في «فيض القدير » (١/ ٢٥٦) .

(٤) ورواه البخاري (٤٨٥٠) ، ومسلم (٢٨٤٦/ ٣٦) ، وانظر « إرشاد الساري » (١٠/ ٤١٣) .

١٢٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن سليمانَ الموصليُّ ، حدثنا عليُّ بن حَربٍ ، حدثنا عبدُ الله بن إدريسَ ، عن ربيعةَ بن عثمانَ ، عن محمد بنِ يحيى بنِ حَبَّانَ ، عن الأعرج ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، فَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ؛ فَإِنَّ اللَّوْ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ** »(١)

١٢٦ـ أخبرَنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن الحسن الشَّرْقيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى الذُّهْليُّ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن مهديٍّ ، حدثنا عمرُ بن ذَرٍّ قال : سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز رحمه الله يقول : (لو أراد اللهُ ألَّا يُعصى . . لم يخلقْ إبليسَ ؛ وقد بيَّنَ ذلك في آيةٍ مِنْ كتاب الله عزَّ وجلَّ وفصَّلها ، عَلِمَها مَنْ علمها ، وجهلَها مَنْ جهلها ؛ ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ١٦٢ـ ١٦٣])(٢)

قال الشيخ :

وقد رُوي فيه خبرٌ مرفوع(٣)

١٢٧ـ أخبرَنا أبو سعد سعيد بن محمد بن محمد الشُّعيبيُّ ، أخبرنا أبو عمرِو بنُ معمر ، أخبرنا أبو خليفةَ ، حدثنا أبو الربيع الزهرانيُّ ، حدثنا

---

(١) ورواه مسلم (٢٦٦٤/ ٣٤) ، وقوله : (اللَّو) بألف ولامين وواو ساكنة مخففة ، ويروى بتشديدها ، وانظر « إرشاد الساري » (١٠/ ٢٨١) ، وروى مسلم (٢٦٦٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : «فإن لو تفتح عمل الشيطان».

(٢) ورواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٥٦٢) ، وعبد الله بن أحمد في « القدر » (٩٣٦) ، والفريابي في « القدر » (٣١٠) وما بعده ، والآجري في « الشريعة » (٥٢١) من طريق الفريابي ، واللالكائي في « السنة » (١٠٠٥) ، وانظر « مرهم العلل المعضلة » لليافعي (ص ١٣٢) .

(٣) وقع تقديم وتأخير في غير (أ ، د) ، والمثبت منهما .

عبّاد بن عبّاد ، عن عمر بن ذرٍّ قال : سمعتُ عمرَ بن عبد العزيز يقول : (لو أراد الله تعالى ألّا يُعصى . . ما خلق إبليسَ) .

* قال : وحدثني مُقاتلُ بن حَيّانَ ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّهِ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لأبي بكر : « **يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ لَوْ أَرَادَ اللهُ أَلَّا يُعْصَى . . مَا خَلَقَ إِبْلِيسَ** »(١)

١٢٨ـ أخبرَنا أبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسن أحمدُ بن محمد الطرائفيُّ ، حدثنا عثمان بن سعيد الدارميُّ ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة : ٤١] يقول : مَنْ يردِ الله ضلالتَه فلن تُغنيَ عنه مِنَ الله شيئاً(٢) .

١٢٩ـ وفي قوله : ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ﴾ يعني : الكفارَ الذين لم يردِ الله أن يطهِّرَ قلوبهم فيقولوا : لا إله إلا الله(٣) ، ثم قال : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر : ٧] وهم عباده المخلصون الذين قال(٤) : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] ، فألزمهم شهادةَ أن لا إله إلا الله ، وحبّبَها إليهم(٥)

---

(١) ورواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ١٥٥)، و« القضاء والقدر » (١٧٠) وما بعده ، ورواه البزار في « مسنده » (٢٤٩٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٦٤٨) ، وانظر « تفسير ابن كثير » (٢/ ٣٦٢) ، و« اللآلئ المصنوعة » (١/ ٢٣٤) .

(٢) ورواه اللالكائي في « السنة » (١٠١٥) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ١٧٨) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٧٩) .

(٣) وهم الذين ذكرهم تعالى بقوله : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ ، وفي قوله تعالى : ﴿ يَرْضَىٰ ﴾ : إجراء الرضا بمعنى الإرادة كما سيتبين .

(٤) كذا في النسخ ، والمراد : (الذين قال فيهم) .

(٥) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢١/ ٢٦٠) ، وقال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (١٣/ ٤٥٠) : (أخرجه الطبري وغيره بسند رجاله ثقات عن ابن عباس) ، وانظر =

١٣٠ـ وفي قوله : ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾ [الإسراء : ١٦] **يقول** : سلَّطْنا شِرارَها فعصَوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب ؛ وهو قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَا ﴾ [الأنعام : ١٢٣](١)

١٣١ـ وفي قوله : ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾ [يسٓ : ٦٦] **يقول** : أضللناهم عن الهدى ، فكيف يهتدون ؟!

وقال مَرَّةً : أعميناهم عن الهدى(٢)

١٣٢ـ وفي قوله : ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف : ٢٩] **يقول** : مَنْ شاء الله له الإيمانَ آمن ، ومَنْ شاء له الكفرَ كفر ؛ وهو قوله : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : ٢٩](٣)

= « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٣١) ، و« شرح الإلمام » (٣/ ٣٤) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٢١٣) ، و« مرقاة المفاتيح » عند الحديث (٢٤٢٠) .

قال ابن بَرهان رحمه الله في « الوصول إلى الأصول » (١/ ١٣١ـ ١٣٢) : (هذه المسألة تنبني على أصل ، وذلك الأصلُ : أن الله تعالى أمر الكفار بالإيمان وما أراد من بعضهم الإيمان ؛ إذ لو أراد لحصل ، وكلُّ ما أراد الله تعالى فلا بدَّ من حصوله) ، وانظر « قواطع الأدلة » (١/ ٩١) ، و« المستصفى » (٣/ ١٢٧) ، و« نهاية السول » (٢/ ٢٤٣)، و« المحصول » (١/ ١٩١)، و« جمع الجوامع مع حاشية البناني » (١/ ٣٧٠).

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٤٠٤) ، وانظر « تفسير ابن كثير » (٣/ ٣٣١) و(٥/ ٦٢) ، و« فتح الباري » (٨/ ٣٩٤) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٣٥٣) (٥/ ٢٥٤) ، و« فتح الرحمن لما يلتبس من القرآن » (ص ٣٢١) ، و« المحتسَب » لابن جني (٢/ ١٦) ، حيث ذكر قراءة شاذة للآية ؛ وهي : (أمَّرْنا) .

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢٠/ ٥٤٥) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤١٨) ، و« زاد المسير » (٣/ ٥٢٩) ، و« تفسير ابن كثير » (٦/ ٥٨٧) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٦٩) .

(٣) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٨/ ١٠) ، واللالكائي في « السنة » (٩٧١) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٣٢٨) ، و« معالم التنزيل » (٣/ ١٨٩) ، و« الدر المنثور » (٥/ ٣٨٤) ، وفي الخبر : إرجاع المشيئة له تعالى دون سواه ، قال ابن=

١٣٣- وفي قوله : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾[١] قال : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [الأنعام : ١٠٧] ، وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [النحل : ٩] يقول : لو شئتُ لجمعتُهم على الهدى أجمعين[٢]

١٣٤- وبهذا الإسنادِ عن ابن عباسٍ قال : قوله : ﴿ جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا ﴾ [يس : ٨] ، وقوله : ﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، وقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] ، ونحو هذا من القرآن ، قال : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يحرصُ على أن يؤمنَ جميعُ الناس ويبايعوه على الهدى ، فأخبره الله أنه لا يؤمنُ إلا مَنْ سبقَ له مِنَ الله السعادةُ في

= عطاء في « حِكَمه » (الحكمة ١٧١) : (إلى المشيئة يستند كلُّ شيء ، ولا تستندُ هي إلى شيء) ، فلو استندت مشيئتُهُ تعالى إلى مشيئة عبده . . للزمَ النقصُ في حقِّ الكامل سبحانه .

(١) قولهم : (لو شاء الله ما أشركنا) إمَّا أنَّهم أرادوا : أنَّ إثبات مشيئته جلَّ وعزَّ يلزمُ عنه : أنه سبحانه آمرٌ بما أراد وراضٍ عنه ، ويظهر معتقدهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وهذا خلافُ الحقِّ ، وأهلُ السنة مجمعون على التفريق بين الإرادة أو المشيئة ، والأمر ، والرضا ، والتزم المعتزلة أنها بمعنىً ، فلمَّا أرادوا الخلاص قالوا بخلق أفعال العباد فراراً من تلك الشبهة ، فجعلوا كلَّ مأمور به مراداً له تعالى ومرضياً عنه ! وجعلوا الآيات المثبتة لمشيئته في ذلك من المتشابهِ الذي يجب تأويله ، ونعتوها بالمشيئة العامة ، وهذا هو التأويل الباطل الذي شنَّع عليه السلف الصالح .
وإمَّا أنهم قالوا هذا على سبيل الاستهزاء ، كما قالوا : ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ ﴾ [يس : ٤٧] ، وهي سنة أهل الجحود ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠] ، وانظر « التوحيد » للإمام الماتريدي (ص ٣٠٢) .

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٢/ ٢٠٩) ، واللالكائي في « السنة » (٩٦٩) وما بعده ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢١٨) ، و« جامع معمر » (٢٠٠٧٣)، و« القدر » للفريابي (٣٣٦) ، و« المستدرك » للحاكم (٢/ ٣١٧) ، و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٣٥٨) ، و« الدر المنثور » (٣/ ٣٨٠) .

الذِّكْرِ الأول ، ولا يَضلُّ إلا مَنْ سبقَ له مِنَ الله الشقاءُ في الذِّكْرِ الأول ، ثم قال لنبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء : ٣-٤][(١)]

قال الشيخ :

وقد روينا في حديث زيد بن ثابت[(٢)] ، وفي حديث أبي الدرداء[(٣)] ، وغيرهما ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قولَه : « **مَا شَاءَ اللهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ** »[(٤)]

وهذا كلامٌ أخذَتْهُ الصحابةُ عن رسولِ ربِّ العِزَّةِ[(٥)] ، وأخذه التابعون عنهم ، ولم يزلْ يأخذُهُ الخَلَفُ عن السلف مِنْ غير نكيرٍ ، فصار ذلك إجماعاً منهم على ذلك[(٦)]

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٥/ ٢١١- ٢١٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/ ٢٥٤) ، واللالكائي في « السنة » (١٠٢٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٨٥) (رواه الطبراني ، ورجاله وُثِّقوا ، إلا أن علي بن أبي طلحة قيل : لم يسمع من ابن عباس) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٢٨١- ٢٨٢) ، و« تفسير ابن كثير » (٣/ ٢٥٣) ، و« الدر المنثور » (١/ ٧٢) .

(٢) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ١٦٠- ١٦١) وغيره ، ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ١٩١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٥/ ١١٩) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥١٦) وصححه ؛ وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ١١٣) : (رواه أحمد والطبراني ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا) .

(٣) رواه المصنف في « الأسماء والصفات » (ص ١٦١- ١٦٢) ، والطبراني في « الدعاء » (٣٤٣) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٧) .

(٤) انظر « الأسماء والصفات » (ص ١٥٩) ، ورواه أبو داود (٥٠٧٥) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٧٥٦) عن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم ضمن دعاء ، وانظر « سنن أبي داود » (٤٦١٢)

(٥) في (ب) : (أخذ به) بدل (أخذته) .

(٦) فتقرَّر : أن الطاعات والمعاصي على حد سواء في تعلُّقِها بإرادة الله تعالى وقدرته ، فلا يُعصى ربنا=

وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] .

وقال لنبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، فنفى أن يملكَ العبد كسباً ينفعُهُ أو يضرُّهُ إلا بمشيئة الله وقدرته .

وفي معنى ذلك قال الشافعيُّ ما :

١٣٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا الزبيرُ بن عبد الواحد الحافظُ ، حدثني حمزةُ بن علي العطارُ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ قال : سُئل الشافعيُّ عن القَدَرِ ، فأنشأَ يقول : [من المتقارب]

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ ... وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ
خَلَقْتَ الْعِبَادَ عَلَى مَا عَلِمْتَ ... فَفِي الْعِلْمِ يَجْرِي الْفَتَى وَالْمُسِنّْ
عَلَى ذَا مَنَنْتَ وَهَذَا خَذَلْتَ ... وَهَذَا أَعَنْتَ وَذَا لَمْ تُعِنْ
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ ... وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنْ(١)

وعلى نحو قول الشافعيِّ رحمه الله في إثبات القدر لله ، ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله . . درجَ أعلامُ الصحابة والتابعين ، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاءُ

= جلَّ وعزَّ إلا بإرادته ، ولذا قال حجة الإسلام ردّاً على القدرية في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص ٢٣٨) : (وأما المعتزلة : فإنهم يقولون : « إن المعاصي كلها والشرور حادثة بغير إرادته ، بل هو كارهٌ لها » ! ومعلوم أن أكثر ما يجري في العالم المعاصي ، فإذاً ما يكرهه أكثر مما يريده ! فهو إلى العجز والقصور أقربُ بزعمهم ، تعالى ربُّ العالمين عن قول الظالمين) .

(١) ورواه اللالكائي في « السنة » (١٣٠٣) ، وابن عبد البر في « الاستذكار » (٨/ ٢٦٥) ، وانظر « مناقب الشافعي » للمصنف (١/ ٤١٢ـ ٤١٣) (٢/ ١٠٩) ، و« مرهم العلل المعضلة » لليافعي (ص ٩٧) ، و« البداية والنهاية » (١٠/ ٢٧٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » للإمام ابن السبكي (١/ ٢٩٤ـ٢٩٥) ، و« فتح الباري » (١٣/ ٤٤٩) .

وقال الحافظ ابن عبد البر في « الاستذكار » (٨/ ٢٦٥) : (كلُّ ما في هذه الأبيات معتقدُ أهل السنة ومذهبهم في القدر ، لا يختلفون فيه ، وهو أصلُ ما يبنون في ذلك عليه) ، وقد ذُكر أن الإمام الرازي شرح هذه الأبيات في مجلدة كما في « الوافي بالوفيات » (٤/ ١٨٠) .

الأمصار ؛ الأوزاعيُّ ، ومالكُ بن أنس ، وسفيانُ الثوريُّ ، وسفيانُ بن عيينةَ ، والليثُ بن سعد ، وأحمدُ بن حنبلٍ ، وإسحاقُ بن إبراهيمَ ، وغيرُهم رضي الله عنهم أجمعين[1]

وحكينا عن أبي حنيفةَ رحمه الله مثلَ ذلك فيما[2] :

١٣٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ قال : سمعتُ أبا بكر محمدَ بن جعفر المُزَكِّي يقول : حدثنا أبو العباس أحمدُ بن سعيد بن مسعود المروزيُّ ، حدثنا سعدُ بن معاذ ، حدثنا إبراهيم بن رُستمَ قال : سمعتُ أبا عِصمَةَ يقول : سألتُ أبا حنيفةَ : مَنْ أهلُ الجماعةِ ؟ قال : مَنْ فَضَّلَ أبا بكرٍ وعمرَ ، وأحبَّ عليّاً وعثمانَ ، وآمنَ بالقدر خيره وشرِّه مِنَ الله ، ومسحَ على الخفين ، ولم يكفِّرْ مؤمناً بذنب ، ولم يتكلَّمْ في الله بشيءٍ[3]

---

(١) انظر كتاب « القضاء والقدر » للمصنف (باب ذكر البيان أن أفعال الخلق كلَّها تقع بمشيئة الله جل ثناؤه وإرادته) ، و(باب ما روي عن جماهير الصحابة وأعلام الدين وأئمته في إثبات القدر رضي الله عنهم) ، وكتاب « الأسماء والصفات » (باب قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾) والذي يليه ، وانظر « تفسير الطبري » عند قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، و« الشريعة » للآجري (باب ذكر ما أخبر الله تعالى أن مشيئة الخلق تبع لمشيئة الله سبحانه وتعالى) ، و« السنة » للّالكائي (سياق ما فسر من الآيات في كتاب الله عز وجل وما روي من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر، وما نقل من إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علماء الأمة أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها) ، و« الاستذكار » لابن عبد البر (باب النهي عن القول بالقدر) ، و« فتح الباري » (باب في المشيئة والإرادة) ، و« الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر الهيتمي (الكبيرة الثانية والخمسون : التكذيب بالقدر) .

(٢) فيه إلماعةٌ إلى اتفاق الأشاعرة والماتريدية على هذا الأصل .

(٣) ورواه المصنف في « القضاء والقدر » (ص ٥٦٤) .

فائدة : إليك هذه المناظرةَ بين الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني شيخ السنة والقاضي عبد الجبَّار الهمذاني رأس المعتزلة في عصره في خلق أفعال العباد.. تبيِّن ما نحن فيه وتجلي المراد ، أوردها العلامة ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٢٦١) : =

* * *

= (قال عبد الجبَّار في ابتداء جلوسه للمناظرة : سبحان مَنْ تنزَّهَ عن الفحشاء ! فقال الأستاذ مجيباً : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ! فقال عبد الجبَّار : أفيشاء ربُّنا أن يُعصى ؟ فقال الأستاذ : أيعصى ربنا قهراً ؟ فقال عبد الجبَّار : أفرأيت إن منعني الهدى ، وقضى عليَّ بالردى ؛ أحسن إليَّ أم أسا ؟ فقال الأستاذ : إن كان منعك ما هو لك فقد أسا ، وإن منعك ما هو له فيختصُّ برحمته من يشا ، فانقطع عبدُ الجبَّار) .

وهذا الإفحامُ سبق إليه سيدُنا ابن عباس رضي الله عنهما ؛ فقد روى ابن عبد البر في « التمهيد » (٦/ ٦٤) عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : (سمعت عطاء بن أبي رباح يقول : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل فقال : أرأيت من حرمني الهدى ، وأورثني الضلالة والردى ؛ أتراه أحسن إلي أو ظلمني ؟ فقال ابن عباس : إن كان الهدى شيئاً كان لك عنده فمنعكه .. فقد ظلمك ، وإن كان الهدى له يؤتيه من يشاء .. فما ظلمك شيئاً ، ولا تجالسني بعده) .

باب
القول في الأطفال (1)

١٣٧ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا محمدُ بن بكر ،

---

(١) كذا في جميع النسخ ، إلا (د) ففيها زيادة : (أنَّهم يولدونَ على فطرةِ الإسلامِ) ، ويضعِّف هذه الزيادةَ الأثرُ الآتي : « فإن كانا مسلمينِ . . فمسلمٌ » .
قال الإمام في « مفاتيح الغيب » (١/ ١٥٠) : (أما نفسك : فلا شكَّ أنها كانت جاهلة في مبدأ الفطرة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : ٧٨]) .
وقد قال سيدُ المحققين الشريف الجرجاني في « التعريفات » (ص ١٦٨) : (الفطرة : الجبلَّةُ المتهيِّئة لقبول الدين) ، لا أنها في نفسها اعتقاد ودين .
فليست الفطرةُ ـ كما يظن بعضهم ـ جملةَ معلومات مركوزة في النفس ، بل الإنسان خُلق على هيئة يتصوَّر معها التكليفُ كما في الآية ؛ من خلق السمع والبصر والأفئدة ، وعنها يكون التسليمُ للحق ، فمن أبى بعد ما عرف فهو الجاحد .
وقال الإمام ابن عبد البر في « التمهيد » (١٨/ ٧٧) : (يستحيل أن تكون الفطرةُ المذكورة في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ » . . الإسلامَ ؛ لأن الإسلام والإيمان: قولٌ باللسان ، واعتقادٌ بالقلب ، وعملٌ بالجوارح ، وهذا معدومٌ من الطفل ، لا يجهل بذلك ذو عقل ، والفطرة لها معانٍ ووجوهٌ في كلام العرب ، وإنما أجزأ الطفلُ المُرضَعُ عند من أجاز عتقه في الرقاب الواجبة؛ لأن حكمَهُ حكمُ أبويه ، وخالفهم آخرون فقالوا : لا يجزئ في الرقاب الواجبة إلا مَنْ صام وصلى) ، وعليه يحمل كلام السلف الصالح في تفسير الفطرة بالإسلام ؛ بمعنى : أنه لو خُلِّي لكان قابلاً للإسلام ؛ فهو من باب إطلاق القابل على المقبول .
ولذا قال العلامة ابن القيم في « شفاء العليل » (ص ٢٨٩) : (ومما ينبغي أن يعلم : أنه إذا قيل : إنه ولد على الفطرة ، أو على الإسلام ، أو على هذه الملة ، أو خُلق حنيفاً . . فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده ؛ فإن الله يقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ ، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام) .

حدثنا أبو داودَ ، حدثنا القَعْنَبِيُّ ، عن مالكٍ ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ ؛ كَمَا تَنَاتَجُ الإِبِلُ مِنْ بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّ مِنْ جَدْعَاءَ ؟!** »[١] ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ أفرأيتَ مَنْ يموتُ وهو صغيرٌ ؟ قال : « **اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ** »[٢]

آخرُ هذا الخبر يدلُّ على أنَّ المرادَ بالأول : بيانُ حكمِهِ في الدنيا[٣] ؛ كما قال الشافعيُّ رحمه الله .

قال الشافعيُّ رحمه الله[٤] في رواية أبي عبد الرحمن البغداديِّ عنه : (قولُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ » هي الفطرةُ التي فَطَرَ الله عليها الخلقَ ، فجعلهم رسولُ الله ما لم يُفصحوا بالقول فيختاروا أحدَ القولين ؛ الإيمانَ أو الكفرَ . . لا حكمَ لهم في أنفسهم ، إنَّما الحكمُ لهم بآبائهم ؛ فما كان آباؤهم يوم يولدون فهم بحالهم ؛ إما مؤمنٌ فعلى إيمانِهِ ، أو كافرٌ فعلى كفرِهِ)[٥]

---

(١) جمعاء : مجتمعة الأعضاء سليمة من النقص ، وجدعاء : مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء ، ومعناه : أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها ، وإنما يحصل فيها النقص والجدع بعد ولادتها ؛ فكذلك يخرج المولود سليماً من الكفر ، وإنما يطرأ له ذلك بعدُ . انظر « طرح التثريب » (٧/ ٢٢٩) .

(٢) ورواه البخاري (١٣٥٩ ، ٦٥٩٩) ، ومسلم (٢٦٥٨ ، ٢٦٥٩) ، وأبو داود (٤٧١٤) .

(٣) الضمير في قوله : (بيان حكمه) عائدٌ على من يموت وهو صغير .

(٤) قوله : (قال الشافعي . . .) كذا في (أ ، ب) مكرراً ، وسقط من سائر النسخ

(٥) انظر « القضاء والقدر » (ص ١٦٨) ، و« شعب الإيمان » (٨٥) ، وقال بعد أن ساق كلام الإمام الشافعي : (فذهب الشافعي رحمه الله تعالى في هذا : إلى أن الله تعالى خلق المولود لا حكم له في نفسه ، وإنما هو تبع لوالديه في الدين في حكم الدنيا حتى يعرب عن نفسه بعد البلوغ ، وأما في الآخرة : فمنهم من ألحقهم بآبائهم في حكم الآخرة أيضاً ، ومنهم من ألحق ذراري المسلمين بهم ، وزعم أن أولاد المشركين خدم أهل الجنة ، ومنهم من توقف في الجميع ، ووكلَ أمرَهم إلى الله عز وجل ، وهذا أشبه الأقاويل بالسنن الصحيحة) .

والذي يُؤكد هذا: ما روى العلاءُ بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في هذا الحديث : « فَإِنْ كَانَا مُسْلِمَيْنِ . فَمُسْلِمٌ »[1]

وأمَّا حكمُهم في الآخرة : فبيانُهُ في آخر الخبر ؛ وهو قوله : « اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ » .

فحكمُهم في الدنيا ؛ في النكاح والمواريث ، وسائر أحكام الدنيا. . حكمُ آبائهم حتى يُعربوا عن أنفسهم بأحدهما ، وحكمُهم في الآخرة موكولٌ إلى علم الله عزَّ وجلَّ فيهم .

وعلى مثل هذا يدلُّ حديثُ عائشةَ رضي الله عنها ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في أطفال المسلمين .

١٣٨ـ أَخبرَنا أبو ذرٍّ محمدُ بنُ أبي الحسين بنِ أبي القاسم المُذَكِّرُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الصَّفَّارُ الزَّاهدُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن إبراهيمَ المُؤدِّبُ ، حدثنا الحسينُ بن حفص ، عن سفيانَ ، عن طلحةَ بن يحيى بن طلحةَ بن عُبيد الله ، عن عائشةَ بنتِ طلحةَ ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين أنَّها قالت : أُتي النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بصبي مِنَ الأنصار لِيُصلِّيَ عليه ، قالت : فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ طُوبى لهذا ؛ عصفورٌ مِنْ عصافير الجنة ؛ لم يعملْ سوءاً ولم يدرِه ، فقال : « أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلاً ، خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ ، وَخَلَقَ النَّارَ وَخَلَقَ لَهَا أَهْلاً ، خَلَقَهَا لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ »[2]

فهذا الحديث يمنعُ مِنْ قطع القول بكونهم في الجنَّة .

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٨/ ٢٥) ، وفيه: أن الإسلام ليس هو عين الفطرة

(٢) ورواه مسلم (٢٦٦٢/ ٣١) .

وحديثُ أُبي بن كعب ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الغلام الذي قتله الخضرُ : « أَنَّهُ طُبِعَ كَافِراً »[١] . . يدلُّ على ذلك ؛ فقد كان أبواه مؤمنينِ .

وقد روينا في أواخر كتاب « القدر »[٢] أخباراً في أنَّ أولادَ المشركين مع آبائهم في النار[٣] ، وأولادَ المسلمين مع آبائهم في الجنة[٤] ، وأخباراً غيرَ قوية في أولاد المشركين أنَّهم خُدَّام أهل الجنة[٥]

وما صحَّ مِنْ ذلك: يدلُّ على أنَّ أمرَهم موكولٌ إلى الله تعالى ، وإلى ما عَلِمَ الله مِنْ كلِّ واحد منهم ، وكتب له من السعادة أو الشقاوة[٦]

---

(١) رواه مسلم (٢٩/ ٢٦٦١) .

(٢) القضاء والقدر (ص ٣٣٦) .

(٣) وذكر الإمام السبكي في « فتاواه » (٢/ ٣٦٢) في أولاد الكفار **أربعةَ أقوال** : **الأول** أنهم في الجنة ، ومال إليه ، ونقل عن الإمام النووي قوله : (الصحيح الذي عليه المحققون أنهم من أهل الجنة) ، ثم قال : (وكذا قال غير النووي أيضاً) ، **الثاني** : أنهم خدم أهل الجنة ، **الثالث** : التوقف فيهم ، **الرابع** : أنهم يمتحنون في الآخرة .

(٤) وقد نقل الإجماع على ذلك الإمام النووي رحمه الله في « شرح صحيح مسلم » (١٦/ ٢٠٦) ، وقال : (وتوقف فيه بعض من لا يعتدُّ به) ، والإمام القرطبي في « تفسيره » (١١/ ١٤٠) وقال : (ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من الجبرية ، فجعلتهم في المشيئة ، وهو قول مهجورٌ مردود بإجماع الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم ، ولا يجوز على مثلهم الغلط) .

(٥) منها : ما رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » (٢٢٢٥) ، والبزار في « مسنده » (٧٤٦٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٩٧٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦/ ٣٠٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، والبزار (٧٤٦٧) موقوفاً ، والبزار في « مسنده » (٤٥١٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٠٤٥) ، و« المعجم الكبير » (٧/ ٢٩٥) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً ، وغيرهم موقوفاً ومرفوعاً ، وانظر « التمهيد » (١/ ١١٦) وما بعدها ، و« الاستذكار » (٣/ ١١٣) .

(٦) قال الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (١٨/ ١١١) : (وإليه ذهب جماعة كثيرة من أهل الفقه والحديث ؛ منهم حماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وغيرهم ، وهو يشبه ما رسمه مالكٌ في أبواب القدر في « موطئه » ، وما أورد في =

وقيل في أولاد المسلمين : إنَّ اللهَ تبارك وتعالى أكرمَ هذه الأمَّةَ بأن ألحقَ بهم ذُرِيَّاتهم في الجنة[1]

١٣٩ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن علي الصَّغَانيُّ بمكةَ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ بن عُبادةَ ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثوريُّ ، عن عمرو بن مُرَّةَ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ ﴾[2] قال : إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يرفع ذُريَّةَ المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ ذُرِّيَّـٰتِهِم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم ﴾ [الطور: ٢١] يقول : وما نقَصْناهم[3]

ورواه محمدُ بن بشر ، عن الثوري ، عن سماعةَ ، عن عمرو بن مُرَّةَ .

= ذلك من الأحاديث ، وعلى ذلك أكثر أصحابه ، وليس عن مالك فيه شيء منصوص ، إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة ، وأطفال الكفار خاصة في المشيئة ؛ لآثار وردت في ذلك) انتهى بتصرف يسير .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في « تفسيره » (٥/ ٥٨) : (وهذا القول يجمع بين الأدلة كلِّها ، وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة ، الشاهد بعضها لبعض ، وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله عن أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب « الاعتقاد » ، وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ النقاد) .

(١) وللعلماء في هذه المسألة عشرة أقوال . انظر « فتح الباري » (٣/ ٢٤٦)، و« عمدة القاري » (٨/ ٢١٢) ، و« رسالة الاحتفال بالأطفال » للإمام السيوطي رحمه الله تعالى في « الحاوي للفتاوي » (٢/ ٢١٢) .

(٢) وهي قراءة سبعية قرأ بها أبوعمرو بن العلاء ، وانظر « البحر المحيط » (٩/ ٥٧١) .

(٣) ورواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٣/ ٢٤٥) ، ومن كل هذه الطرق الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٣٧٤٤) موقوفاً ، والبزار كما في « كشف الأستار » (٢٢٦٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٣٠٢) مرفوعاً ، والآية المذكورة في هذا الأثر (وأتبعناهم) بقطع الألف وإسكان التاء والتخفيف وبعد العين نون وألف ، وقرأ الباقون بوصل الألف وتشديد التاء وبعد العين تاء ساكنة (واتبعتهم) .

وكذلك رواه شعبة ، عن عمرو بن مُرَّةَ .

١٤٠ـ وأخبرَنا أبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسن الطرائفيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد[١] ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباس : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] : فأنزل الله سبحانه بعد هذا : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ يعني : بإيمانٍ ، فأدخل الله عزَّ وجلَّ الأبناءَ بصلاح الآباء الجنةَ[٢] .

قال الشيخ :

فيحتملُ أن يكونَ خبرُ عائشةَ في ولد الأنصاريِّ قبلَ نزول الآية ، فجرى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على الأصل المعلوم في جريان القلم بسعادة كلِّ نَسَمَةٍ أو شَقاوتها ، فمنع مِنَ القطع بكونه في الجنة ، ثم أكرمَ الله أُمَّتَهُ بإلحاق ذُرِّيَّة المؤمن وإن لم يعملوا عمله ، فجاءت أخبارٌ بدخولهم الجنة ، فعلمنا بها جريانَ القلم بسعادتهم .

فمنها : حديثُ أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ » ، أو قال : « دَعَامِيصُ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٣] .

---

(١) وقع في (أ ، د) : (شعيب) بدل (سعيد) ، والصواب المثبت من سائر النسخ .

(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧) ، وأبو جعفر النحاس في « الناسخ والمنسوخ » (ص ٦٨٩) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٧٠) ، و« الدر المنثور » (٧/٦٦٢) .

(٣) رواه المصنف في « شعب الإيمان » (٩٢٩٦) ، و« القضاء والقدر » (٦٣٣) وغيرهما ، ورواه مسلم (٢٦٣٥) ، والدَّعَامِيصُ : جمع دُعموص ؛ وهي دويبة تكون في مستنقع الماء ، والدعموص أيضاً : الدَّخَّال في الأمور ؛ أي : أنهم سيَّاحون في الجنة ، دخَّالون في منازلها ، لا يمنعون من موضع ، كما أن الصبيان في الدنيا لا يمنعون من الدخول على الحُرَم ، ولا يحتجب منهم أحد ، انظر « النهاية » لابن الأثير (د ع م ص) .

وفي حديثِ أبي هريرةَ أيضاً ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَوْلادُ الْمُسْلِمِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ ، يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ ـ عَلَيْهِمَا السَّلامُ ـ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعُوا إِلَى آبَائِهِمْ** »(١)

وفي حديثِ معاويةَ بنِ قُرَّةَ ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في قصَّة الرجل الذي هلك ابنٌ له ، قال : فعزَّاه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : « **يَا فُلانُ ؛ أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ : أَنْ تُمَتَّعَ بِهِ عُمْرَكَ ، أَوْ لَا تَأْتِيَ غداً بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إلا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ ؟** » فقال : يا نبيَّ الله ؛ لا ، بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحبُّ إليَّ ، قال : « **فَذَاكَ لَكَ** » ، فقام رجل مِنَ الأنصار فقال : يا نبيَّ الله ؛ جعلني الله فداك ، أهذا لهذا خاصةً ، أم مَنْ هلك له طفلٌ مِنَ المسلمين كان ذاك له ؟ قال : « **بَلْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ** »(٢)

وأسانيدُ هذا الحديث مع غيرها ذكرناها في (باب الصبر) من كتاب « الجامع »(٣) ، وكلُّ ذلك فيمَنْ وافى أبواه القيامةَ مؤمنينِ أو أحدُهُما ؛ فيلحق بالمؤمن ذُرِّيَّتُهُ كما جاء به الكتاب ، ويستفتح له كما جاءت به السنة ، ويُحكم لها بأنَّها كانت ممَّنْ جرى له القلمُ بالسعادة(٤)

---

(١) رواه المصنف في « القضاء والقدر » (ص ٦٣٤) ، ورواه أحمد في « مسنده » (٢/٣٢٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٤٤٦) ، والحاكم في « المستدرك » (١٤١٨) .

(٢) رواه المصنف في « السنن الكبرى » (٤/٥٩) ، و« شعب الإيمان » (٩٢٩٨) ، ورواه النسائي (٤/١١٨) .

(٣) انظر (باب الصبر على المصائب وعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة) من « شعب الإيمان » (١٢/١٧٢) .

(٤) الضمير في قوله : (لها بأنها . . .) عائدٌ على الذرية ، وفي قوله : (له) على لفظة (مَنْ) ، وقد نقل الحافظ العيني في « عمدة القاري » (٨/ ٢١٣) عن القاضي البيضاوي أنه قال : (الثواب والعقاب ليسا بالأعمال ، وإلا لزم أن تكون الذراري لا في الجنة ولا في =

وقد ذكر الشافعيُّ رحمه الله في كتاب (المناسك) ما دلَّ على صحَّة هذه الطريقةِ في أولاد المسلمين ؛ فقال : (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ بفضل نعمته أثاب الناس على الأعمال أضعافَها ، ومَنَّ على المؤمنين بأن ألْحقَ بهم ذُريَّاتهم ، ووفَّرَ عليهم أعمالهم ؛ فقال : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ ، فلمَّا مَنَّ على الذَّراري بإدخالهم جنَّتَهُ بلا عمل . . كان أن مَنَّ عليهم بأن يكتبَ لهم البِرَّ في الحجِّ وإن لم يجبْ عليهم مِنْ ذلك المعنى ، قال : وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنَّهم يدخلون الجنة)[1]

قال الشيخ الإمام رحمه الله :

وهذه طريقةٌ حسنة في جملة المؤمنين الذين يوافون القيامة مؤمنين ، وإلحاق ذُريَّتِهم بهم ؛ كما ورد به الكتاب ، وجاءت به الأحاديثُ ، إلا أنَّ القطعَ به في واحدٍ مِنَ المؤمنين بعينه غيرُ ممكن[2] ؛ لما يُخشى مِنْ تغيُّرِ حاله في العاقبة ، ورجوعِهِ إلى ما كُتب له من الشقاوة ، فكذلك قطعُ القول به في واحدٍ مِنَ المولودين غيرُ ممكن ؛ لعدم علمنا بما يؤولُ إليه حالُ متبوعه ، وبما جرى له به القلم في الأزل مِنَ السعادة أو الشقاوة ، وكأنَّ إنكارَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم القطعَ به في حديث عائشةَ . . لهذا المعنى ، فنقول بما ورد به الكتاب والسنة في جملة المؤمنين وذُريَّاتهم ، ولا نقطعُ القول به في آحادهم ؛ لما ذكرنا ، وفي هذا جمعٌ بين جميع ما وردَ في هذا الباب ، والله أعلم .

ومَنْ قال بالطريقة الأُولى في التوقُّف في أمرهم . . جعل امتحانَهم وامتحانَ

= النار ! بل الموجبُ لهما هو اللطفُ الربانيُّ والخذلانُ الإلهيُّ المقدر لهم في الأزل ، فالواجبُ فيهم التوقُّف ؛ فمنهم من سبق القضاء بأنه سعيدٌ حتى لو عاش عملَ بعمل أهل الجنة ، ومنهم بالعكس) .

(١) انظر « الأم » (٢/ ١٢١) .

(٢) في (أ ، ب) : (أحد) بدل (واحد) ، والمثبت من سائر النسخ .

أولاد المشركين في الآخرة ؛ محتجّاً بما :

١٤١ـ أخبرَنا عليُّ بنُ محمد بنِ عبد الله بن بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفرٍ الرَّزَّازُ ، حدثنا حنبلُ بن إسحاقَ ، حدثنا عليُّ بن عبد الله المدينيُّ ، حدثنا معاذُ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادةَ ، عن الأحنف ، عن الأسودِ بن سَريع : أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ـ يعني ـ يُدْلُونَ عَلَى اللهِ بِحُجَّةٍ : رَجُلٌ أَصَمُّ لا يَسْمَعُ ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ ؛ فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ : رَبِّ ؛ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئاً ، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ : رَبِّ ؛ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعْرِ ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ : رَبِّ ؛ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئاً ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَيَقُولُ : رَبِّ ؛ مَا أَتَانِي الرَّسُولُ ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ ، وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ : أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْ دَخَلُوهَا مَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ إِلا بَرْداً وَسَلاماً »[١]

١٤٢ـ وبهذا الإسناد ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بنحوٍ مِنْ هذا[٢] ؛ وهذا إسنادٌ صحيحٌ .

وروى ليثُ بن أبي سُليم ، عن عبد الوارث ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ ، وَالشَّيْخِ الْفَانِي ، وَالْمَعْتُوهِ ، وَالصَّغِيرِ الَّذِي لا يَعْقِلُ ، فَيَتَكَلَّمُونَ بِحُجَّتِهِمْ وَعُذْرِهِمْ ، فَيَأْتِي عُنُقٌ مِنَ النَّارِ[٣] ، فَيَقُولُ لَهُمْ رَبُّهُمْ : إِنِّي كُنْتُ أُرْسِلُ إِلَى النَّاسِ رُسُلاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمُ ، ادْخُلُوا هَذِهِ النَّارَ ؛ فَأَمَّا مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ . فَيَقُولُونَ :

---

(١) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٣٥٧) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢١٦) : (رجاله رجال الصحيح)

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٤/ ٢٤)

(٣) قوله : (عنق من النار) يعني : أنه تخرج قطعةٌ من النار على هيئة الرقبة الطويلة .

رَبَّنَا ؛ مِنْهَا فَرَرْنَا ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ . . فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى يَدْخُلُوهَا ، فَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ ، وَيَدْخُلُ هَؤُلَاءِ النَّارَ ، فَيَقُولُ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوهُ : قَدْ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ ، فَعَصَيْتُمُونِي وَقَدْ عَايَنْتُمُونِي ؛ فَأَنْتُمْ لِرُسُلِي أَشَدُّ تَكْذِيباً »

١٤٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس هو الأصمُّ ، حدثنا العباسُ بن الوليد ، أخبرنا ابنُ شعيب ، حدثني شيبانُ ، عن ليثٍ ، فذكره[1]

وهكذا ينبغي أن يقولَ مَنْ قال بالطريقة الثانية في أولاد المسلمين ؛ فيمَنْ لم يوافِ أحدُ أبويه القيامةَ مؤمناً ، يَجعلُ امتحانَهُ في الآخرة حيث لم يجدْ مُتَّبَعاً يَلحق به في الجنة ، والله أعلمُ بالصواب[2]

* * *

(١) ورواه أبو يعلى في « مسنده » (٤٢٢٤) ، والبزار في « مسنده » (٧٥٩٤) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/٢١٦) : (فيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس ، وبقية رجال أبي يعلى رجال الصحيح) ، وقد ذهب الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (١٨/١٢٧) إلى تضعيف أحاديث الامتحان ، وردَّهُ الحافظ ابن كثير في « تفسيره » (٥/٥٨) بأن فيها الصحيحَ والحسن ، وهو قول الشيخ في « الإبانة » (ص ١٩٤) ، وانظر « فتح الباري » (٣/٢٤٦) .

(٢) في هامش (أ) : (بلغ قراءة عليَّ ، كتبه علي النشبي) .

باب
القول في الآجال والأرزاق

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

والأجلُ : عبارةٌ عن الوقت الذي ينقطعُ فيه فعلُ الحياة ؛ كما أن أجلَ الدَّين : عبارةٌ عن الوقت الذي يَحِلُّ فيه الدَّين ، فالمقتولُ أو الميِّتُ أجلُهُما عند خروج رُوحِهِما(١) .

وقوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣١] **يعني** : مِنَ الشرك ، ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [إبراهيم : ١٠] **يعني** والله أعلم : بغير عقوبة ، ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ [نوح : ٤] **قال** : الموت(٢) .

وقال يحيى بنُ زياد الفَرَّاءُ : إنَّما أراد : مسمّىً عندكم ، ومثلُهُ قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] **يعني** : وهو أهونُ عليه عندكم في معرفتكم(٣) ، وهذا فيما :

١٤٤ـ أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ أبي عمرٍو ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، حدثنا محمدُ بن الجَهْمِ ، عن الفَرَّاءِ ، فذكره .

وقال في **الرزق** : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] ، وقد

---

(١) انظر « تاج العروس » مادة (أ ج ل) .

(٢) انظر « الدر المنثور » (٨/ ٢٨٩) .

(٣) انظر « معاني القرآن » له (٣/ ١٨٧) ، و« الكامل » للمبرد (٢/ ٢٢٨) .

علمنا أنَّ جميعَ المكلفين ليسوا يأكلون حلالاً[١] ، فلو كان لم يرزقْهم الحرامَ . . كأنَّهُ لم يرزقْ أكثر الأنامِ ؛ لأكلِهِمُ الحرامَ ، وفي ذلك دلالةٌ على أن جميعَ ما تغذَّى به الحيوانُ مِنْ حلالٍ أو حرامٍ فهو رزقُهُ ، فقد دخل فيه ما يأكلُهُ المكلفون مِنْ حلالٍ أو حرامٍ ، وما يأكلُهُ الأطفالُ مِنْ لَبَنٍ لا يملكونه وغيرِهِ ، وما تأكله البهائم وإن لم يكنْ لها مِلكٌ[٢]

١٤٥ـ **أخبرَنا** السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا أحمدُ بن محمد بن الحسن الحافظُ ، حدثنا عبد الرحمن بن بِشر بن الحكم ، حدثنا سفيانُ ، عن عمرو بن دينارٍ ، عن أبي الطُّفَيلِ ، عن حُذيفة بن أَسيد ، يَبْلُغُ به النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يُوَكَّلُ الْمُوَكَّلُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ** ـ أو : **خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ** ـ **لَيْلَـةً ، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ؛ مَاذَا ؟ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُكْتَبَانِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ ؛ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَيُكْتَبَانِ ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ وَأَثَرُهُ ، ثُمَّ تُرْفَعُ الصُّحُفُ ، فَلا يُزَادُ فِيهَا وَلا يُنْقَصُ** »[٣]

١٤٦ـ **وأخبرَنا** محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن إسحاقَ ، أخبرنا أبو المثنى ، حدثنا مسددٌ ، حدثنا حمادُ بن زيد ، عن عُبيد الله بن أبي بكر ، عن جدِّهِ أنسِ بن مالك قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إِنَّ اللهَ ـ تَعَالَى ذِكْرُهُ ـ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً**[٤] **، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ عَلَقَةٌ ، يَا رَبِّ ؛**

---

(١) **المراد** : سلب العموم؛ أي : ليس جميع المكلفين يأكلون حلالاً ، وإلا فظاهر العبارة يفيد عموم السلب ، فليتنبه .

(٢) قال الآلوسي في « روح المعاني » عند الآية (٣) من سورة (البقرة) : (والأحسن : الاستدلال بالإجماع قبل ظهور المعتزلة على أن مَنْ أكل الحرام طول عمره مرزوقٌ طولَ عمره ذلك الحرامَ ، والظواهرُ تشهد بانقسام الرزق إلى طيِّب وخبيثٍ ، وهي تكفي في مثل هذه المسألة) ، وانظر « تفسير الرازي » عند الآية (٦) من سورة (هود) .

(٣) ورواه مسلم (٢٦٤٤/ ٢) ، وقوله : (فيُكتبان) في الموضعين بضم أوله ، ومعناه : يُكتَب أحدُهما . انظر «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٩٣) .

(٤) قوله : (وكَّل) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١/ ٣٥٦) : (بالتشديد ، =

مُضْغَةٌ ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَهُ . قَالَ : رَبِّ ؛ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى ؟ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ »[١]

١٤٧ـ أخبرَنا أبو محمد جَناحُ بن نذير بن جَناحِ القاضي بالكوفة ، أخبرنا أبو جعفر محمدُ بن علي بن دُحيم ، حدثنا أحمدُ بن حازم بن أبي غَرَزَةَ ، حدثنا جعفرُ بن عون ، أخبرنا مِسعرٌ ، عن علقمةَ بن مَرْثَدٍ ، عن المغيرةِ بنِ عبد الله اليَشكُرِيِّ ، عن المَعرُورِ بن سُويد ، عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال : قالت أمُّ حَبيبةَ : اللهمَّ ؛ أمتِعْني بزوجي رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وبأبي أبي سُفيانَ ، وبأخي مُعاويةَ ، فقال لها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « قَدْ دَعَوْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَعْلُومَةٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ ، لا يُعَجَّلُ شَيْءٌ مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهَا ، وَلا يُؤَخَّرُ شَيْءٌ مِنْهَا بَعْدَ حِلِّهَا ، فَلَوْ دَعَوْتِ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ ، أَوْ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ ، أَوْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ . لَكَانَ خَيْراً » ، أو « لَكَانَ أَفْضَلَ »[٢]

١٤٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا أحمدُ بن إبراهيمَ بن مِلحَان ، حدثنا ابنُ بُكير[٣] ، حدثني الليثُ بن سعد ، عن خالد بن يزيدَ ، عن سعيدِ بن أبي هلال ، عن سعيدِ بن أبي أُمَيَّةَ الثَّقفِيِّ ، عن يونسَ بن كثير[٤] ، عن ابن مسعود : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَلْقَى فِي رُوعِي : أَنَّ أَحَداً

= قال الحافظ ابن حجر : «وفي روايتنا بالتخفيف: من: وَكَلَهُ بكذا؛ إذا استكفاه وصرفَ أمره إليه».

(١) ورواه البخاري (٣١٨) ، ومسلم (٢٦٤٦/ ٥) .

(٢) ورواه مسلم (٢٦٦٣/ ٣٢ ، ٣٣) .

(٣) وهو هنا يحيى بن عبد الله بن بكير

(٤) في (أ ، ب) : (بكير) ، والصواب المثبت ، وجاء في « التاريخ الكبير » للبخاري (٨/ ٤٠٩) قال : (يونس بن كثير : روى عن ابن مسعود ، وروى عنه سعيد بن أمية الثقفي) .

مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ »[1]

ورواه أيضاً جابرُ بن عبد الله[2] ، وغيره ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[3]

* * *

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤) .

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٤٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٢٣٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤) وصحَّحه .

(٣) ورواه البزار (٢٩١٤) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ١٦٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، وانظر « التمهيد » (٢٤/ ٤٣٤) ، و« مرقاة المفاتيح » عند الحديث (٥٣٠٠) .

باب
القول في الإيمان

قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] .

فأخبر أنَّ المؤمنينَ هم الذين جمعوا هذه الأعمال ؛ التي بعضها يقع بالقلب ، وبعضها : باللسان ، وبعضها : بهما وسائرَ البدن ، وبعضها : بهما أو بأحدهما وبالمال ، وفيما ذكره الله مِنْ هذه الأعمالِ تنبيهٌ على ما لم يذكرْهُ .

وأخبر بزيادة إيمانهم بتلاوة آياتِهِ عليهم ، وفي كلِّ ذلك دلالةٌ على أنَّ هذه الأعمالَ وما نبَّهَ بها عليه مِنْ جوامع الإيمان ، وأنَّ الإيمانَ يزيدُ ، وإذا قَبِلَ الزيادة . . قَبِلَ النُّقصانَ .

وبهذه الآية وما في معناها من الكتاب والسنة ذهب أكثرُ أصحاب الحديث إلى أن اسمَ الإيمان لجميع الطاعات ؛ فرضِها ونفلِها ، وأنَّها على ثلاثة أقسام :

فقسمٌ يَكْفُرُ بتركه : وهو اعتقادُ ما يجبُ اعتقاده ، والإقرارُ بما اعتقده .

وقسمٌ يَفْسُقُ بتركه ولا يَكْفُرُ به إذا لم يجحدْهُ : وهو مفروضُ الطاعات ؛ كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحجِّ ، واجتنابُ المحارم .

وقسمٌ يكونُ بتركه مُخْطِئاً الأفضلَ ؛ غيرَ فاسقٍ ولا كافر : وهو ما يكونُ من العبادات تطوُّعاً

واختلفوا في كيفية تسمية جميع ذلك إيماناً :

فمنهم من قال : جميعُ ذلك إيمانٌ بالله تبارك وتعالى وبرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ لأنَّ الإيمانَ في اللغة : هو التصديقُ ، وكلُّ طاعة تصديقٌ ؛ لأنَّ أحداً لا يُطيع مَنْ لا يُثبتُهُ ، ولا يُثبتُ أمرَهُ .

ومنهم من قال : الاعتقادُ والإقرارُ إيمانٌ بالله وبرسوله ، وسائرُ الطاعات إيمانٌ لله ولرسوله ؛ فيكون التصديقُ بالله : إثباتَهُ والاعترافَ بوجوده ، والتصديقُ له : قَبولَ شرائعه واتباعَ فرائضه على أنَّها صوابٌ وحكمةٌ وعدلٌ ، وكذلك التصديقُ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم والتصديقُ له .

وقد ذكرنا بيانَهُ ودليلَهُ في كتاب « الإيمان »(١) ، وفي كتاب « الجامع »(٢) ، ونحن نذكرُ ها هنا طرفاً مِنْ ذلك .

١٤٩ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، ومحمدُ بن موسى قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بن مرزوق ، حدثنا أبو عامر ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ قال : قيل للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : أرأيتَ الذين ماتوا وهم يُصلُّون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣](٣) .

ورواه أيضاً البراء بن عازب أتمَّ منه(٤)

وفي هذا دلالةٌ على أنه سمَّى صلاتَهم إلى بيت المقدس إيماناً ، وإذا ثبتَ ذلك في الصلاة . . ثبتَ ذلك في سائر الطاعات .

---

(١) واحدٌ من كتب الإمام البيهقي التي لا تزال مفقودة ، وذكره في هذا الكتاب يؤكد نسبته إليه ، ويتبيَّن في ثنايا هذا الكتاب وغيره أنه أطال فيه الكلام عن أبحاث الإيمان وأبوابه ، واختصر بعضها في مقدمة « شعب الإيمان » ، ونثر بعضها خلال « شعب الإيمان » وسائر مصنفاته .

(٢) شعب الإيمان (باب حقيقة الإيمان) وما بعده (١/ ٨٩) .

(٣) ورواه أبو داود (٤٦٨٠) ، والترمذي (٢٩٦٤) وقال : (هذا حديث حسن صحيح) .

(٤) رواه البخاري (٤٠)، ومسلم (٥٢٥) ، وانظر « عمدة القاري » (١/ ٢٣٩) وما بعدها .

وقد سمَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الطُّهورَ إيماناً ؛ فقال ـ في حديث أبي مالكِ الأشعريِّ عنه ـ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ » .

١٥٠ـ حدَّثناه أبو محمدِ بنُ يوسفَ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن إسحاقَ بن أيوبَ ، أخبرنا محمدُ بنُ عيسى بنِ السكن ، حدثنا عفانُ ، حدثنا أَبَان بن يزيدَ ، عن يحيى بنِ أبي كَثيرٍ ، عن زيدِ بن سَلَّام ، عن أبي سَلَّام ، عن أبي مالكٍ الأشعريِّ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ كان يقول : « **الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ** »[١]

وسمَّى في حديث وفدِ عبدِ القيس كلمتي الشهادة ، وإقامَ الصلاة ، وإيتاءَ الزكاة ، وصومَ رمضان ، وحجَّ البيت ، وإعطاءَ الخُمُسِ . . إيماناً .

١٥١ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن أحمد بن أبي طاهر الدقاقُ ببغدادَ ، أخبرنا عليُّ بن محمد الخرقيُّ ، حدثنا أبو قِلابةَ ، حدثنا أبو زيدٍ الهَرَوِيُّ ، حدثنا قُرَّةُ بن خالد ، عن أبي جَمرةَ نصرِ بن عِمرانَ الضُّبَعيِّ ، عن ابن عباسٍ قال : قدم وفدُ عبد القيس على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : « **مَرْحَباً بِالْوَفْدِ غَيْرَ الْخَزَايَا** »[٢] ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ إنَّ بيننا وبينك كفَّارَ مُضَرَ ، وإنَّا لا نصلُ إليك إلا في شهر حرام ، فمُرْنا بأمرٍ نعملُ به ، وندعو إليه مَنْ وراءَنا[٣] ، قال : « **آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ ، تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ ؟ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُوا رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّوا**

---

(١) ورواه مسلم (١/٢٢٣) .

(٢) قوله : (غير الخزايا) : خزايا بفتح الخاء : جمع خزيان ، من الخزي ؛ وهو الذل والإهانة ، وبنصب (غير) على الحالية من (الوفد) ، قال العلامة القاري في « المرقاة » (١/٨٨) : (وجُوِّزَ جرُّهُ على أنه بدل من القوم ـ كذا في رواية ، وأراد : الوفد ـ ، وأغرب ابن حجر فقال : «ورُوِي بالكسر صفةً» ، ووجه غرابته : أن المحققين على أن « غير » متوغلة في النكرة ؛ بحيث إنها لا تصير معرفة بالإضافة ولو إلى المعرفة) .

(٣) ويجوز في قوله : (نعمل) الجزم على أنه جواب الأمر ، وفي قوله : (وندعو) النصب على المعية .

الْبَيْتَ الحَرَامَ » ، قال : وأحسبه قال : « وَتُعْطُوا الْخُمُسَ مِنَ الْغَنَائِمِ »[1]

وسمَّى شُعَبَ الدِّين كلَّها . . إيماناً ، في حديث أبي هريرةَ .

١٥٢- أخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ يحيى بنِ عبد الجبَّار السُّكَّرِيُّ ببغدادَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا عباسُ بن عبد الله التَّرْقُفِيُّ ، حدثنا محمدُ بن يوسف ، عن سفيانَ ، عن سُهيل بن أبي صالحٍ ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ أو: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ ، أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »[2]

١٥٣- أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا أبو الوليد الطيالسيُّ ، حدثنا سليمانُ بن كَثير ، حدثنا الزهريُّ ، عن عطاءِ بن يزيدَ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ سُئل : أيُّ المؤمنين أكملُ إيماناً ؟ قال : « رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَرَجُلٌ يَعْبُدُ اللهَ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ وَقَدْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ »[3]

١٥٤- أخبرَنا أبو الحسن محمدُ بن أحمد بن الحسن بن إسحاقَ البزارُ ببغدادَ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن إسحاقَ الفاكهيُّ بمكةَ ، حدثنا أبو يحيى بنُ أبي مَسَرَّةَ ، حدثنا عبد الله بن يزيدَ المقرئُ ، حدثنا سعيد بن أبي أيوبَ ، حدثني محمد بن عجلانَ ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال :

---

(١) ورواه البخاري (٥٣) ، ومسلم (١٧/ ٢٤) .

(٢) ورواه البخاري (٩) مختصراً ، ومسلم (٣٥/ ٥٨) كلاهما بزيادة كلمة (شعبة) بعد قوله : (وسبعون) ، وأبو داود (٤٦٧٦) كما هنا .

(٣) ورواه البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨/ ١٢٢) ، وأبو داود (٢٤٨٥) .

« أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً »[1]

قال الشيخ

وقوله (أكملُ المؤمنينَ إيماناً) أرادَ به والله أعلم : مِنْ أكملِ المؤمنينَ إيماناً[2] ؛ جمعاً بينه وبين سائر ما ورد في هذا المعنى ، وهذا لفظٌ سائغٌ في كلام العرب ؛ يقولون (أكمل) و(أفضل) ، ومرادهم : (مِنْ أكمل) و(مِنْ أفضل) .

١٥٥ـ **أخبرَنا** أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَةْ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مُؤَمَّلُ بن الفضل ، حدثنا محمدُ بن شعيب بن شابُورَ ، عن يحيى بنِ الحارث ، عن القاسم ، عن أبي أُمامةَ ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « مَنْ أَحَبَّ لِلهِ ، وَأَبْغَضَ لِلهِ ، وَأَعْطَى لِلهِ ، وَمَنَعَ لِلهِ . . فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »[3]

ورواه سهلُ بن معاذ بن أنس الجُهنيُّ ، عن أبيه : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . . ، فذكره ، وزاد : « وَأَنْكَحَ لِلهِ . . فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ » .

١٥٦ـ **أخبرَناه** محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن صالح بنِ هانئ ، حدثنا السَّرِيُّ بن خزيمةَ ، حدثنا عبدُ الله بن يزيد المقرئُ ، حدثنا سعيدُ بن أبي أيوبَ ، عن أبي مَرْحومٍ ، عن سهلٍ ، فذكره[4]

١٥٧ـ **أخبرَنا** أبو محمدٍ عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، حدثنا أبو عبد الله

---

(١) ورواه الدارمي (٢٨٣٤) ، وأبو داود (٤٦٨٢) ، والترمذي (١١٦٢) وقال : (حديث حسن صحيح) .

(٢) وهي رواية الترمذي (٢٦١٢) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٥٣) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها

(٣) ورواه أبو داود (٤٦٨١)

(٤) ورواه الترمذي (٥٢٢١) .

محمدُ بن يعقوبَ الشيبانيُّ ، حدثنا إبراهيمُ بن عبد الله السعديُّ ، أخبرنا محمدُ بن عُبيد ، حدثنا الأعمشُ ،عن إسماعيلَ بن رجاءٍ ، عن أبيه قال : قال أبو سعيدٍ الخدريُّ : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً ؛ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** »(١)

١٥٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا عليُّ بن حَمْشَاذَ العدلُ ، حدثنا الحسنُ بن سهلٍ المجوِّزُ ، حدثنا أبو سلمةَ موسى بنُ إسماعيلَ ، حدثنا أبانُ بن يزيدَ ، حدثنا قتادةُ ، حدثنا أنسٌ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الإِيمَانِ مَا يَزِنُ بُرَّةً** »(٢)

ورواه أبو سعيدٍ الخدريُّ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وقال « **وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ** »(٣)

والأحاديثُ في تسمية شرائع الإسلام إيماناً ، وأنَّ الإيمانَ والإسلامَ عبارتان عن دين واحدٍ إذا كان الإسلامُ حقيقةً ولم يكن بمعنى الاستسلام ، وأنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقص ، سوى ما ذكرنا . . كثيرةٌ ، وفيما ذكرنا ها هنا كفايةٌ

وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعلي ، ثم عن عبد الله بن رواحةَ ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وعمَّار بن ياسر ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرةَ ، وعثمانَ بن حُنَيف ، وعُمير بن حبيب ، وجُنْدُبٍ ، وعُقبةَ بن عامر رضي الله عنهم .

ثم من التابعين وأتباعهم عن جماعة يكثُرُ تعدادُهم ، وهو قولُ فقهاءِ الأمصار رحمهم الله : مالكِ بن أنس ، والأوزاعيِّ ، وسفيانَ بن سعيد الثوريِّ ،

---

(١) ورواه مسلم (٤٩/ ٧٩) ، وقوله : (**أضعف الإيمان**) يعني : أقلَّ ثمراته على قولٍ

(٢) ورواه البخاري (٤٤) ، ومسلم (١٩٣/ ٣٢٥) .

(٣) رواه البخاري (٢٢ ، ٦٥٦٠) ، ومسلم (١٨٤/ ٣٠٤) .

وسفيانَ بن عيينةَ ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمةَ ، ومحمد بن إدريسَ الشافعيِّ ، وأحمدَ بن حنبلٍ ، وإسحاقَ بن إبراهيمَ الحنظليِّ ، وغيرِهم من أهل الحديث .

ورويناه عن قُتيبة بن سعيد ، عن أبي يوسفَ القاضي .

وكلُّ ذلك مذكور في كتاب « الإيمان »[(١)]

١٥٩ـ وأخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، حدثنا أبو بكر محمدُ بن مَهرُويَهِ بن عباس بن سِنانٍ الرازيُّ وغيرُه ، قالوا : حدثنا أبو الصَّلت ، حدثنا عليُّ بنُ موسى الرِّضا ، عن أبيه موسى ، عن أبيه جعفر ، عن أبيه محمدٍ ، عن أبيه عليٍّ ، عن أبيه الحسينِ[(٢)] ، عن أبيه عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنهم قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **الإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ ، عَمَلٌ بِالأَرْكَانِ ، مَعْرِفَـةٌ بِالْقَلْبِ** »[(٣)]

تابعَهُ محمدُ بن أسلمَ الطوسيُّ وغيره ، عن عليِّ بن موسى الرضا رضي الله عنه[(٤)]

١٦٠ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثني الزبيرُ بن عبد الواحد الحافظُ

---

(١) وانظر « شعب الإيمان » للمصنف (باب الدليل على أن الطاعات كلها إيمان) والأبواب بعده ، و« السنة » للالكائي (باب جماع الكلام في الإيمان) ، و« شرح صحيح مسلم » للإمام النووي (١/ ١٤٦) ، و« فتح الباري » (١/ ٤٦) وما بعدها ، و« عمدة القاري » (١/ ١٠٢) وما بعدها ؛ في كلام استوفى به كثيراً من أبحاثه ورواياته .

(٢) فعليُّ بن موسى الرضا حدَّث عن أبيه موسى الكاظم ، عن الصادق ، عن الباقر ، عن زين العابدين ، عن سيدنا الحسين بن أمير المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) ورواه ابن ماجه (٦٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٢٥٤) ، وقال الإمام السيوطي في « الدرر المنتثرة » (٤٨) : (أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » فلم يصب) ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٢٢) ، و« فيض القدير » (٣/ ١٨٥) .

(٤) قوله : (تابعه محمد بن أسلم . . .) زيادة من (د ، هـ) فقط ، وسقط من سائر النسخ .

بأسداباذَ ، حدثني يوسفُ بن عبد الأحدِ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ قال : سمعتُ الشافعيَّ يقول : (الإيمانُ : قولٌ وعمل ، يزيدُ وينقص)[١]

قال الشيخ :

وأمَّا الاستثناء في الإيمان[٢] : فقد كان يستثني جماعةٌ مِنَ الصحابة والتابعين وأتباعهم ، وإنَّما رجع استثناؤهم : إلى كمال الإيمان ، وإلى بقائهم على إيمانهم في ثاني الحال ، فأمَّا أصلُ الإيمان فكانوا لا يشكُّون في وجوده في الحال ، وبأن يتغيَّرَ حالُ إنسانٍ في الإيمان لم يمنعْ كونَهُ موصوفاً به في الحال قبل التغيُّر ، والله أعلم[٣]

---

(١) ورواه اللالكائي في « السنة » (١٧٥١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٤ـ١١٥) ، وانظر « فتح الباري » (١/ ٤٧) .

(٢) وهي مسألة قول : (أنا مؤمن إن شاء الله) ، قال الإمام الرازي في « معالم أصول الدين » (ص ١٣٥) : (كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : « أنا مؤمن إن شاء الله » ، وتبعه جمع من عظماء الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، وهو قول الشافعي رضي الله عنه ، وأنكره أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى) .

وقول الماتريدية عند العلامة الغزنوي في « أصول الدين » (ص ٢٦٣) حيث قال : (اعلم : أنَّ قوله : « أنا مؤمن إن شاء الله تعالى » استثناءٌ ، والاستثناء شكٌّ ، والشكُّ في أصل الإيمان كفرٌ وضلال ؛ دَلَّ عليه : أنَّ الكافر لو قال ابتداءً : « أنا مؤمن إن شاء الله » . . لا يصير مؤمناً لوقت الإيمان ، أو قال : « آمنت بالله ورسله إلى ألف سنة » . . لم يصر مؤمناً) ، ثم قال : (والاستثناء شُرِعَ في الأعمال المؤقتة لا المؤبدة ، والإيمان معقودٌ إلى الأبد من غير توقيت) ، ثم ذكر أنه إن قال : أموت مؤمناً إن شاء الله . . يكنْ إيمانُهُ مقبولاً ؛ إذ هذا يحمل على خوف ، والعبد لا يدري بم يختم له ، ولأجلها كان أكثر بكاء الخائفين ، قال : (فمن هذا الوجه : يجب الاستثناء ، ويكون شكاً في الثبات والدوام ، والقبول في أصل الإيمان) .

(٣) قال شرف الدين الطيبي في حاشيته على الكشاف « فتوح الغيب » (٧/ ١٧) : (وقد تقرر ـ بل أُجمع عليه ـ أنَّ أحداً من المسلمين بعد العشرة المبشرة لا يقدر أن يقطع بأنه من أهل الثواب ؛ فمن قال : « إني مؤمن حقاً » . . لا بدَّ له من القول بأنَّ له درجاتٍ عند ربه قطعاً ، وإلا فقد آمن ببعض دون بعض ، لكنه لا يجوز القطع بالثاني ، فلا يجوز القطع بالأول ، فله=

١٦١ـ وقد أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني أبو أحمدَ الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن شَادِلٍ الهاشميُّ[(١)] ، حدثنا أحمدُ بن نصر المقرئُ الزاهدُ ، حدثنا عبدُ الله بن عبد الجبَّار الحمصيُّ ، حدثنا بقيَّةُ بن الوليد ، عن تمَّام بن نَجيح قال : سأل رجلٌ الحسنَ البصريَّ عن الإيمان ، فقال : الإيمانُ إيمانان ؛ فإن كنتَ تسألني عن الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والجنة والنار ، والبعث والحساب . . فأنا مؤمنٌ ، وإن كنتَ تسألني عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٢ ـ ٤] . . فواللهِ ؛ ما أدري منهم أنا أم لا[(٢)]

فلم يتوقَّف الحسن في أصل إيمانه في الحال ، وإنَّما توقَّف في كماله الذي وعد الله عزَّ وجلَّ لأهل الجنَّة بقوله : ﴿ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٤] .

١٦٢ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن محمدُ بن الحسين السُّلميُّ ، أخبرنا بشرُ بن أحمدَ المِهْرَجانِيُّ ، حدثنا داودُ بن الحسين البيهقيُّ ، سمعتُ محمدَ بن مُقاتل المروزيَّ ، وسعيدَ بن يعقوبَ قالا : حدثنا المُؤَمَّلُ بن إسماعيلَ قال : سمعتُ الثوريَّ يقول : (قد خالفنا المرجئة في ثلاث : نحن نقول : الإيمانُ قول

= أن يقول : « أنا مؤمن إن شاء الله » ، لا : « أنا مؤمن حقاً ») ، ثم قال : (والشافعي يحمل الاستثناء : إمَّا على التبرُّك ؛ كقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٧] ، وإمَّا على الإيمان المنتفع به عند الموت ، فإذاً لا خلاف في أصل المعنى) .

(١) قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (ش د ل) : (شادِل كصاحِب : أهمله الجوهري وصاحب « اللسان » ، وقال الصاغاني : هو علَمٌ ، ومحمد بن شادل بن علي النيسابوري : صاحبُ إسحاق بن راهويه ، كذا في « التبصير »)

(٢) ورواه المصنف في « شعب الإيمان » (٧٥) ، وانظر « تفسير الرازي » ، و« روح المعاني » عند الآية (٤) من سورة (الأنفال) .

وعمل ، وهم يقولون : الإيمانُ قول بلا عمل ، ونحن نقول : يزيدُ وينقص ، وهم يقولون لا يزيد ولا ينقص ، ونحن نقول : أهلُ القبلة عندنا مؤمنون ، وأما عند الله . . فاللهُ أعلم ، وهم يقولون : نحن عند الله مؤمنون)[١]

فسفيانُ الثوريُّ رحمه الله أخبر عن أهل السنة أنَّهم لا يقطعون بكونهم مؤمنين عند الله ؛ يعني : في ثاني الحال ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يعلم الغيب ، فهو عالمٌ بما يصير إليه حالُ العبد ثم يموت عليه ، ونحن لا نعلمه ، فنكِلُ الأمرَ فيما لا نعلمه إلى عالمه ؛ خوفاً مِنْ سوء العاقبة ، ونستثني على هذا المعنى ، ونرجو مِنَ الله تعالى أن يُثبِّتَنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

والأحاديثُ التي وردت في جريان القلم بما هو كائن ، ورجوعِ كلِّ إنسان إلى ما كُتب له مِنَ الشقاوة والسعادة ، وموتِهِ عليه . . مانعةٌ مِنْ قطع القول بما يكون في العاقبة ، حاملةٌ على الاستثناء وعلى الخوف مِنْ تبدُّل الحالة ، واللهُ يعصمُنا مِنْ ذلك بفضله وَسَعَةِ رحمته .

١٦٣ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن عليٍّ المقرئُ الإسفرايينيُّ بها ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا عبدُ الواحد بن غياث ، وهُدْبَةُ قالا : حدثنا حمادُ بن سَلَمَةَ ، عن هشام بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ . . تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَمَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ . . تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَدَخَلَ الْجَنَّـةَ** »[٢]

---

(١) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٧/ ٢٩) ، وانظر « شرح السنة » للبغوي (١/ ٤١) .

(٢) ورواه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٠٧) ، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٦٦٨) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٤٦) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢١٢) : (رواه أحمد =

وشواهدُ هذا الحديث كثيرةٌ : مِنْ حديث عبد الله بن مسعود[1] ، وغيره[2] ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

وفي حديث سهلِ بن سعد الساعديِّ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ »[3]

وفي حديث أسامةَ بن زيد ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في صفة الجنَّة ؛ قالوا : فقالوا : نحن المُشمِّرون لها يا رسولَ الله ، قال : « قُولُوا : إِنْ شَاءَ اللهُ »[4]

* * *

= وأبو يعلى بأسانيد ، وبعض أسانيدهما رجاله رجال الصحيح) .

(1) رواه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) .

(2) وقد عدَّ العلماء هذا الحديث من الأحاديث المتواترة ؛ إذ روي عن ستة عشر صحابياً ، وانظر « نظم المتناثر » (ص ١٨٣) .

(3) رواه البخاري (٢٨٩٨ ، ٦٦٠٧) ، ومسلم (١١٢/١٧٩) ، والمصنف في « القضاء والقدر » (١١١) .

(4) ورواه ابن ماجه (٤٣٣٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧٣٨١) ، والمصنف في « الأسماء والصفات » (ص ١٦٨) . وقد عدَّ حجةُ الإسلام الغزالي هذه الخلافاتِ في أن الإيمان هل يزيد وينقص ، أم هو على رتبة واحدة . . من الخلافات اللفظية ، قال في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص ٣٨١) : (وهذا الاختلاف منشؤه الجهلُ بكون الاسم مشتركاً ؛ أعني: اسمَ الإيمان ، وإذا فصل مسميات هذا اللفظ . . ارتفعَ الخلاف ، وهو مشتركٌ بين ثلاثة معانٍ : إذ قد يعبَّرُ به عن التصديق اليقيني البرهاني ، وقد يعبَّرُ به عن التصديق الاعتقادي التقليدي إذا كان جزماً ، وقد يعبَّرُ به عن تصديقٍ معه العملُ بموجب التصديق) .

باب
القول في مرتكبي الكبائر

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] يعني : يغفرُ ما دون الشرك لِمَنْ شاء بلا عقوبة ، وقد يعاقبُ بعضَهم على ما اقترف مِنَ الذنوب ، ثم يعفو عنه ويدخلُهُ الجنَّةَ بإيمانه ؛ لقوله : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٣٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٠] .

١٦٤ـ أخبرَنا أبو طاهر محمدُ بن محمد الفقيهُ ، أخبرنا أبو حامد أحمدُ بن محمد بنِ يحيى بنِ بلالٍ ، حدثنا يحيى بنُ الربيع المكيُّ ، حدثنا سفيانُ بن عيينةَ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، وأبو بكرِ بنُ الحسن قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ ، أخبرنا الشافعيُّ ، أخبرنا سفيانُ بن عيينةَ ، عن الزهريِّ ، عن أبي إدريسَ ، عن عُبادةَ بن الصامت قال : كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في مجلسٍ ، فقال : « **بَايِعُونِي عَلَى أَلا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ، وَلا تَسْرِقُوا ، وَلا تَزْنُوا** » ، وقرأ عليهم الآيةَ ، وقال : « **فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ . فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ بِهِ . فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ . فَهُوَ إِلَى اللهِ ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ** »(١)

---

(١) ورواه الإمام الشافعي في « الأم » (٦/١٤٩) ، والبخاري (١٨ ، ٤٨٩٤) ، ومسلم (١٧٠٩/٤١) .

١٦٥ـ أخبرَنا أبو أحمدَ عبدُ الله بن محمد بن الحسن المِهْرَجانيُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن جعفر المُزَكِّي ، حدثنا محمدُ بن إبراهيمَ ، حدثنا ابنُ بُكير ، حدثنا مالكٌ ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمدِ بن يحيى بن حَبَّانَ ، عن ابن مُحَيْرِيزٍ : أنَّ رجلاً مِنْ بني كنانةَ ـ يدعى : المُخْدَجِيَّ ـ سمع رجلاً بالشام ـ يدعى : أبا محمد ـ يقول : إنَّ الوترَ واجبٌ ، قال المُخْدَجِيُّ : فرحتُ إلى عُبادةَ بن الصامت ، فاعترضتُ له وهو رائحٌ إلى المسجد ، فأخبرته بالذي قال أبو محمد ، فقال عُبادةُ : كذبَ أبو محمد ؛ سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول « **خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ ؛ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ . كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّـةَ ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ . فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ** »[١]

١٦٦ـ أخبرَنا أبو محمد جَناحُ بن نذير بن جَناح بالكوفةِ ، حدثنا أبو جعفر محمدُ بن علي بن دُحيمٍ ، حدثنا إبراهيمُ بن إسحاقَ القاضي ، حدثنا محمدُ بن عُبيد ، عن الأعمشِ ، عن أبي سفيانَ ، عن جابرٍ قال : جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا رسولَ الله ؛ ما المُوجِبَتانِ ؟ قال : « **مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً . دَخَلَ الْجَنَّـةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً . دَخَلَ النَّارَ** »[٢]

١٦٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا بشرُ بن موسى ، حدثنا سعيدُ بن منصور ، حدثنا أبو معاويةَ ، عن جعفرِ بن بُرْقانٍ ، عن يزيدَ بن أبي شيبةَ[٣] ، عن أنسِ بن مالك قال : قال رسولُ الله

---

(١) ورواه مالك في « الموطأ » (١/ ١٢٣) ، وأبو داود (١٤٢٠) ، والنسائي (١/ ٢٣٠) ، وابن ماجه (١٤٠١)

(٢) ورواه مسلم (٩٣/ ١٥١) .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وإنما هو يزيد بن أبي نُشبة السلمي ، وقد تفرد أبو داود بالرواية عنه بين الستة في هذا الحديث ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٢/ ٢٥٤) ، أما يزيد بن أبي شيبة فهو أبو شهم الصحابي رضي الله عنه ، له حديث عند النسائي ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٣/ ٣٠٧) .

صلَّى الله عليه وسلَّم : « **ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ الإِيمَانِ : الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ ؛ لا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ ، وَلا نُخْرِجُهُ مِنَ الإِسْلامِ بِعَمَلٍ ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ ؛ لا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ وَلا عَدْلُ عَادِلٍ ، وَالإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ** »[١]

ولهذه الأحاديث شواهدُ ذكرناها في كتاب « الإيمان » وفي كتاب « البعث والنشور »[٢] ، وعلى هذا درجَ مَنْ مضى مِنَ الصحابة والتابعين وأتباعهم مِنْ أهل السنة والجماعة .

وقال **الشافعيُّ** رحمه الله في (كتاب وصيته) : (وجعلَ الآخرة دار قرارٍ وجزاءٍ بما عملَ في الدنيا مِنْ خيرٍ أو شرٍّ إن لم يَعْفُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ)[٣]

وإلى مثل هذا ذهب فقهاءُ الأمصار ، **وقالوا في آيات الوعيد**[٤] : إنَّ ذلك جزاؤُهُ ، فإن شاءَ الله أن يعفوَ عن جزائِهِ فيما دون الشرك . . فعلَ[٥]

---

(١) ورواه أبو داود (٢٥٣٢) .

(٢) البعث والنشور (باب قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨]) .

(٣) انظر وصية الإمام الشافعي في « الأم » (٤/١٢٨) ، والشاهد : أنه علَّق جزاء الشر بقوله : (إن لم يعفُهُ) .

(٤) كأنه قيل : فهل تعطَّل العملَ بآيات الوعيد ؟ فأجاب بما سيأتي .

(٥) **يعني** : أنه سبحانه كذلك بنصِّ كتابه خصَّ إمضاءَ الجزاء المذكور بآيات الوعيد بمشيئته بقوله جلَّت رحمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١/٢١٧) : (وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة . . فهو في مشيئة الله تعالى ؛ فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة . . . ، وإن شاء عذبه القدْرَ الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة ، **فلا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل ، هذا مختصر جامعٌ لمذهب أهل الحق في هذه المسألة** ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يُعتدُّ به من الأمة على هذه القاعدة ، وتواترت بذلك نصوص تحصِّلُ العلمَ القطعي) .

١٦٨ـ أخبرَنا أبو علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَةَ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا أحمدُ بن يونسَ ، حدثنا أبو شهاب ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ ، عن أبي مِجْلَزٍ في قوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء ٩٣] ، قال : هي جزاؤه ؛ فإن شاءَ الله أن يتجاوزَ عن جزائِهِ . . فعلَ(١)

١٦٩ـ أخبرَنا أبو القاسم عبدُ الرحمن بن علي بن حمدانَ الفارسيُّ ، في آخَرِينَ قالوا ، أخبرنا أبو عمرو السُّلميُّ ، أخبرنا أبو مسلم ، حدثنا الأنصاريُّ ، حدثنا هشامُ بن حسانَ قال : كنَّا عند محمدِ بن سيرينَ ، فقال له رجلٌ : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ . . . ﴾ حتى ختمَ الآية ، قال : فغضب محمدٌ وقال : أين أنتَ من هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ؟! قُمْ عنِّي ، اخرجْ عنِّي ، فَأُخرِجَ(٢)

وروى حربُ بن سُريج المِنْقَرِيُّ ، حدثنا أيوبُ السَّخْتِيَانِيُّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : ما زلنا نمسِكُ عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا مِنْ نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** » ، وأنَّهُ قال : « **ٱدَّخَرْتُ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » ، قال : فأمسكنا عن كثيرٍ ممَّا كان في أنفسنا ، ونطقنا به ورجونا(٣)

---

(١) ورواه أبو داود (٤٢٧٦) ، وانظر « الدر المنثور » (٢/ ٦٢٨) .

(٢) ورواه المصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٦) ، وانظر « الدر المنثور » (٢/ ٦٢٨) .

(٣) ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٥٨١٣) ، والطبراني في « الأوسط » (٥٩٤٢) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٨/ ٥٢٠) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (١٩/ ٦٨) ، وانظر « مجمع الزوائد » (٧/ ٥) (١٠/ ٣٧٨) ، و« الدر المنثور » (٢/ ٥٥٧) وصحح إسناده ، و« شرح الزرقاني على الموطأ » (٢/ ٤٢) . قال القاضي عياض رحمه الله في « إكمال المعلم » (١/ ٥٦٥) : (وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواترَ بصحتها ـ يعني : الشفاعة ـ في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها ، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها)

١٧٠ـ أَخبرناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباسِ محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا شيبانُ ، حدثنا حربُ بن سُريج المِنْقَرِيُّ ، فذكره

وروى فيه عن مقاتلِ بن حَيَّانَ ، عن نافع ، عن ابن عمر[١]

وعن بكر بن عبد الله ، عن ابن عمر[٢] ؛ ما يكون شاهداً لرواية حربٍ ، والله أعلم .

١٧١ـ أخبرَنا أبو محمدٍ الحسنُ بن علي المُؤَمَّلُ ، حدثنا أبو عثمانَ عمرُو بن عبد الله البصريُّ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهاب ، أخبرنا جعفرُ بن عون ، أخبرنا المسعوديُّ ، عن عون بن عبد الله قال : قال لقمانُ لابنه : يا بُنَيَّ ؛ ارجُ اللهَ رجاءً لا تأمنُ فيه مكرَهُ ، وخفِ اللهَ مخافةً لا تَأْيَسُ فيها مِنْ رحمتِهِ ، قال : يا أبتاهْ ؛ وكيف أستطيعُ ذلك وإنَّما لي قلبٌ واحد ؟! قال : المؤمنُ كذا له قلبان : قلبٌ يرجو به ، وقلبٌ يخافُ به[٣]

---

(١) ورواه من هذا الطريق ابنُ نصر المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٦٩٩) ، والطبري في « تفسيره » (٢١/ ٣١٠) ، والطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٥/ ٣٨٣) .

(٢) ورواه من هذا الطريق الطبريُّ في « تفسيره » (٨/ ٤٥٠) .

(٣) ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٩١٢) ، وابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٠٤٤) ، وانظر« الدر المنثور » (٦/ ٥١٣) . ومن منع عفوه سبحانه عن أهل الكبائر . . فهو ـ كما قال إمام الحرمين في « الإرشاد » (ص ٣٩٢) ـ مبطلٌ لفضل الله ورحمته .
لكن بقي أن يقال : منع الماتريديةُ من خُلف الإيعاد على الإطلاق ، وقالوا : لا بدَّ أن يصدق على بعض الأفراد ولو واحداً ، وإلى هذا ميلُ حجة الإسلام الغزالي ؛ حيث قال في « إحيائه » (٤/ ٦٢٣) : (أشار بعضُ الناس أنه لا يقبحُ من الله أن يتوعَّد بما لا يفعل ؛ لأن الخلف في الوعيد كرمٌ ، وإنما يقبح أن يعدَ بما لا يفعل) ، ثم قال عقبه : (وهذا غيرُ مرضيٍّ عندنا ؛ فإن الكلام القديم لا يتطرَّقُ إليه الخلف ؛ وعداً كان أو وعيداً ، وإنما يتصوَّر هذا في حقِّ العباد ، وهو كذلك ، إذ الخلفُ في الوعيد ليس بحرام) ، فالمسألة من فروع أصول الدين التي يُتصور فيها الخلاف ، والمجترئ على المعاصي الأجدر به التخويف بهذا=

* * *

= القول ، فقد غيّب الله عنا هذا الواحد .

وقد وقع في دعاء بعض العارفين : (اللهمَّ ؛ اجعلْ سيئاتِنا سيئاتِ من أحببت ، ولا تجعل حسناتِنا حسناتِ من أبغضت ؛ فالإحسانُ لا ينفع مع البغض منك ، والإساءةُ لا تضرُّ مع الحبِّ منك ، وقد أبهمتَ علينا الأمرَ لنرجوَ ونخافَ ، فأمِّنْ خوفنا ، ولا تخيِّبْ رجاءنا ، وأعطنا سؤلنا ، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أنا نسألكه ، وكتبت وحبَّبْتَ وزينت وكرَّهت وأطلقت الألسن بما به ترجمَتْ ، فنعم الربُّ أنت ، فلك الحمدُ على ما أنعمت ، فاغفر لنا ، ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطا ، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا) ، فهذا لسانٌ ناطقٌ عن القلبينِ اللذينِ أشار إليهما سيدنا لقمان .

باب
القول في الشفاعة
وبطلان قول من قال بتخليد المؤمنين في النار

قال الله عزَّ وجلَّ لنبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وقال : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى : ٥] .

وقال : ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم : ٧١ ـ ٧٢] .

١٧٢ ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، وأبو عبد الله الحسينُ بن عمرَ بن بَرْهان ، وأبو الحسين بن الفضل القطَّانُ ، وأبو محمد السُّكَّرِيُّ قالوا : أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسنُ بن عَرَفَةَ ، حدثنا القاسمُ بن مالك المزنيُّ ، عن المختارِ بن فُلْفُلٍ ، عن أنسِ بن مالك قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ إِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَمَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا مَعَهُ مُصَدِّقٌ غَيْرَ وَاحِدٍ** »[١]

١٧٣ ـ حدثنا الإمامُ أبو الطيب سهلُ بن محمد بن سليمانَ ، وأبو عبد الله الحافظُ ، وأبو طاهرٍ الفقيهُ قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا محمدُ بن عبد الله بن عبد الحكم ، حدثنا إسحاقُ بن بكر بن مضرَ ، عن أبيه ، عن جعفرِ بن ربيعةَ ، عن صالح بن عطاء بن خَبَّابٍ ، عن عطاء بن أبي رباح ،

---

(١) ورواه مسلم (١٩٦/ ٣٣٠ ، ٣٣٢) .

عن جابر بن عبد الله : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **أَنَا قَائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلا فَخْرَ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ وَلا فَخْرَ** »[(١)]

١٧٤ـ أخبرَنا أبو محمدِ بنُ يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفرانيُّ ، حدثنا رَوحُ بن عُبادةَ ، حدثنا شعبةُ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ**[(٢)] ، **وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي ؛ شَفَاعَةً لأُمَّتِي** »[(٣)]

وبمعناه رواه أُبيُّ بن كعب[(٤)] ، وأبو هريرةَ[(٥)] ، وعبد الرحمن بن

---

(١) ورواه الدارمي (٥٠) ، والطبراني في « الأوسط » (١٧٠) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٥٤) (وفيه صالح بن عطاء بن خبَّاب ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) ، وقال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٣/ ٤٣) : (قال الصدر المناوي : رجاله وثَّقهم الجمهور) ، وقال : (وجْهُ اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالأوَّليَّة : أنه تحمَّلَ في مرضاة ربِّه ما لم يتحمَّله بشرٌ سواه ، وقام لله بالصبر والشكر حقَّ القيام ، فثبت في مقام الصبر حتى لم يلحقه من الصابرين أحدٌ ، وترقَّى في درجات الشكر حتى علا فوق الشاكرين ، فمن ثَمَّ خُصَّ بذلك) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « ولا فخرَ » ، قال المصنف الإمام البيهقي في « الشعب » (١٤٠٩) : (أي : لا أقول متطاولاً ولا متبذخاً به على أحد ، ولم يرد أنه لا فخرَ له فيه ! فإن له فخراً أعظم الفخر صلى الله عليه وسلم) .

(٢) وإفرادُ الدعوة هنا راجعٌ لما ذكره الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ٧٥) بعد إيراده لجملة من هذه الأحاديث ، قال : (ومعناها : أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة ، وهو على يقين من إجابتها ، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها ، وبعضها يجاب وبعضها لا يجاب ، وذكر القاضي عياض : أنه يحتمل أن يكون المراد : لكل نبي دعوة لأمته كما في الروايتين الأخيرتين ، والله أعلم) .

(٣) ورواه مسلم (٢٠٠/ ٣٤٢)، وأورده البخاري تعليقاً بصيغة الجزم (٦٣٠٥) ، وقال الحافظ في « فتح الباري » (١١/ ٩٧) : (قال ابن الجوزي : هذا من حسن تصرُّفه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه جعل الدعوةَ فيما ينبغي ، ومن كثرة كرمه ؛ لأنه آثرَ أمَّتَهُ على نفسه ، ومن صحَّة نظره ؛ لأنه جعلها للمذنبين من أمَّته ؛ لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين) .

(٤) رواه الترمذي (٣٦١٣) ، وابن ماجه (٤٣١٤) .

(٥) رواه البخاري (٦٣٠٤) ، ومسلم (١٩٨/ ٣٣٤) .

أبي عَقيل[1] ، وغيرهم ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

١٧٥ـ أخبرَنا أبو الحسنِ عليُّ بن محمد بن علي المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا مسلمُ بن إبراهيمَ ، حدثنا هشامٌ الدَّسْتَوَائِيُّ[2] ، حدثنا قتادةُ ، عن أنسٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُهَمُّونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ[3] ، فَيَقُولُونَ : لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا يُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ؛ فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : يَا آدَمُ ؛ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا ، فَيَقُولُ لَهُمْ : لَسْتُ هُنَاكُمْ[4] ـ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ـ ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى الأَرْضِ[5]**

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٧) ، وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٧١) : (رواه الطبراني والبزار ، ورجالهما ثقات) .

(٢) بفتح التاء ، ويقال بضمِّها ، ويقال : صاحبُ الدستوائي ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ٦٠) : (وهو منسوب إلى دَسْتَواء ؛ وهي كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التي تُجلب منها ، فنُسب إليها) .

(٣) انظر ما تقدم (ص ١٣٧) في ضبط كلمة (فيهمون) ومعناها .

(٤) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ٥٥) في تفسير قوله : (هناكم) : (معناه : لست أهلاً لذلك) ، وقال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٧/ ٨) : (أي : لست في المكانة والمنزلة التي تحسبونني ؛ يريد : مقام الشفاعة) .

(٥) وكذا وقعت الرواية للمصنف في «الأسماء والصفات» (ص١٨٨)، وهي كذلك عند الطيالسي في «مسنده» (٢١٢٢)، ورواية البخاري: (إلى أهل الأرض) هذه العبارة إحدى شواهد القائلين بنفي الرسالة عن سيدنا آدم عليه السلام ؛ كأبي الحسن بن بطَّال ، وجعله العلامة الكرماني في « الكواكب الدراري » (٢٣/ ٥٦) في موضع الخلاف ، مع اتفاقهم على نبوَّته ، والصحيح : ما وجَّهه الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٧/ ٧) حيث قال : (لأن آدم كانت رسالته بمنزلة التربية والإرشاد للأولاد ، وليس المرادُ بقوله : ـ يعني : في سيدنا نوح عليه السلام ـ « بعثهُ اللهُ إلى أهلِ الأرضِ » عمومَ بعثته ؛ فإن هذا من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم ؛ فإن هذا إنما حصل له بالحادث الذي وقع ؛ وهو انحصارُ الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس بالطوفان ، فلم يكن ذلك في أصل بعثته) .

فَيَأْتُونَ نُوحاً ، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ ـ ، وَلَكِنِ ائْـتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ .

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَ ـ ، وَلَكِنِ ائْـتُوا مُوسَى ؛ عَبْداً آتَاهُ اللهُ التَّوْرَاةَ ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيماً .

فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فَيَقُولُ لَهُمْ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ ـ ، وَلَكِنِ ائْـتُوا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتَهُ .

فَيَأْتُونَ عِيسَى ، فَيَقُولُ لَهُمْ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً ؛ عَبْداً غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ »[1]

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَيَأْتُونَنِي ، فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي[2] ، ثُمَّ يَقُولُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، وَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً[3] فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّـةَ .

---

(١) يعني : الآية من سورة (الفتح) ، قال الإمام السيوطي في « الحاوي للفتاوي » (١/ ٣٨٢) : (أحسن ما يُجاب به عن الآية الكريمة : أنه كنى بالمغفرة عن العصمة ؛ أي : **ليعصمك الله عن الذنب فيما تقدم من عمرك وما تأخر** ، وقد نصَّ غيرُ واحد على أن المغفرة والعفو والتوبة جاءت في القرآن والسنة في معرض الإسقاط والترخيص وإن لم يكن ذنب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] ، « عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق » ، ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المجادلة : ١٣] ، ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٧] أي : رخَّص لكم ، ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ [المزمل : ٢٠] ، وقد ألَّفت في ذلك مؤلفاً سميته : « المحرر في قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢]»).

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١٠/ ٤٠٧) : (وفي « مسند أحمد » : أن هذه السجدة مقدار جمعة من جمع الدنيا)

(٣) بذكرهم بأوصافٍ مخصوصة ، وفي رواية « الصحيحين » المشار إليها : « فَيَحُدُّ لي حدّاً » ، قال العلامة القاري في « المرقاة » (٨/ ٣٥٤١) في تفسير الحدِّ : (هو إما مصدرٌ، أو اسم ؛ أي : مقداراً معيناً في باب الشفاعة ، قال التوربشتي رحمه الله : يريد أنه يبيِّنُ لي في كلِّ طور من أطوار الشفاعة حدّاً أقف عنده فلا أتعداه ؛ مثل أن يقول : شفَّعتك فيمن أخلَّ=

ثُمَّ أَرْجِعُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيَأْذَنُ لِي ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يَقُولُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَانِياً فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ .

ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي ، فَيُؤْذَنُ لِي ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَقَعْتُ لَهُ سَاجِداً ، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي ، ثُمَّ يَقُولُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَسَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَحْمَدُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا ، ثُمَّ أَحُدُّ لَهُمْ حَدّاً ثَالِثاً فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ، حَتَّى أَرْجِعَ فَأَقُولَ : يَا رَبِّ ؛ مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ، أَوْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ[١] »[٢]

وروى حديثَ الشفاعة بطوله أبو هريرةَ، وغيرُهُ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[٣]

١٧٦ـ أخبرَنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، حدثنا يونسُ بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبةُ ، وهشامٌ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ**

= بالجماعات ، ثم يقول : شفَّعتك فيمن أخلَّ بالجُمُعات ، ثم يقول : شفَّعتك فيمن أخلَّ بالصلوات ، ومثلُهُ فيمن شرب الخمر ، ثم فيمن زنى ، وعلى هذا ؛ ليريَهُ علوَّ الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشناعة) .

(١) رواية (أو) عند عبد بن حميد في « المنتخب » (١١٨٦) أيضاً ، فإما أن تكون (أو) تفسيراً لما قبلها ، والمعنى : مَنْ ذُكر خلوده في القرآن ؛ وهم الكفار ، وعليه عامة أهل العلم ، وإما أن تكون للعطف ؛ فيدخل العصاة من المؤمنين الذين ذُكر منعُ خروجهم من النار ؛ مثل من قتل مؤمناً متعمداً .

(٢) ورواه البخاري (٤٤ ، ٧٤١٠) ، ومسلم (٣٢٢/١٩٣) .

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٠ ، ٤٧١٢) ، ومسلم (٣٢٧/١٩٤) ، وقد ذكره العلماء في كتب المتواتر ، ورواه اثنا عشر صحابياً ، وانظر « نظم المتناثر » (ص ٢٤٥)

إلا اللهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً » ، قال هشامٌ : « ذَرَّةً » ، وقال شعبةُ : « ذُرَةً »[1]

قال الشيخُ الإمام :

روايةُ هشام الدَّسْتَوائِيِّ أصحُّ[2] ، وكذلك قاله سعيدُ بن أبي عَروبةَ[3]

١٧٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن سلمانَ الفقيهُ ، حدثنا أبو داودَ سليمانُ بن الأشعث ، وإسماعيلُ بن إسحاقَ قالا : حدثنا مسدَّدٌ ، حدثنا يحيى بنُ سعيد ، عن الحسنِ بن ذكوانَ ، حدثنا أبو رجاءٍ ، حدثني عمرانُ بن حُصينٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ** »[4]

١٧٨ـ حدثنا أبو محمدِ بنُ عبد الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ قالا : حدثنا سعدانُ بن نصر ، حدثنا سفيانُ بن

---

(١) وهذه الرواية رواها مسلم (١٩٣/ ٣٢٥) ، وأبو داود الطيالسي في « مسنده » (١٩٦٦) .

(٢) وعند مسلم (١٩٣/ ٣٢٥) : (قال يزيد ـ يعني : ابن زريع ـ : صحَّفَ فيها أبو بسطام) يعني : شعبة .

(٣) وروايته عند مسلم (١٩٣/ ٣٢٥) مع الدستوائي في سماعه من قتادة هذا الحديث بدل شعبة .

(٤) ورواه البخاري (٦٥٦٦) ، وأبو داود (٤٧٤٠) .
قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٩/ ٣٢٢) : (وقولُ بعض الشرَّاح : إن هذه التسمية ليست تنقيصاً لهم ، بل للاستذكار لنعمة الله ؛ ليزدادوا بذلك شكراً . يعارضه ما في « مسلم » من حديث أبي سعيد « فيدعون الله ، فيذهب عنهم هذا الاسم ») ، وسيأتي قريباً .

عيينةَ ، سمع عمرٌو جابرَ بن عبد الله يقول : سمعتُ بأُذُنَيَّ هاتينِ مِنْ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ قَوْماً مِنَ النَّارِ ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ** »(١)

ورواه حمَّادُ بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، وزادَ فيه : « **بِالشَّفَاعَةِ** »(٢)

١٧٩ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو جعفرٍ أحمدُ بن عُبيدٍ الحافظُ بهمْدانَ ، حدثنا إبراهيمُ بن الحسين الكِسَائِيُّ ، حدثنا أبو نعيمٍ ، حدثنا أبو عاصمٍ الثقفيُّ محمدُ بن أبي أيوبَ ، حدثني **يزيدُ الفقيرُ**(٣) **قال** : كنتُ قد شَغَفَنِي رأيٌ مِنْ رأيِ الخوارج وكنتُ رجلاً شاباً(٤)

قال : فخرجنا في عصابةٍ ذوي عددٍ نُريد أن نحجَّ ثم نخرجَ على الناسِ ، فمررنا على المدينة ؛ فإذا جابرُ بن عبد الله يُحدِّثُ القومَ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم جالساً إلى سارية ؛ وإذا هو قد ذكرَ الجهنَّميِّينَ ، **قال** : قلتُ : يا صاحبَ رسولِ الله ؛ ما هذا الذي تحدِّثون واللهُ يقولُ : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[آل عمران: ١٩٢]، و: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾[السجدة: ٢٠]؟! وما هذا الذي تقولون؟! **قال** : فقال لي : أيْ بُنَيَّ ؛ أتقرأُ القرآن ؟ **قال** : قلتُ : نعم ، **قال** : فهل سمعتَ بمقامِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم المحمودِ الذي يبعثُهُ الله فيه ؟ **قال** : قلتُ : نعم ، **قال** : فهو المقامُ المحمودُ الذي يُخرِجُ الله به مَنْ يُخرِجُ مِنَ النار .

قال : ثمَّ نعتَ وضْعَ الصراط ومَرَّ الناسِ عليه ، فأخافُ ألا أكون حفظتُ ذاك ، غيرَ أنَّهُ قد زعم أنَّ قوماً يخرجون مِنَ النار بعد أن يكونوا فيها ،

---

(١) ورواه مسلم (١٩١/ ٣١٧) .

(٢) ورواه البخاري (٦٥٥٨) ، ومسلم (١٩١/ ٣١٨) واللفظ له .

(٣) هو أبو عثمان يزيد بن صهيب الكوفي ، قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٢٢٧) : (لُقِّبَ بالفقير ؛ لأنه اشتكى فِقارَ ظهره ، وهو من كبار شيوخ أبي حنيفة)

(٤) وهذا الرأي هو الخروجُ على أهل الجور ، وللشبيبة وحداثةِ السنِّ في هذا الشأن أثرٌ كبير ، فلهذا خصَّها بالذكر هنا .

قال : فيخرجون كأنَّهم عِيدانُ السَّمَاسِمِ[1] ، فيدخلون نهراً مِنْ أنهار الجنَّة فيغتسلون فيه ، قال : فيخرجون كأنَّهم القَرَاطِيسُ البيضُ .

قال : فرجعنا فقلنا : ويحكم ! ترون هذا الشيخَ يكذبُ على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟! فرجعنا ، فلا واللهِ ؛ ما خرجَ منَّا إلا رجلٌ واحد[2]

قال الشيخ :

في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ في هذا الباب : بيانُ حال مَنْ يبقى في النار ، ومَنْ يخرج منها

١٨٠ـ حدثنا عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، أخبرنا عليُّ بن الحسن بنِ أبي عيسى ، أخبرنا عبدُ الله بن الوليد العَدَنيُّ ، أخبرنا إبراهيمُ بن طَهْمانَ ، حدثنا أبو مَسْلَمَةَ ، عن أبي نَضرةَ ، عن أبي سعيدٍ قال قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا . . فَإِنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلا يَحْيَوْنَ ، وَلَكِنَّ أُنَاساً تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ**[3] ، **فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ؛ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ** ، قال : **فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ** »[4]

١٨١ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو زكريا بنُ إسحاقَ المُزَكِّي قالا :

---

(١) قال الحافظ في « فتح الباري » (١١/ ٤٢٩) : (والمراد بعيدان السماسم : ما ينبتُ فيه السمسم ؛ فإنه إذا جمع ورميت العيدان . . تصير سوداً دقاقاً) ، ولهذا قابلها بالقراطيس ؛ وهي الصحائف البيض .

(٢) ورواه مسلم (١٩١/ ٣٢٠) .

(٣) قال ابن الأثير في « نهايته » (٣/ ٧١) : (الضَّبائر : هم الجماعات في تَفْرِقة ، واحدتها ضِبارة ؛ مثل : عِمارة وعَمائر ، وكلُّ مجتمع ضِبَارَةٌ) .

(٤) ورواه مسلم (١٨٥/ ٣٠٦) ، والحِبَّة : بزور الصحراء والبقول التي تنبت بالعشب القصير ، وحميل السيل : ما جاء به من طينٍ ونحوه ، وإنما شُبِّهَ به لأنه أسرعُ في الإنبات ، وفيه كناية عن سرعة نباتهم مع ضعف حالهم ، ثم يقوَوْن وتحسنُ خلقتهم .

أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ الشيبانيُّ ، حدثنا أبو أحمدَ محمدُ بن عبد الوهَّاب ، أخبرنا جعفرُ بن عون ، أخبرنا هشامُ بن سعد ، حدثنا زيدُ بن أسلمَ ، عن عطاءِ بن يسار ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : قلنا : يا رسولَ الله ؛ هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ فذكر حديثَ الرؤية كما سبق ذكره[١] ، وذكر قصَّةَ المُنادي يومَ القيامة ، وسجودَ مَنْ سجد ، قال : « ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ » ، قلنا : وما الجسرُ يا رسول الله بأبينا أنت وأُمِّنا ؟ قال : « دَحْضٌ مَزِلَّةٌ[٢] ، لَهُ كَلالِيبُ وَخَطَاطِيفُ ، وَحَسَكٌ يَكُونُ بِنَجْدٍ عَقِيفاً يُقَالُ لَهُ : السَّعْدَانُ[٣] ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ ، وَكَالطَّيْرِ ، وَكَالطَّرْفِ ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ ، وَالرَّاكِبِ ، فَمُرْسَلٌ ، وَمَخْدُوشٌ ، وَمُكَرْدَشٌ »[٤] ، قال أبو أحمد[٥] : إنَّما هو : مُكَرْدَسٌ ، « فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا أَحَدُكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً

---

(١) تقدم برقم (٧٦)

(٢) قوله : (دحضٌ مزلةٌ) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٣/ ٢٩) : (هو بتنوين « دحض » ، وداله مفتوحة ، والحاء ساكنة ، و« مزلة » : بفتح الميم ، وفي الزاي لغتان مشهورتان ؛ الفتح والكسر ، والدحض والمزلة بمعنىً واحدٍ ؛ وهو الموضعُ الذي تزلُّ فيه الأقدام ولا تستقرُّ ، ومنه : دحضت الشمسُ ؛ أي : مالت ، وحجة داحضة : لا ثبات لها) .

(٣) العَقِيف : الملويُّ كالصنَّارة . انظر « النهاية » لابن الأثير (٣/ ٢٧٦) .

(٤) كذا في (أ ، ب) ، وفي غيرهما : (مكدوس) ، قال العلامة القاري في « المرقاة » (٨/ ٣٥٧٤) : (« ومكردس في النار » : بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة ، وقيل : المعجمة ؛ وهو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي في موضع ، كذا في « النهاية » في السين المهملة ، ثم قال : والمكردش بمعناه ، وفي نسخة : « مكدوس » بالمهملة ؛ أي : مدفوع في النار ، ذكره في « النهاية » ، ثم قال : ويروى بالمعجمة من الكدش ؛ وهو السوق الشديد ، والكدش : الطرد ، والجرح أيضاً) .

(٥) كذا في (أ ، و) ، وهو الصواب ، وهو محمد بن عبد الوهَّاب ، وفي سائر النسخ : (أبو حامد) .

فِي الْحَقِّ يَرَاهُ مُمْضِياً لَهُ . . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْوَانِهِمْ إِذَا هُمْ رَأَوْا وَقَدْ خَلَصُوا مِنَ النَّارِ ؛ يَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا ؛ إِخْوَانُنَا ، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا ، وَيَصُومُونَ مَعَنَا ، وَيَحُجُّونَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَنَا ، قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ؛ فَمَنْ عَرَفْتُمْ صُورَتَهُ فَأَخْرِجُوهُ ، وَيُحَرِّمُ صُورَتَهُمْ عَلَى النَّارِ ، فَيَجِدُونَ الرَّجُلَ قَدْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَإِلَى حَقْوِهِ[1] ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا بَشَراً كَثِيراً ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ ، فَيَقُولُ : اذْهَبُوا ؛ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ قِيرَاطِ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ[2] ، فَيُخْرِجُونَ بَشَراً كَثِيراً ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ ، فَلا يَزَالُ يَقُولُ ذَلِكَ ، حَتَّى يَقُولَ : اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَأَخْرِجُوهُ »[3]

وكان أبو سعيدٍ إذا حدَّث بهذا الحديث يقول : فإن لم تصدِّقوا فاقرؤوا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء : ٤٠] .

« فَيَقُولُونَ : أَيْ رَبَّنَا ؛ لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً ، فَيَقُولُ : هَلْ بَقِيَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ؟! فَيَقُولُ : قَدْ شَفَعَتِ الْمَلائِكَةُ ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ ، فَهَلْ بَقِيَ إِلا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ؟! قال : فَيَأْخُذُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ ، قال : فَيُخْرَجُ قَوْمٌ قَدْ عَادُوا حُمَمَةً لَمْ يَعْمَلُوا لِلَّهِ عَمَلَ خَيْرٍ قَطُّ ، قال : فَيُطْرَحُونَ فِي نَهَرٍ فِي الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ الْحَيَاةِ ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ؛ أَلَمْ تَرَوْهَا وَمَا يَلِيهَا مِنَ الظِّلِّ أُصَيْفِرُ ، وَمَا يَلِيهَا مِنَ الشَّمْسِ أُخَيْضِرُ؟!» .

قلنا : يا رسولَ الله ؛ كأنَّك كنتَ في الماشية ![4] .

---

(١) الحقو : بفتح الحاء ، وكسرُها لغة هذلية ؛ وهو الكشحُ أو الخصر ، قال في « تاج العروس » (ح ق و) : (اقتصر الحافظ في « الفتح » على الفتح) .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، وفي سائر النسخ : (قيراطِ خيراً) بدل (قيراطِ خيرٍ) .

(٣) كذا هي رواية شيخ المصنف الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٨١) بتكرار « أخرجوا » .

(٤) وفي رواية : (في البادية) ، ومنشأُ عجبهم : وصفه عليه أكمل الصلوات والتسليمات للحسكة المفلطحة ، ونبت السعدان ، والحِبة في حميل السيل ، قال العلامة محمد عوامة =

قال : « فَيَنْبُتُونَ كَذَلِكَ ، فَيَخْرُجُونَ أَمْثَالَ اللُّؤْلُؤِ ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ ، ثُمَّ يُرْسَلُونَ فِي الْجَنَّةِ : هَؤُلاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ ، هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِغَيْرِ عَمَلٍ وَلا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : خُذُوا ، فَلَكُمْ مَا أَخَذْتُمْ ، فَيَأْخُذُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا ، قال : ثُمَّ يَقُولُونَ : لَوْ يُعْطِينَا اللهُ مَا أَخَذْنَا ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : فَإِنِّي أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذْتُمْ ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنَا ؛ وَمَا أَفْضَلُ مِمَّا أَخَذْنَا ؟! فَيَقُولُ : رِضْوَانِي ، فَلا أَسْخَطُ »(١)

١٨٢ـ وأخبرَنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين العلويُّ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ بلال ، حدثنا أحمدُ بن حفص بن عبد الله ، حدثني أبي ، حدثني إبراهيمُ بن طَهْمانَ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنه قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « يُخْرَجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ : الْحَيَاةُ ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ ، فَيَنْضُرُونَ كَمَا يَنْضُرُ الْعُودُ ، فَيَمْكُثُونَ فِي الْجَنَّةِ حِيناً ، فَيُقَالُ لَهُمْ : تَشْتَهُونَ شَيْئاً ؟ فَيَقُولُونَ : أَنْ يُرْفَعَ عَنَّا هَذَا الِاسْمُ ، قال : فَيُرْفَعُ عَنْهُمْ »(٢)

١٨٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن علي بن عبد الحميد الآدميُّ بمكةَ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الدَّبَرِيُّ ، أخبرنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عطاءِ بن يزيدَ الليثيِّ ، عن أبي هريرةَ قال : قال

= في « حجية أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم » (ص ٥١) : (إنَّ من عرف هذا الوصف الدقيق لشوكة غليظة في بادية نجد ، لا في بادية الحجاز ، ومن عرف الوصف للنبتة الضعيفة ، وأن ما كان منها إلى الشمس كان أخيضر ، وما كان إلى الظل كان أبيض ، حتى لفت أنظار الصحابة . هل يخفى عليه حاجة النخيل إلى تلقيح ؟! وهل يخفى عليه أنه إن لم يلقَّح سيكون شيصاً ؟! اللهمَّ لا) .

(١) ورواه البخاري (٢٢ ، ٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣/٣٠٢) .

(٢) أصله عند مسلم (١٨٥/٣٠٦) ، ورواه ابن خزيمة في « التوحيد » (٢/٦٨٩) ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٣١٣) .

الناسُ : يا رسولَ الله ؛ هل نرى ربَّنا يومَ القيامة ؟ قال : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » ، قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : « فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ » ، قالوا : لا يا رسولَ الله ، قال : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ ، قال : فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ » ، فذكر الحديثَ في الرؤية[(١)]

ثم قال : « وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ ؛ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَلَهُ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، قال هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ » ، قالوا نعمْ يا رسولَ الله ، قال : « فَإِنَّ بِهَا مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، قال : فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ ؛ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ . أَمَرَ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ ، قال : فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ ، قال : فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتَحَشُوا[(٢)] ، قال : فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ : الْحَيَاةُ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ».

قال : « وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا ، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا[(٣)] ، فَاصْرِفْ وَجْهِيَ عَنِ النَّارِ ، قال : فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ ، فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لا وَعِزَّتِكَ ؛

---

(١) تقدم مختصراً برقم (٧٥) ، وفيه : (تمارون) بدل (تضارون) .

(٢) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٢/١١٦) : (وفي بعض النسخ : «امْتُحِشوا» ، بضم المثناة وكسر الحاء ، بالبناء للمفعول ؛ أي : احترقوا واسودُّوا) .

(٣) قوله : (قشبني . . .) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٢/١١٦) : (بقاف فشين معجمة مخففة فموحدة مفتوحات ، والذي في اللغة بتشديد الشين ؛ أي : سمَّني وأهلكني) وآذاني أيضاً ، وذَكاء النار : لهبُها وشدة وهجها

لا أَسْأَلُ غَيْرَهُ ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ : قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَلا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟! وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ! فَلا يَزَالُ يَدْعُو ، فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ، فَيَقُولُ : لا وَعِزَّتِكَ ؛ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ ، وَيُعْطِي اللهَ مِنَ الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ أَلا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ ، قال : فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا دَنَا مِنْهَا انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ[١] ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ ، ثُمَّ يَقُولُ : رَبِّ ؛ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَلا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟! أَوَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَلا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ ؟! وَيْلَكَ يَا بْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ ! فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ؛ لا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا ، فَإِذَا دَخَلَ قِيلَ لَهُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا ، فَيَتَمَنَّى ، قال : ثُمَّ يُقَالُ : تَمَنَّ مِنْ كَذَا ، تَمَنَّ مِنْ كَذَا ، قال : فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » .

قال أبو هريرةَ : وذلك الرجل آخرُ أهلِ الجنَّة دخولاً الجنَّةَ[٢]، قال[٣]: وأبو سعيدٍ الخدريُّ جالسٌ مع أبي هريرةَ لا يُغيِّرُ عليه شيئاً مِنْ حديثه، حتى انتهى إلى قوله : « هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ » ، فقال أبو سعيدٍ : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم

---

(١) انفهقت : انفتحت واتَّسعت .

(٢) نقل الحافظ في « فتح الباري » (١١/ ٤٦١) عن الإمام الحافظ الكلاباذي : (إمساكُهُ ـ يعني : هذا العبد ـ أولاً عن السؤال حياءً من ربِّه ، والله يحبُّ أن يُسأل ؛ لأنه يحبُّ صوتَ عبده المؤمن ، فيباسطه بقوله أولاً : « لعلَّك إن أُعطيت هذا تسأل غيره » ، وهذه حالةُ المقصِّر ، فكيف حالة المطيع ؟! وليس نقضُ هذا العبد عهده وتركُهُ ما أقسم عليه جهلاً منه ولا قلَّة مبالاة ، بل علماً منه بأن نقضَ هذا العهد أولى من الوفاء به ؛ لأن سؤاله ربَّهُ أولى من ترك السؤال مراعاةً للقسم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حلفَ على يمينٍ فرأى خيراً منها . فليكفرْ على يمينِهِ ، وليأتِ الذي هو خيرٌ » ، فعمل هذا العبدُ على وفق هذا الخبر ، والتكفيرُ قد ارتفع عنه في الآخرة) .

(٣) القائل : هو عطاءُ بن يزيد الليثيُّ كما في رواية مسلم المشار إليها ، ورواه البخاري (٧٤٣٨) كذلك .

يقول : « هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ » ، فقال أبو هريرة : حفظتُ « وَمِثْلُهُ مَعَهُ »[1]

١٨٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا يحيى بنُ منصور ، حدثنا أبو بكرٍ الجاروديُّ ، حدثنا إسحاقُ بن منصور ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مُباركُ بن فَضالةَ ، عن عُبيد الله بن أبي بكرٍ ، عن أنسِ بن مالك قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يعني : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[2] : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْماً ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ »[3]

١٨٥ـ أخبرَنا عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا يعلى بنُ عُبيدٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي ، وَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً »[4]

وروينا في هذا عن معاذِ بن جبل[5] ، وأبي ذَرٍّ[6] ، وأبي موسى[7] ، وعوف بن مالك[8] ، وغيرهم[9] ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

---

(١) ورواه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢/ ٢٩٩) .
(٢) في (هـ) : (قول) بدل (يقول)
(٣) ورواه الترمذي (٢٥٩٤) وقال : (هذا حديث حسن غريب) .
(٤) ورواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٩/ ٣٣٨) واللفظ له .
(٥) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٣٢) من حديث سيدنا معاذ وسيدنا أبي موسى معاً .
(٦) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٤٥) ، والدارمي (٢٥١٠) ، ورواه أبو داود مختصراً (٤٨٩) .
(٧) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٤٠٤) .
(٨) رواه الترمذي (٢٤٤١) .
(٩) وقد عدَّه العلماء من المتواتر ، ففي « فتح المغيث » (٤/ ٢٢) : (ذكر شيخنا من الأحاديث التي وصفت بالتواتر حديث الشفاعة والحوض ، وأن عدد رواتهما من الصحابة زاد على أربعين ، وممن وصفهما بذلك عياض في « الشفا ») ، وبهذا تسقط شبهةُ المعتزلة بكون =

١٨٦ـ حدَّثنا أبو طاهرٍ الإمامُ ، أخبرنا أبو طاهرٍ محمدُ بن الحسن المُحمَّدَاباذيُّ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي »(١)

١٨٧ـ وأخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو أحمدَ القاسمُ بن أبي صالح الهمْدانيُّ ، حدثنا إبراهيمُ بن الحسين بن دَيْزِيلَ(٢) ، حدثنا محمدُ بن أبي بكر المُقَدَّمِيُّ ، حدثنا جعفرٌ ـ هو ابن سليمانَ ـ ، حدثنا مالكُ بن دينار قال : سمعتُ أنسَ بن مالك يقول : قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي » ، وتلا هذه الآية : «﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء : ٣١] »(٣)

١٨٨ـ أخبرَنا أبو علي الرُّوذْبارِيُّ ، وأبو عبد الله بن بَرْهان ، وأبو الحسين بن الفضل القطَّانُ ، وأبو محمد السُّكَّرِيُّ قالوا : حدثنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ حدثنا الحسنُ بن عَرَفَةَ ، حدثنا عبدُ السلام بن حرب المُلائيُّ ، عن زيادِ بن خَيْثَمَةَ ، عن نَعمانَ بنِ قُرَادٍ ، عن عبدِ الله بن عمرَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، فَاخْتَرْتُ

= الشفاعة ثبتت بأخبار آحاد ظنية ، وقال الإمام الرازي في « معالم أصول الدين » (ص ١٣٣) : (واعلم : أنَّ دلائلَ المعتزلة في نفي الشفاعة يجبُ أن تكون عامَّة في حقِّ الأشخاص ، وفي حقِّ الأوقات ، وإلا . . فلا يفيدُهم مقصودهم ، ودلائلَنا في إثبات الشفاعة مخصوصةٌ في الأشخاص ، وفي الأوقات ؛ فإنَّا لا نثبتُ الشفاعة في حقِّ الكلِّ ، فثبت أنَّ دلائلنا خاصةٌ ، ودلائلهم عامةٌ ، والخاصُّ مقدَّمٌ على العام) .

(١) ورواه أبو داود (٤٧٣٩) من وجه آخر عن أنس ، والترمذي (٢٤٣٥) .

(٢) كذا ضبطه ابن الأثير في « اللباب » (١/ ٥٢٤) بفتح الدال وسكون الياء بعده .

(٣) ورواه أبو يعلى من وجه آخر عن أنس (٤١١٥) ، وتفرد المؤلف بروايته من طريق مالك بن دينار كما أشار إليه الحافظ العجلوني في « كشف الخفاء » (٢/ ١١) .

الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ؟! لا ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ الْخَطَّائِينَ »[١]

١٨٩ـ أخبرَنا أبو الفتح هلالُ بن محمد بن جعفر ببغدادَ ، أخبرنا الحسينُ بن يحيى بن عياش[٢] ، حدثنا أبو الأشعثِ ، حدثنا الفضيلُ بن سليمانَ ، حدثنا أبو مالكٍ الأشجعيُّ ، حدثني رِبعيُّ بن حِراشٍ : أنَّهُ سمع حذيفةَ بن اليمان ، سمع رجلاً يقولُ : اللهمَّ ؛ اجعلني فيمن تصيبه شفاعةُ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ قال : إنَّ اللهَ يُغني المؤمنينَ عن شفاعة محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولكنَّ الشفاعةَ للمذنبين المؤمنين والمسلمين[٣]

---

(١) ورواه أحمد (٢/ ٧٥) ، وابن أبي داود في « البعث » (٤٥) .

(٢) في (أ ، ب) : (الحسين بن عباس) ، وفي سائر النسخ كالمثبت ، وهو الصواب .

(٣) ورواه الآجري في « الشريعة » (٧٨٥) ، واللالكائي في « السنة » (٢٠٨٥) .

ومثلُ قول سيدنا حذيفة قولُ سيدنا جابر ـ رضي الله عنهما ـ لمحمد الباقر : (يا محمدُ ؛ مَنْ لم يكن من أهل الكبائر . . فما له وللشفاعة ؟!) ، وقد رواه الترمذي (٢٤٣٦) وقال : (هذا حديث غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث جعفر بن محمد) ، وكذا ما رواه ابن عبد البر في « التمهيد » (١٩/ ٦٧) عن أسماء بنت عميس أنها قالت : يا رسول الله ؛ ادعُ الله أن يجعلني ممن تشفعُ له يوم القيامة ، فقال لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إذاً تخمشَكِ النارُ ؛ فإنَّ شفاعتي لكلِّ هالكٍ من أمتي تخمشه النار » .

وظاهرُ هذه الأخبار يفيد نفيَ الشفاعة عن غير أهل الكبائر ، وكراهةَ سؤال الشفاعة لكونها مختصَّة بالمذنبين ، وقد يعضدُ هذا بقوله سبحانه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] ، وليس الأمرُ كذلك ؛ فقد روى إمام الأئمة ابن خزيمة في « التوحيد » (٢/ ٦٣٨) عن سيدنا عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه في خبر الشفاعة أنه قال : فقلنا : يا رسولَ الله ؛ ادعُ الله أن يجعلنا من أهلها ـ يعني : الشفاعة ـ ، قال : « هيَ لكلِّ مسلمٍ » ، وفي رواية : فقلنا : يا رسولَ الله ؛ اجعلنا في أوَّلِ من تشفعُ له الشفاعة ، قال : « بل أجعلُها لكلِّ مسلمٍ » ، بل في رواية أن الصحابةَ ساداتِ الخلق بعد الأنبياء والمرسلين سألوها وأُعطوها ؛ وهي : فقلنا : ننشدك الله والصحبةَ يا رسول الله : لما جعلتنا من أهل شفاعتك ، قال : « أنتمْ مِنْ أهلِ شفاعتي » ، بل ذكر الإمام ابن خزيمة أن شفاعته عليه أزكى الصلوات والتسليمات شاملةٌ =

١٩٠ـ أخبرَنا يحيى بنُ إبراهيم ، أخبرنا أبو الحسن الطرائفيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، عن معاويةَ بن صالح ، عن عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء ٢٨] يقول : الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله(١)

= للنبيين والشهداء والصالحين وجميع المسلمين .

وقد سألها سيدنا أنسُ بن مالك رضي الله عنه ؛ فقد روى الترمذي (٢٤٣٣) عنه أنه قال : سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يشفعَ لي يوم القيامة ، فقال : « أنا فاعلٌ » ، قال : قلتُ : يا رسولَ الله ؛ فأين أطلبُكَ ؟ قال : « اطلبْني أوَّلَ ما تطلبُني على الصراط » ، قال : قلتُ : فإنْ لم ألقَكَ على الصراط ؟ قال : « فاطلبْني عندَ الميزانِ » ، قلت : فإن لم ألقَكَ عندَ الميزانِ ؟ قال : « فاطلبْني عندَ الحوضِ ؛ فإنِّي لا أُخطئُ هذه الثلاثَ المواطنَ » ، وإنما خصَّ ذكر هذا الثلاث لشدة الاحتياج إلى الشفاعة عندها .

وبه يظهر لك تعدُّد الشفاعات ، وهي خمسٌ ؛ ذكرها القاضي عياض في « إكمال المعلم » (١/ ٥٦٥) ، ثم قال : (وقد عُرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعةَ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم ورغبتهم فيها ، وعلى هذا لا يلتفت إلى قول مَنْ قال : إنه يكره أن يسألَ الإنسانُ اللهَ تعالى أن يرزقَهُ شفاعةَ محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لكونها لا تكون إلا للمذنبين ؛ فإنها قد تكون ـ كما قدمنا ـ لتخفيف الحساب ، وزيادة الدرجات ، ثم كلُّ عاقل معترفٌ بالتقصير ، محتاجٌ إلى العفو ، غير معتدٍّ بعمله ، مشفقٌ من أن يكون مِنَ الهالكين ؛ ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة ؛ لأنها لأصحاب الذنوب ، وهذا كلُّهُ خلافُ ما عُرف من دعاء السلف والخلف) .

نعم ؛ قد يحمل كلام السلف الكارهين لسؤال الشفاعة على المتواكلين وأهل البطالة ، رحمةً بهم وزيادة لهم في الخيرات .

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٩) ، والمصنف في « البعث والنشور » (٢) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (٣٥٢) ، و« الدر المنثور » (٥/ ٦٢٤) .

وهذا نوعٌ من شفاعاته عليه الصلاة والسلام ، وأما شفاعته لغير المؤمنين . فثابتة بأخبار غير هذا ؛ فقد ثبت في صحيح السنة تطييبُ قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام بتخفيف العذاب عن عمِّه أبي طالب كما في « صحيح البخاري » (٣٨٨٣) ، و« صحيح مسلم » (٢٠٩/ ٣٥٧) ، وتخفيفه عن أبي لهب كما في « صحيح البخاري » (٥١٠١) ، وكذا شفاعتُهُ العامة لأهل الموقف .

١٩١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو العباس محمدُ بن أحمد المحبوبيُّ ، حدثنا سعيدُ بن مسعود ، حدثنا عبيدُ الله بنُ موسى ، أخبرنا إسرائيلُ ، عن السُّدِّيِّ قال : سألتُ مُرَّةَ الهمْدانيَّ عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم : ٧١] فحدثني أنَّ عبدَ الله بنَ مسعودٍ حدَّثهم عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ ؛ فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْعِ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ ، ثُمَّ كَشَدِّ الرِّجَالِ ، ثُمَّ كَمَشْيِهِمْ** »(١)

ورواه أبو الأحوص ، عن عبد الله بن مسعودٍ في قوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] قال : الصراط على جهنَّم(٢)

وروينا عن ابن عباسٍ أنَّهُ قال : الورودُ : الدخول ، واستشهدَ بقوله : ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] ، وبقوله : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود : ٩٨](٣) .

وروينا عن جابرِ بن عبد الله ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « **الْوُرُودُ : الدُّخُولُ**، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم : ٧٢] »(٤) .

---

(١) ورواه الترمذي (٣١٥٩) وقال : (هذا حديث حسن ، ورواه شعبة عن السدي فلم يرفعه) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٧٥) ، وحُضْرُ الفرس : جريُهُ وعَدْوُهُ الشديد .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٨/ ٢٣٢) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٥) وقال : (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٨/ ٢٣٠) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٤٧٢) .

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٨٧) ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٣٦٤) وحسَّنه ، وتمام لفظه عنده : « الورودُ : الدخولُ ، لا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلَها ، فتكونُ على المؤمنينَ برداً وسلاماً كما كانَتْ على إبراهيمَ عليهِ السلامُ ، حتَّى إنَّ للنارِ ـ أو قال : لجهنَّمَ ـ ضجيجاً من بردِهِم ، ثم ينجِّي اللهُ الذين اتَّقوا ، ويذرُ الظالمينَ فيها جثيّاً » .

وقد ذكرناه في كتاب « الجامع »[1] ، وفي كتاب « البعث »[2] ، مع سائرِ الروايات فيه ، واللهُ أعلم[3]

* * *

(١) شعب الإيمان (١/ ٥٦٠) (باب في أن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ، ودار الكافرين ومآبهم النار) .

(٢) البعث والنشور (باب قوله عز وجل : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٨] مع سائر ما يحتج به من أنكر الشفاعة) .

(٣) بقي أن يقال : لنفاة الشفاعة شُبهٌ من آيات وأحاديث مرَّ بعضُها ؛ كقوله سبحانه : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] ، وقوله سبحانه : ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر : ١٨] ، وغيرها فيما نزل في حقِّ الكفار ، وحسبُك ما روى المصنف الإمام البيهقي في « الشعب » (٣١٨) عن قيس بن طلق بن علي ، عن أبيه قال : كنتُ من أشدِّ الناس تكذيباً بالشفاعة ، حتى أتيت جابرَ بن عبد الله ، فقرأت عليه كلَّ آية أقدر عليها في ذكر خلود أهل النار فيها ، فقال لي : يا طلقُ ؛ أنت أعلم بكتاب الله مني ؟! وأعلم بسنة النبيِّ صلى الله عليه وسلم مني ؟! إنَّ الذي قرأتَ.. لَهم أهلُها ، ولكن هؤلاء أصابوا ذنوباً فعذِّبوا ، ثم أخرجوا منها ، ونحن نقرأ كما قرأت .
وقد تحصَّل في باب الشفاعة أمورٌ ؛ فمنها : وجوب الإيمان بوقوعها شرعاً ، فضلاً عن كونها ممكنة عقلاً ؛ إذ كلُّ ممكن تتعلق به قدرة الجبَّار سبحانه ، وأنها أنواعٌ ذكر القاضي عياض أنها خمسة ؛ فمنها ما يكون عامّاً ؛ كالإراحة في الموقف ، ومنها الخاص ؛ كإدخال قوم بغير حساب ، أو بالمذنبين فلا يدخلونها رأساً ، أو بالمعذبين من أهل الإيمان فيُخرجون منها بها ، أو لغير العاصين من أهل الجنة فتكون في زيادة الدرجات ، وهذا نوعٌ لا ينكره المعتزلة ؛ لأنه بزعمهم لا ينافي العدل .

باب

الإيمان بما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملائكة الله وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والحساب والميزان، والجنة والنار وأنهما مخلوقتان معدتان لأهلهما، وبما أخبر عنه من حوض ومن أشراط الساعة قبل قيامها

قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقال : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن : ٧] .

وقال : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ * لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ * يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين : ٤ـ٦] .

وقال : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا * وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ * فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا * وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٧ـ١٢] .

وقال : ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقال : ﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٨ـ٩] .

والآياتُ في مثل هذا كثيرةٌ .

وقال في الجنَّة : ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، وقال في النَّار : ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤] ، والمُعدَّةُ : لا تكونُ إلا مخلوقةً موجودةً .

وقال في الجنَّة : ﴿ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران : ١٣٣] ، والمعدومُ : لا عَرْضَ له

وقال في الحوض : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر ١] .

وقال في أشراطِ الساعة : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٨] .

١٩٢ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ العدْلُ ، أخبرنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، وأبو جعفرٍ محمدُ بن عمرو بن البخْتَريِّ الرَّزَّازُ قالا : حدثنا محمدُ بن عُبيد الله بنِ[١] المُنادي ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي الإسفراينيُّ قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أبو جعفرٍ محمدُ بن عبيد الله بن المُنادي ، حدثنا يونسُ بن محمد المُؤدِّبُ ، حدثنا المعتمرُ بن سليمانَ ، عن أبيه ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ قال : قلتُ لابن عمرَ : يا أبا عبد الرحمن ؛ إنَّ قوماً يزعمون أنْ ليس قَدَرٌ[٢] ، قال : فهل عندنا منهم أحدٌ ؟ قال : قلتُ : لا ، قال : فأبلغْهم عنِّي إذا لقيتَهم أنَّ ابنَ عمرَ بريءٌ إلى الله منكم ، وأنتم بُرآءُ منه ؛ سمعتُ عمرَ بن الخطَّاب يقول : بينما نحن جلوسٌ عندَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذْ جاء رجلٌ ليس عليه سَحنَاءُ سفرٍ[٣] ، وليس مِنْ أهل البلد ، يتخطَّى ، حتى وَرَكَ بين يدي رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كما

---

(١) سقطت كلمة (ابن) من (أ ، ب) هنا وفيما سيأتي ، وأثبتت من سائر النسخ .

(٢) وفي رواية مسلم (٨/ ٤) زيادة : (وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ) ، والمعنى : أن الأمر يقع ولم يسبق به قدرٌ ولا علمٌ من الله تعالى ، وإنما يعلمُهُ بعد وقوعه ، وهو قولُ القدرية أسلافِ المعتزلة ، وقد انقرضت هذه الفرقة ، بل المعتزلة يتبرَّؤون من هذا القول الشنيع ، وبراءةُ سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما منهم دالَّةٌ على تكفيرهم في هذا الموطن .

(٣) سَحْناء سفر ـ بفتح السين ـ : هيئة سفر ، ومثل السَّحناءِ السُّحْنةُ .

يجلس أحدُنا في الصلاة[1] ، ثم وضع يديه على رُكبَتِيْ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : يا محمدُ ؛ ما الإسلامُ ؟ قال : « **الإِسْلامُ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ وَتَعْتَمِرَ ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَتُتِمَّ الْوُضُوءَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ** » ، قال : فإن فعلتُ هذا فأنا مسلمٌ ؟ قال : « **نَعَمْ** » ، قال : صدقتَ .

قال : يا محمدُ ؛ ما الإيمانُ ؟ قال : « **الإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** »، قال : فإذا فعلتُ هذا فأنا مؤمنٌ؟ قال : « **نَعَمْ** »، قال : صدقتَ .

قال: يا محمدُ؛ ما الإحسانُ ؟ قال: « **أَنْ تَعْمَلَ لِلهِ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ لا تَكُنْ تَرَاهُ . فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قال : فإذا فعلتُ هذا فأنا محسنٌ؟ قال : «**نَعَمْ**»، قال: صدقت .

قال : فمتى الساعةُ ؟ قال : « **سُبْحَانَ اللهِ ! مَا الْمَسْؤُولُ أَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ ، إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَشْرَاطِهَا ؟** » ، قال : أجلْ ، قال : « **إِذَا رَأَيْتَ الْعَالَةَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبِنَاءِ، وَكَانُوا مُلُوكاً** »، قال: ما العالةُ الحفاةُ العراةُ ؟ قال: «**الْعُرَيْبُ**»، قال: « **وَإِذَا رَأَيْتَ الأَمَةَ تَلِدُ رَبَّتَهَا وَرَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ** » ، قال : صدقت .

ثم نهض فولَّى ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: « **عَلَيَّ بِالرَّجُلِ** »، قال: فطلبناهُ ، فلم نَقدِرْ عليه ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **هَلْ تَدْرُونَ مَنْ هَذَا ؟ هَذَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ، فَخُذُوا عَنْهُ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا شُبِّهَ عَلَيَّ مُنْذُ أَتَانِي غَيْرَ مَرَّتِي هَذِهِ ، وَمَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى** »[2]

قد سمَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كلمةَ الشهادة في هذا الحديث إسلاماً ، وسمَّاه في حديث ابن عباسٍ في قصَّة وفْدِ عبد القيس إيماناً[3] ، وفي

---

(١) يعني : على هيئة التورُّك ، ووَرَكَ ـ بالتخفيف ـ : من باب وَعَد ، والوَرِكُ : أعلى الفخذ .

(٢) ورواه مسلم (٨/ ٤) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٧٣) .

(٣) تقدم برقم (١٥١)، وكذا في النسخ : (وسمَّاه) .

الحديثين دلالةٌ على أنَّهما اسمانِ لمُسمّىً واحدٍ ، إلا أنَّهُ في هذا الحديث فسَّر الإيمانَ بما هو صريحٌ فيه ؛ وهو التصديقُ ، وفسَّر الإسلامَ بما هو أَمارةٌ له ، وإن كان اسمُ صريحِهِ يتناولُ أَمارتَهُ ، واسمُ أَمارتِهِ يتناولُ صريحَهُ[1] ، وهذا كما فَصَلَ بينهما وبين الإحسان ، وإن كان الإيمانُ والإسلامُ . . إحساناً ، والإحسانُ الذي فسَّرَهُ بالإخلاص واليقين يكون إيماناً[2]

وقولُهُ في أشراطِ الساعة : (تلدُ الأَمَةُ رَبَّتَها وربَّها) يريدُ به : اتساعَ الإسلام وكثرةَ السبايا ، حتى يستولدَ الناسُ الجواريَ ، فتلدَ الأمةُ مِنْ سيِّدها ابنةً أو ابناً ، فيكونَ ولدُها في معنى سيِّدها ؛ إذْ هو ولدُ مولاها

وبعثةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، واتساعُ شريعته . . مِنْ أشراطِ الساعة[3] ؛ بمعنى : أنَّهُ ليسَ بينه وبين الساعة نبيٌّ آخرُ ، ثم لا يعلمُ أحدٌ متى تقومُ الساعةُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ[4]

---

(١) إذ معنى الإسلام شرعاً : هو الإذعانُ ، أو الامتثالُ والانقياد لما جاء به النبيُّ عليه الصلاة والسلام ، ومعناه لغةً : مطلق الامتثال والانقياد ، والحديثُ إنما فيه ذكر الأعمال التي هي ثمرةُ هذا الإذعان ، ولذا قرَّروا : أن الإذعان لتلك الأحكام هو الإسلام ، سواء عملها أو لم يعملها ، وصورة الإذعان : النطقُ بالشهادتين ، والإقرارُ بوجوب ما ذكر ، والعملُ شرطُ كمال .

(٢) ألا ترى أنَّ الإحسان لا يُتصوَّر شرعاً إلا بتقديم الإيمان والإسلام ؟! ثم عبادتُهُ سبحانه بالمراقبة هي على التحقيق إيمانٌ بالمراقَب وبصفاته ؛ فالإسلام والإيمان متغايران مفهوماً ، ولكنهما متحدان محلاً ، وهما للإحسان كالشرط له ، فلا يتصور بدونهما .

(٣) أما بعثتُه : فما رواه البخاري (٤٩٣٦) ، ومسلم (٢٩٥٠/١٣٢) من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا ؛ بالوسطى والتي تلي الإبهام : « بعثتُ والساعةَ كهاتينِ » ، واتساعُ شريعته عليه الصلاة والسلام : فمنه ما رواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٤٣٠) من حديث سيدنا تميم الداري : « ليبلغنَّ هذا الأمرُ مبلغَ الليلِ والنهارِ . . . » .

(٤) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وروينا في حديث مطرِ الورَّاق ، عن عبد الله بن بُريدةَ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في هذا الحديث، قال في الإيمان : « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَبِالْمَوْتِ ، وَبِالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ، وَالْحِسَابِ ، وَالْجَنَّةِ ، وَالنَّارِ ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ »[(١)]

١٩٣ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو زكريا يحيى بنُ محمد بن عبد الله العنبريُّ ، وأبو محمد عبدُ الله بن أحمدَ بن سعيد الحافظُ قالا : حدثنا محمدُ بن إبراهيمَ بن سعيد البُوشَنْجيُّ ، حدثنا أُميَّةُ بن بِسطامَ ، حدثنا يزيدُ بن زُريع ، حدثنا رَوحُ بن القاسم ، عن العلاءِ بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[(٢)]

ونعتقدُ فيما أنزله الله تعالى على رسوله محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم مِنَ القرآن ولم ينسخْ رسمُهُ في حياته . . أنَّهُ بقيَ في أُمَّتِهِ محفوظاً ، لم تجرِ عليه زيادةٌ ولا نقصانٌ ؛ كما وعدَ اللهُ بقوله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩]، وهو كما قال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۞ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ [فصلت : ٤١ـ٤٢] .

قال الحسن البصريُّ : حفظَهُ اللهُ مِنَ الشيطان ؛ فلا يزيدُ فيه باطلاً ، ولا ينقصُ منه حقّاً[(٣)]

١٩٤ـ حدثنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا أبو حامد أحمدُ بن محمد بن الحسن الحافظُ ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِيُّ ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ بن سعدٍ ، حدثنا أبي ، عن صالح بن كيسانَ ، حدثنا

---

(١) ورواه مسلم (٨/ ٢) .

(٢) ورواه البخاري (٢٩٤٦) من وجه آخر عن سيدنا أبي هريرة ، ومسلم (٢١/ ٣٤)، وتقدم برقم (١) .

(٣) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ١٥٩) .

نافعٌ : أنَّ عبدَ الله بن عمر قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **يَقُومُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَتَّى يَغِيبُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ** »(١)

١٩٥ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الصَّفَّارُ ، حدثنا أحمدُ بن مِهرانَ ، حدثنا عبيدُ الله بنُ موسى ، حدثنا عثمانُ بن الأسود ، عن ابنِ أبي مليكةَ ، عن عائشةَ قالت : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ هَلَكَ** » ، قلتُ : يا رسولَ الله ؛ إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ـ ٨]؟ قال : « **ذَاكِ الْعَرْضُ** »(٢)

١٩٦ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ ، وحُميدُ بن مَسعدةَ ، أنَّ إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ حدَّثَهم قال : أخبرنا يونسُ ـ وقال يعقوبُ : عن يونسَ ، وهذا حديثُهُ ـ عن الحسنِ ، عن عائشةَ : أنَّها ذكرَتِ النارَ فبكَتْ ، فقال رسولُ الله : « **مَا يُبْكِيكِ؟** » ، قالت : ذكرتُ النارَ فبكيتُ ؛ فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامة ؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَمَّا فِي ثَلاثَةِ مَوَاطِنَ فَلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ :** ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩] **حَتَّى يَعْلَمَ: أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ؛ أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ**

---

(١) ورواه البخاري (٤٩٣٨) ، ومسلم (٢٨٦٢/ ٦٠) .

(٢) ورواه البخاري (١٠٣) ، ومسلم (٢٨٧٦/ ٨٠) ، قوله : (ذاكِ العرض) بكسر الكاف لكونه خطاب مؤنث ، وجوّز في « المرقاة » (٨/ ٣٥٢٤) فتحها ؛ بجعله خطاب العام أو تعظيماً لها ، وقد تحصَّل أن الحساب شرعاً : ما دُقِّق فيه على العبد ، أما الحساب اليسير . . فاسمه شرعاً : العرض ؛ وهو عرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منَّةَ الله عليه ؛ في سترها عليه في الدنيا ، وفي عفوه عنها في الآخرة .

ظَهْرِهِ ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ »[(١)]

١٩٧ـ أخبرَنا أبو عمرٍو محمدُ بن عبد الله الأديبُ ، أخبرنا أبو بكرٍ الإسماعيليُّ ، أخبرني الحسنُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو خَيْثَمَةَ ، حدثنا محمدُ بن فُضيل ، حدثنا عُمارةُ ، عن أبي زُرعةَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ »[(٢)]

فالإيمان بالميزان واجبٌ ؛ بما ذكرنا .

ثم كيفيةُ الوزن : فقد قيل : توضعُ صُحفُ الحسناتِ في إحدى كِفَّتي الميزان ، وصُحفُ السيئاتِ في الكِفَّة الأخرى، ثم تُوزن ، وقد وردَ في بعض الأخبار ما يدلُّ عليه[(٣)] ، وقد يجوزُ أن يُحدثَ اللهُ تعالى أجساماً مُقدَّرةً بعدد الحسنات والسيئات ؛ بحيث تتميَّزُ إحداهما مِنَ الأخرى ، ثم تُوزنُ كما تُوزن الأجسامُ ، والله أعلم[(٤)]

وما ورد به خبرُ الصادق : نؤمنُ به ، ونحملُهُ على وجهٍ يصحُّ[(٥)] ، وبالله التوفيق .

---

(١) ورواه أبو داود (٤٧٥٥)، وقد تقدم تعليقاً قريباً أن سيدنا أنساً أُرشد إلى هذه المواطن ليشفع له الحبيب عليه الصلاة والسلام ، وما هنا مخالفٌ له ! فالجواب : ما قاله العلامة الطيبي في « شرح المشكاة » (١١/ ٣٥٤٢) : (جوابه لعائشةَ رضي الله عنها بذلك لئلا تتَّكلَ على كونها حرمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأنس لئلا ييئس) ، وقال العلامة القاري في « المرقاة » (٨/ ٣٥٦٥) : (الأوجهُ : أن يقال : إن الحديث الأول محمولٌ على الغائبين ، فلا أحد يذكر أحداً من أهله الغُيَّب ، والحديث الثاني محمولٌ على من حضرَهُ من أمَّته) .

(٢) ورواه البخاري (٦٤٠٦) ، ومسلم (٢٦٩٤/ ٣١) .

(٣) منها حديثُ البطاقة المشهورُ ؛ وقد رواه الترمذي (٢٦٣٩) وحسَّنه ، وابن ماجه (٤٣٠٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، ونبَّهَ المصنِّف هنا : أنَّ الأعراضَ التي هي الأعمال لا تُوزن على الحقيقة ، فلذا أوَّلها بسجلَّاتها التي تكتب فيها ، ودليلُهُ الأثر ، أو بخلق أجسام متمايزة دالَّةٍ عليها .

(٤) انظر « شعب الإيمان » (١/ ٤٤٣) .

(٥) إذ لا يُصار إلى المجاز إلا عند تعذُّر الحقيقة .

١٩٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا الحسنُ بن علي بن عفَّانَ ، حدثنا عبدُ الله بن نُميرٍ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم « **يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ** » ، ثم قرأ « ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] »(١)

١٩٩ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، وأبو عبد الله بن بَرْهان ، في آخَرِينَ قالوا : أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسنُ بن عَرَفَةَ ، حدثني القاسمُ بن مالك المُزنيُّ ، عن المختارِ بن فُلْفُلٍ ، عن أنسِ بن مالك قال : بينَما رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذاتَ يوم . . . ، فذكر الحديثَ إلى أنْ قال : « **وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً** » ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ وما رأيتَ ؟ قال : « **رَأَيْتُ الْجَنَّـةَ وَالنَّارَ** »(٢)

٢٠٠ـ أخبرَنا أبو أحمدَ عبدُ الله بن محمد بن الحسن المِهرَجَانِيُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن جعفرٍ المُزكِّي ، حدثنا أبو عبد الله البُوشَنْجِيُّ ، حدثنا يحيى ابن بُكيرٍ ، حدثنا مالكٌ ، عن نافعٍ ، عن عبد الله بن عمرَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **إنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ؛ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ(٣) ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ ، هَذَا يَبْعَثُكَ(٤) اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »(٥)

---

(١) ورواه البخاري (٣٢٤٤ ، ٤٧٨٠) ، ومسلم (٢٨٢٤/ ٤) .

(٢) ورواه مسلم (٤٢٦/ ١١٢) .

(٣) يعني : إن كان من أهل الجنة . فالمعروضُ عليه من مقاعد أهل الجنة ، وكذا الآتي .

(٤) ورواية « الصحيحين » المشارُ إليها : (حتى يبعثَكَ) بدل (هذا يبعثُكَ) ، والمعنى على المثبت : هذا الذي يبعثك الله إليه ، على حذف الموصول .

(٥) ورواه البخاري (١٣٧٩) ، ومسلم (٢٨٦٦/ ٦٥) .

٢٠١ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا عبدُ الرحمن بن الحسن القاضي ، حدثنا إبراهيمُ بن الحسين ، حدثنا آدمُ بن أبي إياسٍ ، حدثنا شيبانُ ، عن قتادةَ ، عن أنسٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَأَهْوَى الْمَلَكُ بِيَدِهِ ؛ فَاسْتَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ مِسْكاً أَذْفَرَ** »(١)

٢٠٢ـ أخبرَنا أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ الحسنيُّ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن الحسن بن الشرقيِّ ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِيُّ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن مهديٍّ ، عن قُرَّةَ بن خالد ، عن أبي جمرةَ قال : دخل أبو بَرزةَ على عُبيد الله بن زياد ، فقال : إنَّ محمَّدِيَّكم هذا لدحداحٌ !(٢) فقال : ما كنتُ أرى أن أعيشَ في قومٍ يَعُدُّونَ صحبةَ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم عاراً ! قالوا : إنَّ الأميرَ إنَّما دعاكَ ليسألَكَ عن الحوض ، فقال : عن أيِّ بالِهِ ؟ قال : أحقٌّ هو ؟ قال : نعم ، فمَنْ كذَّبَ به فلا سقاهُ اللهُ منه(٣)

٢٠٣ـ حدثنا أبو الحسن العلويُّ ، أخبرنا عُبيد الله بن إبراهيمَ بن بالُويه المُزكِّي ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن همَّام بن منبهٍ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرةَ قال : وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا**

---

(١) ورواه البخاري (٣٥٧٠ ، ٤٩٦٤ ، ٦٥٨١) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٧/ ٤٣٤) : (**والكوثر** : بوزن فوعل ، من الكثرة ؛ وهو وصفُ مبالغة في المفرط الكثرة) ، والكوثرُ : هو الحوضُ، وقيل غيره، على خلافٍ .

(٢) **الدحداح** : الرجل القصير السمين ، والمستديرُ الململم .

(٣) ورواه أبو داود (٤٧٤٩) من وجه آخر وبأبسط من هنا ، والمصنف في « البعث » (١٥٤) .

النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ ؛ وَذَلِكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً »(١)

٢٠٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهَّاب ، أخبرنا يعلى بنُ عبيدٍ ، حدثنا فُضيل بن غزوانَ ، عن أبي حازمٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ »(٢)

٢٠٥ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا الفضلُ بن إبراهيمَ ، حدثنا أحمدُ بن سلمةَ ، حدثنا محمدُ بن بشار ، حدثنا محمدُ بن جعفرٍ ، حدثنا شعبةُ ، عن النعمانِ بن سالمٍ قال : سمعتُ يعقوبَ بن عاصم بن عروةَ بن مسعودٍ قال : سمعتُ رجلاً قال لعبد الله بن عمرٍو : إنَّك تقولُ : إنَّ الساعةَ تقومُ إلى كذا وكذا ، فقال : لقد هممتُ ألاَّ أحدِّثَكم بشيء ! إنَّما قلتُ : إنَّكم ترون بعد قليل أمراً عظيماً ، فكان حريق البيت ، ـ قال شعبةُ : هذا أو نحوه ـ قال عبدُ الله بن عمرو : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي ، فَيَمْكُثُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ ـ لا أدري : أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً ـ ، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، فَيَطْلُبُهُ ، فَيُهْلِكُهُ ، ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ ، فَلا يَبْقَى أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ كَانَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ . لَدَخَلَتْ عَلَيْهِ » ، قال : سمعتُها مِنْ رسولِ الله

---

(١) ورواه البخاري (٨٥ ، ٤٦٣٦) ، ومسلم (٢٤٨/١٥٧) ، قال القاضي في « إكمال المعلم » (١/٤٧٥) عن هذا الحديث (هو على ظاهرِهِ عند أهل الفقه والحديث والمتكلِّمين من أهل السنة ، خلافاً لمن تأوَّله من المبتدعة والباطنية ، وهو أحدُ الأشراط المنتظرة) .

(٢) ورواه مسلم (٢٤٩/١٥٨) .

صلَّى الله عليه وسلَّم ، « وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلام السِّبَاعِ ؛ لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً ، وَلا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ[(١)] ، فَيَقُولُ أَلا تَسْتَجِيبُونَ ؟! فَيَأْمُرُهُمْ بِالأَوْثَانِ فَيَعْبُدُونَهَا ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارَّةٌ أَرْزَاقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إلا صَغَا لِيتاً » يعني : « وَرَفَعَ لِيتاً » ، ورفعَ بُنْدَارٌ إحْدى مَنكِبيهِ ، « وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَهُ ، فَيَصْعَقُ ، ثُمَّ لا يَبْقَى أَحَدٌ إلَّا صُعِقَ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ـ أو : يُنْزِلُ اللهُ ـ مَطَراً كَأَنَّهُ الطَّلُّ ـ أَوِ الظِّلُّ ـ » ، النعمانُ الشَّاكُّ[(٢)] ، « فَيَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ ، ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ[(٣)] ، فَيُقَالُ : كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ » .

قالَ محمدُ بن جعفر : حدثني شعبةُ بهذا الحديث مرَّات ، وعرضتُهُ عليه[(٤)]

قال الشيخُ :

سقطَ من كتابي : (ورفعَ لِيتاً) ، واللِّيتُ : مجرى القُرْطِ مِنَ العُنق[(٥)]

---

(١) في (أ ، ب) : (الشياطين) ، والمثبت موافق لروايتي مسلم والمصنف المشار إليها ، ومعنى تمثُّل الشيطان هو كما قال العلامة القاري في « المرقاة » (٨/ ٣٥٠٣) : (يتصور لهم بصورة إنسان ، فكان التشكُّل أقوى على التسلُّط في الضلالة من طريق الوسوسة ؛ ولذا قدَّم الله سبحانه شياطين الإنس في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢]) .

(٢) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٨/ ٧٧) : (قال العلماء : الأصحُّ الطَّلُّ بالمهملة ؛ وهو الموافقُ للحديث الآخر أنه كمَنِيِّ الرجال) .

(٣) قوله : (أخرجوا بعث النار) كذا هي رواية مسلم المشار إليها ، وبعثُ النار هنا : المبعوثُ إليها ؛ بمعنى : ميِّزوا أهلَ النار من غيرهم ، وعند البخاري (٣٣٤٨) ، ومسلم (٢٢٢/ ٣٧٩) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري ـ والخطابُ لسيدنا آدم ـ : « أخرجْ بعثَ النارِ » ، وفيه أنه لما اشتدَّ ذلك على الصحابة . خفَّفَ عنهم الحبيب بقوله : « أبشروا ؛ فإنَّ من يأجوجَ ومأجوجَ ألفاً ، ومنكم رجلٌ » إلى آخر البشارة .

(٤) ورواه مسلم (٢٩٤٠/ ١١٦) ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٣٤٥) .

(٥) واللِّيتُ : صفحةُ العنق ، وهي جانبه ، والمراد : سقوطُ رأسه إلى أحد الشقَّينِ .

٢٠٦ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا سعدانُ بن نصر ، حدثنا سفيانُ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن زينبَ بنتِ أبي سلمةَ ، عن حبيبةَ ، عن أُمِّها أمِّ حبيبةَ ، عن زينبَ زوجِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قالت : استيقظَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِنْ نومٍ مُحمراً وجهُهُ وهو يقولُ : « لا إلَهَ إلا اللهُ ـ ثلاثَ مرَّاتٍ ـ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » وحلَّقَ حَلْقةً بإصبعيهِ ، قلت : يا رسولَ الله ؛ أنهلِكُ وفينا الصالحون ؟ قال « نَعَمْ ، إذَا كَثُرَ الْخَبَثُ »(١)

قال : وقد روينا في كتاب « البعث »(٢) قصةَ الدجال ، ونزولَ عيسى بن مريم عليه السلام ، وخروجَ يأجوجَ ومأجوجَ وهلاكَهم ، وقيامَ الساعة . . مِنْ حديث النَّوَّاس بن سمعانَ(٣) ، وغيره .

٢٠٧ـ حدثنا أبو سعدٍ عبدُ الملك بن أبي عثمانَ الزاهدُ رحمه الله ، أخبرنا حامدُ بن محمد الهرويُّ ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نُعيمٍ ، حدثنا فِطْرُ بن خليفةَ ، عن حبيبِ بن أبي ثابت ، عن أبي الطفيل ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ وَاحِدٌ . لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ؛ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي »(٤)

---

(١) ورواه البخاري (٣٣٤٦ ، ٧٠٥٩) ، ومسلم (٢٨٨٠/١) ، والخبثُ : الفسق والفجور ، وقيل : إذا عزَّ الأشرارُ وذلَّ الصالحون .

(٢) البعث والنشور (ص ١٤٨ ، ١٩١) .

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧/ ١١٠) .

(٤) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ٩٩) ، وأبو داود (٤٢٨٣) بنحو لفظه هنا ، هذا شروع من المصنف الإمام البيهقي بذكر أحاديث المهدي ، وإدخاله ضمن هذا الكتاب مؤذنٌ بأنه من جملة ما يجب اعتقاده ، وهو ما عليه جمهور علماء أهل السنة ، بل جميع الفرق =

٢٠٨ـ وأخبرَنا أبو عبد الرحمن محمدُ بن الحسين السلميُّ ، وأبو نصر عمرُ بن عبد العزيز بن قتادةَ قالا : أخبرنا يحيى بنُ منصورِ القاضي ، حدثنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدثنا أبو نعيمٍ ، حدثنا فطرٌ ، عن القاسم بن أبي بزَّةَ ، عن أبي الطفيلِ ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ . لَبَعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً** »[1]

٢٠٩ـ وحدثنا فطرٌ[2] ، عن حبيبِ بن أبي ثابتٍ ، عن أبي الطفيلِ ، عن عليٍّ ـ قال فطرٌ : أُراهُ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : « **لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إلا يَوْمٌ وَاحِدٌ . لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ ؛ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً** »[3]

ورواه عاصمُ بن أبي النَّجُود ، عن زرِّ بن حبيشٍ ، عن عبد الله بن مسعودٍ ،

= الإسلامية ، حتى قال العلامة السفاريني الحنبلي في « لوامع الأنوار البهية » (٢/ ٨٤) بعد ذكر بعض أخباره : (وقد رُويَ عمَّن ذُكر من الصحابة وغيرِ من ذُكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين مِنْ بعدهم . . ما يفيدُ مجموعُهُ العلمَ القطعي ، فالإيمانُ بخروج المهديِّ واجبٌ ، كما هو مقرَّر عند أهل العلم ، ومدوَّنٌ في عقائد أهل السنة والجماعة) ، وأحاديث المهدي صحيحة صريحة ، نعم حديث مسلم (١٥٦/ ٢٤٧) غير صريح ؛ إذ لفظه : « فينزلُ عيسى بنُ مريمَ صلى الله عليه وسلم ، فيقولُ أميرُهم : تعالَ صلِّ لنا ، فيقولُ : لا ، إنَّ بعضَكم على بعضٍ أمراءُ ؛ تكرمةَ اللهِ هذه الأمةَ » ، ولا عبرةَ بقول من قال : صحيحُها غير صريح ، وصريحُها غير صحيح ، بل من صريحها ما هو صحيح ، وانظر « نظم المتناثر » (ص ٢٢٥) .

(١) ورواه أبو داود (٤٢٨٣) .

(٢) المصرِّح بالتحديث هو أبو نعيم الفضلُ بن دكين .

(٣) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ٩٩) خاتمة الأثر السابق ؛ حيث ذكر عن أبي نعيم أنه قال : (وسمعته ـ يعني : فطر بن خليفة ـ مرَّةً يذكره عن حبيب ، عن أبي الطفيل ، عن علي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم) .

عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وذكرَ فيه : « **يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي** »[١]

٢١٠ـ وأخبرَنا أبو محمدٍ جَناحُ بن نذير بن جَناح المحاربيُّ بالكوفة ، أخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن علي بن دُحيم ، حدثنا أحمدُ بن حازمٍ ، أخبرنا عُبيد الله بنُ موسى ، أخبرنا سفيانُ ، عن عوفٍ ، عن أنسِ بن سيرينَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : مضَتِ الآياتُ غيرَ أربع : طلوعُ الشمس من مغربها ، والدجَّالُ ، والدابَّةُ ، ويأجوجُ ومأجوجُ ، قال : وبها تُختمُ الأعمالُ ، قال : ثم قرأ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] يعني به : الآياتِ الكبارَ[٢]

٢١١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو جعفرٍ أحمدُ بن عبيد بن إبراهيمَ الحافظُ ، حدثنا إبراهيمُ بن الحسين ، حدثنا أبو اليمان الحكمُ بن نافع ، حدثنا شعيبُ بن أبي حمزةَ ، حدثني أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرجِ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : يعني : يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : « **كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَنْبَغِ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُواً أَحَدٌ** »[٣]

٢١٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، (ح) .

وأخبرَنا الأستاذُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن محمد بن إبراهيمَ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن يزدادَ الجَوْسَقانيُّ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن العباس المؤدِّبُ قالا :

---

(١) ورواه أبو داود (٤٢٨٢) ، والترمذي (٢٢٣٠) مختصراً وقال : (حسن صحيح) .

(٢) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٤/ ٥٤٥)

(٣) ورواه البخاري (٣١٩٣ ، ٤٩٧٤) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٧٦٢٠) .

حدثنا عفَّانُ بن مسلمٍ ، حدثنا حمَّادُ بن سلمةَ ، أخبرنا يعلى بنُ عطاءٍ ، عن وكيعِ بن حُدُسٍ[1] ، عن عمِّهِ أبي رَزينٍ العُقيليِّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ؛ كيف يحيي اللهُ الموتى ؟ وما آيةُ ذلك في خلقِهِ ؟ قال : « **أَمَا مَرَرْتَ بِوَادٍ لَكَ مَحْلاً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِراً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ مَحْلاً ، ثُمَّ مَرَرْتَ بِهِ يَهْتَزُّ خَضِراً** ؟ » ، قال : بلى ، قال : « **كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى ، وَذَلِكَ آيَتُهُ فِي خَلْقِهِ** »[2]

لفظُ حديثِ المؤدِّب ، وفي رواية الصَّغانيِّ : « بِوَادِي أَهْلِكَ مَحْلاً » ، ولم يقل : « يَهْتَزُّ »[3]

قال الشيخ

وقد وردَ ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج : ٥ـ٦] ، وآياتُ القرآن في الإعادة كثيرةٌ .

* * *

(١) ويقال له أيضاً : وكيع بن عُدُس ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣٠/ ٤٨٤)

(٢) ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ١١) ، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٠) .

(٣) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٨٥) : (رواه الطبراني في « الكبير » ، ورجاله موثقون) ، ورواه أبو داود (٤٧٣١) ، وابن ماجه (١٨٠) مختصراً .

باب
الإيمان بعذاب القبر
نعوذ بالله من عذاب القبر ومن عذاب النار

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠][1] ، وبما بعدها مِنَ الآية .

قال مجاهدٌ : ذاك عندَ الموتِ[2]

وقال في الكفَّارِ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال : ٥٠] أي : ويقولون لهم هذا تعريفاً إيَّاهم أنَّهم يقدمون على عذابِ الحريق .

وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

---

(١) كذا ابتداءُ الآية في جميع النسخ خلا (ج) ، ففيها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ . . . ﴾

(٢) رواه المصنف في « إثبات عذاب القبر » (٧٤) ، ورواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (١٢٨/٦) ، ووصله الحافظ ابن حجر من طريق الفريابي في « تغليق التعليق » (٣٠٢/٤) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (٤٦٦/٢١) ، وانظر « فتح الباري » (٥٥٩/٨ ـ ٦٦٠) ، و« الدر المنثور » (٣٢٣/٧) ، وعليه : فقد ألحق ساعة نزع الروح وما يجاورها بعذاب القبر ونعيمه ، وكذا يقال في بعض الآيات الآتية ، وقال الإمام الرازي في « تفسيره » (٢٩/ ٤٠٠) : (وقيل : في مواقفَ ثلاثة : عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث إلى القيامة) .

فدلَّتِ الآيتان على أنَّ الكفارَ يُعنَّفُ عليهم في نزع أرواحِهم ، وأنَّهم يُخبرون بما هم قادمون عليه مِنْ عذاب الهُون ، خلافَ المؤمنين الذين يُؤمَّنون ويُبشَّرون بالجنَّة التي كانوا يوعدون

وقال في آلِ فرعونَ ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] .

وحديثُ ابن عمرَ في معناه قد مضى ذِكرُهُ في البابِ قبلَهُ[(١)]

وقال : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

٢١٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكر أحمدُ بن سلمانَ الفقيهُ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضي ، حدثنا الحَوْضيُّ ، حدثنا شعبةُ ، عن علقمةَ بن مَرْثَدٍ ، عن سعدِ بن عُبيدةَ ، عن البراءِ بن عازبٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **الْمُؤْمِنُ إِذَا شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَعَرَفَ مُحَمَّداً فِي قَبْرِهِ . فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم : ٢٧][(٢)]

٢١٤ـ وأخبرَنا أبو علي الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، أخبرنا أبو الوليد الطيالسيُّ[(٣)] ، حدثنا شعبةُ ، فذكره ، غيرَ أنَّهُ قال : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ ، فَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ . فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ . . .** » فذكرَهُ[(٤)]

---

(١) يعني : حديث « إذا ماتَ أحدُكم عُرِضَ عليه مقعدُهُ . . . » المتقدم برقم (٢٠٠) .

(٢) ورواه البخاري (١٣٦٩) ، ومسلم (٢٨٧١/ ٧٣) .

(٣) قوله : (أخبرنا أبو الوليد) سقط من (أ ، ب ، و) وأثبت من سائر النسخ ، وهو الصواب .

(٤) ورواه أبو داود (٤٧٥٠)

٢١٥ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن محمد المصريُّ ، حدثنا مالكُ بنُ يحيى أبو غسانَ ، حدثنا عبدُ الوهَّاب بن عطاء ، أخبرنا محمدُ بن عمرو ، عن أبي سلمةَ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « إنَّ الْمَيِّتَ إذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ ؛ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِناً كَانَتِ الصَّلاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ ؛ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ . عِنْدَ رِجْلَيْهِ ؛ فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ ، فَتَقُولُ الصَّلاةُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ ، فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ ؛ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ : مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا الرَّجُلُ ؛ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ ، فَيَقُولُونَ : إِنَّكَ سَتَفْعَلُ ، أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ عَنْهُ ، قَالَ : عَمَّ تَسْأَلُونَنِي ؟ قَالُوا : مَاذَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي فِيكُمْ ، وَبِمَاذَا تَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنْهَا وَمَا أَعَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ فِيهَا ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُوراً ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَيُنَوَّرُ لَهُ ، وَيُعَادُ الْجَسَدُ كَمَا بُدِئَ ، وَيُجْعَلُ نَسَمَةً مِنَ النَّسَمِ الطَّيِّبِ ؛ وَهِيَ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ »(١)

---

(١) ورواه ابن حبان في «صحيحه» (٣١١٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٦٣٠) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ٣٧٩) وصححه ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٥٢) : (وإسناده حسن) ، ويعلُقُ ـ بضم اللام ـ : يأكل العُلْقة ؛ وهو ما يتبلَّغ به ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٣/ ١١٨٣) .

قال محمدٌ[1] : وسمعتُ عمرَ بن الحكم بن ثوبانَ قال : « **فَيَنَامُ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ لا يُوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ** » .

ثم عاد إلى حديث أبي هريرةَ ، قال : « **وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] ، **وَإِنْ كَانَ كَافِراً . أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَسَارِهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ ، فَيُقَالُ لَهُ : اجْلِسْ ، فَيَجْلِسُ خَائِفاً مَرْعُوباً ، فَيُقَالُ لَهُ : أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ؛ أَيُّ رَجُلٍ هُوَ ؟ وَمَاذَا تَقُولُ فِيهِ ؟ وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ ؟ فَيَقُولُ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ فَيُقَالُ : الَّذِي فِيكُمْ ، فَلا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ حَتَّى يُقَالَ لَهُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلاً فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ : عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ ، وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ ، وَعَلَى ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : ذَلِكَ مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا ؛ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُوراً ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : ذَلِكَ كَانَ مَقْعَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا لَوْ أَطَعْتَهُ ؛ فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُوراً ، ثُمَّ يُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُهُ** » .

قال أبو هريرة : فذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

ورواه سعيدُ بن عامر ، عن محمدِ بن عمرٍو ، وزاد فيه في المؤمن : « **ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ قِبَلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ لَوْ عَصَيْتَ ، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُوراً** »[2]

٢١٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرني سليمانُ بن محمد بن ناجيةَ ،

---

(١) هو محمدُ بن عمرو بن علقمةَ الراوي عن أبي سلمةَ .

(٢) قوله : (ورواه سعيدُ بن عامر . . .) زيادةٌ مصحَّحة في هامش (د) ، وهي عند الحاكم في « المستدرك » (١/ ٣٨٠) .

حدثنا محمدُ بن إسحاقَ بن راهُويَهْ ، حدثنا عليُّ بن عبد الله ، حدثنا مُفضَّلُ بن صالح ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد ، عن أبي سهيلٍ ، عن أبيه[(١)] ، عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « يَا عُمَرُ ؛ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْبَعٍ مِنَ الأَرْضِ فِي ذِرَاعَيْنِ ، فَرَأَيْتَ مُنْكَراً وَنَكِيراً ؟ » ، قال : يا رسولَ الله ؛ وما منكرٌ ونكيرٌ ؟ قال : « فَتَّانَا الْقَبْرِ ، أَبْصَارُهُمَا كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ ، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ ، مَعَهُمَا مِرْزَبَّةٌ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا أَهْلُ مِنىً . . مَا اسْتَطَاعُوا رَفْعَهَا ؛ هِيَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمَا مِنْ عَصَايَ هَذِهِ ، فَامْتَحَنَاكَ ، فَإِنْ تَعَايَيْتَ أَوْ تَلَوَّيْتَ . . ضَرَبَاكَ بِهَا ضَرْبَةً تَصِيرُ بِهَا رَمَاداً » ، قال : يا رسولَ الله ؛ وإنِّي على حالتي هذه ؟ قال : « نَعَمْ » ، قال : أرجو أكفيكَهُما[(٢)]

غريبٌ بهذا الإسناد ، تفرَّدَ به مُفضَّلٌ[(٣)]

هذا ؛ وقد رويناه مِنْ وجهٍ آخرَ عن ابن عباسٍ[(٤)]

ومن وجهٍ آخرَ صحيحٍ ، عن عطاء بن يسارٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مرسلاً في قصَّة عمرَ[(٥)] ، وقال : « ثَلاثَةُ أَذْرُعٍ وَشِبْرٌ » ، ولم يذكر المِرْزَبَّةَ .

---

(١) كذا في (أ ، ب) ، وجاء في (د ، هـ) : (إسماعيل ، عن أبي خالد بن أبي سهل ، عن أبيه) ، وفي (و) : (عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي سعيد ، عن أبيه) ، وقد اختُلف في أبي سهيل ؛ فيقال له : أبو سهل ، أو سهيل ، أو شهر ، أو شهم ، أو شمر ، وانظر « إكمال الإكمال » لابن نقطة (٣/ ٤٦٠) ، و« ميزان الاعتدال » (٤/ ١٦٧) (٤/ ٥٣٧) .

(٢) ورواه المصنف في « عذاب القبر » (١٠٥) ، وابن أبي داود في « البعث » (٧) ، والأصبهاني في « الحجة في بيان المحجة » (٣٢٥) ، وانظر « الدر المنثور » (٥/ ٣٦) ، و« شرح الصدور » (ص ١٣٠) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير في « مسند عمر » (١/ ٢٤٠) : (هذا حديثٌ مشهور ، وهو غريبُ الإسناد) .

(٤) رواه المصنف في « إثبات عذاب القبر » (١٠٤) .

(٥) رواه المصنف في « إثبات عذاب القبر » (١٠٣) ، ورواه الحارث كما في « بغية الباحث » =

وروينا في حديثِ البراء بن عازبٍ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في قصَّة عذاب القبرِ ، قال : « فَيُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ . . . »[1]

قال الشيخ :

وإعادةُ الروح في جزءٍ واحد ، وسؤالُ جزءٍ واحدٍ ، وتعذيبُ جزءٍ واحدٍ . . ممَّا يجوزُ في العقل[2] ، وليس في تفريقِ الأجزاء استحالةُ ما وردَتْ به الأخبارُ

= (٢٨١) ، والآجري في « الشريعة » (٨٦١) ، وابن عبد البر في « التمهيد » (٢٢/ ٢٥١) ، وقال الحافظ ابن حجر في « المطالب العالية » (١٨/ ٤٧١) : (رجاله ثقات مع إرساله) .

(١) رواه المصنف في « إثبات عذاب القبر » (٢٠ ، ٤٤) ؛ وقال : (هذا حديث كبيرٌ صحيحُ الإسناد ، رواه جماعةٌ من الأئمَّة الثقات عن الأعمش) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (١٢١٩) ، وأحمد في « مسنده » (٤/ ٢٨٧) ، وأبو داود (٣٢١٢ ، ٤٧٥٣) ، والنسائي (٤/ ٧٨) ، وابن ماجه (١٥٤٨) الثلاثة مختصراً .

(٢) قال الإمام المتولِّي في « المغني » (ص ٥٦) : (وإذا لم يكن كُبْرُ الجثَّة شرطاً . . فاللهُ تعالى يجمع منها جزءاً يعلمُهُ ، ويردُّ إليه الروحَ ، ويتوجَّه عليه السؤالُ والعقاب لو أراد معاقبته ، وليس ذلك بمستحيلٍ) .

ولهذا المعنى قال حُجَّةُ الإسلام في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص ٣٧٢) : (والمدرِكُ للعقاب : جزءٌ من القلب أو من الباطن كيف كان ، وليس من ضرورة العذاب ظهورُ حركة في ظاهر البدن ، بل الناظرُ إلى ظاهر النائم لا يشاهدُ ما يدركُهُ النائم من اللذَّة عند الاحتلام ، ومن الألم عند تخيُّل الضربِ وغيره ، ولو انتبهَ النائمُ وأخبر عن مشاهداته وآلامِهِ ولذَّاته مَنْ لم يجرِ له عهدٌ بالنوم . . لبادر إلى الإنكار اغتراراً بسكون ظاهر جسمه في مشاهدته إنكارَ المعتزلة لعذاب القبر) .

وقال : (والإنسانُ لا يفهمُ بجميع بدنه ، بل بجزءٍ من باطن قلبه ، وإحياءُ جزء يفهمُ السؤالَ ويجيبُ . . ممكنٌ مقدورٌ عليه) .

ثم قال : (فتعساً لمن ضاقت حوصلتُهُ عن تقدير اتساعِ القدرة لهذه الأمور المستحقرة بالإضافة إلى خلق السماوات والأرض وما بينهما ، مع ما فيهما من العجائب ، والسببُ الذي ينفِّرُ طباع أهل الضلال عن التصديق بهذه الأمور بعينه منفِّرٌ عن التصديق بخلق الإنسان من نطفة قذرة ، مع ما فيه من العجائب والآيات ، لولا أنَّ المشاهدة تضطرُّهُ إلى التصديق بذلك ، فإذاً ما لا برهانَ على إحالته لا ينبغي أن يُنكر بمجرَّد الاستبعاد) .

في عذاب القبر ؛ وهو كما شاء اللهُ ، ولمَنْ شاءَ الله ، وإلى ما شاءَ الله ، نعوذُ بالله مِنْ عذابِ الله .

والأخبارُ في عذاب القبر كثيرةٌ[1] ، وقد أفردنا لها كتاباً مشتملاً على ما وردَ فيها مِنَ الكتاب والسنَّة والآثار[2] ، وقد استعاذَ منه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وأمرَ أُمَّتَهُ بالاستعاذة منه .

٢١٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا هاشمُ بن القاسم ، أخبرنا شعبةُ ، عن الأشعثِ ـ يعني : ابن سُليم ـ ، عن أبيه ، عن مسروقٍ ، عن عائشةَ : أنَّ يهوديةً دخلت عليها ، فذكرتْ عذابَ القبر ، فقالت : أعاذَكِ اللهُ مِنْ عذاب القبر ، قالت عائشةُ : فسألتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن

---

(١) قال الحافظ ابن عبد البرِّ في « التمهيد » (٢٢/ ٢٥١) : (والآثارُ في عذاب القبر لا يحوطُ بها كتاب)

وقال العلامة أبو المظفر الإسفرايني في « التبصير » (ص ٦٧) : (وفي عذاب القبر قد بلغت الأخبار حدَّ التواتر في المعنى ، وإن كان كلُّ واحد منها لم يبلغ حدَّ التواتر في اللفظ) .

وقال الحافظ العيني في « عمدة القاري » (٦/ ٢٢٤) : (وقد روي في عذاب القبر عن جماعة من الصحابة ؛ وهم : أبو هريرة عند الترمذي والبخاري ، وزيدُ بن ثابت عند مسلم ، وابنُ عباس عند الستَّة ، وأبو أيوبَ عند الشيخين والنسائي ، وأنسٌ عند الشيخين وأبي داود والنسائي ، وجابرٌ عند ابن ماجه ، وعائشةُ عند الشيخين والنسائي ، وأبو سعيد عند ابن مردويه في « تفسيره » ، وابنُ عمر عند النسائي ، وعمرُ بن الخطاب عند أبي داود والنسائي وابن ماجه ، وسعدٌ عند البخاري والترمذي والنسائي ، وابنُ مسعود عند الطحاوي ، وزيدُ بن أرقم عند مسلم ، وأبو بكرةَ عند النسائي ، وعبدُ الرحمن بن حسنة عند أبي داود والنسائي وابن ماجه ، وعبدُ الله بن عمرو عند النسائي ، وأسماءُ بنت أبي بكر عند البخاري والنسائي ، وأسماءُ بنت يزيد عند النسائي ، وأمُّ مبشر عند ابن أبي شيبة في « المصنف » ، وأمُّ خالد عند البخاري والنسائي) .

(٢) واسمه كما ورد في مطبوعه بتحقيق د . شرف محمود القضاة « إثباتُ عذاب القبر وسؤال الملكين ، على ما وردَتْ به الشريعةُ بالآيات المتلوة والأخبارِ المروية وأقاويلِ سلف هذه الأمة ، مع جواز ذلك في العقل في قدرة الله سبحانه وتعالى » .

عذاب القبر ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ** » ، قالت عائشةُ : فما سمعتهُ يصلي صلاةً بعدُ إلا تعوَّذَ فيها مِنْ عذاب القبر[1]

٢١٨ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو عليٍّ إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ هانئ النيسابوريُّ ، حدثنا أبو المغيرةِ ، ومحمدُ بن كثير جميعاً ، عن الأوزاعيِّ ، عن حسانَ ـ يعني : ابنَ عطيَّةَ ـ ، عن محمدِ بن أبي عائشةَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنْ صَلاتِهِ فَلْيَدْعُ بِأَرْبَعٍ ، ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَفِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** »[2]

٢١٩ـ وأخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، أخبرنا رَوحٌ ، حدثنا مالكٌ ، عن أبي الزبير ، عن طاوسٍ ، عن ابن عباسٍ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يُعلِّمُهم هذا الدعاءَ كما يعلِّمُهم السورةَ مِنَ القرآن ؛ يقولُ : « **قُولُوا : اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ** »[3]

٢٢٠ـ قرأتُ في كتاب الفقيه أبي منصورٍ الحَمْشاذيِّ[4] فيما ذكر سماعَهَ مِنْ أبي الحسن محمدِ بن إسحاقَ ، عن أبي موسى عمرانَ بنِ موسى المجاشعيِّ ،

---

(١) ورواه البخاري (١٣٧٢) ، ومسلم (٥٨٦/ ١٢٦) .

(٢) ورواه مسلم (٥٨٨/ ١٢٨ـ ١٣٠) ، ورواه من طريق آخر البخاري (١٣٧٧) مقتصراً على ألفاظ الدعاء .

(٣) ورواه مسلم (٥٩٠/ ١٣٤) ، وفي خاتمته قال الإمام مسلم : (بلغني أنَّ طاوساً قال لابنه : أدعوتَ بها في صلاتِكَ ؟ فقال : لا ، قال : أعِدْ صلاتَكَ ؛ لأنَّ طاوساً رواه عن ثلاثة أو أربعة ، أو كما قال) .

(٤) وهو شيخُ أبي عبد الله الحاكم شيخِ المصنف ، ولم يدركه الإمامُ البيهقي

قال : قال أبو نعيمٍ : حدثنا الربيعُ قال : قال الشافعيُّ : (إنَّ مشيئةَ العباد هي إلى الله تعالى ، ولا يشاؤونَ إلَّا أن يشاءَ اللهُ ربُّ العالمين ، وإنَّ أعمال الناس خلْقٌ مِنَ الله ، فعلٌ للعباد ، وإنَّ القَدَرَ خيرَهُ وشرَّهُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ ، وإنَّ عذابَ القبر ومُساءلَةَ أهل القبور حقٌّ ، والبعثَ والحسابَ والجنَّةَ والنارَ وغيرَ ذلك ؛ ممَّا جاءت به السنن ، وظهرَتْ على ألسنة العلماء وأتباعهم مِنْ بلاد المسلمين . . حقٌّ)(١)

* * *

(١) وأورده المصنف أيضاً في « مناقب الشافعي » (١/ ٤١٥) ، قال الشيخ الإمام الأشعري في « مقالات الإسلاميين » (٢/ ٣١٨) : (واختلفوا في عذاب القبر : فمنهم من نفاه ؛ وهم المعتزلة والخوارج ، ومنهم من أثبتَهُ ؛ وهم أهل الإسلام ، ومنهم من زعم أن الله تعالى ينعِّم الأرواح ويؤلمُها ، وأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور) .

باب
الاعتصام بالسنة واجتناب البدعة[1]

قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

وقال : ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] .

٢٢١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ ، أخبرنا الشافعيُّ قال : سمعتُ بعضَ مَنْ أرضى مِنْ أهل العلمِ

---

(١) **الاعتصام** : هو افتعالٌ من العصمة ؛ وهي المنعة ، والعاصم : المانع ، والاعتصامُ : الاستمساكُ ، والمرادُ : امتثالُ قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؛ وهو التمسُّكُ بكتابه سبحانه ، وإنما خصَّ المصنِّف السنَّة بالذكر لأنَّهُ ما من صاحب بدعة إلا وله في كتاب الله تعالى شبهة دليل عليها ؛ والقرآنُ حمَّالُ أوجهٍ ، والسنةُ كالبيان له ، **بل لو صار المخالفُ لا يبالي بالاحتجاج بالسنة . . لوجب الردُّ عليه وإفحامُهُ بما هو حجَّةٌ عنده** ؛ فقد قال المصنف الإمام البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٩) : (وأهلُ البدع في زماننا لا يكتفون بالخبر ولا يقبلونه ، فلا بدَّ من ردِّ شبههم إذا أظهروها بما هو حجَّةٌ عندهم) .
ومرادُ الإمام من عَقْدِ هذا الباب : التحذيرُ من البدع الاعتقاديَّة خصوصاً ـ كما ستراه آخر الباب ـ والقوليَّة والعمليَّة ؛ والاعتقاديَّة أشدُّها خطراً ؛ فقد روى البخاري (٥٠٥٨) ، ومسلم (١٠٦٤/١٤٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرجُ فيكم قومٌ تحقرونَ صلاتَكم مع صلاتِهم ، وصيامَكم مع صيامِهم ، وعملَكم مع عملِهم ، ويقرؤونَ القرآنَ لا يجاوز حناجرهم ، يمرقونَ من الدينِ كما يمرقُ السهمُ من الرميَّةِ »
وقال حجة الإسلام في « إحيائه » (٧/ ٥٦٧) : (**ولسوء الخاتمة** أسبابٌ تتقدَّم على الموت ؛ مثلُ **البدعة** والنفاق والكبر) ، وانظر ما سيأتي للمصنف في باب النهي عن مجالسة أهل البدع .

بالقرآن يقول : **الحكمةُ** : سنَّةُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم[١]

قال الشيخ

قد رويناه عن الحسن البصريِّ[٢] ، وقتادةَ[٣] ، ويحيى بن أبي كثيرٍ[٤]

وقوله : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ ﴾ قال الشافعيُّ : **يعني** : إنِ اختلفتم في شيءٍ . . ﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] **يعني** والله أعلم : إلى ما قال اللهُ والرسول[٥]

وروينا عن ميمونِ بن مِهرانَ أنَّهُ قال في هذه الآية : **الردُّ إلى الله** الردُّ إلى كتابه ، **والردُّ إلى الرسول إذا قُبِضَ** : إلى سنَّتِهِ[٦]

٢٢٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ الفقيهُ ، أخبرنا أبو العباسِ بنُ الفضل الأَسْفاطِيُّ ، حدثنا إسماعيلُ بن أبي أويسٍ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله ، أخبرني إسماعيلُ بن محمد بن الفضل الشعرانيُّ ، حدثنا جدِّي ، حدثنا ابنُ أبي أويسٍ قال : حدثني أبي ، عن ثورِ بن زيد الدِّيليِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خطبَ الناس في حجَّةِ الوداع فقال : « **إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ**

---

(١) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي (ص ٧٨) .

(٢) رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٢٦٢) ، وقال : (ورُوِي عن أبي مالك ، ومقاتل بن حيان ، وقتادة ، ويحيى بن أبي كثير . . نحوُ ذلك) ، وروى عن زيد بن أسلم (١٢٦٤) : أن الحكمةَ العقْلُ في الدين .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٧/ ٣٧٠) ، وانظر « الدر المنثور » (١/ ٣٣٥) .

(٤) انظر « المدخل » للمصنف (باب تعليم سنن الرسول صلى الله عليه وسلم) .

(٥) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي (ص ٨٠) .

(٦) ورواه الطبري في « تفسيره » (٨/ ٥٠٥) ، واللالكائي في « السنة » (٧٦) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٣٢٨) ، وانظر « الدر المنثور » (٢/ ٥٧٩)

فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ ، وَلا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ ، وَلا تَظْلِمُوا ، وَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »(١)

٢٢٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ الفقيهُ ، أخبرنا بشرُ بن موسى ، حدثنا الحميديُّ ، حدثنا سفيانُ ، حدثني أبو النَّضرِ سالمٌ مولى عمرَ بن عبيد الله بن معمر ، عن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ ، فَيَقُولُ : مَا أَدْرِي ، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ »(٢)

٢٢٤ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمدُ بن الصَّبَّاح ، حدثنا إبراهيمُ بن سعدٍ ، عن أبيه سعدِ بن إبراهيمَ ، عن القاسمِ بن محمد ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ فِيهِ . فَهُوَ رَدٌّ »(٣)

---

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ٩٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٥/ ٤٤٩) .

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٠٥) ، والترمذي (٢٦٦٣) وقال : (حديث حسن صحيح) ، وابن ماجه (١٣) ، ولا أُلفينَّ : من الإلفاء ، والمعنى : لا أجِدَنَّ .

(٣) ورواه البخاري (٢٦٩٧) ، ومسلم (١٧/١٧١٨) ، وأبو داود (٤٦٠٦) ، والردُّ : بمعنى المردود ، وروى المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٦٨) عن الإمام الشافعي أنه قال : (المحدثات من الأمور ضربان : أحدهما : ما أُحدثَ يخالف كتاباً أو سنةً أو أثراً أو إجماعاً ، فهذه البدعة الضلالة ، والثانية : ما أُحدثَ من الخير لا خلافَ فيه لواحد من هذا ، وهذه محدثةٌ غير مذمومة) ، وروى أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٣) عنه أيضاً أنه قال (البدعة بدعتان : بدعة محمودة ، وبدعة مذمومة ؛ فما وافق السنَّة . . فهو محمودٌ ، وما خالف السنَّةَ . . فهو مذمومٌ) ، ومن تأمَّل المحمودَ . . علم أنه مستنبطٌ بدقيقِ نظرٍ من السنة الشريفة .

ورويناه في الحديث الثابت ، عن جابرِ بن عبد الله قال : كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في خطبته يحمدُ الله ، ويثني عليه بما هو أهلُهُ ، ثم يقول « **مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ[١] ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ** » .

٢٢٥ـ أخبرَناه عليُّ بن أحمد بن عبدانَ ، أخبرنا سليمانُ بن أحمدَ الطبرانيُّ ، حدثنا جعفرُ بن محمد الفريابيُّ ، حدثنا حِبَّان بن موسى ، حدثنا ابنُ المبارك ، عن سفيانَ ، عن جعفرِ بن محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابر ، فذكره[٢]

٢٢٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا العباسُ بن محمد الدوريُّ ، حدثنا أبو عاصم ، حدثنا ثورُ بن يزيدَ ، عن

---

(١) قال حُجَّةُ الإسلام في « إحيائه » (٤/ ٣٦٨) : (**البدعة المذمومة** : ما تضادُّ السننَ الثابتة ، وأما ما يعينُ على الاحتياط في الدين .. فمستحسنٌ) ، وقال (٤/ ٥٣٠) : (وقول القائل : « إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة » .. فليس كلُّ ما يُحكَمُ بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم ، وإنما المحذورُ ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة)
وقال العلامة القاري في « المرقاة » (١/ ٢٢٣) : (وقوله : « **كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ** » عامٌّ مخصوص ، قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في آخر كتاب « القواعد » ـ يعني : « قواعد الأحكام » (٢/ ٢٠٤) ـ : البدعة : **إما واجبة** : كتعلُّم النحو لفهم كلام الله ورسوله ، وكتدوين أصول الفقه ، والكلام في الجرح والتعديل ، **وإما محرَّمة** : كمذهب الجبرية والقدرية والمرجئة والمجسِّمة ، والردُّ على هؤلاء من البدع الواجبة ؛ لأن حفظ الشريعة من هذه البدع فرضُ كفاية ، **وإما مندوبة** : كإحداث الرُّبُط والمدارس ، وكلِّ إحسان لم يُعهد في الصدر الأول ، وكالتراويحِ ؛ أي : بالجماعة العامة ، والكلامِ في دقائق الصوفية ، **وإما مكروهة** : كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ؛ يعني : عند الشافعية ، وأما عند الحنفية فمباحٌ ، **وإما مباحة** : كالمصافحة عقيب الصبح والعصر ؛ أي : عند الشافعية أيضاً ، وإلا .. فعند الحنفية مكروهٌ ، والتوسُّع في لذائذ المآكل والمشارب والمساكن ، وتوسيعِ الأكمام ، وقد اختُلف في كراهة بعض ذلك) .

(٢) ورواه مسلم (٨٦٧/ ٤٥) .

خالدِ بن مَعدانَ ، عن عبد الرحمن بن عمرو ، عن العِرْباضِ بنِ ساريةَ قال : صلَّى لنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلاةَ الصبح ، ثم أقبلَ علينا ، فوعظنا موعظةً وَجلَتْ منها القلوبُ ، وذَرفَتْ منها العيونُ ، فقلنا : يا رسولَ الله ؛ كأنَّها موعظةُ مُودِّعٍ ، فأوصِنا ، قال : « **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**[1] ، **عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ** »[2]

٢٢٧ـ أخبرَنا أبو علي الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا يحيى بنُ أيوبَ ، حدثنا إسماعيلُ بن جعفرٍ ، أخبرني العلاءُ بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً** »[3]

٢٢٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو العباس محمدُ بن أحمد بن محبوبٍ ، حدثنا سعيدُ بن مسعودٍ ، حدثنا النَّضرُ بن شُميلٍ ، أخبرنا شعبةُ بن الحجَّاج ، حدثنا عَونُ بن أبي جُحيفةَ قال : سمعتُ المنذرَ بن جرير بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم « **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ**

---

(١) قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (١/٢٥٣) نقلاً عن التوربشتي : (وأما ذكرُ سنَّتهم في مقابلة سنَّته . . فلأنَّهُ علمَ أنهم لا يخطئون فيما يستخرجون من سنَّته ، أو أنَّ بعضَها ما اشتهر إلا في زمانهم) .

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) وقال : (حديث حسن صحيح) ، وابن ماجه (٤٤)

(٣) ورواه مسلم (١٦/٢٦٧٤) ، وأبو داود (٤٦٠٩) .

فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَلَهُ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ »[1]

٢٢٩ـ أخبرَنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، أخبرنا أحمد بن عبيدٍ ، حدثنا أحمدُ بن الهيثم الشعرانيُّ ، حدثنا ابن أبي أويسٍ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو القاسم عبدُ الرحمن بنُ عُبيد الله بن عبد الله الحُرْفيُّ ببغدادَ ، حدثنا أحمدُ بن سلمانَ الفقيهُ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا ابنُ أبي أويسٍ قال : حدثني كثيرُ بن عبد الله ، عن أبيه ، عن جدِّهِ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وفي رواية الحُرْفِيِّ : قال : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يقول : « **مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي . . فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِ النَّاسِ شَيْئاً ، وَمَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةً لا يَرْضَاهَا اللهُ وَرَسُولُهُ . . فَإِنَّ عَلَيْهِ إِثْمَ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ ، لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِ النَّاسِ شَيْئاً** »[2]

٢٣٠ـ أخبرَنا أبو سعيدٍ يحيى بنُ محمدِ بنِ يحيى الإسفراينيُّ ، أخبرنا أبو بحرٍ البَرْبَهارِيُّ ، حدثنا بشرُ بن موسى ، حدثنا الحميديُّ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، أخبرنا العوَّامُ بن حَوشَبٍ، حدثنا القاسمُ بن عوف الشيبانيُّ ، عن رجلٍ حدَّثه : أنَّهُ

---

(١) ورواه مسلم (١٠١٧/ ١٥) ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٧/ ١٠٤) : (وفي هذا الحديث : تخصيصُ قوله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ » ، وأنَّ المراد به : المحدثاتُ الباطلة ، والبدعُ المذمومة) .

(٢) ورواه الترمذي (٢٦٧٧) وحسَّنه ، وابن ماجه (٢١٠) ، وجليٌّ لمن تأمَّل قوله عليه الصلاة والسلام : « وَمنِ ابتدعَ بدعةً لا يرضاها اللهُ ورسولهُ . . . » بأنَّ ما يرضاه الله ورسوله ممَّا لم يكن . . إنَّما يُعرَفُ بالنظر والقياس ، ولذلك قال حُجَّةُ الإسلام إمامنا الغزالي أرضاه مولاه في « إحيائه » (١/ ٦٨٢) : (وقد جرت عادةُ بعض العوامِّ بالسجود عند قيام المؤذِّنين ، ولم يثبت له أصلٌ في أثرٍ ولا خبر ، ولكنَّه إن وافق سجودَ تلاوة . . فلا بأسَ أن يمدَّ الدعاء ؛ لأنَّهُ وقتٌ فاضل ، ولا يحكمُ بتحريم هذا السجود ؛ فإنَّهُ لا سببَ لتحريمه) .

أتى أبا ذرٍ بمنىً ، فسمعه يقول : أمرَنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ألا نُغلَبَ على أن نأمُرَ بالمعروفِ ، وننهى عن المنكر ، ونُعلِّمَ الناسَ السننَ[1]

قال الشيخ

وإذا لزم اتباعُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيما سنَّ ، وكان لزومُهُ فرضاً باقياً ؛ فلا سبيلَ إلى اتباع سنَّته إلا بعد معرفتِها ، ولا سبيلَ لنا إلى معرفتها إلا بقبولِ خبر الصادق عنه . . لزمَ قبولُهُ ؛ ليمكنَنا متابعتُهُ ، ولذلك أمرَ بتعليمها والدعاءِ إليها ، وبالله التوفيق .

٢٣١ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفرٍ الرَّزَّازُ ، حدثنا محمد بن عُبيد الله بن المُنادي ، حدثنا وهبُ بن جرير ، حدثنا شعبةُ ، عن مُخَارقٍ ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعودٍ أنَّهُ قال : (إنَّ أحسنَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُ محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ، وشرَّ الأمور محدثاتُها ، وإنَّ الشقيَّ مَنْ شقيَ في بطن أُمِّهِ ، وإنَّ السعيدَ مَنْ وُعِظَ بغيره ، فاتَّبعوا ولا تبتدعوا)[2]

ورواه أبو عبد الرحمن السُّلميُّ[3] مختصراً قال : قال عبدُ الله : (اتَّبعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتُم)[4]

٢٣٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو العباس القاسمُ بن القاسم السَّيَّارِيُّ بمروَ ، حدثنا أبو المُوَجِّهِ الفزاريُّ ، حدثنا يوسفُ بنُ عيسى ، حدثنا

---

(١) ورواه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٦٥)، والدارمي (٥٦٠)، والمصنف في «المدخل» (٣٦٠).

(٢) ورواه البخاري (٦٠٩٨) مختصراً ، (٧٢٧٧) ، ومسلم (٢٦٤٥) من وجه آخر ، والمصنف في « المدخل » (٢٠٣) .

(٣) هو عبدُ الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي ، لا شيخُ المصنف محمد بن الحسين السلمي .

(٤) رواه الدارمي (٢١١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٥٤) ، والمصنف في « الشعب » (٢٠٢٤) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ١٨١) : (رواه الطبراني في « الكبير » ، ورجاله رجال الصحيح) .

الفضلُ بن موسى ، عن محمدِ بن عمرٍو ، حدثني أبو سلمةَ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ ، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً** »[(١)]

وروي معناه في حديث معاوية[(٢)] ، وغيره .

وقد ذكرنا في كتاب « المدخل » وغيره : أنَّ الخلافَ المذمومَ : ما خُولف فيه كتابٌ، أو سنَّة صحيحةٌ، أو إجماعٌ ، أو ما في معنى واحدٍ مِنْ هؤلاء ؛ وذلك كخلاف[(٣)] مَنْ خالف أهلَ السنة فيما أشرنا إليه في هذا الكتاب ؛ فقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [آل عمران ١٠٥] .

وقد جاء الكتابُ ، ثم السنَّةُ ، ثم إجماعُ الصحابة . . بإثباتِ ما أثبتناهُ ؛ مِنْ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ ، ورؤيتِهِ ، وشفاعةِ نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وغيرِ ذلك ، فمَنْ نفاه واختلفَ فيه . . كان ذلك اختلافاً بعد مجيءِ البيِّنة ، وردُّ مَنْ ردَّ ما ورد فيه مِنَ الكتاب . . غيرُ سائغ في الشريعة ، فلا وجهَ لترك الظاهر إلا بمثلِهِ أو بما هو أقوى منه ، والله يعصمُنا مِنْ ذلك برحمته ، ويشبهُ أن يكون اختلافُ هؤلاءِ وأمثالهم أُريدَ بما روينا في حديث أبي هريرة ، والذي يؤكِّده ما روي في حديث معاوية في هذا الحديث أنَّهُ قال : « **كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةً ؛ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ** »[(٤)]

وفي حديث عمرو بن عوفٍ : « **إلا وَاحِدَةً ؛ الإِسْلامُ وَجَمَاعَتُهُمْ** »[(٥)]

---

(١) ورواه أبو داود (٤٥٩٦) ، والترمذي (٢٦٤٠) وقال : (حسن صحيح) ، وابن ماجه (٣٩٩١) مختصراً .

(٢) رواه أبو داود (٤٥٩٧) ، والحاكم في « المستدرك » (١/ ١٢٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٤١) .

(٣) في (أ ، ب) : (وكذلك كخلاف) بدل (وذلك كخلاف) .

(٤) وهو الحديث المشار إليه قبيل أسطر .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » (١/ ١٢٩) .

وفي حديث عبد الله بن عمرٍو : « **إلا وَاحِدَةً ؛ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي** »[1] .

وإنَّما اجتمع أصحابُهُ على مسائل الأصول ، فإنَّهُ لم يُروَ عن واحد منهم خلافُ ما أشرنا إليه في هذا الكتاب .

فأمَّا مسائلُ الفروع ؛ فما ليس فيه نصُّ كتابٍ ولا نصُّ سنَّةٍ . . فقد اجتمعوا على بعضه ، واختلفوا في بعضه ؛ فما اجتمعوا عليه . . ليس لأحدٍ مخالفتُهُم فيه ، وما اختلفوا فيه . . **فصاحبُ الشرع هو الذي سوَّغَ لهم هذا النوعَ مِنَ الاختلاف** ؛ حيث أمرَهُم بالاستنباط وبالاجتهاد ، مع علمِهِ بأنَّ ذلك يختلفُ ، وجعل للمصيبِ منهم أجرينِ ، وللمخطئ أجراً واحداً ، وذلك على ما يحمَّلُ[2] مِنَ الاجتهاد ، ورفعَ عنه ما أخطأَ فيه .

٢٣٣ـ **أخبرَنا** السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين العلويُّ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ الشرقيِّ ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى ، وأبو الأزهر ، وعبدُ الرحمن بن بشر ، وأحمدُ بن يوسفَ قالوا : حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن سفيانَ ، عن يحيى بن سعيدٍ ، عن أبي بكرِ بنِ محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبي سلمةَ بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ . . كَانَ لَهُ أَجْرَانِ ، فَإِنِ اجْتَهَدَ وَأَخْطَأَ . . كَانَ لَهُ أَجْرٌ** »[3]

قال الشيخ :

فهذا النوعُ مِنَ الاختلاف غيرُ ما ذمَّ الله تعالى وذمَّهُ رسولُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم فيما روينا ، وكان الشافعيُّ رحمَهُ الله يجعلُ هؤلاء المختلفين في معنى المجتمعين ؛ مِنْ حيث إنَّ كلَّ واحد منهم أدَّى ما كُلِّفَ مِنَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسَّنه .

(٢) كذا ضبطت في (و) ، وفي (ج) وحدها : (يحتمل) .

(٣) ورواه البخاري (٧٣٥٢) ، ومسلم (١٧١٦/ ١٥)

الاجتهاد[1] ، ولم يخالفْ كتاباً نصّاً ، ولا سنةً قائمةً بلغته ، ولا إجماعاً ، ولا قياساً صحيحاً عنده ، إنَّما نظر في القياس فأدَّاه إلى غير ما أدَّى إليه صاحبُهُ ، كما أدَّاه التوجُّه إلى البيت بدلائل النجوم وغيرها إلى غير ما أدَّى إليه صاحبُهُ ، فكلٌّ واحد منهم يكون مؤدِّياً في الظاهر ما كُلِّفَ ، ويُرفعُ عنه إثمُ ما غابَ عنه أو أخطأه مِنَ التأويلِ الصحيح أو السنةِ الصحيحة أو القياسِ الصحيح ؛ إذ لم يُكلَّفْ علمَ الغيب .

فمَنْ سلك مِنْ فقهاء الأمصار سبيلَ الصحابة والتابعين فيما أجمعوا عليه أو اختلفوا فيه . . كانوا كالفِرْقة الواحدة ؛ **وهي الفرقة الناجيةُ التي أشار إليهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم** ، فكلٌّ منهم أخذَ بوثيقةٍ فيما يرى ؛ فيما تبعَ فيه وفيما قاسَ على ما تبع فيه مِنَ الكتاب أو السنة أو الإجماع ، وبالله التوفيق .

وأمَّا تخليدُ مَنْ عداهم مِنْ أهل البدع في النار . . فهو مبنيٌّ على تكفيرهم ، فمَنْ لم يُكفِّرْهُم . . أجراهم في الخروج مِنَ النار بأصل الإيمان مُجرى فُسَّاقِ المسلمين ، **وحملَ الخبر على تعذيبهم بالنار مُدَّةً مِنَ الزمان دون الأبدِ** ، واحتجَّ في ترك القول بتكفيرِهم بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **تَفْتَرِقُ أُمَّتِي** » ، فجعل الجميعَ مع افتراقهم مِنْ أُمَّتِهِ[2] ، والله أعلم .

---

(١) انظر « الأم » (٧/ ٣١٨)

(٢) **والمختار عند فقهاء أهل السنة** : عدمُ تكفير أهل الأهواء والبدع ، وقد قال **إمامُنا الغزالي** في « الإملاء على مشكل الإحياء » (ص ٢٧٩) : (**فإن قلت** : وأين أنت من تكفير كثير من الناس في القديم والحديث لجميع أهل البدع عامة وخاصة ، وقولِ النبي صلى الله عليه وسلم في القدرية : « إنَّهم مجوسُ هذهِ الأمَّةِ » ، وقولِه صلى الله عليه وسلم : « ستفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً ، كلُّها في النارِ إلا واحدةً » ، وقال صلى الله عليه وسلم عن قوم يخرجون على خير فرقة من الناس : « يقولونَ بقولِ خيرِ البريَّة ـ أو : مِنْ قولِ خيرِ البريَّة ـ يمرقونَ مِنَ الدينِ كما يمرقُ السهمُ مِنَ الرميَّةِ » ، والأحاديثُ الواردة فيمن اعتقد شيئاً من الأهواء والبدع كثيرةٌ غيرُ هذه ، ممَّا يوجب في الظاهر تكفيرَهم بالإطلاق ؟

فاعلم : أنَّهُ إن كان كفَّرَهم كثيرٌ من العلماء . . **فلقد أبقى عليهم دينَهم وتردَّد فيهم كثيراً كثيرٌ** =

* * *

= منهم ، وكلٌّ فريق منهم في مقابلة من خالفه ، فليقعِ التحاكمُ عند العالم الأكبر ، المؤيَّدِ بالعصمة سيدِ البشر ، إمامِ المتقين صلى الله عليه وسلم ؛ فهو صلى الله عليه وسلم حين قال : « القدريةُ مجوسُ هذه الأمَّة » [رواه أبو داود (٤٦٩١)] ؛ فما فقهُ أن أضافهم إلى الأمة ؟ وما حكمةُ أن لم يقل : « مجوس » على الإطلاق ؟ وحين أخبر عن هذه الفرق أنَّهم في النار ؛ فهل أخبر أنَّهم خالدون فيها ؟ وحين قال : « يمرقونَ من الدينِ كما يمرقُ السهمُ من الرميَّة » ؛ فقد قال متصلاً بآخر هذا القول : « وتتمارى في الفُوق » ، وما موضعُ هذا التماري من المثل الذي ضربه فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فما لي أراك تلاحظُ جهةً وتترك أخرى ، وتذكر شيئاً وتذهل عن غيره ؟! عليك بالعدل تكن من أهله ، واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة ، وتفهَّمْ قولَ الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣])

ومما يُستأنسُ به في ترك تكفيرهم ما روى الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠/ ٨٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢٣٦) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه قال :(أوصاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن أصبح يوم صومي دهيناً مترجلاً ، ولا تصبح يوم صومك عبوساً ، وأجبْ دعوةَ من دعاك من المسلمين ما لم يظهروا المعازف ، فإذا أظهروا المعازفَ . . فلا تجبْهُم ، وصلِّ على من مات من قبلتنا وإن قتل مصلوباً أو مرجوماً ، فلأن تلقى اللهَ بمثل قراب الأرض ذنوباً . . خيرٌ لك من أن تبتَّ الشهادةَ على أحد من أهل القبلة).

باب
النهي عن مجالسة أهل البدع ومكالمتهم

٢٣٤- أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو عثمانَ عمرُو بن عبد الله البصريُّ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهَّاب ، أخبرنا عبدُ الله بن يزيد المقرئُ ، حدثنا سعيدُ بن أبي أيوبَ ، عن عطاء بن دينار الهذليِّ ، عن حكيمِ بن شريك ، عن يحيى بنِ ميمونٍ الحضرميِّ ، عن ربيعةَ الجُرَشيِّ ، عن أبي هريرةَ ، عن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **لا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ ، وَلا تُفَاتِحُوهُمْ** »[(١)]

٢٣٥- أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ قال : عبدُ العزيز بن أبي حازم حدثني بمنىً عن أبيه ، عن ابن عمرَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ ؛ إِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ** »[(٢)] .

---

(١) ورواه أبو داود (٤٧١٠) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (١٠/ ٢٠٤) ، والنهي عن مجالستهم معناه : لا توادُّوهم ، ولا تحابوهم ؛ فإن المجالسة ونحوها من المماشاة من علامات المحبة وأمارات المودَّة ، فالمعنى : لا تجالسوهم مجالسة تأنيس وتعظيم ؛ إذ مجالسةُ الأغيار تجرُّ إلى غاية البوار ونهاية الخسار ، وقوله : (ولا تفاتحوهم) يعني : لا تَحاكموا إليهم ؛ فإنَّهم أهل عناد ومكابرة ، وقيل لا تبدؤوهم بالسلام أو بالكلام ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ١٨٢) .

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٩١) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (١٠/ ٢٠٣) ، وقال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٤/ ٥٣٤) : (قال ابن المنذر : حديث منقطعٌ ، وأشار إلى ذلك الحاكم حيث قال : على شرطهما إن صحَّ لأبي حازم سماعٌ من ابن عمر ، كذا في =

ورُوِيَ مِنْ وجهٍ آخرَ عن ابن عمر مِنْ قوله[1]

ورُوِيَ عن حذيفة[2] ، وجابر[3] ، وأبي هريرةَ[4] مرفوعاً

وإنَّما سُمُّوا قدريةً : لأنَّهم أثبتوا القدرَ لأنفسهم ، ونفَوهُ عن الله سبحانه وتعالى ، ونفَوا عنه خلْقَ أفعالهم ، وأثبتوه لأنفسِهم ؛ فصاروا بإضافة بعضِ الخلْقِ إليه دون بعض مُضاهين للمجوسِ في قولهم بالأصلينِ النورِ والظلمة ، وأنَّ الخيرَ مِنْ فعلِ النور ، والشرَّ مِنْ فعلِ الظلمة[5]

٢٣٦ـ أخبرَنا أبو نصرٍ محمدُ بن أحمد بن إسماعيلَ الطابرانيُّ بها ، أخبرنا أبو النضر محمدُ بن محمد بن يوسفَ الفقيهُ إملاءً ، حدثنا هارونُ بنُ موسى ، حدثنا حميدُ بن زَنجُويه ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله الحسينُ بن عبد الله البيهقيُّ ، أخبرنا أبو حامدٍ أحمدُ بن محمد بن الحسين البيهقيُّ ، حدثنا داودُ بن الحسين البيهقيُّ ، حدثنا حميدُ بن زَنجُويه ، حدثنا حَيْوةُ بن شريحٍ ، حدثنا بقيَّةُ بن الوليد ، عن أبي العلاء الدمشقيِّ ، عن محمدِ بن جُحادَةَ ، عن يزيدَ بن الحصين ، عن معاذِ بن جبلٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إلا وَفِي أُمَّتِهِ قَدَرِيَّةٌ**

= « التلخيص » ، وقال في « المهذب » : هو منقطعٌ بين أبي حازم وابن عمر ، وقال في « الكبائر » : رواته ثقات ، لكنَّه منقطع) ، وقال في « المرقاة » (١/ ١٨٢) : (والنهي في الحديث محمولٌ على الزجر والتغليظ وتقبيح اعتقادهم على قول من لم يحكم بكفرهم ، وعلى الحقيقة على قول من حكم بكفرهم) .

(١) رواه الفريابي في « القدر » (٢١٦) ، وابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٦٠١) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٢) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (١٠/ ٢٠٣) .

(٣) رواه ابن ماجه (٩٢) ، والمصنف في « القضاء والقدر » (٤١٥) .

(٤) رواه الفريابي في « القدر » (٢٣٢) ، والآجري في « الشريعة » (٣٨٥) .

(٥) انظر « معالم السنن » للخطابي (٤/ ٣١٧) و« القضاء والقدر » للمصنف (٤١٥)

وَمُرْجِئَةٌ يُشَوِّشُونَ عَلَيْهِ أَمْرَ أُمَّتِهِ ؛ أَلا وَإِنَّ اللهَ قَدْ لَعَنَ الْقَدَرِيَّةَ وَالْمُرْجِئَةَ عَلَى لِسَانِ سَبْعِينَ نَبِيّاً »[1]

ورواه أيضاً سويدُ بن سعيد ، عن شهابِ بن خِرَاش ، عن محمدِ بن زياد ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، بنحوٍ مِنْ معناه .

٢٣٧ـ أخبرَناه عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، أخبرنا أحمدُ بن عُبيدٍ ، حدثنا عمرُ بن حفص السدوسيُّ ، حدثنا سُويدٌ ، فذكره[2]

٢٣٨ـ أخبرَنا أبو نصرٍ محمدُ بن أحمدَ بن إسماعيلَ الطوسيُّ ، حدثنا أبو النضر الفقيهُ ، حدثنا أبو موسى هارونُ بنُ موسى بنِ كثير الزاهدُ ، حدثنا أبو عمرَ الضريرُ ، وعليُّ بن سلمةَ قالا : حدثنا محمدُ بن بشر ، عن عليِّ بن نزارٍ ، عن أبيه ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَيْسَ لَهُمْ فِي الإِسْلامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِئَةُ، وَالْقَدَرِيَّةُ »[3] .

قال أبو عمرَ : سألتُ وكيعاً عن المرجئةِ ، فقال : الذين يقولون : الإيمانُ قولٌ[4]

هذا يُعدُّ في أفراد نزار بن حَيَّانَ ، عن عكرمةَ[5] ، وقد أخرجه أبو عيسى الترمذي في كتابه ، ورواه أيضاً في كتابه عن محمدِ بن رافع ، عن محمد بن

---

(١) ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠/ ١١٧) ، والمصنف في « القضاء والقدر » (٤٢٧) ، وكلمة (يشوشون) ليست بعربية ، ومعناها في الفصيح : يهوشون .

(٢) ورواه الحسن بن سفيان في « الأربعين » (٩) ، والآجري في « الشريعة » (٣٠٨) ، وابن بطة في « الإبانة الكبرى » (١٢١٩) ، والمصنف في « القضاء والقدر » (٤٢٨) .

(٣) ورواه الترمذي (٢١٤٩) وقال : (حديث حسن غريب) ، وابن ماجه (٦٢) .

(٤) ورواه الآجريُّ في « الشريعة » (٢٥٩) عن الحميدي عن وكيع .

(٥) قال المصنف في « القضاء والقدر » (٤٣٧) : (تفرَّد به نزارٌ هذا ؛ وهو نزار بن حيَّان ، ذكره البخاري في « التاريخ » ولم ينسبه إلى ضعفٍ)

بشرٍ ، عن سلَّامِ بن أبي عَمرةَ ، عن عكرمة[1]

٢٣٩ـ أخبرَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفرانيُّ ، حدثنا عبدُ الوهَّاب بن عبد المجيد ، عن أيوبَ ، عن أبي قِلابةَ قال : (لا تجالسوا أهلَ الأهواءِ ؛ فإنِّي لا آمنُ أن يغمِسُوكُم في ضلالتهم ، أو يَلبِسُوا عليكم بعضَ ما تعرفون)[2]

٢٤٠ـ وأخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا محمد بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا يعلى بنُ عبيدٍ ، حدثنا سفيانُ ـ يعني : ابن دينار ـ قال : سمعتُ مصعب بن سعد يقول : (لا تجالسوا مفتوناً ؛ فإنه لن يُخطئَكَ منه إحدى خصلتين : إما أن يفتنَكَ فتتابعَهُ ، أو يُؤذيَكَ قبل أن تُفارقَهُ)[3] .

٢٤١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني أبو زرعةَ الرازيُّ ، حدثنا أحمد بن محمد الصابونيُّ قال : سمعتُ الربيع بن سليمانَ يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول : (المِراءُ في العلم . . يُقسِّي القلبَ ، ويُورثُ الضغائنَ)[4]

٢٤٢ـ أخبرَنا أبو عثمانَ سعيدُ بن محمد بن محمد بن عبدانَ قال : سمعتُ أبا العباسِ الأصمَّ يقول : سمعتُ الربيعَ بن سليمانَ يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول : (لَأنْ يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشركَ . . خيرٌ مِنْ أن يلقَاهُ بشيءٍ مِنَ الهوى)[5]

---

(١) سنن الترمذي (٢١٤٩) كما تقدم ، ونقل العلامة القاري في « المرقاة » (١/ ١٨١) عن الفيروزبادي أنه قال : (لا يصحُّ في ذمِّ المرجئة والقدرية حديثٌ) .

(٢) ورواه الدارمي (٣٩١) ، والمصنف في « القضاء والقدر » (٤٦٠) .

(٣) ورواه ابن بطة في « الإبانة الكبرى » (٣٨٥) ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٩٤٦٥) .

(٤) ورواه المصنف في « شعب الإيمان » (٨٤٨٨) ، وفي « المدخل » (٢٣٩) .

(٥) ورواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٢) ، و« معرفة السنن والآثار » (٣٣٧) ، ورواه من وجه آخر ابن بطة في « الإبانة » (١٨٨١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١١) ، وفيهما : (الأهواء) بدل (الهوى) ، وعلى هذا تحمل رواية (الكلام) التي=

* * *

= رواها ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٨٨) ، والمصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٤) ، ولذا قال المصنف عقبها : (إنما أراد الشافعي رحمه الله بهذا الكلام : حفصاً وأمثاله من أهل البدع ، وهذا مراده بكلِّ ما حُكيَ عنه في ذم الكلام وذم أهله ، غير أن بعض الرواة أطلقه ، وبعضهم قيَّده ، وفي تقييد من قيَّده دليلٌ على مراده) ، وكذا معنى قوله : (من ارتدى بالكلام . . لم يفلح) ، ولذا قال الإمام المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٧٠) : (قال الشافعي : كلُّ كلام على الكتاب والسنة . . فهو الحدُّ الذي يجب ، وكلُّ كلام على غير أصل كتاب وسنة . . فهو هذيان) ، وانظر منهج الإمام البيهقي في مقدمة هذا الكتاب (ص ٢٢) .

وقد روى الآجري في « الشريعة » (٢٠٦١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٢٠) عن خويلِ الصفَّار ختنِ شعبةَ قال : كنت عند يونسَ بن عبيد ، فجاء رجلٌ فقال : أتنهانا عن مجالسةِ عمرو بن عبيدٍ وقد دخلَ عليه ابنُكَ قبلُ ؟! فقال له يونسُ : اتقِ الله ، فتغيَّظ ، فلم يبرح أن جاءَ ابنُهُ ، فقال : يا بنيَّ ؛ قد عرفت رأيي في عمرٍو فتدخلُ عليه ؟! فقال : يا أبتِ ؛ كان معي فلانٌ ، فجعل يعتذرُ إليه ، فقال : أنهاكَ عن الزنا ، والسرقة ، وشرب الخمر ، ولأَنْ تلقى اللهَ عز وجل بهنَّ . . أحبُّ إليَّ من أن تلقاهُ برأي عمرٍو وأصحاب عمرو .

باب
ما على الوالي من مراعاة أمر الرعية

٢٤٣ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفرٍ الرَّزَّازُ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن محمد بن منصورٍ ، حدثنا معاذُ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادةَ ، عن أبي المَلِيحِ ، أنَّ عُبيدَ الله بن زياد عاد مَعقلَ بنَ يسارٍ في مرضِهِ ، فقال له معقلٌ : إنِّي مُحدِّثُك بحديث لولا أنِّي في الموتِ . . لم أحدِّثْكَ به[1] ، سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ ، وَلا يَنْصَحُ . . إِلا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ** »[2]

٢٤٤ـ أخبرَنا أبو زكريا بنُ أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو الحسن الطرائفيُّ ، حدثنا عثمانُ بن سعيدٍ ، حدثنا القَعْنَبِيُّ فيما قرأه على مالكٍ ، عن عبدِ الله بن دينارٍ ، عن عبدِ الله بن عمرَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ؛ فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهَا وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ ؛ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ** »[3]

---

(١) وتركه رضي الله عنه لعظته ؛ إما لغلبة ظنَّه أنه لا تنفع معه العظات ؛ لسوء سيرته في رعيته ، أو أنه خافه وخشي أن يقع منه ما هو أشدُّ ممَّا هو متلبس فيه ، وهذا ما أشار إليه حجة الإسلام بقوله في « الإحياء » (٤/٢٠٩) : (لا تشتغلْ بوعظِ من لا ترى فيه مخايلَ القبول ، فلا يسمع منك ويعاديك) .

(٢) ورواه البخاري (٧١٥٠) من وجه آخر ، ومسلم (١٤٢/٢٢٩) واللفظ له .

(٣) ورواه البخاري (٨٩٣) من وجه آخر عن سيدنا ابن عمر ، (٧١٣٨) ، ومسلم (١٨٢٩/٢٠) .

وروى شهرُ بن حَوْشَبٍ ، عن أبي أُمامةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم « **أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِتَقْوَى اللهِ ، وَأُوصِيهِ بِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ أَنْ يُعَظِّمَ كَبِيرَهُمْ ، وَيَرْحَمَ صَغِيرَهُمْ ، وَيُوَقِّرَ عَالِمَهُمْ ، وَأَلا يَضْرِبَهُمْ فَيُذِلَّهُمْ ، وَلا يُوحِشَهُمْ فَيُكْفِرَهُمْ**[١] ، **وَأَلا يَخْصِيَهُمْ فَيَنْقَطِعَ نَسْلُهُمْ ، وَأَلا يُغْلِقَ بَابَهُ دُونَهُمْ فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ** » .

٢٤٥ـ حدثناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس المحبوبيُّ ، حدثنا سعيد بن مسعود ، حدثنا يزيد بن هارونَ ، أخبرنا العوَّام بن حَوْشَبٍ ، عن شهر بن حَوْشَبٍ ، فذكره[٢]

وقد رُوِيَ ما في هذا الحديث في أخبار متفرِّقة ، قد ذكرناها في غير هذا الموضع[٣]

* * *

(١) قال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٣/ ٧٣) : (**يكفرهم** : يلجئُهم إلى تغطية محاسنه ، ونشر مَساويه وعيوبه ، ويجحدون نعمته ، ويتبرَّؤون منه ، فيؤدِّي إلى تفرُّق الكلمة ، وتحرُّك الفتنة ، قال الفارابي : **الوحشةُ بين الناس** : الانقطاع ، وبعْدُ القلوب عن المودات ، **وكفر النعمة** : جحدُها وتغطيتها)

(٢) ورواه المصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٦١) .

(٣) ذكر المصنف كثيراً منها في « السنن الكبرى » (٨/ ١٦٠) .

باب
طاعة الولاة، ولزوم الجماعة، وإنكار المنكر بلسانه أو كراهيته بقلبه، والصبر على ما يصيبه من سلطانه

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء : ٥٩] .

وقال : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

٢٤٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأحمدُ بن الحسن ، ومحمدُ بنُ موسى قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، والعباسُ بن محمد الدوريُّ قالا : حدثنا الحجَّاجُ بن محمدٍ الأعورُ قال : قال ابنُ جُريج : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ في عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عدي السَّهميِّ ؛ بعثَهُ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم سريةً[١] ، أخبرَنيه[٢] يعلى بنُ مسلم ، عن سعيدِ بن جبيرٍ ، عن ابن عباسٍ[٣]

٢٤٧ـ حدثنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داود العلويُّ ، أخبرنا أبو القاسم عبيدُ الله بن إبراهيمَ بن بالويه ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السلميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن همَّام بن مُنبِّهٍ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ**

---

(١) كذا في النسخ بنصب سرية، وكذا رواه المصنف في «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٥).

(٢) القائل : هو ابن جريج ، وكذا صرّح بالإخبار في مصادر التخريج .

(٣) ورواه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤/ ٣١)، والمصنف في «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٥).

أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللهَ ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي »(١)

٢٤٨ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ الفقيهُ ، أخبرنا أبو المثنى ، حدثنا مسدَّدٌ ، حدثنا يحيى ، عن عبيدِ الله ، حدثني نافعٌ ، عن عبد الله(٢) ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ »(٣)

٢٤٩ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْباريُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَةْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا مسدَّدٌ ، وسليمانُ بن داودَ ـ المعنى ـ قالا : حدثنا حمادُ بن زيد ، عن المعلى بنِ زيادٍ ، وهشامُ بن حسانَ ، عن الحسنِ ، عن ضَبَّةَ بن مِحْصَن ، عن أمِّ سلمةَ زوج النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قالت : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةٌ تَعْرِفُونَ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ أَنْكَرَ » قال مسدَّدٌ في حديثه : قال الحسنُ ، وقال سليمانُ : قال هشامٌ : « بِلِسَانِهِ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ » فقيل : يا رسولَ الله ؛ أفلا نَقْتُلُهُم ؟ ـ وقال ابن داودَ : أفلا نُقاتِلُهم ؟ ـ قال : « لا ، مَا صَلَّوْا »(٤)

٢٥٠ـ وأخبرَنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، حدثنا أحمدُ بن عبيد الصَّفَّارُ ،

---

(١) ورواه البخاري (٢٩٥٧) من وجه آخر عن سيدنا أبي هريرة ، ومسلم (١٨٣٥/ ٣٢) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٥/ ١١٩) : (وسبب قوله عليه الصلاة والسلام ذلك : أنَّ قريشاً ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارةَ ، ولا يطيعون غيرَ رؤساء قبائلهم ، فأعلمَهم عليه الصلاة والسلام أنَّ طاعةَ الأمراء حقٌّ واجب) .

(٢) هو سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) ورواه البخاري (٢٩٥٥ ، ٧١٤٤) ، ومسلم (١٨٣٩/ ٣٨)

(٤) ورواه مسلم (١٨٥٤/ ٦٤) ، وأبو داود (٤٧٦٠) ، والترمذي (٢٢٦٥) بلفظه هنا .

حدثنا عثمانُ بن عمرَ الضبيُّ ، حدثنا ابنُ حسانَ ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، فذكره بإسناده نحوه ، إلا أنَّهُ قال : « **فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ** »[1]

قال الحسن : (فمَنْ أنكرَ بلسانِهِ فقد برئَ) وقد ذهبَ زمانُ هذه ، (ومَنْ كره بقلبِهِ . . .) فقد جاء زمانُ هذه[2]

ورواه هشامٌ الدَّسْتَوائيُّ ، عن قتادةَ ، عن الحسن ، ثم قال قتادة : يعني : مَنْ أنكر بقلبه ، وكره بقلبه[3]

٢٥١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو الفضلِ بنُ إبراهيمَ ، حدثنا أحمد بن سلمةَ ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا مُعاذُ بن هشام ، حدثني أبي ، عن قتادةَ ، حدثنا الحسن ، عن ضَبَّةَ بن مِحْصَن ، عن أمِّ سلمةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال : « **سَيَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ بَعْدِي تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ؛فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ** » ، قالوا : يا رسولَ الله ، ألا نُقاتِلُهم ؟ قال : « **لا ، مَا صَلَّوْا** » ، قال قتادةُ : يعني : مَنْ أنكرَ بقلبه ، وكرهَ بقلبه[4]

٢٥٢ـ أخبرَنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، حدثنا أحمدُ بن عبيدٍ ، حدثنا تَمْتامٌ محمدُ بن غالبٍ ، حدثنا يحيى بنُ عبد الحميد ، حدثنا إبراهيمُ بن سعد ، عن صالحِ بن كيسانَ ، عن الحارث الخَطْمِيِّ ، عن جعفرِ بن عبد الله بن الحكم ، عن

---

(١) ورواه مسلم (١٨٥٤/ ٦٤) من وجه آخر عن حماد .

(٢) قال المصنف في « الشعب » (٧٠٩٧) : (وروينا من وجه آخر عن الحسن . . .) وذكره ، وانظر « السنن الكبرى » له (٨/ ١٥٨) ، وفي الخبر : أن من عجزَ عن إزالة المنكر وسكت . . لا يأثمُ إذا لم يرضَ به .

(٣) ورواه مسلم (١٨٥٤/ ٦٣) ، وأبو داود (٤٧٦١)

(٤) ورواه مسلم (١٨٥٤/ ٦٣) .

عبد الرحمن بن المِسْوَرِ ، عن أبي رافع ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم « **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيٌّ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِهَا ، ثُمَّ يَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ**[1] **؛ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ ؛ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ** »[2]

٢٥٣ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، أخبرنا أحمدُ بن عبيدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ ، حدثنا حجَّاجُ بن مِنهالٍ ، وعارمٌ ، وسليمانُ بن حربٍ ، ومسدَّدٌ قالوا : حدثنا حمَّادُ بن زيد ، عن الجعدِ أبي عثمانَ ، ـ قال مسدَّدٌ : وحدثنا حمَّادُ بن زيد ، حدثنا الجعدُ أبو عثمانَ ـ حدثنا أبو رجاءٍ العُطارديُّ قال : سمعتُ ابنَ عباسٍ يرويه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَيَمُوتُ إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** »[3]

٢٥٤ـ أخبرَنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ رحمه الله ، أخبرنا عبدُ الله بنُ جعفرٍ ، حدثنا يونسُ بن حبيب ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا شعبةُ ، عن عمرَ بن سليمانَ ، عن عبدِ الرحمن بن أبان ، عن أبيه قال : سمعتُ زيدَ بن ثابت يقول : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا**

---

(١) خُلُوف : جمع خَلْف ؛ كعدول وعدْل ؛ وهو الرديء من الأعقاب .

(٢) ورواه مسلم (٥٠/ ٨٠) .

(٣) ورواه البخاري (٧٠٥٣ ، ٧١٤٣) ، ومسلم (١٨٤٩/ ٥٥ ، ٥٦) ، وقوله : (ميتة جاهلية) قال العلامة الطيبي في « شرح المشكاة » (٨/ ٢٥٦١) : (يعني : مات على هيئة كان يموت عليها أهلُ الجاهلية ؛ لأنهم كانوا لا يرجعون إلى طاعة أمير ، ولا يتَّبعون هديَ إمامٍ ، بل كانوا مستنكفين عنها ، مستبدِّين في الأمور ، لا يجتمعون في شيء ، ولا يتفقون على رأي) .

حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ؛ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ ، ثَلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأَمْـرِ ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ »[1]

* * *

(١) ورواه أبو داود (٣٦٦٠) ، والترمذي (٢٦٥٦) كلاهما مختصراً ، وابن ماجه (٢٣٠) من وجه آخر عن سيدنا زيد ، وأحمد في « مسنده » (٥/ ١٨٣) ، قال الإمام الرامهرمزي في « المحدث الفاصل » (ص ١٦٤) : (يقال : يَغِلُّ ويُغِلُّ ؛ غلَّ على قلبه يَغِلُّ ؛ إذا كان ذا غشٍّ ، وأغلَّ يُغِلُّ ؛ إذا كان ذا غدر ؛ فمَنْ قال : يَغِلُّ . . جعله من الغِلِّ ؛ وهو الضغن والعداوة ، ومَنْ قال : يُغِلُّ . . جعله من الإغلال ؛ من الخيانة) .
واختلف في (من) في قوله : (تحيط من وراءهم) هل هي اسم موصول كما أثبت ، أو أنها حرف جرٍّ وعليه يقال : (مِن ورائهم) ؟ وانظر « مرقاة المفاتيح » (١/ ١٠٧) .

باب
معرفة جمل ما كلف المؤمنون أن يعقلوه ويعملوه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم وأن يكفوا عنه بما حرم عليهم منه

قال اللهُ جلَّ ثناؤُهُ : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] .

وقال : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال : ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٦] ، وعلَّقَهُ بالاستطاعةِ في آيةٍ أخرى ؛ وهي : البلوغُ بالزاد[1] ، والراحلة ، وتخلية الطريق .

وأمرَ بالجهاد وحضَّ عليه ؛ حتى يقومَ به مَنْ فيه الكفايةُ في غير آيةٍ مِنْ كتابه[2] .

وحرَّمَ الفواحشَ ، والربا ، والقتلَ ، والظلمَ ، وقطيعةَ الرحم ، في غير موضعٍ[3] .

---

(١) كذا في (أ ، ب ، ج ، و) ، وفي (د ، هـ) : (والزاد) ، والصواب المثبت ؛ إذ قوله : (وهي) تفسيرٌ للاستطاعة ، والبلوغُ من شروط الوجوب ، لا من شروط الاستطاعة ؛ إذ شروطها في مذهب الإمام المصنف كما في « مغني المحتاج » (٢/ ٢١١) ، و« تحفة الحبيب » (٢/ ٤٢٤) : الزاد الكافي الذي يبلِّغه غاية سفره مع رجوعه لوطنه ، والراحلة ، وتخلية الطريق ، وإمكان المسير ، والآيةُ المشار إليها : هي قوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

(٢) كقوله سبحانه : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم : ٩] .

(٣) كقوله سبحانه في تحريم الفواحش وقتل النفس : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا =

٢٥٥ـ أخبرَنا أبو محمد جَناحُ بن نذير بن جَناح القاضي بالكوفةِ ، أخبرنا أبو جعفر محمدُ بن علي بن دُحيمٍ ، حدثنا أحمدُ بن حازم بن أبي غَرَزَةَ ، حدثنا عُبيدُ الله بن موسى ، أخبرنا حنظلةُ بن أبي سفيانَ قال : سمعتُ عكرمةَ بنَ خالد يحدِّثُ طاوساً قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال[1] : يا أبا عبد الرحمن ؛ ألا تغزو ؟ فقال : إنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ** »[2]

٢٥٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله بن محمد الحافظُ ، أخبرنا أحمدُ بن سلمانَ إملاءً ببغدادَ ، حدثنا هلالُ بن العلاء ، حدثنا عبدُ الله بن جعفرٍ الرَّقيُّ ، حدثنا عُبيدُ الله بن عمرٍو الرَّقيُّ ، عن زيدِ بن أبي أُنيسةَ ، عن جَبَلَةَ بن سُحَيْمٍ ، حدثنا أبو المثنَّى العبديُّ ، سمعتُ ابنَ الخَصاصِيَةِ يقول : أتيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لأُبايعَهُ على الإسلام ، فاشترطَ عليَّ : « **تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَتُصَلِّي الْخَمْسَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ، وَتُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ** » .

قال : قلتُ : يا رسولَ الله ؛ أمَّا اثنتان . . فلا أُطيقهما ؛ أما الزكاةُ . . فما لي

= بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام ١٥١] ، وكقوله تعالى في تحريم الربا والظلم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] ، وكقوله عزَّ وجلَّ في تحريم قطع الرحم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] .

(١) نقل الحافظ في « فتح الباري » (١/ ٤٩) عن المصنف أن اسم هذا الرجل : حكيم .

(٢) ورواه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦/ ٢٢) واللفظ له ، والمصنف في « السنن الكبرى » (١/ ٣٥٨) ، قال الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (١/ ٧٩) : (وكلامُ ابن عمر رضي الله عنهما كالصريح في أنَّ الجهاد ليس ممَّا بُنيَ عليه الإسلامُ ، فكأن مسمَّى الإسلام عنده هذه الخمسُ ، لا كلُّ الأعمال الصالحة ، والعملُ الصالح أعمُّ)

إلا عَشْرُ ذَوْدٍ هنَّ رَسَلُ أهلي وحَمولتُهُم ، وأمَّا الجهادُ . . فيزعمون أنَّهُ مَنْ ولَّى فقد باءَ بغضبٍ مِنَ الله ، فأخافُ إذا حضرني قتالٌ . . كرهتُ وجَشِعَتْ نفسي[١] ، قال : فقبضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدَهُ ثم حرَّكها ، ثم قال : « **لا صَدَقَةَ وَلا جِهَادَ ! فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ ؟!** » ، قال : ثم قلتُ : يا رسولَ الله ؛ أُبايعُك ، فبايعني عليهنَّ كلِّهِنَّ[٢].

٢٥٧ـ أخبرَنا أبو الفتح هلالُ بن محمد بن جعفرٍ الحفارُ ببغدادَ ، أخبرنا الحسينُ بنُ يحيى بنِ عياش القطانُ ، حدثنا حفصُ بن عمرو الرَّباليُّ ، حدثنا بهزُ بن أسدٍ العميُّ ، حدثنا شعبةُ ، حدثنا محمدُ[٣] بن عثمانَ بن عبد الله بن

---

(١) **جشعت نفسي** : حَرَصَت على الحياة ، أو فزعت وخافت من الموت .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٢٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١١٢٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٨٠) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١/ ٤٢) : (ورجال أحمد موثقون) .
وفي الحديث أنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، وقد بيَّن بالحديث السابق أنَّهُ ليس من أركان الإسلام، أو أنَّهُ كان فرضَ عين ثم صار فرضَ كفاية ، ويبيِّن ذلك ما قد روى عبد الرزاق في « المصنف » (٩٢٧٣) عن عبد الكريم الجزري قال : جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنِّي رجل جبانٌ ، لا أطيقُ لقاءَ العدو ، فقال : « ألا أدلُّكَ على جهادٍ لا قتالَ فيهِ ؟ » ، فقال : بلى يا رسول الله ، قال : « عليكَ بالحجِّ والعمرةِ » ، وروى الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ١٣٥) عن سيدنا الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنِّي جبانٌ ، وإنِّي ضعيفٌ ، قال : « هلمَّ إلى جهادٍ لا شوكةَ فيهِ ؛ الحجِّ »، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣/ ٢٠٦): (ورجاله ثقات) ، وقال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٣٥٦): (قال القرقشنديُّ : وثَّقَ المنذريُّ رواته).

(٣) ذكر الحافظ في « فتح الباري » (٣/ ٢٦٣) : أن اسم هذا الرجل عَمْرو ، وكان شعبةُ يسميه محمداً ، وقال : (وكان بعضهم يقول : محمدٌ كما قال شعبة) ، وهي لفتة لطيفة ؛ فيها أن نصَّ التأليفِ وإن كان خطأً فيثبت ويشارُ إلى الخطأ ، وقال (٣/ ٢٦٥) : (وجزم في « التاريخ » بذلك ، وكذا قال مسلم في شيوخ شعبة ، والدارقطني في « العلل » وآخرون عمرو بن عثمان ، قال النووي : **اتفقوا على أنه وهمٌ من شعبة** ، وأن الصواب عمرو ، والله أعلم) .

مَوْهَبٍ ، وأبوه عثمانُ بن عبد الله : أنَّهما سمعا موسى بنَ طلحةَ يُحدِّث ، عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ : أنَّ رجلاً قال[1] : يا رسولَ الله ؛ أخبرني بعملٍ يدخلُني الجنَّة ؟ فقال القومُ : ما لهُ ؟! فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **دَعُوهُ ، أَرَبٌ مَا لَهُ** »[2] ، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : « **تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ذَرْهَا** »[3] ، قال : كأنَّهُ كان على راحلتِهِ[4]

٢٥٨ـ حدثنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمدَ بنِ دلويه ، حدثنا محمدُ بن إسماعيلَ البخاريُّ ، حدثنا أبو الوليد ، حدثنا شعبةُ قال : الوليد بن العَيْزارِ أخبرني قال : سمعتُ أبا عمرٍو الشيبانيَّ يقول : أخبرني صاحبُ هذه الدار ـ وأومأ بيده إلى دارِ عبد الله ـ قال : سألتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم : أيُّ العمل أحبُّ إلى الله ؟ قال : « **الصَّلاةُ لِوَقْتِهَا** » ، قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : « **بِرُّ الْوَالِدَيْنِ** » ، قلتُ : ثم أيٌّ ؟ قال : « **الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ** » ، قال : وحدَّثني بهنَّ ، ولو استزَدْتُهُ لزادني[5]

٢٥٩ـ أخبرَني أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ رحمه الله ، أخبرنا

---

(١) قيل هو سيدنا أبو أيوب الراوي للحديث رضي الله عنه ، ولا مانع أن يُبهم نفسه لغرض له ، أو هو ابن المنتفق لقيطُ بن صبرة وافد بني المنتفق ، وانظر « إرشاد الساري » (٣/ ٣)

(٢) الأرب : الحاجة ، والمعنى : حاجة عظيمةٌ جعلته يسأل ، وروي : (أَرِبَ) بوزان (عَلِمَ) يعني : احتاج فسأل لحاجته ، أو تفطَّن لما سأل عنه وعقل ، يقال : أَرِب إذا عقل ، فهو أريب ، وقيل : تعجَّب من حرصه وحسن فطنته ؛ ومعناه : لله درُّهُ ، وقيل : هو دعاءٌ عليه ؛ أي سقطت آرابه ؛ وهي أعضاؤه ، كما قالوا : تربت يمينه ، وليس على معنى الدعاء ، بل على عادة العرب في استعمال هذه الألفاظ ، وانظر « إرشاد الساري » (٣/ ٣ـ٤) .

(٣) يعني : دعِ الراحلةَ تمشي بك إلى منزلك ؛ إذ لم تبقَ لك حاجةٌ فيما قصدته .

(٤) ورواه البخاري (١٣٩٦) ، (٥٩٨٣) ، ومسلم (١٣/ ١٣) .

(٥) ورواه البخاري (٥٢٧) ، ومسلم (٨٥/ ١٣٩) .

عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يونسُ بن حبيب ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا شعبةُ ، عن عبيدِ الله بن أبي بكرٍ[1] ، عن أنسٍ قال : سُئِلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن الكبائرِ ، فقال « **الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ** » ، أو قالَ : « **قَوْلُ الزُّورِ** »[2]

٢٦٠ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ ، حدثنا عبدُ الله بن وهْبٍ ، أخبرنا سليمانُ بن بلال ، عن ثورِ بن زيد ، عن أبي الغيثِ ، عن أبي هريرةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** » ، قيل : يا رسولَ الله ؛ وما هنَّ ؟ قال : « **الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ** »[3]

٢٦١ـ أخبرَنا أبو طاهرٍ الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السلميُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن همَّام بن مُنَبِّهٍ ، عن أبي هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لا يَسْرِقُ سَارِقٌ وَهُوَ حِينَ يَسْرِقُ مُؤْمِنٌ ، وَلا يَزْنِي زَانٍ وَهُوَ حِينَ يَزْنِي مُؤْمِنٌ ، وَلا يَشْرَبُ الْحُدُودَ أَحَدُكُمْ** ـ يعني : الخمرَ ـ **وَهُوَ حِينَ يَشْرَبُهَا مُؤْمِنٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لا يَنْتَهِبُ أَحَدُكُمْ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ أَعْيُنَهُمْ فِيهَا وَهُوَ حِينَ يَنْتَهِبُهَا مُؤْمِنٌ ، وَلا يَغِلُّ أَحَدُكُمْ حِينَ يَغِلُّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ؛ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاكُمْ** »[4]

---

(١) في (ب ، د ، هـ ، و) : (عبد) بدل (عبيد) ، والمثبت من (أ) ، وهو الصواب .

(٢) ورواه البخاري (٢٦٥٣) ، ومسلم (٨٨/ ١٤٤)

(٣) ورواه البخاري (٢٧٦٦) ، ومسلم (٨٩/ ١٤٥) .

(٤) ورواه البخاري (٢٤٧٥) من وجه آخر عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (٥٧/ ١٠٣) .

قال الشيخ رضي الله عنه :

وإنَّما أراد ـ والله أعلم ـ : أنَّ هذه الأفعالَ ليست مِنْ أفعالِ مَنْ يكون مُؤمناً مستكملَ الإيمان .

وكان الزهريُّ يقول : مِنَ الله القولُ ، وعلى الرسولِ البلاغُ ، وعلينا التسليمُ[(١)]

قال الزهريُّ : وكانوا [يجرونَ][(٢)] الأحاديثَ عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كما جاءت ؛ تعظيماً لحرمات الله ، ولا يعدُّون الذنوب شركاً ولا كفراً[(٣)] .

٢٦٢ـ أخبرَنا أبو الفتح محمدُ بن أحمدَ بن أبي الفوارسِ الحافظُ ببغدادَ ، أخبرنا أحمدُ بن يوسفَ ـ يعني : ابن خلاَّد ـ النصيبيُّ ، حدثنا الحارثُ بن محمد ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عليِّ بنُ الصواف ، حدثنا محمدُ بنُ يحيى المروزيُّ قالا : حدثنا عاصمُ بن عليٍّ ، حدثنا عاصمُ بن محمد ، عن واقدِ بن محمد قال : سمعتُ أبي وهو يقول : قال عبدُ الله ـ يعني : ابنَ عمر ـ : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في حجَّة الوداع : « **أَلا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟** » قالوا : شهرُنا هذا ، قال : « **أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً ؟** » قالوا : بلدُنا هذا ، قال : « **أَتَعْلَمُونَ أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمُ ؟** » قالوا : يومُنا هذا ، قال : « **فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**

---

(١) رواه البخاري معلَّقاً بصيغة الجزم (٩/ ١٥٤) ، وأسنده الحافظ ابن حجر في « تغليق التعليق » (٥/ ٣٦٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (١٨٦) ،وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ٣٦٩) .

(٢) في جميع النسخ دون استثناء : (يجردون) بدل (يجرون) ، وإنما وقع المثبت في هامش (د) لا على أنه نسخة ، بل كُتب فوقها (ظ) ، بمعنى : (الظاهر : يجرون) ، وهي نسخة العلامة الغماري ، وقد أشار لهذا الظاهر بعلامة ، والرواية في مطبوع « السنة » للالكائي : (يحدثون بالأحاديث . . .) ، وهي أقرب لرسم (يجردون) ، والله أعلم .

(٣) رواه اللالكائي في « السنة » (١٧٩٧)

دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إلا بِحَقِّهَا ؛ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » ثلاثاً ، كلُّ ذلك يجيبونه : ألا نعم[1]

٢٦٣ـ أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا حاجبُ بن أحمدَ ، حدثنا عبدُ الرحيم ابن مُنيب ، حدثنا جريرٌ ، أخبرنا سهيلٌ ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ في آخرين قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ ، أخبرنا الشافعيُّ ، أخبرنا ابن عيينةَ ، عن سهيلِ بن أبي صالح ، عن عطاءِ بن يزيدَ الليثيِّ ، عن تميمٍ الداريِّ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ ؛ لِلهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِنَبِيِّهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَامَّتِهِمْ »[2]

٢٦٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ في آخرين قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا العباس بن الوليد بن مَزْيَدٍ ، أخبرنا محمدُ بن شُعيب ، أخبرنا عُتبةُ بن أبي حكيمٍ الهمْدانيُّ ، حدثني عمرُو بن جاريةَ اللخميُّ ، عن أبي أُميَّةَ الشَّعْبانيِّ قال : أتيتُ أبا ثعلبةَ الخُشَنيَّ فقلتُ : كيف تصنعُ بهذه الآية ؟ قال : أَيَّةُ آيةٍ ؟ قال : قلتُ : قولُه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] قال : أمَا واللهِ ؛ لقد سألتَ عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فقال : « بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحّاً مُطَاعاً ، وَهَوىً مُتَّبَعاً ، وَدُنيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، وَرَأَيْتَ أَمْراً لا يَدَانِ لَكَ بِهِ . فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكَ أَيَّاماً الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ كَأَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ »[3]

---

(١) ورواه البخاري (١٧٤٢ ، ٦٧٨٥) ، ومسلم (٦٦/ ١١٩) مختصراً

(٢) ورواه مسلم (٥٥/ ٩٥) ، والمصنف في « معرفة السنن والآثار » (٤٥٧)

(٣) ورواه أبو داود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) وحسَّنه ، وابن ماجه (٤٠١٤) .

باب

العلم الخاص الذي لم تكلفه العامة وكلف على ذلك من فيه الكفاية للقيام به (١)

قال الشيخُ :

وأمَّا ما ينوب العبادَ مِنْ فروعِ الفرائضِ ، وما يخصُّ مِنَ الأحكام وغيرها ؛ ممَّا ليس فيه نصُّ كتاب ، ولا في أكثره نصُّ سنةٍ ، وإنْ كانت في شيء منه سنةٌ . . فإنَّما هي مِنْ أخبار الخاصَّة ، وما كان منه يحتملُ التأويل ، ويستدركُ قياساً . .

فقد قال الشافعيُّ رحمه الله : (هذه درجةٌ مِنَ العلم ليس تبلغُها العامَّةُ ، وإذا قام بها مِنْ خاصَّتِهم مَنْ فيه الكفايةُ . . لم يَحْرَجْ غيرُهُ ممَّن تركَها إن شاء الله)(٢)

واحتجَّ في ذلك بقولِ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] ، وجعل مثالَ ذلك : الجهادَ في سبيل الله ، والصلاةَ على الجنازة ودفنَها ، وردَّ السلام ، وغيرَ ذلك مِنْ فرائض الكفايات ، وهو فيما :

---

(١) هذا العنوان لائقٌ بالقطعة الآتية ، وهو من كلام الإمام البيهقي في كتابه « المدخل » ، وتحته بحثٌ فيما ذكره هنا ، وفيه بيانُ فروض الكفاية ، وفيه إلماعٌ إلى الردِّ على الذين يدرجون مسائلَ الخلاف الفقهي فيما يجب على العامة معرفةُ دليله من الكتاب والسنة ، وهذا ما لا سبيلَ لهم إليه ، بل حقُّهم كما سيذكر المصنف تقليدُ أهل الاجتهاد ، وقال الإمام الشافعي في « الرسالة » (ص ٣٦٧) : (ولم يزل المسلمون على ما وصفت ، منذ بعث الله نبيه فيما بلغنا إلى اليوم ؛ يتفقَّهُ أقلُّهم ، ويشهد الجنائز بعضُهم ، ويجاهد ويردُّ السلام بعضُهم ، ويتخلَّفُ عن ذلك غيرُهم ، فيعرفون الفضلَ لمن قام بالفقه والجهاد وحضور الجنائز وردِّ السلام ، ولا يؤثِّمون من قصَّر عن ذلك) .

(٢) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي (ص ٣٥٧) .

٢٦٥ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس ، أخبرنا الربيعُ ، عن الشافعيِّ ، فذكره[١]

قال الشيخُ :

وإذا عرفَ العبدُ ما تُعبِّدَ به . . فحقٌّ عليه أن يطلبَ موافقةَ الأمر فيما تَعبَّدَهُ به ، ويُخلِصَ له النيةَ فيما يعملُهُ مِنَ العبادات ويدعُهُ مِنَ المنكرات ؛ حتى يكونَ مطيعاً للآمرِ ، ممتثلاً للأمْرِ ؛ قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وإلى رَسُولِهِ . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ** » .

٢٦٦ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أحمدُ بن سلمانَ الفقيهُ ، حدثنا الحسنُ بن مُكْرَمٍ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، أخبرنا يحيى بنُ سعيد ، أنَّ محمدَ بنَ إبراهيمَ أخبره : أنَّهُ سمع علقمةَ بنَ وقاصٍ يقول : سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** . . . » فذكره[٢]

* * *

---

(١) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي (ص ٣٦٢) ، و« معرفة السنن والآثار » (١٧٧٠٦) .

(٢) ورواه البخاري (١) وأطرافه ، ومسلم (١٩٠٧/ ١٥٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٠) ، ومشهور أطراف هذا الحديث في « الصحيحين » إفراد (النيَّات) ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١/ ٥٢) : (وجمعت النية في هذه الرواية باعتبار تنوُّعِها ؛ لأن المصدر لا يجمعُ إلا باعتبار تنوُّعِهِ ، أو باعتبار مقاصد الناوي) .

باب
القول في إثبات نبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم

وهو : أبو القاسم ؛ محمَّدُ بنُ عبد الله بنِ عبد المطَّلب بنِ هاشم بنِ عبد مَناف ابنِ قُصيٍّ بنِ كِلاب بنِ مُرَّةَ بنِ كعبٍ[١]

سمَّاه الله محمَّداً وأحمدَ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وسمَّاه أسماءَ أُخَرَ ، ذكرناها في كتاب « الدلائل »[٢]

ودلائلُ النبوَّة كثيرةٌ ، والأخبارُ بظهور المعجزات ناطقةٌ ، وهي وإن كانت في آحاد أعيانِها غيرَ متواترةٍ . . ففي جنسها متواترةٌ متظاهرةٌ مِنْ طريق المعنى[٣] ؛ لأنَّ كلَّ شيء منها مُشاكلٌ لصاحبه ؛ في أنَّه أمرٌ مُزعج للخواطر ، ناقضٌ للعادات ، وهذا أحدُ وجوه التواترِ الذي يَثبتُ به الحجَّة ، وينقطعُ به العذر ، وقد جمعناها في كتاب مع بيانِ ما جرى عليه أحوالُ صاحب المعجزة أيامَ حياتِهِ صلَّى الله عليه

---

(١) أورد البخاري النسبَ الشريف في « صحيحه » (٥/ ٤٤) ، وهو بتمامه : (محمدُ بن عبد الله بن عبد المطَّلب بن هاشم بن عبد مَناف بن قُصيٍّ بن كِلاب بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزيمةَ بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان) ، وما كان فوق فِهر ـ واسمه قريش ـ فليس بقرشيٍّ ، بل كناني ، وفي « فتح الباري » (٧/ ١٦٣) بيان معاني أسمائهم وألقابهم .

(٢) دلائل النبوة (١/ ١٥١) ، وانظر « شعب الإيمان » للمصنف (٢/ ٥٢٣) ، ومن أشهرها ما ختم به الإمام مالك « موطأه » (٢/ ١٠٠٤) ، ورواه البخاري (٣٥٣٢) ، ومسلم (٢٣٥٤/ ١٢٤) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « لي خمسةُ أسماءٍ : أنا محمَّدٌ ، وأنا أحمدُ ، وأنا الماحي الذي يمحو اللهُ بي الكفرَ ، وأنا الحاشرُ الذي يحشرُ الناسُ على قدمي ، وأنا العاقبُ » .

(٣) انظر « نظم المتناثر » (ص ٢١٤) .

وسلَّم في خمسين جزءاً[١] ، ونحن نشير ها هنا إن شاء الله مِنْ معجزاته ودلائل نبوته إلى ما يليق بهذا الكتاب على طريق الاختصار

فمِنْ دلائل نبوَّته التي استدلَّ بها أهلُ الكتاب على صحة نبوَّتِهِ[٢] : ما وجدوا في التوراة والإنجيل وسائرِ كتب الله المنزلةِ مِنْ ذِكْرِهِ ونعته ، وخروجِهِ بأرض العرب ، وإن كان كثيرٌ منهم قد حرَّفوها عن مواضعِها .

٢٦٧ـ أخبرَنا أبو الحسين محمدُ بن الحسين بن الفضل القطانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو صالح ، حدثني الليثُ ، حدثني خالدُ بن يزيدَ ، عن سعيدِ بن أبي هلالٍ ، عن هلالِ بن أسامةَ ، عن عطاءِ ابن يَسار ، **عن ابن سَلامٍ** أنَّهُ كان يقول : إنَّا لنجدُ صفةَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرزاً للأميِّينَ ، أنت عبدي ورسولي ، سميتُهُ المتوكِّلَ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئةِ مثلَها ؛ ولكن يعفو ويتجاوزُ ، ولن أقبضَهُ حتى يقيمَ الملةَ المتعوِّجةَ ؛ بأن يُشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، يفتحُ بهِ أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلفاً) .

قال عطاءُ بن يسار : وأخبرني الليثيُّ : أنَّهُ سمع **كعبَ الأحبارِ** يقول مثلَ ما قال عبدُ الله بن سَلامٍ[٣]

فهذان عالمانِ مِنْ أهل الكتاب شهدا ببعضِ ما وجدا في كتبهم مِنْ صفة محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولهذا شواهدُ عنهما وعن غيرهما ، ذكرناها في كتاب « الدلائل »[٤]

---

(١) أراد المصنف : كتابَهُ العظيم « دلائل النبوة » .

(٢) وهي دلائلُ تُلحقُ بالدلائل السمعيّة ، المستندة إلى النبوّات قبلَهُ عليه الصلاة والسلام الثابتة بالمعجزات .

(٣) ورواه البخاري (٢١٢٥) معلقاً بصيغة الجزم ، والدارمي (٦)

(٤) دلائل النبوة (١/ ٣٧٣) ، ومن شواهد المعنى : ما رواه الدارمي (٥) عن كعب الأحبار قال : (نجد مكتوباً : محمدٌ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا فظٌ ولا غليظٌ ، =

وروينا عن زيدِ بن عمرو بن نُفيلٍ أنَّهُ خرج يبتغي الدِّينَ ، حتى أتى على شيخٍ بالجزيرةِ ، فأخبرَهُ بالذي خرجَ له ، فقال : ممَّنْ أنتَ ؟ قال : مِنْ أهل بيتِ الله ، قال : فإنَّهُ قد خرج في بلدِكَ نبيٌّ ، أو هو خارجٌ قد طلع نجمُهُ ؛ فارجعْ فصدقْهُ وآمنْ به[1]

وروينا معناهُ في حديث سلمان الفارسيِّ ، وغيره[2]

ومِنْ دلائلِهِ[3] : ما حدثَ بين يدي أيام مولدِهِ ومبعثِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ مِنَ الأمور الغريبة ، والأكوان العجيبة ؛ القادحةِ في سلطان أئمة الكفر ، المُوهنَةِ لكلمتهم[4] ، المؤيدةِ لشأن العرب ، المنوِّهةِ بذكرهم ؛ كأمْرِ الفيل ، وما أحلَّ الله بحزبِهِ مِنَ العقوبة والنكال[5]

ومنها : خمودُ نار فارسَ ، وسقوطُ شرفاتِ إيوان كسرى ، وغيضُ ماء بحيرة ساوةَ ، ورؤيا المُوبَذان[6] ، وغير ذلك .

= ولا صخَّابٌ بالأسواق ، ولا يجزي بالسيئةِ السيئةَ ، ولكن يعفو ويغفر ، وأمَّتُهُ الحمَّادون ، يكبِّرونَ اللهَ عزَّ وجلَّ على كلِّ نجدٍ ، ويحمدونَهُ في كلِّ منزلة ، يتأزَّرونَ على أنصافِهم ، ويتوضَّؤون على أطرافِهم ، مناديهم ينادي في جوِّ السماءِ ، صفُّهم في القتالِ وصفُّهم في الصلاة سواءٌ ، لهم بالليلِ دويٌّ كدويِّ النحلِ ، مولدُهُ بمكَّةَ ، ومهاجَرُهُ بطيبةَ ، وملكُهُ بالشام) .

(١) أورد البخاري (٣٨٢٦) قصة خروجه للبحث عن الدين من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨١٣٢) من حديث سيدنا زيد بن حارثة رضي الله عنه ، والمؤلف في « دلائل النبوة » (٢/ ١٢٦) .

(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٤٤١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٩٢)

(٣) وهي المسمَّاة بالإرهاصات ؛ أي : خوارق العادات قبل ثبوت النبوات ، كأنها تؤذنُ بحلول أمر عظيم ، كأمارات يوم القيامة الكبرى المؤذنة بوقوعها

(٤) الموهنة : المُضعِفة ، وفي (ب) : (الموهية) ، والوهي والوهن هنا بمعنىً .

(٥) انظر « تفسير القرطبي » (٢٠/ ١٩٥) ، و« تفسير ابن كثير » (٨/ ٤٥٨)

(٦) وهي : أنه رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم إبلاً صعاباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها ، فقال له كسرى : أي شيء يكون هذا يا موبذان ؟ قال : حدثٌ يكون من ناحية العرب ، وانظر ما ذكر في « دلائل النبوة » للمصنف (١/ ١٢٦) ، و« شرح الزرقاني على المواهب اللدنية » (٦/ ٤٢٠) .

ومنها : ما سمعوهُ مِنَ الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه ، والرموز المتضمِّنة لبيان شأنه[1]

ومنها : انتكاسُ الأصنام المعبودة ، وخرورُها لوجهِها مِنْ غير دافعٍ لها عن أمكنتها يُرى أو يظهرُ .

إلى سائر ما رُويَ ونُقل في الأخبار المشهورة مِنْ ظهور العجائبِ في ولادتِهِ ، وأيام حضانته وبعدها ، إلى أنْ بُعثَ نبياً ، وبعد ما بُعثَ ، وهي في كتاب « الدلائل » مذكورةٌ يتبعُ بعضُها بعضاً[2]

قال الشيخُ أبو سليمانَ الخطابيُّ رحمه الله ـ فيما قرأتُ مِنْ كتابه ـ :

ومِنْ دلائل نبوتِهِ : أنه وُجِدَ في بَدْءِ أمره يتيماً ضعيفاً ، عائلاً فقيراً ، ليس له مالٌ يستميلُ به القلوب ، ولا له قوةٌ يقهرُ بها الرجال ، ولا كان في إرث ملكٍ فتثوبَ إليه الآمالُ طمعاً في دَرَكِ الحال المتقدِّمة ، وعودِ الملك الموروث ، ولا كان له أنصارٌ وأعوانٌ يطابقونَهُ على الرأي الذي أظهرَهُ ، والدِّينِ الذي دعا إليه .

فخرجَ على هذا مِنَ الحال إلى العرب قاطبةً ، وإلى الشعوب والقبائل كافةً ، وحيداً طريداً ، مهجوراً محقوراً ، وهم مجمعون على عبادة الأصنام ، وتعظيم الأزلام ، مقيمون على عبادة الجاهليَّة ، في الحميَّةِ والعصبيَّةِ[3] ، والتعادي

---

(١) قال العلامة الزرقاني في « شرح المواهب » (٦/ ٤٢١) : (الهواتف : جمع هاتف ؛ من الهتف ؛ وهو الصوتُ العالي مطلقاً ، ثم خُصَّ بصوتٍ يُسمعُ ممَّن لا يُرى شخصُهُ ، ولذا خُصَّ عند العرب بالجنِّ الصارخة بنعوته وأوصافه) ، وذلك كخبر سواد بن قارب الذي رواه البخاري في « صحيحه » (٣٨٦٦) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما دون التصريح باسمه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٩٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٦٠٨) عن محمد بن كعب القرظي ، وانظر كتابَيْ « هواتف الجِنَّان » للحافظين : ابن أبي الدنيا ، والخرائطي .

(٢) دلائل النبوة (١/ ٨٠) وما بعدها ، وانظر « دلائل النبوة » لأبي نعيم (٧٦) وما بعده

(٣) في (أ ، ب) : (العَصَبَة) ، وكذا وقع نقلها في « المواهب اللدنية » (٢/ ٢٣٩) مع =

والتباغي ، وسفك الدماء ، وشنِّ الغارات ، واستباحةِ الحريم ، لا يجمعُهم أُلفةُ دينٍ ، ولا تمنعُهم دعوةُ إمامٍ ، ولا تكفُّهُم طاعةُ ملك ، ولا يحجزُهم عن سوء أفعالهم نظرٌ في عاقبةٍ ، ولا خوفُ عقوبةٍ أو لائمةٍ[١]

فألَّفَ قلوبَها ، وجمع كلمتَها[٢] ، حتى اتفقتِ الآراء ، وتناصرتِ القلوب ، وترافدتِ الأيدي ، وصاروا إلْباً واحداً في نصرته[٣] ، وعنقاً واحداً إلى طاعته ، وهجروا بلادَهم وأوطانهم ، وجَفَوا قومهم وعشائرَهم في محبَّتِهِ ، ونبذوا الأصنامَ المعبودة ، وتركوا السِّفاحَ وكان مُفْضَى شهواتِهم[٤] ، وشربَ الخمر وكان وَفْقَ طباعِهم ، والربا وكان معظمَ أموالهم ، وبذلوا مُهجَهم وأرواحهم في نصرته ، ونصبوا وجوهَهم لوقع السيوف بها في إعزاز كلمتِهِ ، بلا دنيا بسطَها لهم ، ولا أموالٍ أفاضَها عليهم ، ولا عِوَضٍ في العاجل أطمعَهم في نيلِهِ ؛ مِنْ مالٍ يحوزونَهُ ، أو مُلْكٍ وشرفٍ في الدنيا يُحرزونَهُ ؛ بل كان مِنْ شأنه أن يجعلَ المَلِكَ منهم سُوقةً ؛ والغنيَّ فقيراً[٥] ، والشريفَ أُسوةَ الوضيع .

= تقديمها على (الحمية) .

(١) وهذا ما لخَّصه سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ـ فيما رواه ابنُ خزيمة في « صحيحه » (٢٢٦٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ١١٥) ـ للنجاشي : (أيُّها الملك ؛ كنَّا قوماً أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القويُّ منَّا الضعيف)

(٢) قال المنعم المتفضِّل سبحانه : ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، فهو عليه الصلاة والسلام النعمةُ العظمى والرحمة المهداة التي كانت سبباً في أُلفة القلوب المتنافرة ، والنفوس المتناحرة ، كما روى الطبري في « تفسيره » (٧/ ٨٧) عن ابن إسحاق قوله : (ألَّفَ بينهم برسولِهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم) .

(٣) الإلْب ـ بفتح الهمزة وكسرِها ـ : الجمعُ الكثير من الناس ، وكذا العنق فيما سيأتي

(٤) المُفْضَى : المُتَّسَعُ ؛ يعني : الذي يرتاحون إليه في نيل شهواتهم هنا .

(٥) بإنفاق المال في القربات ، أو التشبُّه بزيِّهم تواضعاً وإنكساراً للحقِّ تعالى .

فهل تلتئمُ مثلُ هذه الأمور أو يتَّفقُ مجموعُها لأحدٍ هذا سبيلُهُ مِنْ قِبَلِ الاختيار العقليِّ، أو التدبير الفكريِّ، أو مِنْ جهةِ الاجتهاد ، أو مِنْ باب الكون والاتِّفاق؟!

لا والذي بعثَهُ بالحقِّ ، وسخَّر له هذه الأمور ؛ ما يرتابُ عاقلٌ في شيء مِنْ ذلك ، وإنَّما هو أمرٌ إلهيٌّ ، وشيء غالبٌ سماويٌّ ، ناقضٌ للعادات ، يَعجزُ عن بلوغِهِ قُوى البشر ، ولا يقدرُ عليه إلا مَنْ له الخَلْقُ والأمرُ ، تباركَ الله ربُّ العالمين.

قال : وقد انتظم جملةَ ما ذكرناه في هذا الفصل قولُهُ سبحانه[1] : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

قال : ومِنْ دلائل نبوَّتِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم : أنَّهُ كان رجلاً أمياً ؛ لا يخطُّ كتاباً بيده ولا يقرؤُهُ ، وُلد في قومٍ أميِّينَ[2] ، ونشأَ بين ظهرانيهم في بلدٍ ليس بها عالمٌ يعرفُ أخبار المتقدِّمين ، وليس فيهم منجِّمٌ يتعاطى علمَ الكوائن ، ولا مهندسٌ يعرفُ التقدير ، ولا فيلسوفٌ يبصرُ الطبائع ، ولا متكلِّمٌ يتهدَّى لرسومِ الجدل[3] ، ووجوهِ المحاجَّة والمناظرة ، والاستدلالِ بالحاضرِ على

---

(١) انتظم : جَمَعَ ، ولذلكَ عُدِّيَ ؛ والمعنى : جمع قولُهُ تعالى المذكور ما في هذا الفصل .

(٢) إذ قال وليُّه ومولاه سبحانه : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٨] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة : ٢] ، والأمِّيَّة له وصفُ كمال ، ولذا أورد القاضي في « الشفا » (ص ٧٩٩) عن الإمام القابسي في شابٍّ معروف بالخير قال لرجل شيئاً ، فقال له الرجل : اسكتْ ؛ فإنك أميٌّ ، فقال الشابُّ أليس كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم أمياً ؟! فشنَّع عليه مقاله وكفَّره الناسُ ، وأشفق الشابُّ ممَّا قال ، وأظهر الندمَ عليه ، فقال أبو الحسن : أما إطلاقُ الكفر عليه . . فخطأٌ ، لكنه مخطئٌ في استشهاده بصفة النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكونُ النبيِّ أمياً آيةٌ له ، وكونُ هذا أمياً نقيصةٌ فيه وجهالة ، ومن جهالته : احتجاجُهُ بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنَّه إذا استغفرَ وتاب ، واعترف ولجأ إلى الله . . فيتركُ ؛ لأنَّ قوله لا ينتهي إلى حدِّ القتل . انتهى

(٣) كذا في (أ ، ب ، ج) : (يتهدَّىٰ) ، وفي سائر النسخ : (يهتدي) .

الغائب ، ولم يخرجْ في سفرٍ ضارباً إلى عالِمٍ فيعكفَ عليه ويأخذَ منه هذه العلومَ .

وكلُّ هذا معلومٌ عند أهل بلدِهِ ، مشهورٌ عند ذوي المعرفة والخبرة بشأنِهِ ، يعرفُهُ العالمُ والجاهل ، والخاصُّ والعامُّ منهم ، فجاءَهم بأخبار التوراة والإنجيلِ والأمم الماضيةِ ، وقد كان ذهبَ معالمُ تلك الكتب ، ودرسَتْ وحرِّفتْ عن مواضعِها ، ولم يبقَ مِنَ المتمسِّكين بها وأهلِ المعرفة بصحيحِها مِنْ سقيمِها إلا القليلُ ، ثمَّ حاجَّ كلَّ فريق مِنْ أهل الملل المخالفة بما لو احتشدَ له حُذَّاقُ المتكلِّمين وجهابذةُ المحصِّلينَ . . لم يتهيَّأْ لهم نقضُ شيء منه ! فكان ذلك مِنْ أدلِّ شيءٍ على أنَّهُ أمرٌ جاءَهُ مِنْ عند اللهِ عزَّ وجلَّ .

وهذا هو معنى قولِ الله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] ففيه إشارةٌ إلى ما اقتصصنا مِنْ حاله ، ووصفنا مِنْ أمره ؛ في أنَّهُ أميٌّ لا يكتبُ ولا يقرأ ، ولم يُعرفْ بدرْسِ الكتب وطلب الأخبار ، وإنَّما هو شيءٌ أنزلَهُ الله عليه ، فهو يتلوهُ عليهم ، وكفى به دلالةً على صحَّة أمرِهِ ، وصدقِ دعواه .

ومن دلائل نبوَّته وصدقه فيما جاءَ به مِنْ عند الله سبحانه مِنَ القرآن العظيم : أنَّهُ تحدَّى الخلقَ بما في القرآن مِنَ الإعجاز ، ودعاهم إلى معارضتِهِ ، والإتيانِ بسورةٍ مثلِهِ ، فنكلوا عنه ، وعجَزوا عن الإتيان بشيءٍ منه .

واختلف أهلُ العلم في إعجازِ القرآن[١] :

منهم مَنْ قالَ : إعجازُهُ مِنْ جهة البلاغةِ ، وحسنِ اللفظ ، دون النظم[٢]

---

(١) وللإمام الخطابي رسالة مفردة في بيان إعجاز القرآن الكريم .

(٢) قال العلامة الجرجاني في « دلائل الإعجاز » (ص ٨١) : (اعلم : أن ليسَ النظمُ إلا أن تضعَ كلامَكَ الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو ، وتعملَ على قوانينه وأصوله ، وتعرفَ مناهجَهُ التي نهجت ، فلا تزيغَ عنها ، وتحفظَ الرسومَ التي رُسِمَتْ لك ، فلا تُخلَّ بشيءٍ منها) ، ونظمُ =

ومنهم مَنْ قالَ : بل إعجازُهُ في نظمِهِ دون لفظه ؛ فإنَّ العربَ قد تكلَّمَتْ بألفاظه .

ومنهم مَنْ قالَ : إعجازُهُ في إخباره عن الحوادث ، وإنذارِهِ بالكوائن في مستقبل الزمان ، ووقوعِها على الصفةِ التي أنبأَ عنها .

ومنهم مَنْ قالَ : إعجازُهُ في أن اللهَ سبحانه أعجزَ الناس عن الإتيان بمثلِهِ ، وصرفَ الهمم عن معارضته ، مع وقوعِ التحدِّي ، وتوفُّرِ الدواعي إليه ؛ لتكونَ آيةً للنبوَّة ، وعلامةً لصدقِهِ في دعواه .

وقد ذهب بعضُ العلماء : إلى إثبات الإعجازِ للقرآن مِنْ جميعِ هذه الوجوهِ .

ولا معنى لقول مَنْ زعم أن لا إعجازَ في لفظِهِ ؛ لأنَّ ألفاظه مستعملةٌ في كلام العرب ، ومتداولةٌ في خطابِها ؛ لأنَّ البلاغةَ ليسَتْ في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ حسبُ ، دونَ أن تكونَ هذه الأوضاع معتبرةً بمَحالِّها ومواضعِها المُصرَّفة إليها ، والمستعملةِ فيها[1] .

قال الشيخُ أبو سليمانَ رحمه الله :

وبيانُ ذلك : أنَّ العربَ قد تعرفُ لفظ الصدعِ في لغتها ، وتتكلمُ به في خطابها ، ثم إنَّك لا تجدُهُ مستعملاً لهم في مثل قوله : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر : ٩٤] .

= القرآن إلى ذلك يضمُّ البلاغةَ وتصاريفَ الكلام بتحقيق دقائق المعاني بما لا تعرفه ولم تألفه العرب قبلاً ؛ فلا هو شعر ولا سجع ولا نثر ، وهو إلى ذلك لسانٌ عربيٌّ مبين .

(١) وهذا سببُ دَهَشِهم ؛ إذ سمعوا كلاماً عربياً هو كلامُهم وهم عاجزون عن الإتيان بمثله ! وقد قال القاضي في « إعجاز القرآن » (ص ٣٠٣) : (حيَّرهم فيه ؛ إذ كان من جنس القولِ الذي زعموا أنَّهم أدركوا فيه النهاية ، وبلغوا فيه الغاية ، فعرفوا عجزَهم ، كما عرف قومُ عيسى نقصانَهم فيما قدروا من بلوغ أقصى الممكن في العلاج ، والوصولِ إلى أعلى مراتبِ الطبِّ ، فجاءَهم بما بهرَهم ؛ من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وكما أتى موسى بالعصا التي تلقَّفَتْ ما دقَّقوا فيه من سحرِهم ، وأتت على ما أجمعوا عليه من أمرهم ، وكما سخر لسليمانَ الريحَ والطير والجنَّ) .

وتستعملُ اسمَ الضرب ، ثم لا تجدُهُ لهم مستعملاً في مثل قوله : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف : ١١] .

وكذلك لفظُ النبذِ ، ثم لا تجدُهُ لهم في مثلِ قوله تعالى : ﴿ فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

إلى ما يَجمعُ هذا الكلامُ : مِنَ الوجازة والاختصار ، وحذف المقتضىٰ ، وإعمالِ الضمير ، والاقتصارِ على الوحي المفهِمِ .

وكقولِهِ تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس : ٣٧] فإنَّ حقيقته : نُخْرِجُ منه النهار ، إلا أن مواضعَ البلاغة ها هنا في السلْخِ أنَّهُ إخراجُ الشيء ممَّا لابسَهُ ، وعسرَ انتزاعه منه ؛ لالتحامِهِ به ، وذلك قياسُ الليل ومثاله .

وكقولِهِ جلَّ وعزَّ : ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج : ٥٥] أي : يومٍ لا يُعقِبُ للمعذَّبينَ غداً ، ولا يُنتجُ لهم خيراً .

قال : وقد استحسنَ الناسُ في الإيجاز قولَهم : (القَتْلُ أنْفَى للقَتْلِ) ، وبينه وبين قولِ الله سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة : ١٧٩] تفاوتٌ في البلاغة والإيجاز[(١)] ، **وبيانُ ذلك** : أنَّ في هذا الكلامِ كلَّ ما في قولهم : (القَتْلُ أنفى للقَتْلِ) وزيادةَ معانٍ ليست فيه :

منها : الإبانةُ عن الفِدَاء لذكر القصاصِ .

ومنها : الإبانةُ عن الغَرَضِ المرغوبِ فيه لذكر الحياةِ .

ومنها : بُعدُهُ عن التكلُّفِ ، وسلامتُهُ مِنْ تكرار اللفظِ الذي فيه على النفس مشقةٌ ، وعلى السمع مؤونةٌ .

---

(١) قال الإمام السيوطي في « معترك الأقران » (١/ ٢٢٧) : (قد أشار ابنُ الأثير إلى إنكار هذا التفضيل ، وقال : **لا تشبيهَ بين كلام الخالق وكلامِ المخلوق** ، وإنَّما العلماءُ يقدحون أفهامَهم فيما يظهرُ لهم من ذلك) ، ثم ذكرَ عشرين وجهاً في ترجيح بلاغة قوله تعالى : ﴿ ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ على هذه الجملة التي انماث ذكرُها بنزول هذه الآية الكريمة .

قال الشيخ : وقوله : ﴿ ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] أوجزُ في العبارةِ ؛ فإنَّهُ عشَرَةُ أحرفٍ ، وقول مَنْ قال : (القَتْلُ أنْفَى للقَتْلِ) أربعةَ عشرَ حرفاً .

قال : وإذا تأمَّلت هذه المعانيَ وتتبَّعتَها منه . . كَثُرَ وجودُكَ لها ، وإنَّما ذكرنا هذا القدرَ ليكونَ مثالاً مرشداً إلى نظائره منه .

وأمَّا إعجازُهُ مِنْ جهة النظم فالمُعجِزُ منه نظمُ جنس الكلام الذي باينَ به القرآنُ سائرَ أصناف الكلام التي تكلَّمَتْ بها العرب ؛ فإنَّ أجناسَ كلام العرب التي تكلَّمَتْ بها خمسةٌ :

المنثورُ الذي تستعمله العربُ في محاورة بعضهم بعضاً

والشعرُ الموزونُ .

والخطبُ .

والرسائلُ .

والسجعُ .

وكلُّ نوع منها نمطُهُ غيرُ نمطِ صاحبه ، ونظمُ كلام القرآن مباينٌ لهذه الوجوه الخمسة مباينةً لا تخفى على مَنْ يسمعُهُ مِنْ عربيٍّ فصيحٍ ، أو ذي معرفةٍ بلسان العرب مِنْ غيرهم[1] ، حتى إذا سمعَهُ لم يلبثْ أن يشهدَ

---

(١) فلا عبرةَ بغيرهم ، ولذا قال العلامة الجرجاني في « الرسالة الشافية » الملحقة طباعةً بـ « دلائل الإعجاز » (ص ٥٧٥) : (**الأصلُ والقدوة فيه العربُ** ، ومن عداهم تبعٌ لهم ، وقاصرٌ فيه عنهم ، وأنَّهُ لا يجوزُ أن يُدَّعى للمتأخِّرين من الخطباء والبلغاء عن زمان النبيِّ صلى الله عليه وسلم الذي نزلَ فيه الوحي وكان فيه التحدِّي . . أنَّهم زادوا على أولئك الأولين ، أو كَملُوا في علم البلاغة أو تعاطيها لما لم يَكْمُلُوا له ، كيف ونحن نراهم يُخْمِلون عنهم أنفسَهم ، ويبرؤون من دعوى المداناة معهم ، فضلاً عن الزيادة عليهم ؟! هذا خالدُ بن صفوان يقول : كيف نجاريهم وإنَّما نحكيهم ؟! أم كيف نسابقُهم وإنَّما نجري على ما سبقَ إلينا من أعراقهم ؟!) .

بمخالفتِهِ لسائرِ هذه الأنواعِ مِنَ الكلام[1]

والحُجَّةُ إنَّما قامت على قريشٍ وسائر العرب بوقوفهم على ذلك مِنْ أمره ، وإنَّ هذا الفرقَ بينه وبين سائرِ الكلام هو موضعُ الحُجَّةِ ؛ وبذلك صار مُعجِزاً للخلقِ ، وقائماً مقامَ الحُجج التي بعثَ الله بها رسلَهُ ، واحتجَّ بها على الناس ؛ مثل فلقِ البحرِ ، وإحياء الموتى ، ومنع النار مِنَ الإحراق ؛ ولذلك قال سبحانه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ . . ﴾ إلى أنْ قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ . . . ﴾ [البقرة : ٢٣ـ ٢٤] الآيةَ .

قال : وقال بعضُ العلماء : إنَّ الذي أوردَهُ المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم على العرب مِنَ الكلام الذي أعجزَهُم عن الإتيان بمثلِهِ . . أعجبُ في الآية ، وأوضحُ في الدلالة ؛ مِنْ إحياء الموتى ، وإبراءِ الأكمه والأبرص ؛ لأنَّهُ أتى أهلَ البلاغة ، وأربابَ الفصاحة ، ورؤساءَ البيان ، والمتقدِّمينَ في اللسان . . بكلامٍ مفهوم المعنى عندهم ، فكان عجزُهم أعجبَ مِنْ عجزِ مَنْ شاهد المسيحَ عن إحياء الموتى[2] ؛ لأنَّهم لم يكونوا يطمعون فيه ، ولا في إبراءِ الأكمه والأبرص ، ولا يتعاطون علمَهُ[3] ، وقريشٌ كانت تتعاطى الكلامَ الفصيحَ ،

---

(١) وعبَّر عن هذا المعنى القاضي في « الشفا » (ص ٣٢٤) إذ قال : (الوجه الثاني من إعجازه : صورةُ نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب ، المخالفِ لأساليب كلام العرب ، ومناهجِ نظمِها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت مقاطعُ آيِهِ وانتهَتْ فواصلُ كلماته إليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرٌ له ، ولا استطاع أحدٌ مماثلةَ شيء منه ، بل حارَتْ فيه عقولُهم ، وتدلَّهَتْ دونه أحلامُهم ، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم ؛ من نثر ، أو نظم ، أو سجع ، أو رجز ، أو شعر) .

(٢) كذا في (أ ، ب ، و) ، وفي سائر النسخ : (من) بدل (عن) ، والجار متعلق بـ (عَجْز) .

(٣) الضمير في قوله : (لأنهم لم يكونوا . . .) عائدٌ على قوم سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كما لا يخفى ، وإنَّ ما ذُكرَ من المعجزات هو من جنس ما كانوا ادَّعَوا العلم به ، وشأنُ الطبِّ إلى يوم القيامة مهما عظُمَ . . لا يصلُ إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ؛ إذ من شرط المعجزة ألا تُعارَضَ من قبل منكري النبوَّة بمثلها إلى يوم القيامة .

والبلاغةَ والخطابة[1] ، فدلَّ أنَّ العجزَ عنه إنَّما كان لأن يصيرَ عَلَماً على رسالته ، وصحَّة نبوته ، وهذه حجةٌ قاطعة ، وبرهانٌ واضح .

فإن قيل : إنَّ وجهَ ما يظهرُ به بينونةُ القرآن مِنْ سائر أنواع الكلام : هو ما يقعُ مِنَ السجع في مقاطع الكلام ومنتهى الآيات ؛ نحو قوله : ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ [الطور : ١ ـ ٢] ، وقوله : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم : ١ ـ ٢] ، وقوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس : ١ـ٢] ، وما أشبه هذا مِنْ سور القرآن ، فالسجعُ في كلام العرب كثيرٌ ، غيرُ عديم ولا غريب ؛ فكيف جعلتم ذلك عَلَماً للإعجاز ؟[2]

قيل : ليس شيءٌ مِنْ هذا سجعاً ، وإنَّما هي فواصلُ تفصلُ بين الكلامين بحروف متشاكلةٍ في المقاطع ، تعين على حُسن إفهام المعاني ، والفواصلُ بلاغةٌ ، والسجعُ عيبٌ[3] ؛ وذلك أنَّ الفواصلَ تابعةٌ للمعاني ، وأمَّا الأسجاعُ فالمعاني تابعةٌ لها ، والسجع تكلُّفٌ ، وليس فيه شيءٌ أكثرَ مِنْ تأليف أواخرِ الكلام على نمطٍ ، وهو مأخوذٌ مِنْ سجع الحمامةِ ؛ وهو موالاتُها الصوتَ على

---

(١) حتى وصل بهم الأمر إلى أن سَمَّوا ما سواهم من الأمم بالأعاجم ، وجعلوا العُجْم قسيم العرب ، والأعجم : الذي لا يفصح ولا يبينُ في كلامه ، أو هو الأخرس ! فكأنَّهم انفردوا من بين الأمم بخصيصة الفصاحة والبيان ، ولمَّا ادَّعَوا أن قلوبهم في أكنَّة من الرسالة . . بُيِّنَ لهم أنهم خُوطبوا بلغتهم ، فقال سبحانه : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت : ٤٤] يعني : لو نزل بغير لغتهم يومئذٍ . . لصحَّتْ دعواهم تلك .

(٢) يعني : لا يمكنُ جعل السجع إعجازاً ؛ لأنَّ العرب مارسوه وعرفوه ، والمعجِزُ يجب أن يكون خارجاً عن قدرة من أقيمت عليه الحجة ، ومنشأُ هذه الشبهة : اعتقادُ كون كلام الله الذي يُتلى من أنواع كلام العرب الخمسة المتقدمة ، بل هو من جنس حروف لغتهم ، ومن مفرداتها ، وهو إلى هذا ليس كمثله كلام .

(٣) هذه عبارة العلامة الرُّماني (ت ٣٨٦ هـ) في « النُّكت في إعجاز القرآن » (ص ٩٧) ، وسياق المصنف كالتلخيص له هنا ، وممَّا قاله : (وفواصل القرآن كلُّها بلاغة وحكمة ؛ لأنَّها طريقٌ إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدلُّ بها عليها) .

نمطٍ لا يختلف ، فمَنْ شبَّهَ الفواصلَ التابعةَ لمعاني الكلام ، المفيدةَ حُسنَ الإفهام ، بالسجع الخالي عن المعنى المستتبِعِ له ، المتكلَّفِ على سبيل الاستكراه . . فقد ذهبَ عن الصواب ، وأخطأَ مذهبَ القياس[1]

وأمَّا مَنْ ذهب إلى أنَّ إعجازَهُ لما فيه مِنَ الأخبار الصادقةِ عن الأمور الكائنةِ : فوجهُهُ بَيِّنٌ ، وشواهدُهُ كثيرةٌ ؛ كقوله سبحانه : ﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم : ١ـ ٣] ، فكان الأمرُ كما نطقَ به القرآنُ ، فظهرت فارسُ على الروم ، فاغتمَّ المسلمون ، وسُرَّ به المشركون ، فوعدَ اللهُ المسلمين بظهور الرومِ على فارسَ في بضع سنين ؛ فظهروا عليها لتسعِ سنين ، وقيل : لسبعٍ ، وفرحَ المؤمنون بنُصرةِ[2] اللهِ أهلَ الكتاب[3]

وقال عزَّ وجلَّ في قصَّة بدرٍ : ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٧] ، فكان الأمرُ كما وعد مِنَ الظَّفَرِ بإحدى الطائفتين دون الأخرى[4] ؛ وهو أنَّهُ ظفرَ بالمشركين الذين خرجوا مِنْ مكةَ ببدر ، وانفلتَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ بالعِيرِ

---

(١) ونفيُ السجع عن القرآن من حيث النقلُ ثبتَ عن الذين قُرِّعوا به ، وعلى لسان الشارع عليه الصلاة والسلام؛ ففي خبر الوليد بن المغيرة كما رواه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (١/ ٢٣٢) لما قالوا: نقول: إنَّهُ كاهن، قال: ما هو بكاهنٍ ؛ لقد رأينا الكهَّان ، فما هو بزمزمةِ الكاهن ولا سجعِهِ) ، وروى مسلم (٣٦/١٦٨٢) في حديث دية الجنين قولَ رجل من أهل الجانية ـ امرأة ضربت ضرتها فقتلتها وهي حُبْلى ـ : أنغرمُ دية من لا أكل ، ولا شرب ولا استهل، فمثل ذلك يطل ؟! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أسجعٌ كسجعِ الأعراب ؟! » .

(٢) في (ج ، د ، هـ) : (نصر) .

(٣) وانظر « سنن الترمذي » (٣١٩٤) ، و« الدر المنثور » (٦/ ٤٨٠) ، ومن عجيب هذا الخبر : أن قامرَ لأجله المشركون سيدَنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لما عرفوا من وهنِ الروم وبأسِ فارسَ يومَها ، ولكن الله غالبٌ على أمره

(٤) وخبرُ غزوة بدر الكبرى رواه مسلم (١٤٥/١٩٠١) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، =

٢٦٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكر أحمدُ بن سلمانَ الفقيهُ ، حدثنا جعفرُ بن محمد بن شاكرٍ ، حدثنا أبو نُعيم ، حدثنا إسرائيلُ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ قال : لمَّا فرغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مِنَ القتلى ـ يعني : يومَ بدر ـ قيل له : عليكَ بالعِير ليس دونَها شيءٌ ، فناداه العباسُ ـ وهو في وثاقِهِ ـ أنَّهُ لا يصلحُ لك ، قال : لِمَ ؟ قال : لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وعدَكَ إحدى الطائفتين ، وقد أنجزَ لك ما وعدَكَ[1]

قال الشيخُ : وحينَ التقى هو والمشركون ببدرٍ قال وهو في قبَّتِهِ : « **اللَّهُمَّ ؛ إنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ ، اللَّهُمَّ ؛ إنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ** » ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبُكَ حسبُكَ يا رسولَ الله ، قد ألححتَ على ربِّك ، وهو في الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۞ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر : ٤٥ـ ٤٦][2] .

فتلا ما كان قد نزلَ عليه مِنْ إخبار الله تعالى إيَّاه بهزيمة المشركين ، فكان كما أخبرَ .

وقال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] ، فدخلوا المسجدَ الحرام على الصفة التي نطقَتْ به الآية في عُمرة القضية[3] ، وكان ما وعدَهُ الله في هذه السورة مِنَ الفتح القريب ؛ وهو

= قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٢٤٤) : (إحدى الطائفتين : عِيرُ قريشٍ التي أقبلت مع أبي سفيان من الشام ، أو النفيرُ ؛ وهو من خرجَ من قريش مع عتبة بن ربيعة لاستنقاذها من أيدي المسلمين) .

(١) ورواه الترمذي (٣٠٨٠) وقال : (حسن صحيح) .

(٢) رواه البخاري (٢٩١٥) .

(٣) **وتسمَّى أيضاً** : عمرة القضاء ، والقصاص ، والصلح

فتحُ خيبرَ ، وقيل : الصلحُ بالحديبية[1] ، وقال : ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح : ١٨- ١٩] ، قيل : فتح خيبرَ ، ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا ﴾ [الفتح ٢١] ، قيل : هو ما أصابوا بعدُ .

وقال تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] ، وقد وقعَ الظهورُ والغلبةُ بحمد الله .

٢٦٩- أخبرَنا أبو سعيدِ بنُ أبي عمرو ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ ، أخبرنا الشافعيُّ رحمه الله قال : (قد أظهرَ الله جلَّ ثناؤُهُ دينَهُ الذي بعثَ به رسولَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم على الأديان ؛ بأن أبانَ لكلِّ مَنْ سمعَهُ أنَّهُ الحقُّ ، وما خالفه مِنَ الأديان باطلٌ[2] ، وأظهرَهُ بأنَّ جماعَ الشرك دينانِ ؛ دينُ أهل الكتاب ، ودينُ الأمِّيِّين ؛ فقهرَ رسولُ الله الأميِّينَ حتى دانُوا بالإسلام طوعاً وكرهاً ، وقتلَ مِنْ أهل الكتاب وسبى حتى دانَ بعضُهم بالإسلام ، وأعطى بعضٌ الجزيةَ صاغرين ، وجرى عليهم حكمُهُ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهذا ظهورُ الدين كلِّهِ) .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] ، فوعدَهُم في حال الخوفِ والشدَّة وغلبةِ أهل الكفر ظهورَهُم[3] ، واستخلافَهُم في الأرض ، وتمكينَهُم من القيام بأمور دينِهم الذي

---

(١) قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٦٣) : (واختُلفَ في سبب تسميتها عمرةَ القضاء ؛ فقيل : المرادُ ما وقعَ من المقاضاة بين المسلمين والمشركين من الكتاب الذي كُتب بينهم بالحديبية ، فالمرادُ بالقضاء : الفصلُ الذي وقعَ عليه الصلح ؛ ولذلك يقال لها : عمرةُ القَضيَّة) .

(٢) في (ب) : (خلفه) بدل (خالفه) .

(٣) فقد روى المصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٤١٨) أنَّه لمَّا بشَّر رسولُ الله عليه الصلاة =

ارتضى لهم ، وتبديلَهُم مِنَ الخوف بالأمن ، ففعلَ به وبأصحابه وأتباعِهِ جميعَ ما وعدَهُم به[1] ، وفي ذلك دليلٌ على صحَّة نبوَّتِهِ ، وصدقِهِ في دعوته صلَّى الله عليهِ وعلى آلِهِ[2]

٢٧٠ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثني محمدُ بن صالح بن هانئٍ ، حدثنا أبو سعيد محمدُ بن شاذانَ ، حدثنا أحمدُ بن سعيد الدارِميُّ ، حدثنا عليُّ بن الحسين بن وَاقدٍ ، حدثني أبي ، عن الربيعِ بن أنس ، عن أبي العاليةِ ، عن أُبيِّ بن كعبٍ قال : لمَّا قدم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُهُ المدينةَ ، وآواهم الأنصارُ . . رمتهم العربُ عن قوسٍ واحدة ، وكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح ، ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا : ترون أنَّا نعيشُ حتى نبيتَ آمنينَ مطمئنينَ ، لا نخافُ إلا الله عزَّ وجلَّ ؟! فنزلت : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ . . . ﴾ ، قرأ إلى قوله : ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني : بالنعمة ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[3]

= والسلام الصحابةَ بقصور الحِيرة والمدائن وصنعاءَ والشام . . قال المنافقون لهم : ألا تعجبون ؟! يحدِّثكم ويمنِّيكم ، ويعدُكم بالباطل ؛ يخبرُكم أنَّه أبصرَ من يثربَ قصورَ الحيرة ، ومدائنَ كسرى ، وأنَّها تُفتحُ لكم ، وأنتم تحفرون الخندق ، ولا تستطيعون أن تبرَّزوا ؟! فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب : ١٢] .

(١) قال القاضي في « الشفا » (ص ٣٢٩) : (واستخلف اللهُ المؤمنين في الأرض ، ومكَّنَ لهم فيها دينَهم ، وملَّكَهُم إيَّاها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « زُويَتْ لي الأرضُ ، فأُريتُ مشارقَها ومغاربَها ، وسيبلغُ ملكُ أمَّتي ما زُويَ لي منها ») ، والحديثُ رواه مسلم (٢٨٨٩/ ١٩) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

(٢) انظر « الأم » للإمام الشافعي (٤/ ١٨٠) ، ورواه المصنف في « دلائل النبوة » (٣١٦/٦) .

(٣) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤٠١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٦) ، وانظر « الدر المنثور » (٦/ ٢١٦) .

قال الشيخُ وفي مثلِ هذا المعنى قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل ٤١ـ ٤٢] زعمَ بعضُ أهل التفسير : أنَّها نزلَتْ في المعذَّبين بمكَّة حين هاجروا إلى المدينة بعد ما ظلموا ، فوعدَهُم الله في الدنيا حسنة[1] ؛ يعني بها : الرزقَ الواسع ، فأعطاهم ذلك .

فرويَ : أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه كانَ إذا أعطى الرجلَ عطاءَهُ مِنَ المهاجرين . . يقول : خُذْ باركَ الله لك فيه ، هذا ما وعدَكَ الله في الدنيا ، وما ذخرَ لك في الآخرة أفضلُ[2] .

وحين امتنعَ أبو لهب مِنَ الإسلام ، وقال لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما قال . . أنزل اللهُ عزَّ وجلَّ فيه : ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۞ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴾ [المسد : ١ـ٣] ، فمات أبو لهب على شركه ، وصَلِيَ النار بكفره ، وإنَّما نزلت وأبو لهب حيٌّ ، فلم يمكنْهُ مع حرصه على تكذيبِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ونقضِ كلمتِهِ . . أن يظهرَ الإسلام ليشكِّكَ الناس في أمر النبيِّ عليه السلام ، وفيما كان أخبرَهُم به مِنْ شأنِهِ ، ولا يجوزُ أن تقعَ هذه الأمور على الاتِّفاق ، وتستمرَّ على الصدق ، فلا يختلفَ شيء منها . . إلا أن تكونَ مِنْ قِبَلِ الله علاَّمِ الغيوب .

وأمَّا الصَّرْفَةُ والتعجيزُ مع توهُّم القدرة منهم على الإتيان بمثله[3] : فإنَّما يعلمُ

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٢٠٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧/ ٢٠٦) .

(٣) شروعٌ في الردِّ على القائلين بالصَّرْفة التي ابتدعها النَّظَّام ؛ وخلاصتُها : أنَّ القرآن الكريم لم يكن معجِزاً في نفسه ، بل كانت معارضتُهُ والإتيانُ بمثله داخلاً تحت قدرة العرب الأقحاح ، ولكنَّ الله تعالى صرفَهم عن المعارضة بسلْبِ الدواعي إليها مع انطباعها في جبلتهم ! فليس إعجازه كإحياء الموتى مثلاً الذي لا يدخلُ أصلاً تحت قدرة المحجوجين ، بل هو كصرف أبي لهب عن الإيمان مع القدرة عليه ، وهذه القالةُ واحدةٌ من شناعاته التي ذكرها له العلماء =

ذلك بعدم المعارضة مع توفُّر الدواعي وشدَّةِ الحاجةِ إليه ، وذلك ما لا يجوزُ أن يَشكَّ فيه عاقلٌ ؛ مِنْ أنَّهم لو كانوا قادرينَ عليه لبادروا إليه ، مع حرصِهم على إبطالِ دعوته ونقضِ كلمته ، ولَمَا خرجوا في أمرِهِ إلى نصْبِ القتال ، والتغرير بالأنفس وإتلافِ الأموال ، ومفارقةِ الأهل والأوطان ، ولكان ذلك أيسرَ عليهم مِنْ مباشرة هذه الخطوب ، ومقاساة هذه الشدائد والكروب ، فلمَّا لم يفعلوهُ دلَّ على عجزِهِم عن ذلك .

وسبيلُ هذا : سبيلُ رجل عاقلٍ قد اشتدَّ به العطشُ وبحضرته ماءٌ ، فجعل يتلوَّى مِنْ شدة الظمأ ولا يشربُ الماء ، فلا يَشكُّ شاكٌّ أنَّهُ عاجزٌ عن شربه ، أو ممنوعٌ بسبب يعوقُهُ عنه ، وأنَّهُ لم يتركْهُ اختياراً ، مع توفُّر الدواعي له ، وشدة الحاجة منه إليه ، وهذا بَيِّنٌ ، والحمدُ لله .

ومِنْ دلائل صدقه : أنَّهُ كان مِنْ عقلاء الرجال عند أهل زمانه(١) ، وقد قطعَ

= والمؤرِّخون ، حتى إن القاضي عبد الجبار الهمذاني رأسَ المعتزلة في عصره ردَّ عليه قوله بالصَّرْفة ، بل وكثيراً من هذياناته ، وخيرُ من ردَّ القول بالصَّرْفة من متقدِّمي أهل السنَّة العلامةُ عبد القاهر الجرجانيُّ بـ «الرسالة الشافية» الملحقةِ طباعةً بكتابه العظيم « دلائل الإعجاز » .
وأنت ترى أنَّ المصنف ذكر صرف أبي لهب عن الإيمان ، وجعله من جملة المعجزات المقرَّرة لثبوت النبوَّة ، وردَّ كما ترى القول بالصرفة ، ولكن لو تنزَّل متنزِّلٌ فقال بها . . فالمعجزةُ ثابتة ، والنبوَّة مقرَّرة ، ولذا قال حجة الإسلام في « الاقتصاد » (ص ٣٦٢) : (وإن فُرِضَ وجودُ القدرة . . ففقدُ داعيتِهم وصرفُهُم عن المعارضة من أعظم المعجزات ، مهما كانت حاجتُهم ماسَّةً إلى الدفع باستيلاء النبي على رقابِهم وأموالِهم ، وذلك كلُّه معلومٌ على الضرورة) ، وفي « شرح المواقف » (٣/ ٤٠٤) : (وأيّاً ما كان ـ أنَّه معجزٌ في ذاته ، أو بالقول بالصَّرْفة ـ يحصلُ المطلوبُ ؛ أعني : إثباتَ الرسالة بالمعجزة ؛ إذ كلٌّ منهما معجزٌ خارق للعادة) ، ولذا لا عجبَ إن رأيت بعض أعلام أهل السنة قالوا بالصَّرْفَة ؛ كالأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، والتعويلُ على ما ذكره المصنف هنا بأخصرِ العبائر وأقربِ الأمثلة .

(١) إنَّما خصَّ أهل زمانه لأنَّهم هم الذين أقيمت عليهم الحجة ، وإلا فهو عليه أزكى الصلوات والتسليمات أرجحُ الناس عقلاً وأكملهم بإطلاق ؛ فقد روى أبو نعيم في « الحلية » =

القولَ فيما أخبر عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ بأنَّهم لا يأتون بمثل ما تحدَّاهم به ؛ فقال : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ ﴾ [البقرة: ٢٤] ، فلولا علمُهُ بأنَّ ذلك مِنْ عند علَّام الغيوب ، وأنَّهُ لا يقعُ فيما أخبرَ عنه خلافٌ.. وإلا لم يأذنْ له عقلُهُ في أن يقطعَ القولَ في شيء بأنَّهُ لا يكونُ وهو بغرضٍ أن يكونَ[1]

وقد روينا في كتاب « الدلائل » مِنَ الأخبار التي وردَتْ في قراءة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعضَ ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا مِنْ أهل الفصاحة والبلاغة ، وإقرارِهم بإعجازه.. ما يكشفُ عن جملة ما أشرنا إليها[2] ، ونحن نقتصرُ ها هنا منها على ما :

٢٧١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أحمدُ بن عبد الجبَّار ، حدثنا يونسُ بن بُكيرٍ ، عن ابن إسحاقَ ، حدثني يزيدُ بن زياد مولى بني هاشم ، عن محمد بن كعبٍ قال : حُدِّثْتُ أنَّ عتبةَ بنَ ربيعةَ ـ وكان سيِّداً حليماً ـ قال ذاتَ يوم وهو جالسٌ في نادي قريش ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جالسٌ وحدَهُ في المسجد : يا معشرَ قريشٍ ؛ ألا أقومُ إلى

= (٤/ ٢٦) عن وهب بن منبه أنه قال : (قرأت إحدى وسبعين كتاباً ، فوجدتُ في جميعها : أنَّ الله عز وجل لم يعطِ جميعَ الناس من بدْءِ الدنيا إلى انقضائِها من العقل في جنب عقلِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.. إلا كحبَّةِ رملٍ من بين رمال جميع الدنيا ، وأنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم أرجحُ الناس عقلاً ، وأفضلهم رأياً) .

ونقل الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٧٠٣) عن العارف أبي يزيد البسطامي قولَهُ : (مَثَلُ ما حصلَ للأنبياء عليهم السلام كمثل زِقٍّ فيه عسلٌ ترشَّح منه قطرةٌ ، فتلك القطرةُ مثلُ ما لجميع الأولياء ، وما في الظَّرفِ مثلُ ما لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم) .

(١) يعني : علم أن عجزهم باقٍ، ولن يعرض له ما يبدله ويغيره، وأراد : أنه عليه الصلاة والسلام لم يكتفِ بذكر آيات التحدي تلاوةً ، بل أظهرَ هذا التحديَ وهو على يقين بعجزهم كما سيذكر المصنف من أخبار ذلك .

(٢) دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤) وعنون هذا الباب فقال : (باب اعتراف مشركي قريشٍ بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز ، وأنه لا يشبهُ شيئاً من لغاتهم ، مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان) .

هذا فأكلمَهُ ، فأَعرِضَ عليه أموراً لعلَّهُ أن يقبلَ منها بعضَها ويكفَّ عنا ؟ قالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقام عُتبةُ حتى جلسَ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فذكر الحديثَ فيما قال له عتبةُ ، وفيما عرضَ عليه مِنَ المال والمُلك وغيرِ ذلك ، فلمَّا فرغ عتبةُ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ » ، قال : نعم ، قال : « فَاسْمَعْ مِنِّي » ، قال : أفعلُ ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ، ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا . . .﴾ [فصلت : ١ـ ٣] » ، فمضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقرؤُها عليه ، فلمَّا سمعها عتبةُ . أنصتَ وألقى بيديه خلفَ ظهره معتمداً عليهما يسمعُ منه ، حتى انتهى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى السجدة فسجدَ فيها[١] ، ثم قال : « سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ » ، قال : سمعتُ ، قال : « فَأَنْتَ وَذَاكَ » .

فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلفُ بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجهِ الذي ذهبَ ، فلمَّا جلس إليهم قالوا : ما وراءكَ يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أنِّي والله ؛ لقد سمعتُ قولاً ما سمعتُ مثله قطُّ ، والله ؛ ما هو بالشعر ، ولا السحر ، ولا الكهانة ، يا معشرَ قريش ؛ أطيعوني واجعلوها بي ، خلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فوالله ؛ ليكوننَّ لقوله الذي سمعتُ نبأ[٢] .

وروينا هذا في حديثِ جابرِ بن عبد الله ، وفيه مِنَ الزيادة فيما حكى عتبةُ

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت : ٣٨] ، وعند أبي نعيم في « دلائل النبوة » (١/ ٢٣٣) : (فسجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعتبةُ ملقٍ يدَهُ خلف ظهره حتى فرغَ من قراءتها) .

(٢) ورواه المصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٠٤) ، وانظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٢٩٣) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٣٠٩) .

لأصحابه قال : فأجابني بشيءٍ واللهِ ؛ ما هو بسحر ، ولا شعر ، ولا كهانةٍ ، قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . . .﴾ حتى بلغ : ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت : ١ ـ ١٣] ، فأمسكتُ بفيهِ وناشدتُهُ الرحمَ أن يكفَّ ، وقد علمتُم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذبْ ؛ فخفتُ أن ينزلَ بكم العذاب[١]

وروينا عن عكرمة ، عن ابن عباس[٢]

وعن عكرمة مرسلاً ، في قصَّة الوليد بن المغيرةِ : أنَّهُ قال لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : اقرأ عليَّ ، فقرأَ عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] ، قال : أعدْ ، فأعادَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : واللهِ ؛ إنَّ له لحلاوةً ، وإنَّ عليه لطُلاوةً ، وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ ، وإن أسفلَهُ لمغدقٌ ، وما يقولُ هذا بشرٌ[٣] ، وقال لقومه : واللهِ ؛ ما فيكم رجلٌ أعلمَ بالأشعار منِّي ، ولا أعلمَ برجزِهِ ولا بقصيدتِهِ[٤] منِّي ، ولا بأشعار الجنِّ ، واللهِ ؛ ما يشبهُ هذا الذي يقول شيئاً مِنْ هذا ، واللهِ ؛ إنَّ لقوله الذي يقول حلاوةً ، وإنَّ عليه لطُلاوةً ، وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاه ، مغدقٌ أسفله ، وإنَّهُ ليعلو وما يُعلى ، وإنَّهُ ليَحطِمُ ما تحته[٥]

وروينا في حديث أمِّ سلمةَ في قصَّة دخول جعفرِ بن أبي طالب على النجاشيِّ ، وقولِهِ للنجاشيِّ : (بعثَ الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه

---

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٢٥٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/٢٠٢) .
(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٥٠٦) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/١٩٨) .
(٣) وهذه الجملةُ ـ بل السياق كلُّهُ ـ واحدةٌ من الردود النقلية على القائلين بالصَّرْفة
(٤) كذا في جميع النسخ ، وهو صوابٌ ، وكذا روايته في « الدلائل » المشار إليها .
(٥) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤/٢٤) ، وانظر « الدر المنثور » (٨/٣٣٠)

وعفافَهُ . . وتلا علينا تنزيلاً لا يشبهُهُ شيءٌ غيرُه)[1]

والأخبارُ الصحيحة المشهورة المرويةُ مِنْ طرق شتى في معجزات رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كثيرةٌ ، وهي في كتاب « دلائل النبوة » مكتوبةٌ ، والمعرفةُ بها لمن وقف عليها وأنعمَ النظر فيها حاصلةٌ ، وإنَّما يُذكر في هذا الكتاب مِنَ الدلائل أطرافُها ، ومِنَ الآيات والمعجزات ما يكون بلغةً لمن لم يصلْ إلى معرفة جميعها ؛ فمنها ما :

٢٧٢ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ العَدْلُ ببغدادَ ، أخبرنا أبو جعفرٍ محمدُ بن عمرو الرَّزَّازُ ، حدثنا محمدُ بن عُبيد الله بن يزيدَ ، حدثنا يونسُ بن محمد ، حدثنا شيبانُ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بن مالك قال : إنَّ أهلَ مكةَ سألوا نبيَّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يريَهُم آيةً ، فأراهم انشقاقَ القمر مرتينِ[2]

٢٧٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا العباس بن محمد ، حدثنا سعيد بن سليمانَ ، حدثنا هُشَيمٌ ، حدثنا مغيرةُ ، عن أبي الضحى ، عن مسروقٍ ، عن عبد الله ـ يعني : ابن مسعود ـ قال : انشقَّ القمرُ بمكةَ حتى صارَ فِرقتين ، فقال كفارُ أهلِ مكةَ :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٠١) ، وابن خزيمة في « صحيحه » (٢٢٦٠) ، وتقدم برقم (١٢) .

(٢) ورواه البخاري (٣٦٣٧) ، ومسلم (٢٨٠٢/ ٤٦) ، ولفظ (مرتين) عند مسلم ، قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ١٨٢) : (هذا من مراسيل الصحابة ؛ لأن أنساً لم يدرك هذه القصة ، وقد جاءت هذه القصة من حديث ابن عباس ، وهو أيضاً ممن لم يشاهدها ، ومن حديث ابن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفة ، وهؤلاء شاهدوها)
وقال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ١٩٥) : (وفي حديث مسلم : « فأراهم القمر مرتين » ، وكذا هو بلفظ « مرتين » في « مصنف عبد الرزاق » عن معمر ، وكذا أخرجه أحمد وإسحاق في « مسنديهما » ، ولعل المراد : فرقتين ؛ جمعاً بين الروايات ، كما نبَّهَ عليه في « الفتح ») ، وانظر « فتح الباري » (٧/ ١٨٢) .

هذا سحرٌ سحركم به ابنُ أبي كبشةَ ، انظروا السُّفَّارَ ؛ فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدقَ ، وإن كانوا لم يروا ما رأيتم فهو سحرٌ سحركم به ، قال : فسُئل السُّفَّارُ وقدموا مِنْ كلِّ وجه ؛ فقالوا : رأينا[1]

ومنها ما :

٢٧٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، وأبو بكر أحمدُ بن الحسن ، ومحمدُ بن موسى بنِ الفضل قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا العباسُ بن محمد الدوريُّ ، حدثنا عثمانُ بن عمرَ ، حدثنا معاذُ بن العلاء ، عن نافعٍ ، عن ابن عمرَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله

---

(١) ورواه البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٦٩) ، ومسلم (٢٨٠٠) مختصراً ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٢٦٦) .

وقد أنكرت الفلاسفةُ وبعضُ المبتدعة قديماً وفي زماننا هذه المعجزةَ التي قال فيها الإمام الخطابيُّ ـ كما في « الفتح » (٧/ ١٨٥) ـ : (انشقاقُ القمر آيةٌ عظيمة ، لا يكادُ يعدلُها شيءٌ من آيات الأنبياء ؛ وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء خارجاً من جملة طباع ما في هذا العالم المركَّب من الطبائع ، فليس ممَّا يُطمعُ في الوصول إليه بحيلة ، فلذلك صار البرهانُ به أظهرَ) .

وقال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ١٩٦) : (وقولُ بعضهم : لو انشقَّ لما خفيَ على أهل الأقطار ، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً ؛ لأن الطباع مجبولةٌ على نشر العجائب . . مردودٌ؛ بأنَّهُ يجوز أن يحجبَهُ الله عز وجل عنهم بغيمٍ ، لا سيما وأكثرُ الناس نيامٌ، والأبوابُ مغلقة ، وقلَّ من يترصَّد السماء ، ولعلَّه كان في قدر اللحظة التي هي مُدرَكُ البصرِ) .

وقال القاضي في « إكمال المعلم » (٨/ ٣٣٥) : (وكثيراً ما تحدثُ كسوفاتُ القمر الكليَّاتُ وغيرها ، وعجائبُ من أنوار طوالعَ وشهب عظام ؛ وآياتٌ في السماء تظهر بالليل ، فيتحدَّثُ بها الواحدُ والاثنان ممن رآها ، ولا علمَ عند غيرهم منها لما ذكرناه ، وهذه كانت آيةً بليل لقومٍ اشترطوها وسألوها ، لم يهتبلْ غيرُهم بها ، وقد يكون القمرُ حينئذٍ في بعض المجاري والمنازل التي تظهرُ لبعض أهل الآفاق دون بعض ، كما يكون ظاهراً لقوم غائباً عن أُخَر ، أو كما يجدُ أهلُ بلدٍ الكسوفَ في الشمس والقمر ولا يجدُهُ غيرهم ، ويكون عند بعضهم كليّاً وعند بعضهم بخلافه ، كلُّ ذلك بحسب القرب والبعد ، وارتفاع الدرج وانخفاضها ، في الطول عن خطِّ الاستواء والعرض) ، وهو منه تدقيقٌ عجيب .

عليه وسلَّم كان يخطبُ إلى جذعٍ ؛ فلمَّا اتخذَ المنبرَ حنَّ الجذعُ ، فأتاه فالتزمَهُ[1]

٢٧٥ـ وحدثَنا السيدُ أبو الحسن العلويُّ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن سعد النسويُّ[2] ، حدثنا إبراهيم بن فهد الهاشميُّ ، حدثنا عبدُ الله بن رجاءٍ ، حدثنا أبو حفصٍ بنُ العلاء ـ أخو أبي عمرو بن العلاء ـ فذكره بإسناده ومعناه ، قال : فأتاه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فمسحَهُ فسكنَ[3]

٢٧٦ـ وأخبرَنا أبو القاسم عبدُ الخالق بنُ عليٍّ بن عبد الخالق المؤذِّنُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن أحمد بن خَنْبٍ[4] البخاريُّ ، أخبرنا أبو إسماعيلَ محمدُ بن إسماعيلَ الترمذيُّ ، حدثنا أيوبُ بن سليمانَ بن بلال ، حدثني أبو بكرِ بنُ أبي أويس ، عن سليمانَ[5] بن بلال قال : قال يحيى بنُ سعيد : أخبرني حفصُ بن عُبيد الله بن أنس بن مالك الأنصاري : أنَّهُ سمع جابرَ بن عبد الله يقول : كان المسجد في زمان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مسقوفاً على جُذُوعٍ مِنْ نخلٍ ، فكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إذا خطبَ يقوم إلى جِذْعٍ ، فلمَّا صُنعَ المنبرُ . كان عليه ، فسمعنا لذلك الجِذْعِ صوتاً كصوت العِشارِ[6] ،

---

(١) ورواه البخاري (٣٥٨٣) ، والترمذي (٥٠٥) .

(٢) كذا في (أ ، و) وهو الصواب ، وفي (ب) : (أبو عبد الله بن محمد بن سعد النسوي) ، وفي (هـ ، د) : (أبو عبد الله محمد بن سعيد النسوي) .

(٣) ورواه البخاري (٣٥٨٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٥٥٦) .

(٤) كذا في (أ ، ب ، و) ، وهو الصواب ، وفي (هـ ، د) : (حبيب)

(٥) كذا في (هـ ، د) ، وهو الصواب كما في كتب الترجمات ، وسليمان هذا والدُ أيوب بن سليمان الراوي عن أبي بكر بن أبي أويس ، وله نسخة رواها عنه عن أبيه ، وفي (أ ، ب ، و) : (عثمان) .

(٦) العشار : جمعُ عُشَراء ، بضم العين وفتح الشين ؛ الناقةُ الحامل التي مضت لها عشرة أشهر ، أو التي معها أولادها ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٤٥) : (وإنَّما يشتاقُ إلى بركة الرسول عليه الصلاة والسلام ويتأسَّفُ على مفارقته . . أعقلُ العقلاء ، =

حتى جاءَها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فوضع يدَهُ عليها ، فسكَنَتْ(١)

ورواه عبدُ الواحد بن أيمنَ ، عن أبيه ، عن جابرِ بن عبد الله ، وقال في آخرِهِ : فنزلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فضمَّها إليه ، كانت تَئِنُّ أنينَ الصبيِّ الذي يُسَكَّتُ ، كانت تبكي على ما تسمعُ مِنَ الذكر عندَها(٢)

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ حَنِينِ هَذِهِ الْخَشَبَةِ ؟! » ، فأقبل الناسُ عليها ، فَرَقُّوا مِنْ حنينها ؛ حتى كثرَ بُكاؤهم(٣)

وفي حديث ابن عباس ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لَوْ لَمْ أَحْتَضِنْهُ لَحَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(٤)

وفي حديث إسحاقَ بن عبد الله بن أبي طلحةَ ، عن أنس بن مالك ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم . معنى قول ابن عباس ، وفي حديثه هذا في هذه القصة : فلمَّا قعد رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على ذلك المنبر . خار الجذعُ كخُوار الثور ، حتى ارتجَّ المسجد بخُواره(٥)

وفي حديث أمِّ سلمةَ : فلمَّا فقدتْهُ ـ تعني : الخشبةَ ـ خارَتْ كما يخور

= والعقلُ والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياةَ ، وهذا يدلُّ على أنَّ الله تعالى خلقَ فيه الحياةَ والعقلَ والشوق ، ولهذا حنَّ) .

(١) ورواه البخاري (٤٤٩) من وجه آخر عن سيدنا جابر رضي الله عنه مختصراً ، (٣٥٨٥) .

(٢) رواه البخاري (٤٤٩ ، ٢٠٩٥) .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ٢٥٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٥٥٩) .

(٤) رواه أحمد في « مسنده » (١/ ٢٤٩) ، وابن ماجه (١٤١٥) وقال الحافظ البوصيري في « مصباح الزجاجة » (٢/ ١٦) : (هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات)

(٥) رواه الترمذي (٣٦٢٧) مختصراً ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٧٧٧) .

الثورُ ، حتى سمعَها أهلُ المسجد[1]

وأمرُ الحنَّانةِ مِنَ الأمور الظاهرة ، والأعلامِ الباهرة ؛ التي أخذَها الخلفُ عن السلف ، وروايةُ الأحاديث فيه كالتكلُّفِ[2]

٢٧٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرني أبو أحمدَ بنُ أبي الحسن ، أخبرنا عبدُ الرحمن ـ يعني : ابنَ أبي حاتم الرازيَّ ـ قال : قال أبي : قال عمرُو بن سَوَّادٍ[3] : قال لي الشافعيُّ رحمه الله : ما أعطى اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً ما أعطى محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقلتُ : أعطى عيسى عليه السلام إحياءَ الموتى ! قال : أعطى محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم الجذعَ الذي كان يخطبُ إلى جنبه ، حتى هُيِّئَ له المنبرُ ، فلمَّا هُيِّئَ له المنبرُ حنَّ الجِذْعُ ، حتى سُمعَ له صوتٌ[4] ، فهذا أكبرُ مِنْ ذاك[5]

ومنها ما :

٢٧٨ـ أخبرَنا أبو عمرٍو محمدُ بن عبد الله الأديبُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن إبراهيمَ الإسماعيليُّ ، أخبرني الحسنُ بن سفيانَ ، حدثنا محمدُ بن بشار العبديُّ ، حدثنا أبو أحمدَ الزُّبيريُّ ، حدثنا إسرائيلُ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ ، عن علقمةَ ، عن عبدِ الله ـ هو ابنُ مسعودٍ ـ قال : إنَّكم تعدُّون الآياتِ

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣/ ٢٥٥) مختصراً ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٥٦٣) ، وانظر « البداية والنهاية » (٦/ ١٣١) .

(٢) ولهذا عُدَّ من المتواتر ، وانظر « نظم المتناثر » (ص٢٢١) .

(٣) كذا بتشديد الواو ، وهو أبو محمد السرحي ، وانظر « تلخيص المتشابه » للخطيب البغدادي (ص ٩٢) .

(٤) كذا في (د ، هـ) ، وفي (أ ، ب) : (له صوته) ، وفي (ج) : (صوته) ، وسقطت من (و) .

(٥) ورواه ابن أبي حاتم في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص ٦٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٦)

عذاباً ، وكنَّا نعدُّها بركةً على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ؛ ، قد كنَّا نأكلُ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم الطعامَ ، وكنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعام ، وأُتيَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بإناءٍ ، فجعل الماءُ ينبعُ مِنْ بين أصابعه ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ السَّمَاءِ » ، حتى توضَّأنا كلُّنا[2]

وروينا في تسبيح الحصياتِ في كفِّ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم في يدِ أبي بكر ، ثم في يدِ عمرَ ، ثم في يد عثمانَ[3]

ومنها ما :

٢٧٩ـ أخبرَنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ رحمه الله ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يونسُ بن حبيب ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا شعبةُ ، عن عمرو بن مُرَّةَ قال : سمعتُ سالمَ بن أبي الجعد ـ قال شعبةُ : وأخبرني حصينُ بن عبد الرحمن قال : سمعتُ سالمَ بن أبي الجعد ـ قال : قلتُ لجابر : كم كنتم يوم الشجرة ؟ قال : كنَّا ألفاً وخمس مئة ، وذكر عَطَشاً أصابَهم ، قال : فأُتيَ

---

(١) الآيات هنا : خوارق العادات ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٤١) : (والتحقيقُ : أنَّ بعضَها بركة ؛ كشبع الجيش الكثير من الطعام القليل ، وبعضَها تخويفٌ ؛ ككسوف الشمس ، وكأنَّهم تمسَّكوا بظاهر قوله : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الاسراء : ٥٩] أي : من نزول العذاب العاجل ، كالطليعة والمقدمة له) .

(٢) ورواه البخاري (٣٥٧٩) ، والبركة : زيادةُ النماء في إفادةِ النعماء

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٤٠٤٠ ، ٤٠٤٤) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٦٤) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٩٨) : (رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف)
وقد كانت الجبال تسبِّح مع نبيِّ الله سيدنا داود على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام ، قال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (٦/ ٢٨٦) : (ولا شكَّ أن صدور التسبيح من الحصى الصغار الصمِّ التي لا تجاويفَ فيها . . أعجبُ من صدور ذلك من الجبال ؛ لما فيها من التجاويف والكهوف ؛ فإنَّها وما شاكلها تردِّد صدى الأصوات العالية غالباً) .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بماء في تَورٍ ، فوضع يدَهُ فيه فجعل الماءُ يخرجُ مِنْ بين أصابعه كأنَّهُ العيونُ[1] ، قال : فشربنا ووسِعَنا وكفانا ، قال : قلتُ : كم كنتم ؟ قال : لو كنَّا مئةَ ألفٍ كفانا ، كنَّا ألفاً وخمس مئة[2]

ورواه عبدُ العزيز بن مسلم ، وابنُ فضيل ، عن حصين ، وفيه مِنَ الزيادة : فشربنا وتوضَّأنا[3]

وفي رواية الأعمش عن سالم ، عن جابر : فتوضَّأ الناسُ وشربوا ، قال : فجعلتُ لا آلو ما جعلتُ في بطني منه ، وعلمتُ أنَّهُ بركةٌ[4] .

ورواه أيضاً عبدُ الله بن مسعود ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[5]

وفي بعض الروايات قولُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم « حَيَّ عَلَى الْوَضُوءِ وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ » ، فأقبل الناسُ فتوضؤوا وشربوا ، وجعلتُ لا همَّ لي إلا ما أجعل في بطني ؛ مِنْ قول رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « وَالْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ »[6]

وفي رواية ابن عباسٍ قال : فرأيتُ العيون تنبعُ مِنْ بين أصابعه ، قال : فأمرَ بلالاً ينادي في الناس : الوَضوءَ المباركَ[7]

---

(١) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٥/ ٣٨) : (وأكثرُ العلماء أنَّ معناه : أنَّ الماء كان يخرجُ من نفس أصابعه صلى الله عليه وسلم ، وينبعُ من ذاتها ، قالوا : وهو أعظمُ في المعجزة من نبعه من حجرٍ ، ويؤيدُ هذا أنَّه جاء في رواية : فرأيت الماء ينبعُ من أصابعه) .

(٢) ورواه البخاري من طريق شعبة من وجه آخر عن سيدنا جابر رضي الله عنه (٤١٥٣) ، ومسلم (١٨٥٦/ ٧٢) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٤٢) مختصراً في الكل ، والطيالسي في « مسنده » (١٧٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٣٥٧٦ ، ٤١٥٢)

(٤) رواه البخاري (٥٦٣٩) ، ومسلم (١٨٥٦/ ٧٤) مختصراً .

(٥) رواه الترمذي (٣٦٣٣) ، وقال : (حسن صحيح) .

(٦) رواه الدارمي في « مسنده » (٣٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١١) .

(٧) رواه أحمد (١/ ٢٥١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٢٧) .

وهذا يكونُ في وقتٍ آخر ؛ فإنَّ ابن عباسٍ لم يشهدِ الحديبيةَ

ورواه أنسُ بن مالك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ صنعَ ذلك ، والأشبهُ أنَّ ذلك كان بالمدينة[1]

٢٨٠ـ **أخبرَنا** أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا عليُّ بن حَمْشاذَ العدلُ ، أخبرنا أبو المثنى ، حدثنا مسدَّدٌ ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم دعا بإناءٍ مِنْ ماء ، فأُتيَ بقدحٍ رَحراحٍ فيه شيءٌ مِنْ ماء[2] ، فوضعَ أصابعَهُ فيه ، قال أنسٌ : فجعلتُ أنظرُ إلى **الماء ينبعُ مِنْ بين أصابعِهِ** ، قال أنسٌ : فحزرتُ مَنْ توضَّأَ منه ؛ ما بين السبعينَ إلى الثمانين[3]

ورواه عبيدُ الله بن عمرَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى قُباءَ[4]

ورواه حميدٌ ، عن أنسٍ قال : حضرَتِ الصلاةُ ، فقام مَنْ كان قريبَ الدار إلى أهله يتوضَّأُ ، وبقي قومٌ. . . ، فذكر الحديثَ ، وذكر عدد الثمانينَ وزيادةً[5]

وفي ذلك دَلالةٌ على أنَّهُ كان في وقت آخر ، سوى ما رواه جابرٌ ، ومَنْ تابعه .

وروى قتادةُ ، عن أنسٍ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابَهُ كانوا بالزوراء ـ والزوراءُ : بالمدينة عند السوقِ والمسجد ـ ، فدعا بقدح. . . ، فذكر الحديثَ ، غيرَ أنَّهُ قال : قلت لأنسٍ : يا أبا حمزةَ ؛ كم كانوا ؟ قال : زهاءَ ثلاث مئة[6]

---

(١) رواه البخاري (١٦٩) ، ومسلم (٤/٢٢٧٩)

(٢) **الإناء الرحراح** : ما يكون متَّسعَ الفم ، أو الواسعَ الصحنِ القريبَ القعر .

(٣) ورواه البخاري (١٦٩ ، ٢٠٠) ، ومسلم (٤/٢٢٧٩) .

(٤) رواه أبو عوانة في « مستخرجه » (٨١٣٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/١٢٣) .

(٥) رواه البخاري (١٦٩ ، ١٩٥) .

(٦) رواه البخاري (١٦٩ ، ٣٥٧٢) ، ومسلم (٦/٢٢٧٩) .

فيشبهُ أن يكونَ هذا مرَّةً أخرى .

وفي حديث زيادِ بن الحارث الصُّدَائيِّ : أنَّهُ كان مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في بعض أسفاره ، قال : فتبرَّزَ ، ثم انصرفَ إليَّ وقد تلاحقَ أصحابُهُ ، فقال : « **هَلْ مِنْ مَاءٍ يَا أَخَا صُدَاءَ ؟** » ، فقلت : لا ، إلا شيءٌ قليل لا يكفيكَ ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **اجْعَلْهُ فِي إِنَاءٍ ثُمَّ ائْتِنِي بِهِ** » ، ففعلتُ ، فوضع كفَّهُ في الماء ، قال الصُّدَائيُّ : فرأيتُ بين إصبعين مِنْ أصابعه عيناً تفور[1]

فهذا يكونُ خبراً عن قصَّة أخرى .

ومنها ما :

٢٨١ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا عبدُ الله بن رَجاءٍ ، أخبرنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ قال : تعدُّون أنتُم الفتحَ فتحَ مكةَ ، وقد كان فتحُ مكَّة فتحاً ، ونحن نعدُّ الفتحَ بيعةَ الرضوان ، نزلنا يومَ الحديبيةِ ـ وهي بئرٌ ـ فوجدنا الناسَ قد نزحُوها ، فلم يدَعُوا فيها قطرةً ، فذُكرَ ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجلسَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فدعا بدلوٍ ، فنزعَ منها ، ثم أخذَ منه بفيهِ فمجَّهُ فيها ، ودعا اللهَ ، فكثُرَ ماؤُها ، حتى صدرْنا وركائبَنا ونحن أربع عشرة مئةً[2] .

ورواه أيضاً سلمةُ بن الأكوع[3] ، والمسورُ بن مخرمة[4] ، وقد صنعَ مثلَ هذا

---

(١) رواه أبو داود (٥١٤) ، والترمذي (١٩٩) مختصراً عندهما ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٣٢١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٢٥) .

(٢) ورواه البخاري (٣٥٧٧ ، ٤١٥٠) .

(٣) رواه مسلم (١٨٠٧/ ١٣٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٣٨) .

(٤) رواه البخاري (٢٧٣١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ٩٩) .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بآبارٍ ، وقد ذكرنا صنيعَهُ بكلٍّ واحدة منها في كتاب « الدلائل »[1]

ومنها ما :

٢٨٢ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا أحمدُ بن منصور الرماديُّ[2] ، حدثنا عبدُ الرزاق ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن علي بن عبد الحميد الصَّغَانيُّ بمكةَ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن عوفٍ ، عن أبي رجاءٍ العُطارديِّ ، **عن عمرانَ بن حصين قال** : سرى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في سفر هو وأصحابُهُ ، **قال** : فأصابَهم عطشٌ شديدٌ ، فأقبل رجلانِ مِنْ أصحابه ـ قال : أحسبه علياً والزبيرَ[3] ، أو غيرهما ـ ، قال : « **إِنَّكُمَا سَتَجِدَانِ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا امْرَأَةً مَعَهَا بَعِيرٌ عَلَيْهِ مَزَادَتَانِ ، فَأْتِيَانِي بِهَا** » .

قال : فأتيا المرأةَ ، فوجداها قد ركبَتْ بين مزادتين على البعير ، فقالا لها : أجيبي رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : ومَنْ رسولُ الله ؟ أهذا الصابئُ ؟! قالا : هو الذي تعنينَ ، وهو رسولُ الله حقاً ، فجاءا بها ، فأمرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فجُعِل في إناءٍ مِنْ مزادتيها شيءٌ ، ثم قال فيه ما شاء اللهُ أن يقولَ ، وفي رواية إسحاقَ : فقال ما شاء اللهُ أن يقولَ ، ثم أعاد الماءَ في المزادتين ، ثم أمر بعزلاءِ المزادتينِ ففُتِحَتْ[4] ، ثم أمر الناسَ فملؤوا آنيتَهم

(١) دلائل النبوة (٤/ ١١٠) وما بعدها .
(٢) كذا في (أ) ، وهو الصواب ، وفي (ب) : (الزيادي) .
(٣) قوله : (أحسبه) كذا وقع بالإفراد .
(٤) **العزلاء** : فمُ المزادة الأسفلُ ، وعروتُها التي يخرجُ منها الماءُ بسرعة .

وأسقيتَهم ، فلم يدعوا يومئذٍ إناءً ولا سقاءً إلا ملؤوه .

قال عمرانُ بن حصين : فكان يُخيَّلُ إليَّ أنَّهما لم يزدادا إلا امتلاءً ، قال : فأمرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بثوبِها فبُسطَ ، ثم أمرَ أصحابَهُ ؛ فجاؤوا مِنْ أزوادهم حتى ملأَ لها ثوبَها ، ثم قال لها : « **اذْهَبِي ؛ فَإِنَّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مَائِكِ شَيْئاً ، وَلَكِنَّ اللهَ سَقَانَا** » ، قال : فجاءت أهلَها ، فأخبرتهم ، فقالت : جئتُكم مِنْ عند أسحرِ الناسِ ، أو إنَّهُ لرسولُ الله حقّاً ، قال : فجاء أهلُ ذلك الحِوَاء[1] ، حتى أسلموا كلُّهم[2] .

٢٨٣ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا الحسنُ بن يعقوبَ ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالب ، حدثنا عبدُ الوهَّاب بن عطاءٍ ، أخبرنا عوفُ بن أبي جميلةَ ، فذكره بإسناده ومعناه يزيدُ وينقصُ ، وقال في آخره : قال : فكان المسلمون يغِيرونَ على مَنْ حولها مِنَ المشركين ولا يصيبون الصِّرْمَ الذي هي فيه[3] ، فقالت يوماً لقومِها : إنَّ هؤلاءِ القومَ عمداً يَدَعونَكم ؛ هل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها ، فجاؤوا جميعاً فدخلوا في الإسلام[4] .

قال الشيخُ :

وهذا لأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم كان يرجو إسلامهم بما أرى المرأة منهم مِنْ معجزاته ، وأخبرتْهم بذلك ، فعلموا تصديقَهُ ، فأسلموا .

---

(١) الحِواء : البيوت المتدانية بعضها إلى بعض المجتمعةُ على ماء ، وقيل : هي من الوبر

(٢) ورواه البخاري (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢/٣١٢) ، مع بعض اختلاف في القصة ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/٢٧٦) .

(٣) الصِّرْم : كالحِواء المتقدم شرحه ، وفيه أنهم منقطعون عن الناس ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١/٣٧٧) : (وإنَّما لم يغيروا عليهم وهم كفرةٌ للطمع في إسلامهم بسببها ـ كما سيذكر المصنف ـ ، أو لرعاية ذمامها) .

(٤) ورواه البخاري (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢/٣١٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/٢٧٧) .

وحديثُ المِيضأةِ الذي رواه عمرانُ[1] ، وأبو قتادةَ الأنصاريُّ . . مِنْ هذا الباب ؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لأبي قتادةَ : « **أَمَعَكُمْ مَاءٌ ؟** » ، قال : قلت : نعمْ ، مِيضأةٌ فيها شيءٌ مِنْ ماءٍ ، فتوضَّأ القومُ ، وبقيَ في المِيضأة جُرعةٌ ، فقال : « **ازْدَهِرْ بِهَا يَا أَبَا قَتَادَةَ ؛ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا شَأْنٌ** » ، فذكر الحديث في سَيْرِهم ، فلمَّا اشتدَّتْ بهم الظهيرة قالوا : يا رسولَ الله ؛ هلكْنا عطشاً ، قال : « **لا هُلْكَ عَلَيْكُمْ** » ، ثم قال : « **يَا أَبَا قَتَادَةَ ؛ ائْتِنِي بِالْمِيضَأَةِ** » ، فأتيتُهُ بها ، فقال : « **حُلَّ لِي غُمَرِي** »[2] ـ يعني : قدحَه ـ فحللتُهُ فأتيتُهُ به ، فجعل يصبُّ فيه ويسقي الناسَ ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَحْسِنُوا الْمَلأَ ؛ فَكُلُّكُمْ سَيَصْدُرُ عَنْ رِيٍّ** »[3] ، فشرب القومُ حتى لم يبقَ غيري وغيرُهُ ، فصبَّ لي فقال : « **اشْرَبْ يَا أَبَا قَتَادَةَ** » ، قلت : اشربْ أنتَ يا رسولَ الله ، فقال : « **إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً** » ، فشربتُ ثم شرب بعدي ، وبقيَ في الميضأةِ نحوٌ ممَّا كان فيها ، وهم يومئذٍ ثلاثُ مئةٍ !

٢٨٤ـ أخبرَناه عليُّ بن بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفرٍ الرَّزَّازُ ، أخبرنا محمدُ بن عبيدِ اللهِ بن يزيدَ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، أخبرنا حمَّادُ بن سلمةَ ، عن ثابت ، عن عبد الله بن رباحٍ ، عن أبي قتادةَ ، فذكره ، وفي آخره تصديقُ عمرانَ بن حصينٍ عبدَ الله بن رباح في روايتِهِ[4]

---

(١) الميضأة : المِطهرة التي يُتوضَّأ منها .

(٢) قال الحافظ الزبيدي في « تاج العروس » (غ م ر) : (والغُمَر ـ كصُرَد ـ : قدحٌ صغير يتصافنُ به القومُ في السفر إذا لم يكن معهم من الماء إلا يسيرٌ على حصاة يلقونها في إناء ، ثم يُصبُّ فيه من الماء قدرُ ما يغمر الحصاةَ ، فيُعطاها كلُّ رجل منهم ، وفي الحديث : أنه كان في سفر ، فشُكي إليه العطشُ ، فقال : « أطلقوا لي غمري » أي : ائتوني به) .

(٣) الملأ : الخُلُق والعِشْرة ؛ يدعوهم ألا يتزاحموا على الماء

(٤) ورواه أحمد في « مسنده » (٥/ ٢٩٨) ، وأبو داود (٤٣٧) مختصراً ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٣٢) .

ورواه سليمانُ بن المغيرةِ ، عن ثابت ، فقال فيه : فلمَّا رأى الناسُ ما في الميضأة . تكَابُّوا عليها[1] ، فقال : « أَحْسِنُوا الْمَلأَ ؛ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى »[2]

ومنها ما :

٢٨٥ـ أخبرَنا عليُّ بن أحمدَ بن عبدانَ ، أخبرنا أحمدُ بن عُبيد الصَّفَّارُ ، حدثنا تَمْتامٌ ـ وهو محمدُ بن غالبٍ ـ ، حدثنا موسى بن إسماعيلَ ، حدثنا عكرمةُ ، عن إياسِ بن سلمةَ بن الأكوع ، عن أبيه قال : غزونا مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأصابنا جهدٌ شديد ؛ حتى هممنا أن ننحرَ بعضَ ظهرِنا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « اجْمَعُوا بَعْضَ مَزَاوِدِكُمْ » ، فأمرَ نبيُّ الله بنِطعٍ فَمُدَّ ، قال : فجاء القومُ بشيء في جُرُبِهم فنبذوهُ ، قال : فتطاولتُ أحزرُهُ حتى كم هو ؛ فإذا كرَبْضَةِ الشاة[3] ، ونحن أربعَ عشرةَ مئةً ، فأكلنا حتى شبعنا أجمعين ، قال : ثمَّ تطاولتُ له بعد ما شبعَ القومُ أحزرُهُ كم هو ؛ فإذا هو كرَبْضَةِ الشاة ! قال : فحشونا جُرُبَنا منه ، ثم أُتيَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بنطفةٍ في إداوة ، فصبَّها في قدح ، فرفعنا منها حتى تطهَّرنا بأجمعنا ، ثمَّ جاءَ بعد ذلك ثمانيةُ نفر ، قالوا : هل مِنْ وَضُوءٍ ؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَرَغَ الوَضُوءُ »[4]

ورواه النضرُ بن محمد ، عن عكرمةَ بن عمَّار ، وقال في الحديث : فتوضأنا كلُّنا نُدَغْفِقُهُ دَغْفَقَةً أربعَ عشرةَ مئةً ![5]

---

(١) تكابُّوا : ازدحموا ، تفاعلٌ من الكَبَّة التي هي الزحام .

(٢) رواه مسلم (٣١١/٦٨١) .

(٣) ربضة الشاة : مقدار جثَّتها إذا ربضت على الأرض .

(٤) ورواه المصنف في « دلائل النبوة » (١١٨/٤) .

(٥) رواه مسلم (١٩/١٧٢٩) ، قال الحافظ ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث والأثر » (١٢٣/٢) : (دَغْفَقَ الماءَ : إذا دَفَقَهُ وصبَّهُ صبّاً كثيراً واسعاً ، وفلانٌ في عيشٍ دَغْفَقٍ ؛ أي : واسع) .

وروى أبو هريرةَ قصةَ الأزواد ، وقال : فدعا عليها حتى ملأَ القومُ أزودتَهم[1]

وروي في مثل ذلك عن أبي عمرةَ الأنصاريِّ[2]

وعن أبي خُنيسٍ الغفاريِّ[3]

وعن ابن عباسٍ ، كلُّهُم عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[4]

ومنها ما :

٢٨٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا جعفرُ بن محمد بن شاكرٍ ، حدثنا محمدُ بن سابقٍ ، حدثنا شيبانُ ، عن فراسٍ قال : قال الشعبيُّ : فحدثني جابرُ بن عبد الله : أنَّ أباه استشهد يومَ أحدٍ ، وترك ستَّ بنات ، وتركَ عليه ديناً كثيراً ، فلمَّا حضر جِذَاذُ النخلِ . . أتيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قلتُ : يا رسولَ الله ؛ قد علمتَ أنَّ والدي استشهدَ يومَ أحد ، وتركَ عليه ديناً كثيراً ؛ فأنا أحبُّ أن يراكَ الغرماءُ ، قال : « **اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَتِهِ** »[5] ، ففعلتُ ثم دعوتُهُ ، فلمَّا نظروا إليه

---

(١) رواه مسلم (٢٧/ ٤٤) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤١٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٧٤٢) ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٦١٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٢١) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٥٢٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٢٢) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٣٠٣) : (رواه البزار والطبراني في « الأوسط » ، ورجاله ثقات) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٠٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٥٣١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٢٠) .

(٥) قال الحافظ في « فتح الباري » (٥/ ٤١٤) : (وقوله فيه : « اذهب فبيدر » : بفتح الموحدة وسكون التحتانية بعدها دال مكسورة ، بصيغة فعل الأمر ؛ أي : اجعل كلَّ صنف في بيدرٍ ؛ أي : جرينٍ يخصُّهُ ، ووقع في رواية أبي ذر عن السرخسي : « فبادر ») .

أُغرُوا بي تلك الساعةَ[1] ، فلمَّا رأى ما يصنعون أطافَ حول أَعظَمِها بَيْدَراً ثلاثَ مرات ، ثم جلسَ عليه ، ثم قال : « **ادْعُ أَصْحَابَكَ** » ، فما زالَ يكيلُ لهم حتى أدَّى اللهُ أمانةَ والدي ، وأنا واللهِ راضٍ أن يؤدِّيَ اللهُ أمانةَ والدي ولا أرجعَ إلى أخواتي بتمرةٍ ، فسلَّمَ اللهُ البيادرَ كلَّها ، حتى إنِّي لأنظرُ إلى البيدرِ الذي عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كأنَّه لم ينقصْ منه تمرةٌ واحدةٌ ![2]

ومنها ما :

٢٨٧ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرني أبو النضر الفقيهُ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد ، أخبرنا القَعْنَبِيُّ ، فيما قرأَ على مالك ، عن إسحاقَ بن عبد الله بن أبي طلحةَ : أنَّهُ سمع أنسَ بن مالك يقول : قال أبو طلحةَ لأمِّ سُليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ضعيفاً أعرفُ به الجوعَ ، فهل عندكِ مِنْ شيءٍ ؟ فقالت : نعم ، فأخرجَتْ أقراصاً مِنْ شعيرٍ ، ثم أخذَتْ خِماراً لها ، فلفَّتِ الخبزَ ببعضه ، ثم دَسَّتْهُ تحت يدي ، ورَدَّتْني ببعضه[3] ، ثم أرسلَتْني إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فذهبتُ به ، فوجدتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم جالساً في المسجد ومعه أناسٌ ، فقمتُ عليهم ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ ؟** » ، قال : فقلتُ : نعم ، فقال : « **طَعَامٌ ؟** » فقلتُ : نعم ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لِمَنْ حولَهُ : « **قُومُوا نَنْطَلِقْ** »

قال : فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه ، فقال

---

(١) أغروا : لجُّوا في مطالبتي وألحُّوا . انظر « النهاية » لابن الأثير (٣/ ٣٦٥) .

(٢) ورواه البخاري (٢١٢٧ ، ٢٧٨١) .

(٣) قال القاضي في « إكمال المعلم » (٦/٥١٧) : (وقوله : « وردتني ببعضه » : فيه تأويلان ؛ أحدهما : قيل : ردَّتني بطرف خِمارِها ، وقيل : ردَّتْ جوعي ببعضه ؛ أي : أعطتني مِنْ ذلك شيئاً)

أبو طلحةَ : يا أمَّ سُليم ؛ قد جاء رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالناس وليس عندنا ما نُطعمُهم ، فقالت : اللهُ ورسولُهُ أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأقبل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبو طلحةَ معه حتى دخلا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ** » ، فجاءت بذلك الخبزِ ، فأمرَ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ ففتَّتْهُ ، وعصرتْ عليه أمُّ سُليم عُكَّةً لها فأَدَمَتْهُ[1] ، ثم قال فيه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما شاء اللهُ أن يقولَ ، ثم قال : « **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ** » ، فأَذِنَ لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثمَّ خرجوا ، ثم قال : « **ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ** » ، حتى أكلَ القومُ كلُّهم وشبعوا ، والقومُ سبعون رجلاً أو ثمانون ![2] .

ورواه سعدُ بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، وزادَ في آخره : قال : ثم هيَّأها ، فإذا هي مثلُها حين أكلوا منها ![3] .

ورواه النضرُ بن أنس ، عن أنسٍ ، وقال : وأكلَ منها بضعٌ وثمانون رجلاً ، وفضلَ منها فضلٌ ! فدفعَها إلى أمِّ سُليم فقال : « **كُلِي وَأَطْعِمِي جِيرَانَكِ** »[4]

وفي حديث جابرِ بن عبد الله : أنَّهُ دعا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على صاع مِنْ شعير وعَناقٍ ، فدعا اللهَ على القِدْرِ والتنُّور ، فأكلوا وهم ثلاثُ مئة ! قال : وأكلنا وأهدينا لجيراننا ، فلمَّا خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . ذهب ذلك[5]

---

(١) **العُكَّة** : وعاءٌ من جلد أصغرُ من القربة ، يحفظ فيه السمن أو العسل ، **وأدمته** : جعلته إداماً للمفتوت .

(٢) ورواه البخاري (٤٢٢ ، ٣٥٧٨) ، ومسلم (٢٠٤٠/١٤٢) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٤٠/١٤٣) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٤٢) ، ومسلم (٢٠٤٠/١٤٣) .

(٥) رواه البخاري (٣٠٧٠ ، ٤١٠١) ، ومسلم (٢٠٣٩/١٤١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٤٢٤) .

قال الشيخ :

ورُبُوُّ الطعام بتبريكِهِ فيه حتى أكلَ منه عددٌ كثيرٌ ، وزيادةُ الماء بدعائه . . قد رويناهما مِنْ أوجهٍ[١]

وفي حديث سَمُرَةَ في القَصعةِ التي كانت تُمَدُّ مِنَ السماء[٢]

وفي حديث أبي أيوبَ فيما صَنع مِنَ الطعام[٣]

وفي الشاة التي اشتراها مِنَ الأعرابيِّ[٤]

وفي اللَّبن الذي دعا عليه أهلَ الصفةِ[٥]

---

(١) في (د ، هـ) زيادة : (أُخَرَ) .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٢٥) وقال : (حسن صحيح) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٦٧٠٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٩٣) ، وفيه : (عن سمرة بن جندب قال : كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتداولُ في قصعة من غدوة حتى الليل ؛ يقوم عشرةٌ ويقعد عشرة ، قلنا : فما كانت تمدُّ ؟! قال : من أيِّ شيء تعجبُ ؟! ما كانت تمدُّ إلا من ها هنا ، وأشار بيده إلى السماء) .

(٣) رواه الفريابي في « دلائل النبوة » (١٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤/ ١٨٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٩٤) ، وكان سيدنا أبو أيوب قد صنع طعاماً لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره يدعو أشرافَ الأنصار ؛ حتى أطعم مئة وثمانين رجلاً !

(٤) رواه البخاري (٢٢١٦، ٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦/١٧٥)، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٩٥) من حديث سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ، وفيه : أنه عليه الصلاة والسلام اشترى شاة من رجل مشرك، ثم أطعمها مئة وثلاثين رجلاً! وفيه: (وأمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى ، وايم الله ؛ ما في الثلاثين والمئة إلا قد حزَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم له حزةً من سواد بطنها ؛ إن كان شاهداً أعطاها إياه ، وإن كان غائباً خبأ له، فجعل منها قصعتين ، فأكلوا أجمعون وشبعنا ، ففضلت القصعتان ، فحملناه على البعير) .

(٥) رواه البخاري (٥٣٧٥ ، ٦٤٥٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٠١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : (قال : « يا أبا هرٍّ » ، قلت : لبيكَ يا رسول الله ، قال : « خذْ فأعطِهم » ، قال : فأخذت القدح ، فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يردُّ عليَّ القدحَ ، فأعطيه للآخر فيشربُ حتى يَرْوَى ، ثم يردُّ عليَّ القدحَ ، حتى انتهيت =

وفيما خَلَّف على عائشةَ مِنَ الشعير[1]

وفيما أعطى الرجلَ مِنَ الشعير[2]

وفيما بقيَ عند المرأة مِنَ السمنِ في العُكَّة[3]

وغير ذلك ، وسائرُ هذه الأحاديثِ وغيرُها ممَّا في معناها بأسانيدها . . ممَّا يطولُ به الكتاب ، وفيما أشرنا إليه كفايةٌ ، وبالله التوفيقُ .

= إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وقد رَوِيَ القومُ كلُّهم ، فأخذ القدحَ ، فوضعه على يده ، فنظرَ إليَّ فتبسَّمَ فقال : « أبا هرٍّ » ، قلت : لبيك يا رسولَ الله ، قال : « بقيتُ أنا وأنتَ » ، قلت : صدقْتَ يا رسولَ الله ، قال : « اقعدْ فاشربْ » ، فقعدت فشربت ، فقال : « اشربْ » فشربت ، فما زالَ يقول : « اشربْ » حتى قلتُ : لا والذي بعثك بالحقِّ ؛ ما أجدُ له مسلكاً ! قال : « فأرني » ، فأعطيته القدح ، فحمدَ الله وسمَّى وشربَ الفضلة) .

(١) رواه البخاري (٣٠٩٧) ، ومسلم (٢٩٧٣/٢٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (١١٣/٦) ، وفيه : أنَّها قالت رضي الله عنها : (توفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي من شيء يأكلُهُ ذو كبد . . إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي ، فأكلت منه حتى طال عليَّ ، فكلْتُهُ ، ففَنِيَ) .
قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (١٩٧/٥) : (قيل : إنَّ البركةَ . . مع جهل المأخوذ منه ، فلمَّا كالتْهُ . . علمَتْ مدة بقائه ، ففنيَ عند تمام ذلك الأمد ، وأما حديث : « كيلوا طعامَكم يبارِكْ لكم فيه » . . فمحمولٌ على أوَّلِ تملكِهِ إيَّاه ، أو عند إخراج النفقة منه ، بشرط أن يبقى الباقي مجهولاً) .

(٢) رواه مسلم (٢٢٨١/٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (١١٤/٦) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، وفيه : أنَّ رجلاً أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم يستطعمُهُ ، فأطعمَهُ شطرَ وَسْقِ شعيرٍ ، فما زال الرجلُ يأكلُ منه وامرأتُهُ وضيفُهما ، حتى كاله ، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لو لم تكِلْهُ . . لأكلتُم منهُ ، ولقامَ لكُم » .

(٣) رواه مسلم (٢٢٨٠/٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (١١٤/٦) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، والمرأة هي أمُّ مالكٍ ، وفيه : أنَّها كانت تهدي للنبيِّ صلى الله عليه وسلم في عُكَّة لها سمناً ، فيأتيها بنوها فيسألون الأُدْم ، وليس عندهم شيءٌ ، فتعمدُ إلى الذي كانت تهدي فيه للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ فتجدُ فيه سمناً ، فما زال يقيمُ لها أُدْمَ بيتها حتى عصرته ، فأتت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « عصرتيها ؟ » ، قالت : نعم ، قال : « لو تركتيها . . ما زالَ قائماً » ؛ أي : موجوداً حاضراً

ومنها ما :

٢٨٨ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، وأبو عبد الله الحسينُ بن عمرَ بن بَرْهانٍ الغزَّالُ في آخرين قالوا : أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا الحسن بن عَرَفَةَ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ عياش ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرٍّ بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنت أرعى غنماً لعقبةَ بن أبي مُعيط ، فمرَّ بي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبو بكرٍ رضي الله عنه ، فقال لي : « **يَا غُلامُ ؛ هَلْ مِنْ لَبَنٍ ؟** » ، قال : قلتُ : نعم ، ولكني مُؤتمنٌ ، قال : « **فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ ؟** » ، قال : فأتيته بشاةٍ ، فمسحَ ضرعَها ، فنزل لبنٌ ! فحلبَهُ في إناء ، فشربَ وسقى أبا بكر ، قال : ثم قال للضرع : « **اقْلِصْ** » ، فقلصَ ! قال : ثم أتيتُهُ بعد هذا فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ علِّمني مِنْ هذا القول ، قال : فمسح رأسي وقال : « **يَرْحَمُكَ اللهُ ؛ فَإِنَّكَ غُلَيِّمٌ مُعَلَّمٌ** »[١]

ورواه حمَّادُ بن سلمة[٢] ، وغيره[٣] ، عن عاصم فقال : « **فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ بَعْدُ ؟** » ، فأتيتُهما بها ، فاعتقلَها أبو بكر ، وأخذَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الضرعَ ، فدعا فحفلَ الضرعُ .

وقد صنعَ مثلَ هذا في غير موضع ، وصنعَ ذلك بشاةِ أمِّ معبدٍ حين مرَّ بها في الهجرة ، حتى قال فيه الهاتفُ الأبياتَ المذكورةَ في قصَّتِها[٤]

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٧٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ١٧٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٤٦٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ١٧١) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦٥٠٤) من طريق أبي عوانة ، عن عاصم .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (١/ ٢٧٦) ، واسم أم معبد : عاتكة بنت خالد ، وانظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤٨٧) ومن الأبيات المشار إليها : (من الطويل)

جــزى اللهُ ربُّ النـــاسِ خيــرَ جــزائِــهِ ... رفيقيــنِ حــلَّا خيمَتَــيْ أمِّ معبــدِ =

ومنها ما :

٢٨٩ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا عُبيدُ الله بنُ موسى ، وعبدُ الله بن رجاءٍ أبو عمرَ الغُدَانيُّ (ح)

وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا محمدُ بن سليمانَ بن الحارث ، حدثنا عُبيدُ الله بنُ موسى ، وعبدُ الله بن رجاءٍ قالا : حدثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ بن عازب قال : اشترى أبو بكرٍ مِنْ عازبٍ رحلاً بثلاثةَ عشرَ درهماً ، فقال أبو بكرٍ لعازبٍ : مُرِ البراءَ فليحملْهُ إلى رحلي ، فقال له عازبٌ : ألا[1] تحدثني كيف صنعتَ أنتَ ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين خرجتُما مِنْ مكةَ والمشركون يطلبونَكما .

قال : أدلجْنا مِنْ مكةَ ليلاً ، فأحيينا ليلتَنا ويومَنا ، حتى أظهرْنا وقامَ قائمُ الظهيرة ، فرميتُ ببصري : هل أرى مِنْ ظلٍّ نأوي إليه ؛ فإذا صخرةٌ ، فانتهيتُ إليها ، فإذا بقيَّةُ ظلٍّ لها ، قال : فسويتُهُ ، ثم فرشْتُ لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فَروةً ، ثم قلتُ : اضطجعْ يا رسولَ الله ، فاضطجعَ ، ثم ذهبتُ إليه أنفضُ ما حولي ؛ هل أرى مِنَ الطلبِ أحداً[2] ؛ فإذا براعي غنمٍ يسوقُ غنمَهُ إلى الصخرة يريدُ منها الذي أُريد ـ يعني : الظلَّ ـ ، فسألته ، فقلتُ له : لِمَنْ أنت يا غلامُ ؟ فقال لرجلٍ مِنْ قريشٍ ، فسمَّاه ، فعرفته ، فقلت : هل في غنمك مِنْ لبنٍ ؟ قال : نعم ، قلت : هل أنت حالبٌ لي ؟ قال : نعم ، فأمرتُهُ ، فاعتقل شاةً مِنْ غنمِهِ ، وأمرتُهُ أن ينفضَ ضرعَها مِنَ التراب ، ثم أمرتُهُ أن ينفضَ كفيهِ ، فقال هكذا ؛ فضربَ إحدى كفيه على الأخرى ، فحلبَ لي كثبةً مِنْ لبن وقد رَوَّيتُ

= هما نزلا بالبرِّ ثم تروَّحا ... فأفلحَ مَنْ أمسى رفيقَ محمَّدِ
ليَهْنَ بني كعب مكانُ فتاتِهم ... ومقعدُها للمؤمنينِ بمرصدِ

(١) كذا في (أ ، ج ، و) ، وفي (د ، هـ) : (لا حتى) .

(٢) في « دلائل النبوة » لأبي نعيم (١/ ٦٢) : (أنفض ما حولي ؛ أي : أنظر هل أرى . . .) .

معي لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إداوةٌ على فمِها خرقةٌ[1] ، فصببتُ على اللبن حتى بردَ أسفلُهُ ، فأتيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فوافقتُهُ وقد استيقظَ ، فقلت : اشربْ يا رسولَ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ، فشربَ حتى رضيتُ ، ثم قلتُ : قد آنَ الرحيلُ يا رسولَ الله .

قال فارتحلنا والقومُ يطلبونَنا ، فلم يدركْنا أحدٌ منهم غيرُ سُراقةَ بنِ مالك بن جُعشمٍ على فرس له ، فقلت : هذا الطلبُ قد لحقَنا يا رسولَ الله ، قال : « **لا تَحْزَنْ ؛ إِنَّ اللهَ مَعَنَا** » ، فلمَّا دنا منَّا وكان بيننا وبينه قِيدُ رمحينِ أو ثلاثة . . قلت : هذا الطلبُ قد لحقنا يا رسولَ الله ، وبكيتُ ، فقال : « **مَا يُبْكِيكَ ؟** » ، فقلتُ : أما واللهِ ما على نفسي أبكي ، ولكنَّني إنَّما أبكي عليكَ ، قال : فدعا عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : « **اللَّهُمَّ ؛ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ** » ، قال : فساخَتْ به فرسُهُ في الأرض إلى بطنِها ، فوثَبَ عنها ، ثم قال : يا محمدُ ؛ قد علمتُ أنَّ هذا عملُكَ ، فادعُ اللهَ أن ينجيَني ممَّا أنا فيه ، فواللهِ ؛ لأعمينَّ على مَنْ ورائي مِنَ الطلب ، وهذه كنانتي فخذْ منها سهماً ؛ فإنَّك ستمرُّ بإبلي وغنمي بمكانِ كذا وكذا ، فخذْ منها حاجتَكَ ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لا حَاجَةَ لَنَا فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ** » ، ودعا له رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فانطلقَ راجعاً إلى أصحابِهِ ، ومضى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأنا معه حتى قدمنا المدينةَ ليلاً[2]

ورواه زهيرُ بن معاويةَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراء ، عن أبي بكرٍ قال فيه : واتبعَنا سراقةُ بن مالك ونحن في جَلَدٍ مِنَ الأرض ، فقلتُ : يا رسولَ الله ؛

---

(1) روَّيت ـ وفي بعض الروايات : روَّأت ـ : شددتها بالخرقة وربطتها عليها ، ويجوز نصب (خرقة) .

(2) ورواه البخاري (٢٤٣٩ ، ٣٦٥٢) ، ومسلم (٢٠٠٩/٩٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٤٨٣) .

أُتينا ، فقال : « **لا تَحْزَنْ ؛ إنَّ اللهَ مَعَنَا** » ، فدعا عليه رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فارتطمَتْ فرسُهُ إلى بطنِها[(١)]

ورواه الزهريُّ ، عن عبد الرحمن بن مالك المُدْلِجيِّ ، عن أبيه ، عن سراقةَ ، فذكر قصَّة خروجه خلفَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : حتى سمعتُ قراءةَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكر يكثرُ التلفُّتَ ، ساخَتْ يدا فرسي في الأرض حتى بلغتِ الركبتينِ ، فخررْتُ عنها ، ثم زجرتُها ، فنهضَتْ ، فلم تكدْ تخرجُ يداها ، فلمَّا استوَتْ قائمةً . . إذا لأثرِ يديها غبارٌ ساطعٌ في السماء مثلُ الدخان[(٢)] ، قال : فعرفتُ أنَّهُ يُمنَعُ منِّي ، وأنَّهُ ظاهرٌ[(٣)]

والأحاديثُ في دعائِهِ على آحاد المشركين ، ودعائِهِ لآحاد المسلمين ، واستسقائِهِ ، ودعائِهِ بالحبس ، وإجابةِ الله تعالى إيَّاه فيما سألَ . . كثيرةٌ ، وهي في كتاب « الدلائل » بأسانيدِها مذكورةٌ[(٤)]

ومنها ما :

٢٩٠ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، ومحمدُ بن موسى قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أحمدُ بن عبد الجبَّار ، حدثنا يونسُ بن بُكير ، عن إسماعيلَ بن عبد الملكِ ، عن أبي الزبير ، عن جابرٍ قال : خرجتُ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في سفرٍ ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٥) .

(٢) قوله : (غبار) كذا في جميع النسخ عدا (ج) ، ففيها : (عُثان) ، وهي روايةُ البخاري ورواية المصنف في « دلائل النبوة » ، قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٢٤٢) : (عُثانٌ ؛ أي : دخان ، قال معمر : قلت لأبي عمرو بن العلاء : ما العثان ؟ قال : الدخانُ من غير نار ، وفي رواية الكشميهني : غبارٌ ، والأول أشهر) .

(٣) رواه البخاري (٣٩٠٦) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٤٨٥) .

(٤) دلائل النبوة (٢/ ٣٢٤ ، ٣٣٥) .

وسلَّم إذا أرادَ البَراز تباعدَ حتى لا يراهُ أحدٌ ، فنزلنا مَنزِلاً بفلاةٍ مِنَ الأرض ، ليس فيها عَلَمٌ ولا شجرٌ ، فقال لي : « **يَا جَابِرُ ؛ خُذِ الإِدَاوَةَ ، وَانْطَلِقْ بِنَا** » ، فملأتُ الإداوةَ ماءً وانطلقْنا ، فمشينا حتى لا نكادُ نُرى ، فإذا شجرتانِ بينَهما أذرعٌ ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **يَا جَابِرُ ؛ انْطَلِقْ ، فَقُلْ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ : يَقُولُ لَكِ رَسُولُ اللهِ ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ : الْحَقِي بِصَاحِبَتِكِ حَتَّى أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا** » ، ففعلتُ ، فزحفَتْ حتى لحقَتْ بصاحبتِها ، فجلسَ خلفهما حتى قضى حاجتَهُ !

ثم رجعنا فركبنا رواحلَنا ، فسرنا كأنَّما علينا الطيرُ تُظلُّنا ؛ فإذا نحن بامرأةٍ قد عرضَتْ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم معها صبيٌّ تحملُهُ ، فقالت : يا رسولَ الله ؛ إنَّ ابني هذا يأخذُهُ الشيطانُ كلَّ يوم ثلاث مراتٍ لا يدعُهُ ، فوقفَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فتناولَهُ ، فجعلَهُ بينه وبين مُقدِّمةِ الرحل ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ ، أَنَا رَسُولُ اللهِ** » ، فأعادَ ذلك ثلاثَ مرَّات ، ثم ناولَها إيَّاه ، فلمَّا رجعنا ، فكنَّا بذلك الماء.. عرضَتْ لنا المرأةُ معها كبشانِ تقودُهُما والصبيُّ تحملُهُ ، فقالت : يا رسولَ الله ؛ اقبلْ منِّي هديتي[1] ، فوالذي بعثَكَ بالحقِّ ؛ إنْ عادَ إليه بعدُ[2] ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **خُذُوا أَحَدَهُمَا مِنْهَا ، وَرُدُّوا الآخَرَ** » .

ثم سرنا ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بيننا ، فجاء جملٌ نادٌّ ، فلمَّا كان بين السِّماطين خرَّ ساجداً ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ صَاحِبُ هَذَا الْجَمَلِ ؟** » ، فقال فتيةٌ مِنَ الأنصار : هو لنا يا رسول الله ، قال

---

(١) كذا في النسخ ، وعند ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٤١٣) : (هذين) إشارة إلى الكبشين .

(٢) يعني : لم يرجع إليه الشيطان ، فـ (إن) هنا نافية ، وفي رواية لابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٤١٤) : (برأ وعقل عقلاً ليس كعقول الناس) .

« فَمَا شَأْنُهُ ؟ » ، قال : سَنَوْنا عليه منذ عشرينَ سنةً[١] ، فلمَّا كبرَتْ سنُّهُ ، وكانت عليه شُحيمةٌ[٢] . . فأردنا نحرَهُ لنقسمَهُ بين غِلمتنا ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **تَبِيعُونِيهِ** ؟ » ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ هو لك ، قال : « **فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ** » ، قالوا : يا رسولَ الله ؛ نحن أحقُّ أن نسجد لك مِنَ البهائم ، قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ . . كَانَ النِّسَاءُ لِأَزْوَاجِهِنَّ** »[٣]

وقد روى عُبادةُ بن الوليد عن جابرِ بن عبد الله قصَّةَ انقيادِ الشجرتين لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم ، واجتماعِهما حتى استترَ بهما ، ثم افتراقِهما[٤]

وروى يعلى بنُ مُرَّةَ ، عن أبيه ، وقيل عنه دون أبيه : أنَّهُ شهدَ هذه المعجزاتِ الثلاثَ مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، كما شهدَهُنَّ جابرٌ[٥]

وروينا في حديث ابن عباسٍ دعاءَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم العِذْقَ ، ونزولَهُ مِنَ النخلة ، ومشيَهُ إليه ، ورجوعَهُ إلى مكانِهِ[٦]

---

(١) **سنونا** : استقينا عليه الماء لسقيا الأرض ، فهو سانيةٌ ؛ تقول : سنت الناقةُ تسنو سناوة وسِناية ، ورواية ابن أبي شيبة المشار إليها : (سنينا) ، وانظر « تاج العروس » (س ن ي) .

(٢) **أرادوا** : بقيةَ سِمَنٍ فيه

(٣) ورواه أبو داود (٢) مختصراً ، والدارمي (١٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٤١٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٨) .

(٤) رواه مسلم (٣٠٠٦/ ٧٤) من حديث طويل ينظر منه (٣٠١٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٧)

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٧٠ ، ١٧١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٢٠) وما بعدها .

(٦) رواه الترمذي (٣٦٢٨) وقال : (حديث حسن غريب صحيح) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٥) ، وفيه : أنه جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : بمَ أعرفُ أنَّكَ نبيٌّ؟ قال : « إنْ دعوتُ هذا العذقَ مِنْ هذهِ النخلةِ . . تشهدُ أنِّي رسولُ اللهِ ؟ » ، =

وفي حديث ابن عمرَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم **دعاءَهُ الشجرةَ ، وإقبالَها إليهِ حتى قامَتْ بين يديه** ، فاستشهدَها ثلاثاً ؛ فشهدَتْ أنَّهُ كما قال ، ثم رجعَتْ إلى منبتِها ![1]

وفي حديث سلمانَ الفارسيِّ حين كاتبَ قومَهُ على كذا وكذا نخلةً يغرسُها لهم ويقوم عليها حتى تُطعِمَ ، فجاء النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، **فغرس النخلَ كلَّها** إلا نخلةً واحدة غرسَها غيرُهُ ، **فأطعمَ نخلُهُ مِنْ سنتِهِ إلا تلك النخلةَ**[2] .

وفي حديث جابر وغيره ، في قصَّة خيبرَ **إخبارَ الذراع إيَّاه بأنَّها مسمومةٌ**[3]

وفي حديث أبي سعيد الخدريِّ ، **شهادةَ الذئبِ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم بالرسالة**[4]

وفي حديث النعمان بن بشير[5] ، ....

= فدعاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلَ ينزلُ من النخلة حتى سقطَ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « ارجعْ » ، فعاد ، فأسلمَ الأعرابيُّ ، وتقدم برقم (١٤) .

(١) رواه الدارمي في « سننه » (١٦) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٥٠٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ١٤) ، وفي « السنن الكبرى » (١٠/ ١٢٣) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٥٤ ، ٤٤٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٩٧) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٣٣٦) : (رواه أحمد والبزار ، ورجاله رجال الصحيح) ، وفيه في **شأن تلك النخلة** : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ غرسَها ؟ » ، قالوا : عمرُ ، فغرسَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من يده ، فحملَتْ من عامها .

(٣) رواه أبو داود (٤٥١٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ٢٦٢) .

(٤) رواه الترمذي (٢١٨١) مختصراً ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٤٩٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/ ٤٦٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤١) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « مَنْ عاش بعد الموت » (٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤/ ٢٠٢) (٥/ ٢١٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٦) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢٣٠) : (رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح) ، وفيه : سمعناه يقول : أنصتوا أنصتوا ، فنظر بعضُنا إلى بعض ؛ فإذا الصوتُ من تحت =

وسعيد بن المسيَّب[1] ، شهادةَ زيدِ بن خارجةَ الأنصاريِّ بعد ما مات لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم بالرسالة .

وفي حديث رُوي عن عُمرَ وغيره ، في شهادة الضَّبِّ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم بالرسالة[2]

وفي حديث رِبعيِّ بن حِراش شهادةَ أخيه بعد ما مات لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم بالرسالة[3]

وفي حديث الأعمش ، عن شِمْرِ بن عطيةَ ، عن أشياخه ، شهادةَ الصبيِّ الذي شبَّ ولم يتكلَّمْ لنبيِّنا بالرسالة[4]

= الثياب ، فكشفنا عن وجهه ، فقال : هذا أحمدُ رسول الله ، سلامٌ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

(١) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٥) وقال إثره : (هذا إسناد صحيح ، وله شواهد) ، وابن عبد البر في « الاستيعاب » (٢/ ٥٤٧)

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٩٦) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٧٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٦) ، وقال إثره : (وروي ذلك في حديث عائشة ، وأبي هريرة ، وما ذكرناه هو أمثلُ الإسناد فيه ، والله أعلم) ، وقال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » (١/ ٢٦٠) : (هو مطعون فيه ، وقيل : إنه موضوع ، لكن معجزاته صلى الله عليه وسلم فيها ما هو أبلغُ مِنْ هذا ، وليس فيه ما ينكرُ شرعاً ؛ خصوصاً وقد رواه الأئمة ، فنهايتُهُ الضعفُ لا الوضع) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مَنْ عاش بعد الموت » (٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٤/ ٣٦٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٥٤) وقال إثره : (هذا إسناد صحيح ، لا يَشُكُّ حديثيٌّ في صحَّته) .

(٤) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٦٠) وعنون الباب لهذا الحديث وحديث مُعيقيب الآتي بـ (باب ما جاء في شهادة الرضيع والأبكم لنبيِّنا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، إن صحَّت فيه الرواية) ، وفيه : أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام أُتي بصبيٍّ قد شبَّ ولم يتكلَّمْ قط ، قال : « مَنْ أنا ؟ » ، قال : أنت رسولُ الله !

وفي حديث مُعيقِيب شهادةَ الرضيع لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم[1]

وفي قصة أُحُدٍ أنَّ نبيَّنا صلَّى الله عليه وسلَّم أعطى عبدَ الله بن جحش عسيباً مِنْ نخل وكان قد ذهبَ سيفُهُ ، فرجع في يد عبد الله سيفاً ![2]

وفي مغازي محمد بن إسحاقَ بن يسار ، ثم الواقديِّ ، في قصَّة بدر : أنَّ عُكاشةَ بن محصن انقطعَ سيفُهُ ، فأعطاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عوداً ؛ فإذا هو سيفٌ أبيضُ طويلُ القامة ، فلم يزلْ عنده حتى هلكَ[3]

وفي كتاب الواقديِّ : أنَّه انكسرَ سيفُ سلمةَ بن أسلم ، فأعطاه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قضيباً كان في يده ، فقال : « اضْرِبْ بِهِ » ؛ فإذا هو سيف جيدٌ ، فلم يزلْ عنده حتى قتلَ يوم جسر أبي عُبيد[4]

---

(١) رواه أبو نعيم في « معجم الصحابة » (٦٣٥٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٥٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/ ٣٨٦) ، وفيه : قولُ معيقيب : حججتُ حجةَ الوداع ، فدخلت داراً بمكة ، فرأيتُ فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ووجهُهُ مثلُ دارة القمر ، وسمعت منه عجباً : جاءه رجلٌ بغلام يومَ وُلدَ ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلامُ ؛ مَنْ أنا ؟ » ، قال : أنت رسولُ الله ! قال : « صدقْتَ ، باركَ اللهُ فيكَ » ، ثم إنَّ الغلام لم يتكلَّمْ بعد ذلك حتى شبَّ ، قال : قال أبي : فكنَّا نسمِّيه مباركَ اليمامةِ .
قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساقه في « البداية والنهاية » (٦/ ١٥٨) : (وليس هذا ممَّا ينكر عقلاً ولا شرعاً ، فقد ثبت في الصحيح في قصة جُريج العابد : أنَّهُ استنطق ابن تلك البغي ، فقال له : يا أبا يونسَ ؛ ابنُ مَنْ أنتَ ؟ قال : ابنُ الراعي ، فعلم بنو إسرائيل براءةَ عِرْضِ جُريج ممَّا كان نسب إليه) ، وانظر « الإصابة » (٦/ ١٤١) .

(٢) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٢٥٠) .

(٣) رواه الواقدي في « مغازيه » (١/ ٩٣) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١/ ١٨٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩٩٨) ، وذكره ابن هشام في « السيرة » (١/ ٦٣٧) .

(٤) رواه الواقدي في « مغازيه » (١/ ٩٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩) ، ووقعة جسر أبي عبيد كانت مع الفرس ، وقد مات فيها أمير المسلمين أبو عبيد ، فنُسب الجسر إليه ، وانظر « البداية والنهاية » (٧/ ٢٧) .

وفي قصَّة بدر ـ وقيل : أُحد ـ عن قتادةَ بن النعمان : أنَّهُ أُصيبَتْ عينُهُ ، فسالَتْ حدقتُهُ على وجنته ، فدعا به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فغمزَ حدقته براحتِهِ ، فكان لا يدري أيَّ عينيه أُصيبَتْ[1]

وعن رِفاعةَ بن رافع : أنَّهُ رُميَ يومَ بدر بسهمٍ ، ففُقِئَتْ عينُهُ ، فبصقَ فيها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ودعا له ؛ فما آذاهُ[2]

وبصقَ في عَيْنَي عليٍّ رضي الله عنه يومَ خيبرَ مِنْ رمدٍ كان بها ، ودعا له ، فبرأَ حتى كأن لم يكنْ به وجعٌ ، ثم لم يشكُ عينيهِ بعدُ[3]

وله مِنْ دعواتِهِ واستسقائِهِ واستشفائِهِ ، وإجابةِ الله تعالى إيَّاه في جميع ذلك . . آياتٌ كثيرةٌ ودلالاتٌ واضحةٌ ، ومعجزاتُهُ أكثرُ مِنْ أن تُحصى ، وأشهرُ مِنْ أن تخفى ؛ وإنما نُشير ها هنا مِنْ كلِّ جنسٍ إلى مقدارِ ما يتَّضحُ به ما قصدناه بهذا الكتاب .

وقد روينا أنَّ جماعةً مِنْ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم رأوا جبريلَ عليه السلام في صورة دِحيةَ الكلبيِّ ودحيةُ غائبٌ[4]

---

(١) رواه أبو يعلى في « مسنده » (١٥٤٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٩٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٩/ ٢٧٩) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٣٢) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٥٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ١٠٠) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/ ٨٢) : (رواه البزار والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » ، وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو ضعيف) .

(٣) رواه البخاري (٢٩٤٢) ، ومسلم (٢٤٠٦/ ٣٤) من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهما

(٤) رواه البخاري (٣٦٣٣) ، ومسلم (٢٤٥١/ ١٠٠) من حديث سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وانظر « دلائل النبوة » للمصنف (٤/ ٥) .

ورأى جماعةٌ مِنَ المشركين جماعةً مِنَ الملائكة الذين أُمدَّ بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ بدر[1]

ورأى سعدُ بن أبي وقاص يومَ أُحُدٍ رجلينِ ؛ أحدُهما عن يمين النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، والآخرُ عن يساره ، عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه أشدَّ القتال ، ما رآهما قبل ذلك ولا بعده ؛ وإذا هما ملكانِ[2]

وأمَّا إخبارُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن الكوائن أيام حياته وبعد وفاته ، وظهورُ صدقه في جميع ذلك . . فهي كثيرةٌ ، وهي في كتاب « الدلائل » منقولةٌ .

فإنَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم أخبرَ حين كان بمكَّةَ بما أفسدَتِ الأَرَضةُ مِنْ صحيفة قريش ، فأُتيَ بها ، فوُجدَتْ كما قال[3]

وحين أخبرَ عن مسراهُ إلى بيت المقدس ، ثم إلى السماوات السبع ، وكُذِّبَ فيه ؛ أخبرَ عن عيرهم التي رآها في طريقه وعن قدومِها ، وعن نبأِ بيت المقدس ، فكان كما قال[4]

وأخبرَ أصحابَهُ بما وقع لزيد بن حارثةَ ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحةَ بمؤتةَ ، ونعاهم قبلَ أن يجيءَ خبرُهُم[5]

---

(١) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٧٨) وما بعده ، وانظر « الخصائص الكبرى » (١/ ٣٣٥) .

(٢) رواه البخاري (٤٠٥٤) ، ومسلم (٢٣٠٦/ ٤٦) ، وفيه : (يعني : جبريل وميكائيل عليهما السلام)

(٣) رواه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٢٠٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٣١١) من حديث سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٣٨٨٦) ، ومسلم (١٧٠/ ٢٧٦) مختصراً من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٣٣٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٣٥٥) ، وانظر « الدر المنثور » (٥/ ١٩٠) .

(٥) رواه البخاري (١٢٤٦ ، ٣٦٣٠) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

ونعى النجاشيَّ في اليوم الذي ماتَ فيه[1]

وأخبرَ عن كتاب حاطب بن أبي بلتعة[2]

وأخبرَ عن أشياءَ وُجِدَ تصديقُهُ في جميعها ، وروايةُ جميع ذلك ها هنا ممَّا يطول به الكتاب .

ووعد أمَّتَهُ الفتوحَ التي وُجدَتْ بعده[3]

وحذَّرَهم الفتنَ التي بدت في آخر خلافة عثمانَ، وظهرَتْ عند قتلِهِ وبعدَهُ[4].

وأخبرَهُم بمدَّة الخلفاء بعدَهُ[5]

وأشارَ إلى الملوك الذين يكونون بعدَهُم من بني أميَّةَ[6] ، ثم من بني العبَّاس[7] ، فكانوا كما قال .

وسمَّى جماعةً مِنْ أصحابه شهداءَ ، فأدركوا الشهادةَ بعدَهُ[8]

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٥) ، ومسلم (٩٥١/ ٦٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤/ ١٦١) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٦/ ٣١٧) .

(٤) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٦/ ٤٠٥) .

(٥) رواه أبو داود (٤٦٤٦) ، والترمذي (٢٢٢٦) وحسَّنه ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٩٩) من حديث سيدنا سفينةَ رضي الله عنه ، قال العلامة ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » (٢/ ١٢٢) : (وقد صحَّحه الإمام أحمد ، واحتجَّ به على خلافة الأئمة الأربعة) ، وقد تمَّت بخلافة سيدنا الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما .

(٦) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٦/ ٥٠٩) .

(٧) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٦/ ٥١٣) .

(٨) كنعته بالشهادة لسيدنا عمر ولسيدنا عثمان رضي الله عنهما وهو على جبل أحد ، وهو حديث رواه البخاري (٣٦٧٥) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ومسلم (٢٤١٧/ ٥٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « دلائل النبوة » للمصنف (٦/ ٣٥٢) .

وأخبر بأنَّ عبد الله بن سَلام لا يدركُ الشهادةَ ، غيرَ أنَّهُ يموت على الإسلام ، فكان كما أخبر[1]

وأخبر عن البلاء الذي أصابَ عثمانَ بن عفانَ[2]

وعن قتل عمَّار بن ياسر[3]

وقتلِ ابنِ ابنتِهِ الحسين بن عليٍّ[4]

وإصلاحِ الحسن بن عليٍّ ابنِ ابنتِهِ بين فئتين عظيمتين من المسلمين[5]

فوُجِدَ تصديقُهُ في جميع ذلك .

ونعى نفسَهُ إلى ابنتِهِ فاطمةَ ، وأخبر بأنَّها أوَّلُ أهله لحوقاً به ، فكان كما قال[6]

---

(١) رواه البخاري (٣٨١٣) ، ومسلم (٢٤٨٤/ ١٥٠) من حديث قيس بن عُباد رحمه الله تعالى .

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣/ ٢٨) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٨٨) ، وهو حديث بئر أريس .

(٣) رواه البخاري (٤٤٧) ، ومسلم (٢٩١٥/ ٧٠) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٢٠) ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « ويحَ عمَّارٍ ! تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ ؛ يدعوهُم إلى الجنَّةِ ، ويدعونَهُ إلى النارِ » .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٧٢٤) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٦٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٨٧) : (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ، ورجاله ثقات) .

(٥) رواه البخاري (٢٧٠٤) من حديث سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ٤٤٢) .

(٦) رواه البخاري (٣٦٢٣) ، ومسلم (٢٤٥٠/ ٩٧) من حديث سيدتنا الصديقة عائشة رضي الله عنها ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٦٤) .

وبشَّرَ أُمَّتَهُ بكفاية الله شرَّ الأسود العَنْسِيِّ ومُسَيْلِمةَ الكذَّابَيْنِ ، فكان كما أخبرَ[1].

وذكر أويساً القرنيَّ ووصفَهُ بما وُجِدَ تصديقُهُ بعدَهُ[2].

وارتدَّ رجلٌ مِنَ الأنصار ، ولحق بالكفَّار ، وكان قد قرأ (البقرة) و(آل عمران) ، ثم مات ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « لا تَقْبَلُهُ الأَرْضُ » ، فدُفِنَ مراراً ، فلم تقبلْهُ الأرضُ[3].

ولكلِّ جنسٍ مِنْ أجناس دلائل صدقِهِ أشباهٌ ذكرناها في كتاب « دلائل النبوة » ، ومَنْ أراد معرفتَها بأسانيدها . . رجعَ إليها إن شاء اللهُ .

ولنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم مرتبةٌ عظيمة ، ومنزلةٌ شريفة ؛ بما كان له مِنْ خاتم النبوَّة ، وكانت علامةً ظاهرةً في كتفِهِ[4] ، عرفَهُ بها أهلُ الكتاب ، وبسائرِ صفاته التي وجدوه مكتوباً بها في كتبهم ، وما كان مِنْ شقِّ قلبِهِ واستخراج حظِّ الشيطان منه وغسله ، وكان أمراً ظاهراً شاهده جماعةٌ كانوا معه ، وكان أنسُ بن مالك يقول : كنت أرى أثرَ المِخْيَطِ في صدره[5].

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢١) ، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٥/ ٣٣٤) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٤٢/ ٢٢٣) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٧٥) ، وفيه : « إنَّ رجلاً يأتيكم مِنَ اليمنِ يُقالُ لهُ : أويسٌ ، لا يدعُ باليمنِ غيرَ أمٍّ لهُ ، قد كانَ به بياضٌ ، فدعا اللهَ فأذهبَهُ عنهُ ، إلَّا موضعَ الدينارِ أو الدرهمِ ، فمَنْ لقيهُ منكم . . فليستغفرْ لكم » ، واستغفرَ لسيدنا عمر رضي الله عنه بطلب منه كما هو عند مسلم (٢٥٤٢/ ٢٢٥) .

(٣) رواه البخاري (٣٦١٧) ، ومسلم (٢٧٨١/ ١٤) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ١٢٦) ، وكان هذا الرجل نصرانياً .

(٤) كذا ضُبطت في (أ) ، على أن الخاتم هو العلامة ، وخبر خاتم النبوة رواه البخاري (٣٥٤١) ، ومسلم (٢٣٤٥) عن سيدنا السائب بن يزيد رضي الله عنه .

(٥) رواه مسلم (١٦٢/ ٢٦١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٢/ ٥)

ثمَّ بما كان له مِنَ المعراج ليلةَ أُسريَ به مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عُرِجَ به إلى سدرةِ المنتهى ، وكان ذلك في اليقظةِ ، وكلُّ ما أخبر عنه مِنْ رؤية مَنْ رآه تلك الليلة ؛ مِنَ الملائكة ، والنبيينَ ، والجنة والنار ، وغيرِ ذلك مِنْ آيات ربِّهِ . . كان رؤيةَ عين(١)

٢٩١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أحمدُ بن جعفرٍ القطيعيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن أحمدَ بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا سفيانُ ، عن عمرٍو ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] قال : هي رؤيا عين أُرِيَها النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ليلةَ أُسريَ به(٢)

وقد ذكرنا قصَّةَ المعراج ، وشقَّ الصدر ، وصفةَ خاتم النبوَّة في كتاب « دلائل النبوة »(٣)

وأمَّا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] . . فقدْ قالت عائشةُ : أنا أوَّلُ هذه الأمةِ سأل عن هذا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : « جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ

---

(١) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٢/ ٣٥٤) ، قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ١٩٧) : (وقد اختلف السلفُ بحسب اختلاف الأخبار الواردة ؛ فمنهم من ذهب إلى أنَّ الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبيِّ صلى الله عليه وسلم وروحه بعد المبعث ، وإلى هذا ذهب الجمهورُ من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلِّمين ، وتواردت عليه ظواهرُ الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغي العدولُ عن ذلك ؛ إذ ليس في العقل ما يحيلُهُ حتى يحتاج إلى تأويل ، نعم جاء في بعض الأخبار ما يخالفُ بعض ذلك ، فجنح لأجل ذلك بعضُ أهل العلم منهم إلى أنَّ ذلك كله وقع مرتينِ : مرَّةً في المنام توطئة وتمهيداً ، ومرةً ثانية في اليقظة) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٢١) ، والبخاري (٣٨٨٨) .

(٣) دلائل النبوة (٢/ ٣٦٦) ، (٢/ ٥) ، (١/ ٢٥٩)، وكذا ضبط (وشقَّ) بالنصب في (أ).

عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ؛ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ ، سَاداً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ »[1]

وفي حديث عبد الله بن مسعود في هذه الآية : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم ٩] قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ »[2]

وعن عبد الله بن مسعود في قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] قال : رأى جبريلَ له ستُّ مئةِ جناح[3]

وعن أبي هريرةَ مثلُ ذلك[4]

وذهب ابنُ عباسٍ إلى أنَّهُ رأى ربَّهُ مرتينِ ، وحمل الآيتينِ على رؤيته ربَّهَ عزَّ وجلَّ[5] ، واللهُ أعلم .

وقد مضى ذكرُ أقاويلهم وأقاويلِ غيرِهم في ذلك بأسانيدها في كتاب « الأسماء والصفات »[6] و« كتاب الرؤية » .

* * *

(١) رواه البخاري (٣٢٣٤) ، ومسلم (١٧٧/ ٢٨٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٢٣٢) ، ومسلم (١٧٤/ ٢٨٠) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٥١١) ، والمصنف في « الأسماء والصفات » (ص ٤٠١) ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٦٤٩) .

(٤) رواه مسلم (١٧٥/ ٢٨٣) ، وهذه الآثارُ تفيد نفيَ رؤيته عليه الصلاة والسلام لربِّهِ سبحانه في الدنيا .

(٥) رواه مسلم (١٧٦/ ٢٨٥) ، وأما من سواه عليه الصلاة والسلام.. فالراجحُ أنَّها لا تقعُ له في الدنيا ولو نبيّاً ، وقد قال الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٧٠٥) : (هل تجوزُ رؤية الله عز وجل بالأبصار اليومَ في الدنيا على جهة الكرامة ؟ فالجواب عنه : أنَّ الأقوى فيه أنه لا يجوزُ ؛ لحصول الإجماع عليه ، ولقد سمعت الإمامَ أبا بكر بن فورك رضي الله عنه يحكي عن أبي الحسن الأشعريِّ أنَّهُ قال في ذلك قولين في كتاب « الرؤية الكبير ») .

(٦) الأسماء والصفات (ص ٤٠٠) .

فصل
في حياة الأنبياء في قبورهم عليهم الصلاة والسلام

والأنبياءُ عليهم السلام بعد ما قُبضوا رُدَّتْ إليهم أرواحُهم ؛ فهم أحياءٌ عند ربِّهم كالشهداء ، وقد رأى نبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم جماعةً منهم ليلةَ المعراجِ[(١)]

وأَمَرَ بالصلاةِ عليه والسلامِ[(٢)] ، وأخبرَ ـ وخبرُهُ صدقٌ ـ أنَّ صلاتَنا معروضةٌ عليه[(٣)] ، وأنَّ سلامَنا يبلغُهُ[(٤)]

وأنَّ الله حرَّمَ على الأرض أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياء[(٥)] ، وقد أفردْنا

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (٢٦٤/١٦٤) من حديث سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، ورؤيتُهم كانت رأيَ عينٍ كما تقدَّم ، قال المصنف في « حياة الأنبياء » (ص ٨٤) بعد أن ذكر أنه عليه الصلاة والسلام لقيَ جماعةً من الأنبياء في السماوات وكلَّمهم وكلَّموه ، وذكر رؤيته لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بأحوال مختلفة : (وكلُّ ذلك صحيحٌ لا يخالف بعضه ؛ فقد يُرى موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره ، ثم يُسرى بموسى وغيره إلى بيت المقدس كما أُسريَ بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، فيراهم فيه ، ثم يُعرج بهم إلى السماوات كما عُرج بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم ، فيراهم فيها كما أخبر ، وحلولُهم في أوقات بمواضعَ مختلفاتٍ جائزٌ في العقل كما ورد به خبرُ الصادق ، وفي كلِّ ذلك دلالةٌ على حياتهم) .

(٢) رواه مسلم (٦٥/٤٠٥) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود (١٠٤٧ ، ١٥٣١) ، والنسائي (٩١/٣) ، وفي « السنن الكبرىٰ » (١٦٧٨) ، وابن ماجه (١٠٨٥) من حديث سيدنا أوس بن أوس رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٢٠٤١) ، وانظر « نتائج الأفكار » للحافظ ابن حجر (٢٠/٤) .

(٥) كما في حديث سيدنا أوس المشار إليه ، وفيه : « إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى حرَّمَ على الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ صلَّى اللهُ عليهم » ، قال الحافظ المناوي معللاً ذلك في « فيض القدير » (٥٣٥/٢) : (لأنَّها تتشرَّف بوقع أقدامهم عليها ، وتفتخرُ بضمِّهم إليها ، فكيف تأكلُ منهم ؟! ولأنَّهم تناولوا ما تناولوا منها بحقٍّ وعدل ، وسخرها لهم لإقامة العدلِ عليها ، فلم=

لإثباتِ حياتِهم كتاباً[1]

فنبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم كان مكتوباً عند الله عزَّ وجلَّ قبل أن يُخلقَ نبيّاً رسولاً ، وهو بعد ما قبضَهُ . . نبيُّ الله ورسولُهُ[2] ، وصفيُّهُ وخيرتُهُ مِنْ خلقه ، والذين يبلِّغون عنه أوامره ونواهيه خلفاؤُهُ ؛ فرسالتُهُ باقيةٌ ، وشريعتُهُ ظاهرةٌ ؛ حتىٰ يأتيَ أمرُ الله عزَّ وجلَّ ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وسلَّم تسليماً .

* * *

= يكن لها عليهم سلطانٌ ، ومثلُهُم الشهداءُ ، قال في « المطامح » : وقد وُجِدَ حمزة صحيحاً لم يتغيَّر حين حفر معاويةُ قبرَهُ وأصاب الفأسُ إصبعَهُ فدميَتْ ، وكذا عبدُ الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح ، وطلحة ، وغيرهم) .

(١) واسمه : « حياة الأنبياء في قبورهم » ، ثم حياتُهم عليهم السلام حياةٌ دنيوية وبرزخية ، يتعبَّدون فيها ويصلُّون .

(٢) انظر « دلائل النبوة » للمصنف (٢/١٢٩) ، وفيه دفعُ فرية أُثيرت ؛ وهي كونُ الشيخ الأشعري رحمه الله تعالى يقول بانقطاع النبوَّة بالموت ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٨٤) .

باب
القول في كرامات الأولياء(١)

قال الله عزَّ وجلَّ في قصة مريمَ عليها السلام : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

وقال في قصَّة سليمانَ عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل : ٤٠] ، وآصَفُ لم يكن نبيّاً(٢)

وإنَّما لا يجوزُ ظهورُ الكرامات على الكاذِبينَ ، فأمَّا على الصادقِينَ فإنَّهُ يجوز ؛ ويكونُ ذلك دليلاً على صِدْقِ مَنْ صدَّقَهُ مِنْ أنبياءِ الله عزَّ وجلَّ(٣)

---

(١) **الكرامات** : جمع كرامة ، اسمٌ من الإكرام أو التكريم ؛ وهي عبارةٌ عن ظهور أمر خارقٍ للعادة ، على يد عبدٍ ظاهر الصلاح ، ليس بنبيٍّ في الحال ولا في المآل .

(٢) آصف بن برخيا : كاتبُ سيدنا سليمان على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام ، قال العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٨٣٥) : (**واحتجَّ أهل السنة ـ في إثبات الكرامات ـ** : بحدوث الحَبَل لمريمَ من غير فحل ، وحصولِ الرزق عندها من غير سبب ظاهر ، وأيضاً ففي قصَّة أصحاب الكهف في الغار ثلاثَ مئة سنة وأزيدَ في النوم أحياءً من غير آفةٍ دليلٌ ظاهر ، وكذا في إحضار آصف بن برخيا عرشَ بلقيس قبل ارتدادِ الطرف حجَّةٌ واضحة) .

(٣) ولهذا قال الإمام السنوسي في « شرح العقيدة الكبرى » (ص ٥٥٥) : (والوليُّ إنَّما يظهرُ على يده ما يظهرُ من الكرامات ببركةِ متابعته للرسولِ والاقتداءِ به ، فهو أحقُّ بالدلالة على صدق المتبوع وعاضدٌ له ، وأما الفرق بين الكرامة والسحر . . فهو أنَّ الكرامة ظهورُ الخارق على يد عبد ظاهر الصلاح ، بخلاف السحر ؛ فإنَّ الخارق فيه إنَّما يظهرُ على أيدي الكفرة والفسَّاق) ، ومن هنا قالوا : ما صحَّ أن يكون معجزةً لنبيٍّ صحَّ أن يكون كرامةً لوليٍّ ، ولله درُّ الإمام البوصيري إذ يقول في « همزيته » : (من الخفيف)

والكــــرامـــاتُ منهُـــمُ معجـــزاتٌ   حــازَهــا مِـنْ نـوالِـكَ الأوليــاءُ =

وقد حكى نبيُّنا صلَّى الله عليه وسلَّم مِنَ الكرامات التي ظهرَتْ على جُريجٍ الراهب[1] ، والصبيِّ الذي ترك السحر وتبعَ الراهبَ[2] ، والنفرِ الذين آووا إلى غارٍ مِنْ بني إسرائيل فانحطَّتْ عليهم الصخرةُ[3] ، وغيرِهم . . ما يدلُّ على جواز ذلك ، وقد ظهرَ على أصحابه في زمانه وبعد وفاته ثمَّ على الصالحين مِنْ أمته ما يُوجب اعتقادَ جوازه[4] ، وبالله التوفيق .

٢٩٢ـ وأخبرَنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر الأصبهانيُّ ، حدثنا يونسُ بن حبيبٍ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا إبراهيمُ بن سعد ، عن الزهريِّ ، عن عمرَ بن أَسِيد بن جاريةَ[5] ؛ حليفِ بني زهرةَ ، وكان مِنْ أصحاب أبي هريرةَ ، عن أبي هريرةَ قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عَشَرةَ رهطٍ عيناً ، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بن ثابتٍ ـ وهو جدُّ عاصم بنِ عمرَ[6] ـ ،

= وقال الإمام القشيري في « رسالته » (ص ٧٠٣) : (وكلُّ نبيٍّ ظهرت كرامتُهُ على واحد من أمته . . فهي معدودة من جملة معجزاته ، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهرْ على مَنْ تابعَهُ المعجزةُ) ، وأراد بالمعجزة هنا : الكرامة .

(١) رواه البخاري (١٢٠٦ ، ٣٤٣٦) ، ومسلم (٢٥٥٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الأثر جوازُ طلب الكرامة من الله تعالى .

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥) من حديث سيدنا صهيب رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٢٢١٥) ، ومسلم (٢٧٤٣) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) وقد جمعَ قدراً حسناً من ذلك الحافظُ أبو نعيم الأصبهاني ضمن ترجماته في « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٥٨) وما بعده ، وعقد لذلك باباً مفرداً الإمامُ الحافظ القشيري في « رسالته » (ص ٦٩٩) ، ومن المتأخِّرين العلامةُ القاضي الشيخ يوسف النبهاني في كتابٍ سمَّاه : « جامع كرامات الأولياء » .

(٥) قوله : (عمر) كذا في جميع النسخ ، وقال الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٢٢/ ٤٤) : (ويقال : عمر ، وعمرو أصحُّ) .

(٦) هو جدُّ عاصم بن عمر بن الخطاب لأمِّه ؛ وهي جميلةُ ـ وكان اسمها عاصيةَ ـ بنتُ عاصم ، والأكثرُ على أنَّهُ خالُهُ لا جدُّهُ ، وعليه : فجميلةُ أختُ عاصم بن ثابت لا بنتُهُ ، وانظر « إرشاد الساري » (٥/ ١٦٣) .

فانطلقوا ، حتى إذا كانوا بالهدَّة بين عُسفانَ ومكةَ[1] . . ذُكروا لحيٍّ مِنْ هُذَيلٍ يقال لهم : بنو لِحْيانَ ، فنفروا لهم بمئة رجلٍ رامٍ ، فاتَّبعوا آثارهم ، حتى وجدوا مأكلَهُمُ التمرَ ، فقالوا : هذا تمرُ يثربَ !

فلمَّا أحسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُهُ لجؤوا إلى قَرْدَدٍ[2] ، فقالوا : انزلوا ولكم العهدُ والميثاقُ ألَّا نقتلَ منكم أحداً ، فقال عاصمٌ : أمَّا أنا فواللهِ لا أنزل في ذمَّةِ كافر اليومَ ، اللهمَّ ؛ بلِّغْ عنَّا نبيَّكَ السلامَ ، فقاتلوهم ، فقُتل منهم سبعةٌ ، ونزل ثلاثةٌ على العهد والميثاق ، فلمَّا استمكنوا منهم . . حلُّوا أوتارَ قسيِّهم وكتَّفُوهُم ، فلمَّا رأى ذلك منهم أحدُ الثلاثة[3] . . قال : هذا[4] ـ والله ـ أوَّلُ الغدر ، فعالجوهُ[5] ، فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب بنِ عديٍّ ، وزيد بن الدَّثِنَّةِ إلى مكة ، فباعوهما ـ وذلك بعد وقعة بدر ـ ، فاشترى بنو الحارث خُبيباً ، وقد كان قتل الحارثَ يوم بدر .

قالت ابنةُ الحارثِ[6] : فكان خُبيبٌ أسيراً عندنا ، فواللهِ ؛ إنْ رأيتُ أسيراً قطُّ كان خيراً مِنْ خُبيبٍ ، واللهِ ؛ لقد رأيتُهُ يأكلُ قِطفاً مِنْ عِنَبٍ وما بمكَّة يومئذٍ مِنْ ثمرة ، وإنْ هو إلا رزقٌ رزقَهُ الله خُبيباً[7] ، قالت : واستعارَ منِّي مُوسىً يستحدُّ به

---

(١) الهدَّة ـ ورواية البخاري : الهدأة ـ : موضعٌ بمرِّ الظهران ، وهو ممدرةُ ـ ما بُني من طين ـ أهلِ مكة ، وهي على سبعة أميال من عسفان ، قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٣٨٠) : (هي للأكثر بسكون الدال بعدها همزة مفتوحة ، وللكشميهني بفتح الدال وتسهيل الهمزة ، وعند ابن إسحاق الهدَّة بتشديد الدال بغير ألف) .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وهي رواية أبي داود المشار إليها ، ورواية البخاري : (فَدْفَد) ، وهما بمعنىً ؛ وهي الرابيةُ المشرفة .

(٣) وهو سيدنا عبدُ الله بن طارق البلوي ، كما في « فتح الباري » (٧/ ٣٨١) .

(٤) وفي (أ ، ج ، و) : (هذه) بدل (هذا) ، وهو ضمن سقطٍ في (ب) .

(٥) يعني : على أن يصحبهم إلى مكة ، ولكنَّه أبى وتمنَّع عليهم .

(٦) واسمها زينبُ كما في « فتح الباري » (٧/ ٣٨٢)

(٧) وهو موطن الشاهد ، وفي « إرشاد الساري » (٦/ ٢٦٠) : (كرامةً له ، والكرامةُ ثابتةٌ =

للقتل ، قالت : فأعرتُهُ إيَّاه ، ودرج بُنَيٌّ لي وأنا غافلةٌ ، فرأيتُهُ يُجلسُهُ على صدره ، قالت : ففزِعتُ فزعةً عرفها خُبيبٌ ، قالت : ففطِنَ لي ، فقال : أتحسبينَ أنِّي قاتلُهُ ؟ ما كنتُ لأفعلَهُ ، قالت : فلمَّا أجمعوا على قتله قال لهم : دعوني أصلي ركعتين ، فصلَّى ركعتين ، وقال : لولا أنْ تحسبوا أنَّ بي جزعاً لزدتُ ، قال : فكان خُبيبٌ أوَّلَ مَنْ سنَّ الصلاة لمنْ قُتِلَ صبراً ، ثم قال : اللهمَّ ؛ أَحْصِهِم عَدَداً ، واقتلْهُم بَدَداً ، ولا تُبقِ منهم أحداً[1] : [من الطويل]

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي جَنْبِ الإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

قال : وبعث المشركون إلى عاصم بن ثابتٍ ليُؤتَوا مِنْ لحمِهِ بشيءٍ ، وكان قتلَ رجلاً مِنْ عُظمائهم ، فبعث الله مثلَ الظُّلَّة مِنَ الدَّبْرِ ، فحمَتْهُ مِنْ رُسُلِهم ، فلم يستطيعوا أن يأخذوا مِنْ لحمه شيئاً[3]

٢٩٣ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد بن الفضل البيهقيُّ ، حدثنا جدِّي ، حدثنا أبو ثابتٍ ، حدثني إبراهيمُ بن سعد ، فذكره

= للأولياء كالمعجزة للأنبياء) .

(١) أحصهم : أهلكهم واستأصلهم ، وبدداً : حال بمعنى متفرِّقين ، غير معسكرين ولا مجتمعين

(٢) هما بيتان من قصيدة قالها رضي الله عنه ، وأوردها ابن هشام في « سيرته » (٢/ ١٧٦) ، وفي جنب الإله : في طلب رضاه وثوابه ، وفي الرواية الآتية ذكر الذات بدل الجنب ، والذاتُ هنا بمعنى الطاعة والسبيل ، والشلو : البقية من الجسد هنا ، والممزع : المقطَّع .

(٣) ورواه البخاري (٣٠٤٥ ، ٣٩٨٩) ، وأبو داود (٢٦٦٠) .
وهذا هو الموطن الثاني ممَّا رام المصنف الشهادة به ، وليؤتوا بشيء من لحمه : يعني ممَّا يعرف به كرأسه ليتأكَّدوا من قتله ، والظُّلَّة : السحابة المُظلة ، والدَّبْر : ذكورُ النحل أو الزنابير ، وإنما منعوا كرامةً له ؛ لأنَّهُ كان حلف ألاَّ يمسَّ مشركاً ولا يمسَّهُ مشركٌ كما سيأتي ، فبرَّ الله يمينه في حياته وبعد وفاته .

بإسناده ومعناه ، وذكر قول المرأة : واللهِ ؛ ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً مِنْ خُبيبٍ ، واللهِ ؛ لقد وجدته يأكلُ قِطفاً مِنْ عِنَبٍ وإنَّهُ لموثقٌ بالحديد وما بمكَّة مِنْ ثمرة ، وقال في الشعر : (وذلك في ذاتِ الإلهِ . . .) ، وزاد : واستجاب اللهُ لعاصم يومَ أصيب ، فأخبر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابَهُ يومَ أصيبوا خبرَهم ، وذكر في عاصمٍ ما بعثَ الله عليه مِنَ الدَّبْرِ حتى حمتْه[1]

وذكر محمدُ بن إسحاقَ بن يسار في « المغازي » ، عن عاصم بن عمرَ بن قتادة ، وزاد : فلمَّا حالَتْ بينهم وبينه . . قالوا : دعوهُ حتى يمسي فتذهبَ عنه فنأخذَهُ ، فبعثَ الله الواديَ ، فاحتمل عاصماً ، فذهب به ، قال : وقد كان عاصمٌ أعطى الله عهداً : لا يمسَّ مشركاً ولا يمسُّهُ مشركٌ أبداً في حياته ، قال ابنُ إسحاقَ : فكان عمرُ بن الخطاب يقول : يحفظُ الله المؤمن ، فمنعَهُ الله بعد وفاته كما امتنعَ منهم في حياته[2]

وروينا عن بُريدةَ بنِ سفيانَ استجابةَ الله دعاء خُبيبٍ على الذين قتلوه ، فلم يحلِ الحول ومنهم أحدٌ غير رجل لَبَدَ بالأرض حين رآهُ يدعو[3]

وفي هذا الحديث الصحيح كراماتٌ ظهرت على مَنْ سُمِّيَ فيه .

٢٩٤ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا أحمدُ بن منصور الرَّمادِيُّ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمَرٌ ، عن ثابتٍ ،

---

(١) ورواه البخاري (٣٩٨٩) .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٩) ، وفي هذا الأثر ثبوتُ الكرامة للوليِّ بعد مماته كما في حياته ، وقد قال العلامة الباجوري في « تحفة المريد » (ص ٢٥٢) : (اعتقد وجوباً ثبوتَ الكرامة للأولياء ؛ بمعنى : جوازها ووقوعها لهم في الحياة وبعد الموت كما ذهب إليه جمهورُ أهل السنة ، وليس في مذهب من المذاهب الأربعة قولٌ بنفيها بعد الموت) .

(٣) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٢٨٣٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٣/ ٣٣١) ، وانظر « فتح الباري » (٧/ ٣٨٣) ، وأيضاً فيه ثبوتُ الكرامة بعد الموت .

عن أنسٍ : أنَّ أُسَيدَ بنَ حضير الأنصاريَّ ورجلاً آخرَ مِنَ الأنصار[1] تحدَّثا عند رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في حاجة لهما حتى ذهبَ مِنَ الليل ساعةٌ في ليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا مِنْ عند رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ينقلبانِ وبيد كلِّ واحد منهما عُصيَّةٌ ، فأضاءَتْ عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريقُ . . أضاءَتْ للآخر عصاه ، فمشى كلُّ واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغَ أهلَهُ[2]

ورواه حمادُ بنُ سلمةَ ، عن ثابت ، عن أنسٍ قال : كان عبَّادُ بن بِشر وأُسَيدُ بن حضير[3]

ورواه قتادةُ ، عن أنسٍ : فلم يسمِّ الرجلين ، وقال : ومعهما مثلُ المصباحين يُضيئان بين أيديهما[4]

وقد روينا عن حمزةَ بن عمرو الأسلميِّ[5] ، وأبي عبس بن جبر[6] : أنَّهما

---

(١) هو سيدنا عبَّاد بن بشر بن وَقْش الأنصاري رضي الله عنه كما جاء مصرحاً به عند البخاري (٣٨٠٥)

(٢) ورواه البخاري (٤٦٥ ، ٣٨٠٥) ، وانظر « تغليق التعليق » (٤/ ٧٨) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١٣٧) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٠٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٣٨٠٥) ، وانظر « تغليق التعليق » (٤/ ٧٩) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٢٤٥) ، وأحمد في « مسنده » (٣/ ١٩٠) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٧٧) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٥) .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/ ١٥٩) ، وأبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٠٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٧٩) ، وهو قوله رضي الله عنه : (أسرينا ونحن في سفرٍ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماءَ دُحْمُسةٍ ، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم وما سقط من متاعهم ، وإن أصابعي لتنير) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٤١١) : (رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، وفي كثير بن زيد خلافٌ)

(٦) رواه أبو نعيم في « دلائل النبوة » (٥٠٤) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٧٨) ، =

أُكرما بقريب مِنْ ذلك ؛ فأضاءَتْ أصابعُ حمزةَ ، ونُوِّرَ في عصا أبي عبسٍ .

٢٩٥ـ وأخبرَناه الحسينُ بن بِشرانَ ، أخبرنا إسماعيلُ بن محمد الصَّفَّارُ ، حدثنا أحمدُ بن منصور ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ قال : كان مُطرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخِّيرِ وصاحبٌ له سريا في ليلة مظلمةٍ ؛ فإذا طرفُ سوطِ أحدهما عنده ضوءٌ ، فقال لصاحبه : أما إنَّا لو حدثنا الناسَ بهذا كذبونا ، قال مُطرفٌ : المكذِّبُ أكذبُ[(١)] ؛ يقول : المكذبُ بنعمةِ اللهِ أكذبُ[(٢)]

ومُطرفُ بن عبد الله كان مِنْ كبار التابعين ، وإنَّما أوردتُهُ عقيبَ حديث الصحابة لكونه شبيهاً بما أُكرموا به .

وقد روينا نزولَ الملائكة للقرآن عند قراءة أُسَيد بنِ حضير ؛ وذلك أنَّهُ رأى مثل الظُّلَّة فيها أمثالُ المصابيح ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « تِلْكَ الْمَلائِكَةُ أَتَتْ لِصَوْتِكَ »[(٣)]

وروينا تسليمَ الملائكة على عمرانَ بنِ حصينٍ[(٤)]

= وهو أنَّهُ كان يصلِّي مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم الصلواتِ ، ثم يرجع إلى بني حارثة ، فخرج ليلةً مظلمة مطيرة ، فنُوِّرَ له في عصاه حتى دخل دار بني حارثة .

(١) فيه : أنَّ ردَّ الكرامة وعدم التصديق بها مع تحقُّق شروطها . . تحجيرٌ على قدرة الله الواسعة ، وسوء ظنٍّ بالمؤمن ؛ إذ خرق العادة إن لم يكن كرامةً أو معونة . . فهو استدراجٌ ؛ وهو ما يقع على يد فاسق ، فمن أنكر كرامةً نُقلت إليه بسند ثابت عنده ، مع اشتهار من وقعت على يده بسلامة الاعتقاد والصلاح ، وعدم الانهماك في الشهوات المباحة . . ففي قلبه مرض .

(٢) كذا في « الحلية » (٢/ ٢٠٥) ، فهو من جملة الرواية ، وليس من تفسير المصنف .

ورواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٥٤٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢/ ٢٠٥).

(٣) رواه البخاري (٥٠١٨) عن الليث تعليقاً بصيغة الجزم ، وانظر « تغليق التعليق » (٤/ ٣٨٧) ، ومسلم (٧٩٦/ ٢٤٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٨٤) .

(٤) رواه مسلم (١٢٢٦/ ١٦٧) ، وموضع الشاهد قوله : (وقد كان يُسلِّمُ عليَّ حتى اكتويتُ ، فتُرِكْتُ ، ثم تَرَكْتُ الكيَّ فعاد) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٨٠)

وروينا عن جماعةٍ مِنَ الصحابة أنَّ كلَّ واحدٍ رأى جبريلَ عليه السلام في صورة دِحْيَةَ الكلبيِّ(١)

٢٩٦ـ وأخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن إسحاقَ بنِ أيوبَ الفقيهُ، أخبرنا عليُّ بن عبد العزيز ، حدثنا أبو النعمان محمدُ بن الفضل ، حدثنا معتمرُ بن سليمانَ ، عن أبيه ، عن أبي عثمانَ : أنَّهُ حدَّثَهُ عبد الرحمن بن أبي بكرٍ : أنَّ أصحاب الصُّفَّة كانوا ناساً فقراءَ ، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال مرةً : « **مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ** » أو كما قال .

وأنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثة ، فانطلقَ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعشرةٍ ، وأبو بكر بثلاثةٍ ، وهو أنا وأبو بكر وأمِّي ، ـ ولا أدري قال : وامرأتي ـ وخادمٌ بين بيتنا وبيت أبي بكر .

وأنَّ أبا بكر تعشَّى عندَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم لبثَ حتى صُلِّيَتِ العِشاءُ ثم رجعَ ، فلبثَ حتى تعشَّى رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فجاء بعد ما مضى مِنَ الليل ما شاء اللهُ ، فقالت له امرأتُهُ : ما حَبَسَكَ عن أضيافكَ ؟ أو قالت : عن ضيفك؟ قال : أوَما عشَّيْتِهم ؟! قالت : أبَوا حتى تجيءَ ، وقد عرضوا عليهم فغلبوهم .

قال : فذهبتُ أنا فاختبأتُ ، فقال : يا غُنْثَرُ ، وسبَّ ، وقال : كلوا، وذكر كلمةً: واللهِ؛ لا طعمتُهُ أبداً ، قال : فايمُ الله ؛ ما كنَّا نأخذُ مِنْ لقمة إلَّا وربا مِنْ أسفلها أكثرُ منها ! قال : وشبعوا ، وصارت أكثرَ ممَّا كانت قبل ذلك، قال : فنظر إليها أبو بكرٍ ؛ فإذا هي كما هي أو أكثرُ ! قال لامرأته : يا أختَ بني فراس ؛

---

(١) تقدم في الباب قبله (ص ٣٧٦) ، ووجهُ الكرامة فيه : رؤيةُ الملائكة الكرام ، لا في رؤية تجسُّد اللطيف في الكثيف ؛ إذ المشركون رأوا إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم يومَ بدر كما روى ذلك الطبريُّ في « تفسيره » (١١/٤٦) .

ما هذا ؟! قالت : لا وقرَّةِ عيني[1] ؛ لهي الآنَ أكثرُ منها قبل ذلك بثلاثِ مرات ! فأكل منها أبو بكرٍ .

وقال أبو بكر إنَّما كان ذلك مِنَ الشيطان ـ يعني : يمينَهُ ـ ، ثم حملَها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : وكان بيننا وبين قوم عهدٌ ، فمضى الأجلُ ، فعرفْنا اثني عشر رجلاً ، مع كلِّ رجل أناسٌ ، الله أعلمُ كم مع كلِّ رجل ، قال : فأكلوا منها أجمعون[2]

قال الشيخُ رضي الله عنه

قد روينا كراماتٍ ظهرت على عدَّةٍ مِنَ الأولياء في حياة نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم ، وله شواهدُ كثيرةٌ ذكرناها في كتاب « دلائل النبوة » وغيره[3] ، وقد روينا في « فضائل الصحابة » كراماتٍ ظهرت على بعضهم بعد وفاة نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم[4] ، وإعادتُها في هذا الكتاب ممَّا يطول به الكتاب ؛ فاقتصرنا منها على بعضها ، وفيه كفايةٌ[5] .

٢٩٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا حمزةُ بن العباس العُقْبيُّ ، حدثنا

---

(١) قال الحافظ في « فتح الباري » (٦/ ٥٩٩) : (وإنَّما حلفت أم رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التي حصلت لهم ببركة الصدِّيق رضي الله عنه) .

(٢) ورواه البخاري (٦٠٢ ، ٣٥٨١) ، ومسلم (٢٠٥٧/ ١٧٦)

(٣) دلائل النبوة (٧/ ٥٨) وما بعدها ، بل في عامة هذا الكتاب .

(٤) كتاب « فضائل الصحابة » من الكتب المفقودة للمصنف ، وسينقل عنه أيضاً فيما سيأتي .

(٥) وما زالت الكراماتُ بحمدِ الله ولطفِهِ بعباده إلى يومنا هذا ، وهي ممَّا يثبت الفؤاد ، ونقل العلامة الباجوري في « تحفة المريد » (ص ٢٥٣) عن بعضهم أنَّهُ سئل : لأيِّ شيء كثرت الكراماتُ في الزمان المتأخِّر عن الزمان المتقدِّم ؟ فأجاب : بأنَّ ذلك لضعف اعتقاد المتأخِّرين ، فاحتيجَ لتأليفهم بالكرامات ؛ ليعتقدوا في الصالحين ، وأمَّا المتقدمون فاعتقادُهم تابعٌ لميزان الشرع . انتهى .
وقد يقال : فما النفعُ باعتقاد ولاية الصالحين ؟ والجواب : حتى يُحفظوا فلا يُؤذَوا ؛ إذ ليس إيذاءُ الوليِّ كإيذاء المسلم الفاسق أو الفاجر ، ناهيك عن نفع صحبتهم .

عبد الكريمِ بنُ الهيثم الدَّيْرَعاقُولِيُّ ، حدثنا أحمدُ بن صالح ، حدثنا ابنُ وهْبٍ ، أخبرني يحيى بنُ أيوبَ ، عن محمدِ بن عجلانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمر : أنَّ عمرَ بنَ الخطاب بعثَ جيشاً ، وأمَّرَ عليهم رجلاً يُدعى ساريةَ ، قال : فبينا عمرُ يخطب ، قال : فجعل يصيحُ وهو على المنبر : يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، يا ساريةُ ؛ الجبلَ .

قال : فقدم رسولُ الجيش ، فسأله ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ لقِيْنا عدوَّنا فهزمونا ، وإنَّ الصائح ليصيحُ : يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، يا ساريةُ ؛ الجبلَ ، فسندْنا ظهورَنا بالجبل ، فهزمَهُم اللهُ ، فقيل لعمرَ : إنَّكَ كنتَ تصيحُ بذلك !

قال ابنُ عجلانَ : وحدثني إياسُ بن معاويةَ بن قُرَّةَ بذلك[1]

وقد روينا مِنْ أوجهٍ ، عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنَّهُ قال : ما كنَّا ننكر ونحن متوافرون أنَّ السكينة تنطقُ على لسان عمرَ[2]

وعن عبد الله بن مسعودٍ : ما رأيتُ عمرَ قطُّ إلا وكأنَّ بين عينيه مَلَكاً يسدِّدُهُ[3]

---

(1) ورواه الآجري في « الشريعة » (١٣٦٠) ، واللالكائي في « السنة » (٢٥٣٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٧٠) .

(2) رواه أحمد في « مسنده » (١/ ١٠٦) ، والآجري في « الشريعة » (١٢٠٥) ، (١٣٥٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٤٢) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٦٩) ، وقوله : (السكينة تنطق) معناه : أنه ينطق بما يستحقُّ أن تسكنَ إليه النفوس ، وتطمئنَّ به القلوب ، وأنَّهُ أمرٌ غيبي أُلقي على لسانه ، ويحتمل أنَّهُ أراد بالسكينة : المَلَكَ الذي يلهمُهُ ذلك القول .

(3) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٣٠٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩/ ١٦٨) ، والمصنف في « المدخل » (٦٩) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٧٨) : (رواه الطبراني من طرق ، وفي بعضها عاصم بن أبي النجود ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجالها رجال الصحيح ، وبعضها منقطع الإسناد ، ورجالها ثقات) .

وعن عبد الله بن عمرَ قال : كان عمرُ يقول القولَ ، فننتظرُ متى يقعُ[1]

قال الشيخ :

وكيف لا يكونُ وقد قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم « **إِنَّهُ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ ؛ فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** »[2] ، وهذا الحديثُ أصلٌ في كرامات الأولياء .

وفي قراءة أُبيِّ بن كعبٍ : (وما أرسلنا مِنْ قبلك مِنْ رسولٍ ولا نبيٍّ ولا مُحَدَّثٍ) ، وقرأها ابنُ عباسٍ كذلك[3]

ثم في بعض الروايات عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قيل : كيف يُحَدَّثُ ؟ قال : « **تَتَكَلَّمُ الْمَلائِكَةُ عَلَىٰ لِسَانِهِ** »[4]

وذلك يوافقُ ما روينا عن عليٍّ وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦٦) بلفظ : (ما سمعت عمر لشيءٍ قطُّ يقول : إنِّي لأظنُّهُ كذا.. إلا كان كما يظنُّ) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم (٢٣٩٨/ ٢٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وقوله : (فإن يكن. . .) يعني : وإن يكن أكثر. . فهو حينئذٍ أولى وأظهر ، ونقل العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٨٩٢) عن التوربشتي قوله : (لم يورد هذا القول موردَ التردُّد ؛ فإنَّ أمته أفضلُ الأمم ، وإن كانوا موجودين في غيرهم من الأمم. . فبالحريِّ أن يكونوا في هذه الأمة أكثر عدداً وأعلى رتبة ، وإنَّما ورد مورد التأكيد والقطع به ، ولا يخفى على ذي الفهم محلُّه من المبالغة كما يقول الرجل : إن يكن لي صديق فإنه فلانٌ ؛ يريد بذلك : اختصاصَه بالكمال في صداقته ، لا نفيَ الأصدقاء) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٩) بإثره معلَّقاً ، وانظر « فتح الباري » (٧/ ٥١) وفيه : (أخرجه سفيان بن عيينة في أواخر « جامعه » ، وأخرجه عبد بن حميد من طريقه ، وإسناده إلى ابن عباس صحيح) ، و« الدر المنثور » (٦/ ٦٥)

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٧٢٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٩٦) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ٦٩) : (رواه الطبراني في « الأوسط » ، وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) ، وانظر « فتح الباري » (٧/ ٥٠) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٢٩٨ـ وأخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا محمدُ بن عُزَيْز الأَيْلِيُّ ، عن سَلَامةَ بن رَوْحٍ ، عن عُقيلٍ ، حدثني ابنُ شهاب ، عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **كَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ذِي طِمْرَيْنِ**[١] ، **لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ** » .

وإنَّ البراءَ لقي زحفاً مِنَ المشركين ، فقالوا له : يا براءُ ؛ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « لو أَقسمْتَ على اللهِ . . لأَبَرَّكَ » ، فأقسمْ على ربِّكَ ، قال : أُقسمُ عليك يا ربِّ ؛ لمَّا منحتنا أكتافَهم ؛ فمنحوا أكتافَهم ، ثم التقوا على قنطرة السوس ، فأوجَعوا في المسلمين ، فقالوا : أقسمْ يا براءُ على ربِّكَ ؛ قال : أُقسمُ عليك يا ربِّ ؛ لمَّا منحتنا أكتافَهم ؛ فمُنحوا أكتافَهم ، وقُتلَ البراءُ شهيداً[٢]

٢٩٩ـ أخبرَنا أبو زكريا بن أبي إسحاقَ ، أخبرنا أبو عبد الله بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهاب ، أخبرنا جعفرُ بن عون ، أخبرنا أسامةُ بن زيدٍ ، عن محمدِ ابن عمرو ، عن محمدِ بن المنكدر ، عن سفينةَ مولى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : ركبتُ سفينةً في البحر ، فانكسرَتْ بي ، فركبتُ لوحاً منها ، فأخرجني إلى أجمةٍ فيها أسدٌ ؛ إذ أقبل الأسدُ ، فلمَّا رأيتُهُ . قلتُ : يا أبا الحارثِ ؛ أنا سفينةُ مولىٰ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأقبل نحوي حتى ضربَني بمنكبِهِ ، ثم مشى معي حتى أقامني على الطريق ، قال : ثم همهمَ ساعةً وضربني بذنبِهِ ، فرأيتُ أنَّهُ يودِّعُني[٣]

---

(١) قوله : (ذي) كذا في (ج) ، وفي سائر النسخ : (ذو) .

(٢) ورواه الترمذي (٣٨٥٤) من وجه آخر عن أنس مقتصراً على المرفوع ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٢٩١) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٦٨) .

(٣) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٦٠٦) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٥)

قال الشيخ :

محمد ابن عمرو هذا : هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .

ورواه أيضاً سعيدُ بن عبد الرحمن الجَحْشِيُّ ، عن ابن المنكدر(١)

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٥٤٤) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٦) .
وبهذا تعلم : أنَّ أهل الحقِّ قالوا بجواز الكرامات ووقوعها ؛ خلافاً للمبتدعة المانعين ، أو المجوزين النافين للوقوع .
قال الإمام ابن حجر الهيتمي في « شرح الهمزية » (ص ٦٧٢) : (ولا عجب من إنكار المبتدعة ذلك ؛ فإنَّهم حُرموا مشاهدةَ شيءٍ منها من أنفسهم ومشايخهم ، وكثرةُ ظهورها لا يخرجها عن كونها خارقةً ، خلافاً لمن زعمه ؛ لأنَّهُ يلزمه ذلك في المعجزة ، على أن الكثرةَ فيها لا تنافي قلَّتها بالنسبة للعادة المستمرة ، وظهورُ الخارق على يد غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يخلُّ بأقدارهم ، بل يزيد في جلالة أقدارهم ؛ حيث نالت أممهم وأتباعهم مثل هذه الدرجة . . ببركة الاقتداء بشريعتهم ، والاستقامة على طريقتهم) .

باب

القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ورضي عنهم

قال اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ ، فأثنى عليهم ربُّهم ، فأحسنَ الثناء عليهم ، ورفعَ لهم ذكرَهم في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ، ثم وعدَهُم المغفرةَ والأجرَ العظيم ؛ فقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وأخبرَ في آيةٍ أخرى برضاه عنهم ورضاهم عنه ؛ فقال : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ ، ثم بشَّرهم بما أعدَّ لهم ؛ فقال : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وأمر رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالعفو عنهم والاستغفار لهم ؛ فقال : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ، وأمرَهُ بمشاورتهم ؛ تطييباً لقلوبهم ، وتنبيهاً لمن بعده مِنَ الحُكَّام على المشاورة في الأحكام ؛ فقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وندبَ مَنْ جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم ، وألاَّ يجعلَ في قلوبهم غِلاًّ للذين آمنوا ؛ فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

وأثنى رسولُ الله ـ صلَّى الله عليه وسلَّم وعلىٰ آله ـ عليهم ، وشبَّهَهُم بالنجوم ، ونبَّهَ بذلك أُمَّتَهُ على الاقتداء بهم في أمر دينهم ؛ كما يهتدون بالنجومِ في ظلمات البرِّ والبحر في مصالحهم ؛ فقال ما :

٣٠٠ـ أخبرَنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ الشرقيِّ، حدثنا أبو صالحٍ أحمدُ بن منصورٍ زاجٌ[١] ، حدثنا الحسينُ بن عليٍّ الجعفيُّ ، عن مُجَمِّعِ بنِ يحيى ، عن ابنِ أبي بُردةَ ـ يعني : سعيدَ بن أبي بُردةَ بنِ أبي موسى الأشعريِّ ـ ، عن أبيه ، عن أبي موسى قال : صلَّينا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم المغربَ ، فقلنا : لو انتظرنا حتىٰ نصلِّيَ معه العِشاءَ ، قال: ففعلنا، فخرجَ إلينا، فقال: « **مَا زِلْتُمْ هَا هُنَا ؟** »، فقلنا : نعم يا رسولَ الله ، قلنا : نصلِّي معك العِشاءَ ، فقال : « **أَصَبْتُمْ** » أو : « **أَحْسَنْتُمْ** » ، ثم رفعَ رأسَهُ إلى السماء فقال : « **النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى أَهْلَ السَّمَاءِ مَا يُوعَدُونَ**[٢] ، **وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَىٰ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَىٰ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ** »[٣]

ورُوِيَ عنه في حديث موصول بإسنادٍ غير قوي[٤] ، وفي حديث منقطعٍ : أنَّهُ

---

(١) قوله : (زاجٌ) هو لقبٌ لأحمدَ بن منصور الحنظلي ، فحقُّه الرفع هنا على البدلية .

(٢) وذلك يكون : عند انفطار السماء ، وانكدار نجومها ، وانتثار كواكبها ، وتكوير شمسها ؛ في الآيات التي قَرَنَتْ هذه العلاماتِ بيوم القيامة .

(٣) ورواه مسلم (٢٥٣١/٢٠٧) .
فغيابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم كان سبباً لظهور الفتن والحروب ، وارتدادِ من ارتد من الأعراب ، واختلاف القلوب ، وغيابُ الصحابة رضي الله عنهم سبب ظهور البدع والحوادث في الدين ، والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان ، وظهور الروم وغيرهم عليهم ، وانتهاكِ المدينة ومكة ، وغير ذلك ، وهذه كلُّها من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، كذا ذكر الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٦/٨٣) .

(٤) رواه المصنف في « المدخل » (١٥١) ، والخطيب في « الكفاية » (ص ٦٠) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال « **إِنَّ مَثَلَ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ؛ مَنْ أَخَذَ بِنَجْمٍ مِنْهَا اهْتَدَى** »[1] ، والذي رويناهُ ها هنا مِنْ الحديث الصحيح يؤدِّي بعضَ معناه[2]

وقد أشار النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الحواريينَ والأصحابِ الذين ينصرون دينَهُ ويأخذون بسنَّتِهِ ويقتدون بأمرِهِ ، فقال في روايةِ عبد الله بن مسعودٍ عنه : « **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أُمَّةٍ إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ ؛ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ** »[3]

ثم إنَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم شهدَ بكونِهم خيرَ أُمَّتِهِ ؛ فقال في رواية عبدِ الله بن مسعودٍ عنه[4] ، وفي رواية عائشةَ[5]، وعمرانَ بنِ الحصين[6] ، وأبي هريرةَ[7] : « **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي** » ، وفي بعضها : « **خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ** »[8]

---

(١) رواه المصنف في « المدخل » (١٥٢) ، والخطيب في « الكفاية » (ص ٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والمصنف أيضاً في « المدخل » (١٥٣) عن جوَّاب بن عبيد الله رحمه الله ، وقال المصنف عقبه : (هذا حديث متنُهُ مشهور ، وأسانيدُهُ ضعيفة ، لم يثبتْ في هذا إسناد ، والله أعلم) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في « التلخيص الحبير » (٤/ ٣٥١) : (صدق البيهقيُّ ، هو يؤدِّي صحةَ التشبيه للصحابة بالنجوم خاصَّة ، أمَّا في الاقتداء فلا يظهر في حديث أبي موسى ، نعم يمكن أن يُتلمَّحَ ذلك مِنْ معنى الاهتداء بالنجوم ، وظاهرُ الحديث إنما هو إشارةٌ إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة ؛ مِنْ طمس السنن ، وظهور البدع ، وفشو الفجور في أقطار الأرض ، والله المستعان) .

(٣) تقدَّم في باب طاعة الولاة برقم (٢٥٢) .

(٤) رواها البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣/ ٢١٢) .

(٥) رواها مسلم (٢٥٣٦/ ٢١٦) ، ولفظه عنده : « القرنُ الذي أنا فيهِ »

(٦) رواها البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٥/ ٢١٥)

(٧) رواها مسلم (٢٥٣٤/ ٢١٣) .

(٨) وقد ذُكر في قسم المتواتر ، فقد رُوي عن ثلاثة عشر صحابياً ، وانظر « نظم المتناثر » (ص ٢١٠) .

وقال في رواية عمرَ بنِ الخطاب عنه : « **أَكْرِمُوا أَصْحَابِي ؛ فَإِنَّهُمْ خِيَارُكُمْ** »[(١)] ، وفي رواية أخرى : « **احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي** »[(٢)]

وأمرَ فيما رُويَ عنه بمحبَّتهم ، ونهى عن سبِّهم ، وأخبر أُمَّتَهُ بأنَّ أحداً منهم لا يدركُ محلَّهم ، ولا يبلغُ درجتَهم ، وأنَّ اللهَ تعالى يغفرُ لهم .

٣٠١ـ **أخبرَنا** أبو علي الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن مَحمُويه العسكريُّ ، حدثنا جعفرُ بن محمد القلانسيُّ ، حدثنا آدمُ بن أبي إياسٍ ، حدثنا شعبةُ ، عن الأعمشِ قال : سمعتُ ذكوانَ يحدِّثُ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي**[(٣)] ؛ **فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً . . مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ ، وَلا يَبْغُضُ الأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** »[(٤)]

٣٠٢ـ **حدثنا** أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطانُ ، حدثنا عليُّ بن سعيد النَّسويُّ ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ بن سعد ، حدثنا

---

(١) رواها النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩١٧٨ ، ٩١٧٩) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٧١٠) ، والمصنف في « معرفة السنن والآثار » (٢٨٣) .

(٢) رواها النسائي في « السنن الكبرىٰ » (٩١٨٢) ، وابن ماجه (٢٣٦٣) .

(٣) وقد بيَّن العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٨٧٥) لمن توجَّه هذا الخطاب ، فقال : (الخطابُ بذلك للصحابة ؛ لما ورد : أنَّ سببَ الحديث أنَّهُ كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيءٌ ، فسبَّهُ خالدٌ ، فالمرادُ بـ « أصحابي » أصحابٌ مخصوصون ؛ وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام ، وقيل : نزَّلَ السابَّ منهم لتعاطيه ما لا يليقُ به من السبِّ منزلةَ غيرهم ، فخاطبَهُ خطابَ غيرِ الصحابة . ذكره السيوطي ، ويمكن أن يكون الخطاب للأمَّة الأعمِّ من الصحابة ؛ حيث علم بنور النبوَّة أنَّ مثل هذا يقعُ في أهل البدعة ، فنهاهم بهذه السنة ، وفي « شرح مسلم » [١٦/ ٩٣] : اعلم أنَّ سبَّ الصحابة حرامٌ من أكبر الفواحش ، ومذهبُنا ومذهب الجمهور أنَّهُ يعزَّرُ) .

(٤) ورواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١/ ٢٢٢) مختصراً فيهما ، والمصنف في « المدخل » (٤٥) .

عَبيدةُ بن أبي رائِطَةَ الكوفيُّ ، عن عبدِ الرحمن بن زياد ، عن عبدِ الله بن مُغفَّلٍ المُزنيِّ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **اللهَ اللهَ فِي أَصْحَابِي ؛ لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي ؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ**[1] ، **وَمَنْ آذَى اللهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ** »[2]

٣٠٣ـ أخبرَنا أبو محمدِ بنُ يوسفَ ، أخبرنا أبو سعيدِ بنُ الأعرابيِّ ، حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفرانيُّ ، حدثنا عفانُ ، حدثنا أبو عوانةَ ، حدثنا حُصين ، عن[3] سعدِ بن [عُبيدةَ][4] ، عن أبي عبدِ الرحمن السُّلميِّ ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعمرَ بن الخطاب رضي الله عنه « **وَمَا يُدْرِيكَ ؟ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؛ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ** » ، فاغْرَورقَتْ عينا عمرَ[5]

٣٠٤ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا حجَّاجُ بن محمد قال : قال ابنُ جُريج : أخبرني أبو الزبير ، أنَّه سمع جابراً يقول : أخبرتْني أمُّ مُبشِّرٍ : أنَّها سمعَتِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول عند حفصةَ : « **لا يَدْخُلُ النَّارَ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مِنْ**

---

(١) يعني : تعدَّى حدوده وخالفَهُ ، ففيه مشاكلةٌ ، وإلا فحقيقةُ الإيذاء محالةٌ على الله سبحانه .
(٢) ورواه الترمذي (٣٨٦٢) .
(٣) كذا في (د) ، وفي سائر النسخ : (حدثنا حصين وسعد . . .) ، ولم يذكروا لحصينٍ رواية عن أبي عبد الرحمن السلمي ، وبيَّض لموضع الرواية في (هـ) ، ولعل ذلك للإشكال المذكور .
(٤) في جميع النسخ : (عبيد) ، وإنما هو سعد بن عبيدة زوجُ ابنة أبي عبد الرحمن السلمي ، وفي (ب) ونسخة في هامش (د) : (مسعر بن عبيد) .
(٥) ورواه البخاري (٣٠٧٧) ، ومن وجه آخر عن سيدنا علي رضي الله عنه (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤/ ١٦١) .

أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ . . الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » ، قالت : بلى يا رسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصةُ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم « قَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم : ٧٢] »(١)

٣٠٥ـ حدثنا أبو بكر محمدُ بن الحسن بن فُورَكَ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يُونسُ بن حبيبٍ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا المسعوديُّ ، عن عاصمٍ ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعودٍ قال : (إنَّ اللهَ تبارك وتعالى نظرَ في قلوب العبادِ ، فوجدَ قلبَ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم خيرَ قلوبِ الناس ؛ فاختار محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم ، فبعثه برسالتِهِ ، وانتخبَهُ بعلمِهِ ، ثم نظرَ في قلوب الناس بعدَهُ ، فاختارَ له أصحابَهُ ؛ فجعلَهم أنصارَ دينِهِ ووزراءَ نبيِّهِ ، فما رآهُ المؤمنون حسناً فهو عند الله حسنٌ ، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيحٌ)(٢)

٣٠٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، أخبرنا زيادُ بن الخليل التُّسْتَرِيُّ ، حدثنا كثيرُ بنُ يحيى أبو مالكٍ ، حدثنا أبو عوانةَ ، عن أبي بَلْجٍ ، عن عمرِو بن ميمونٍ قال : كنَّا عند ابن عباسٍ ، فقال : (أخبرنا اللهُ في القرآن أنَّهُ قد رضيَ عن أصحاب الشجرة ، فعلمَ ما في قلوبِهِم ، فهل حدثنا أنَّهُ سخط عليهم بعدُ ؟!)(٣)

---

(١) ورواه مسلم (٢٤٩٦/١٦٣) .

(٢) ورواه أحمد في « مسنده » (١/ ٣٧٩) من وجه آخر عن سيدنا ابن مسعود ، والطيالسي في « مسنده » (٢٤٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٣٧٥) ، والمصنف في « المدخل » (٤٩) ، قال الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٣٧٤) : (وهو موقوف حسن) .

(٣) ورواه أحمد في « مسنده » (١/ ٣٣١) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٣٥٥) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/ ١٢٠) : (رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » باختصار ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري ، وهو ثقة ، وفيه لين) .

٣٠٧ـ وأخبرَنا أبو طاهرِ الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرِ القطانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ ، حدثنا محمدُ بن يوسفَ ، حدثنا سفيانُ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاك بن مُزَاحمٍ قال : (أمرَ الله عزَّ وجلَّ بالاستغفار لهم ـ يعني : لأصحابِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ وهو يعلمُ أنَّهم[1] سيحدِثون ما أحدثوا)[2]

٣٠٨ـ حدثنا السيدُ أبو الحسن محمدُ بن الحسين بن داودَ العلويُّ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن الأزهر بن مَنيعٍ ، حدثنا أبو أسامةَ ، عن سفيانَ ، عن نُسَيرِ بنِ ذُعْلُوقٍ قال : سمعتُ ابنَ عمر يقول : (لا تسبُّوا أصحابَ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فإنَّ مقامَ أحدِهِمْ ساعةً أفضلُ مِنْ عملِ أحدِكُم عُمْرَهُ)[3]

* * *

---

(١) وفي (أ ، ب ، و) : (أنَّه) .

(٢) ورواه عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أحمدُ في « فضائل الصحابة » (١٨) .

(٣) ورواه ابن ماجه (١٦٢) ، قال الحافظ البوصيري في « مصباح الزجاجة » (١/ ٢٤) : (هذا إسنادٌ صحيح ، رجاله ثقات) .

باب
القول في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأزواجه

قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وابتداءُ الآية في نساء النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وتخييرِهنَّ[1] ، فلمَّا اخترنَ اللهَ ورسولَهُ والدارَ الآخرة[2] . . كان لهنَّ ما وعدَ الله لهنَّ مِنَ الأجر العظيم[3] .

ثم ميَّزهنَّ عن نساء العالمين في العذاب والأجر ، ثم أبانهنَّ منهنَّ ؛ فقال : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ . . . ﴾ [الأحزاب : ٣٢] ، ثم ساق الكلام إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، وإنَّما ورد بلفظ الذكور لإدخال غيرهنَّ معهنَّ في ذلك[4] .

---

(١) في قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٢٨ـ ٢٩] ، وإنما أراد المصنف بيانَ أن أزواجه عليه الصلاة والسلام داخلاتٌ في آل بيته بسياق هذه الآيات .

(٢) وذلك فيما رواه البخاري (٥٢٦٢) ، ومسلم (١٤٧٧/ ٢٧) عن سيدتنا الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت : (خيَّرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاخترنا الله ورسوله ، فلم يعدَّ ذلك علينا شيئاً) .

(٣) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٨/ ١٣٥) : (فاخترْنَ رضي الله عنهنَّ رضا الله ورسوله والدارَ الآخرة ، فجمعَ اللهُ تعالى لهنَّ بعد ذلك بين خيري الدنيا وسعادةِ الآخرة) .

(٤) فلم يقل : (عنكنَّ) ، وقال الإمام في « مفاتيح الغيب » (٢٥/ ١٦٨) : (ثم إن الله تعالى =

ثم أضاف البيوتَ إليهنَّ بقوله : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

وجعلهنَّ أمهاتِ المؤمنين فقال : ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٦] .

وحرَّمَ نكاحهنَّ بعد وفاة نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

وأنزلَ في براءةِ عائشةَ بنت الصدِّيقِ ممَّا رُميَتْ به قولَهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ . . . ﴾ [النور : ١١] إلى آخر الآياتِ ، فهي تُتلى في مساجد المسلمين ، وفي صلواتهم في محاريبهم ، وتُكتبُ في مصاحفهم وألواحهم إلى يوم الدين ، وفيها بيانُ عفَّتِها وحصانتها وطهارتِها ، وكبيرِ إثْمِ مَنْ رماها وعظيمِ عذابه ، ولعْنِهِ في الدنيا والآخرة ، وكفى لها بذلك شرفاً ، ولمن وقعَ فيها عذاباً معدّاً ، ولعناً متتابعاً ، عاجلاً وآجلاً(١) .

٣٠٩ـ أخبرَنا أبو محمد جَناحُ بن نذير بن جناح القاضي بالكوفة ، حدثنا أبو جعفر محمدُ بن علي بن دحيمٍ ، حدثنا إبراهيمُ بن إسحاقَ الزهريُّ ، حدثنا جعفرٌ ـ يعني : ابن عون ـ ، ويعلى ، عن أبي حَيَّانَ التَّيْمِيِّ ، عن يزيدَ بن حَيَّانَ قال : سمعتُ زيدَ بن أرقمَ قال : قام فينا ذاتَ يومٍ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « **أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ** ،

= ترك خطاب المؤنثات وخاطبَ بخطاب المذكَّرين بقوله : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ ﴾ ليدخل فيه نساءُ أهل بيته ورجالهم) .

(١) وروى عبد الرزاق في « تفسيره » (١٢٣٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ما بغت امرأةُ نبيٍّ قطُّ) ، وقال صاحب « البحر الرائق » (٥/ ١٣١) نقلاً عن « التتارخانية » : (ولو قذف سائرَ نساء النبي صلى الله عليه وسلم . . لا يكفر ، ويستحقُّ اللعنة ، إلا عائشة رضي الله تعالىٰ عنها وعنهن) للزوم إنكار شيء من القرآن .

يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ[١] : أَوَّلُهُمَا : كِتَابُ اللهِ ؛ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِكِتَابِ اللهِ وَخُذُوا بِهِ » ، فحثَّ على كتاب الله ورغَّبَ فيه ، ثم قال : « وَأَهْلُ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي » ثلاثَ مرات ، فقال له حصينٌ : يا زيدُ ؛ مَنْ أهلُ بيته ؟ أليس نساؤُهُ مِنْ أهل بيته ؟! قال : بلى ، إنَّ نساءَهُ مِنْ أهل بيته ؛ ولكنْ أهلُ بيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصدقةَ بعدَهُ[٢] ، قال : ومَنْ هم ؟ قال : آلُ عليٍّ ، وآلُ جعفرٍ ، وآلُ العباسِ ، وآلُ عَقيلٍ ، فقال : كلُّ هؤلاءِ يُحرَمُ الصدقةَ ؟ قال : نعم[٣]

قال الأستاذُ الإمامُ رضي الله عنه :

قد بيَّنَ زيدُ بن أرقمَ أنَّ نساءَهُ مِنْ أهل بيته ، واسمُ أهل البيت للنساء تحقيقٌ ، وهو متناولٌ للآل ، واسمُ الآلِ لكلِّ مَنْ حُرِمَ الصدقةَ مِنْ أولاد هاشمٍ ، وأولاد المطَّلب ؛ لقولِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « إِنَّ الصَّدَقَةَ لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلا لِآلِ مُحَمَّدٍ »[٤] ، وإعطائِهِ[٥] الخُمُسَ الذي عوَّضَهم مِنَ الصدقة بني هاشم وبني المطلب ، وقال : « إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ »[٦]

---

(١) قال القاضي في « إكمال المعلم » (٧/ ٤١٩) : (جعلهما ثقلين ؛ إعظاماً لقدرهما ، وتفخيماً لشأنهما) .

(٢) سيِّن المصنفُ ما ظاهره التعارض ، وقد قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٥/ ١٨٠) : (والمعروفُ في معظم الروايات في غير مسلم أنَّهُ قال : « نساؤه لسْنَ من أهل بيته » ، فتُتأوَّلُ الرواية الأولى على أنَّ المراد : إنَّهن من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولُهُم ، وأمرَ باحترامهم وإكرامهم ، وسمَّاهم ثقلاً ، ووعظَ في حقوقهم وذكَّرَ ، فنساؤُهُ داخلات في هذا كلِّهِ ، ولا يدخلْنَ فيمن حُرِمَ الصدقة ، وقد أشار إلى هذا في الرواية الأولى بقوله : « نساؤُهُ من أهل بيته ، ولكنْ أهلُ بيته من حُرِمَ الصدقة ») .

(٣) ورواه مسلم (٢٤٠٨/ ٣٦) .

(٤) رواه مسلم (١٧٢/ ١٦٨) من حديث سيدنا عبد المطلب بن ربيعة رضي الله عنهما .

(٥) معطوف على قوله : (لقولِ النبي) ، وفي (و) : (إعطاؤه) .

(٦) رواه البخاري (٣١٤٠) ، وأبو داود (٢٩٧٨) من حديث سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه .

وقد يُسمَّى أزواجه آلاً بمعنى التشبيه بالنسب ، فأراد زيدٌ تخصيصَ الآل مِنْ أهل البيت بالذكر ، ولفظ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الوصيةِ بهم عامٌّ يتناول الآلَ والأزواجَ ، وقد أمرَ بالصلاة على جميعِهم ؛ فقال ما :

٣١٠ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدثنا حِبَّانُ بن يَسارٍ الكِلابيُّ ، حدثني أبو مُطرِّفٍ عُبيدُ الله بن طلحة بن عُبيد الله بن كَريزٍ[١] ، حدثني محمدُ بن عليٍّ الهاشميُّ ، عن المُجْمِرِ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى ؛ إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . . فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذُرِّيَّتِهِ ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ »[٢]

قال الشيخ

وأمرَ في حديث أبي حُميد الساعديِّ بالصلاةِ عليه وعلى أزواجِهِ وذريَّته[٣] ، ويحتمل أنَّهُ أفردهُنَّ بالذكر مِنْ جملة أهل البيت على وجهِ التأكيد ؛ كما أفرد الذريَّةَ على وجه التأكيد ، ثم رجعَ إلى التعميم في حديث أبي هريرةَ ؛ ليدخلَ فيها غير الأزواج والذرية مِنْ آلِهِ الذين يقعُ عليهم اسمُ أهل البيت ، والله أعلم .

٣١١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو عبد الرحمن محمدُ بن الحسين السُّلميُّ مِنْ أصل كتابه قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا الحسنُ بن مكرمٍ ، حدثنا عثمانُ بن عمرَ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن عبد الله بن

---

(١) كذا بفتح الكاف كما نبَّه الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (١٣/ ٤٢٤) ، وما سواه بضمِّها .

(٢) ورواه أبو داود (٩٨٢) .

(٣) رواه البخاري (٣٣٦٩) ، ومسلم (٤٠٧/ ٦٩) ، ولفظه : « قولوا : اللهمَّ ؛ صلِّ على محمدٍ وأزواجِهِ وذريَّتِهِ ، كما صلَّيْتَ على آلِ إبراهيمَ ، وباركْ على محمَّدٍ وأزواجِهِ وذريَّتِهِ ، كما باركْتَ على آلِ إبراهيمَ ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ » .

دينار ، عن شريكِ بن أبي نَمرٍ ، عن عطاءِ بن يسار ، عن أمِّ سلمةَ قالت في بيتي أُنزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، قالت : فأرسل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى فاطمةَ وعليٍّ والحسنِ والحسينِ ، فقال : « **هَؤُلاءِ أَهْلِي** » ، قالت : فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ أَمَا أنا مِنْ أهلِ البيتِ ؟ قال : « **بَلَى إِنْ شَاءَ اللهُ** »(١)

قال الحاكمُ أبو عبد الله(٢) : (هذا حديثٌ صحيحٌ سندُهُ ، ثقاتٌ رواتُهُ) .

قال الشيخُ :

وهذا يؤكِّدُ ما ذكرنا مِنْ دخول آلِهِ وأزواجه في أهل بيته ، وعلينا محبَّةُ جميعِهم ، وموالاتُهم في الدين .

٣١٢ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو النضر محمدُ بن محمد بن يوسفَ الفقيهُ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارِميُّ ، حدثنا عليُّ بن بَحْر بن بَرِّي ، حدثنا هشامُ بن يوسفَ الصنعانيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن سليمانَ النوفليُّ ، عن محمدِ بن علي بن عبد الله بن عباسٍ ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي** »(٣)

٣١٣ـ حدثَنا أبو محمد عبدُ الله بن يوسفَ الأصبهانيُّ ، أخبرنا أبو بكر

---

(١) ورواه الترمذي (٣٨٧١) من وجه آخر عن سيدتنا أمِّ سلمة رضي الله عنها ، والحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤١٦) (٣/ ١٤٦) ، والمصنف في « السنن الكبرىٰ » (٢/ ١٥٠) ، وانظر « الدر المنثور » (٦/ ٦٠٤) .

(٢) قوله : (الحاكم) مثبتٌ من النسخة (ج) .

(٣) ورواه الترمذي (٣٧٨٩) وحسَّنه ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٤٠٤) ، وإنما جعل محبة الله لما أسبغ من نعم سبحانه لكونها للخاصَّة والعامَّة ، ويحبُّه الخاصة لما يليق بجلاله وكماله ، ولجماله فضلاً عن إحسانه ، وعلَّل محبتَهُ عليه الصلاة والسلام بكونه محبوباً لله جلَّ وعزَّ ، ومحبوبُ المحبوبِ محبوبٌ ، ومحبةَ أهل بيته لكونه يحبُّهم عليه أزكى الصلوات والتسليمات ، فكأنَّ هذه المحابَّ قد تراكبَ بعضُها على بعض .

محمدُ بن الحسين القطّانُ ، حدثنا إبراهيمُ بن الحارث البغداديُّ ، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا زهيرُ بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عَقيل ، عن حمزةَ بن أبي سعيدٍ الخدريِّ ، عن أبيه قال : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول على المنبر : « **مَا بَالُ رِجَالٍ يَقُولُونَ : إِنَّ رَحِمَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَنْفَعُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!**[1] **بَلَىٰ ، وَاللهِ ؛ إِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَإِنِّي ـ أَيُّهَا النَّاسُ ـ فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ** »[2]

قال الشيخ :

وقد روينا في فضائلِ أهل البيت والصحابةِ رضي الله عنهم في كتاب « الفضائل » ما وردَ فيها .

وفيما روينا عن عائشةَ ، عن فاطمةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لها : « **أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ** » ، أو : « **نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ؟** »[3]

وفيما روي عن حذيفةَ ، وأبي سعيدٍ ، وغيرهما ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »[4] ، زاد أحدُهُما في روايته : « **إلا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ** »[5]

---

(١) لنحو شبهة في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، فقد روى أحمد في « المسند » (٤/٣٢٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/١٥٨) عن سيدنا المسور بن مخرمة رضي الله عنه مرفوعاً : « فاطمةُ بَضعةٌ منِّي ، يقبضُني ما يقبضُها ، ويبسطُني ما يبسطُها ، وإنَّ الأنسابَ يومَ القيامةِ تنقطعُ غيرَ نسبي وسببي وصهري » ، فظهر أن الآية مخصوصة ، أو يحمل عمومُها على حقوق الناس .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » (٣/١٨) ، والحاكم في « المستدرك » (٤/٧٤) وقال : (صحيح الإسناد) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٢٣ ، ٦٢٨٥) ، ومسلم (٢٤٥٠/٩٩) .

(٤) رواه الترمذي (٣٧٨١) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨٢٤٠) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٥) فالسيدة فاطمة رضي الله عنها تشاركها في هذه الفضيلة ، لا بمعنى : تقدُّم السيدة مريم عليها ، إلا =

وفي رواية ابن عباسٍ : « أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ »[1]

وفي حديث أبي موسى[2] ، وأنسِ بن مالك[3] ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ »[4]

وقال لابنتِهِ فاطمةَ : « أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ ؟ » ، قالت : بلىٰ ، قال : « فَأَحِبِّي هَذِهِ » يعني : عائشةَ[5]

وقال عمَّارُ بن ياسر بمشهد عليٍّ رضي الله عنهما لمن نالَ مِنْ عائشةَ : اسكتْ مقبوحاً منبوحاً ؛ تؤذي حبيبةَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟![6]

وقال عمَّارٌ : إنَّها زوجةُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الدنيا والآخرة[7] .

= على القول بنبوتها، وهو قول مرجوح، ولذا قال الإمام السيوطي في «إتمام الدراية» (ص ١٩): (ونعتقد أن أفضل النساء مريم بنت عمران وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم) .

(١) رواه أحمد في « مسنده » (١/ ٢٩٣) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٢٩٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٤١١) ، ومسلم (٢٤٣١/ ٧٠) .

(٣) رواه البخاري (٣٧٧٠) ، ومسلم (٢٤٤٦/ ٨٩) .

(٤) وخُصَّت أمُّنا وسيدتُنا عائشة الصدِّيقة رضي الله عنها ببيان فضلِها في كتب العقائد دون غيرها من أمَّهات المؤمنين . . لما وقع فيها من خلافٍ ساقط من بعض الفرق الإسلامية ، ولم يعرض المصنف لمسألة التفضيل بين نساء البيت النبوي ، واكتفى بذكر الآثار ، وقد قال العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٩٩٤) : (التوقُّف في حقِّ الكلِّ أولى ؛ إذ ليس في المسألة دليلٌ قطعي ، والظنيات متعارضةٌ ، غير مفيدة للعقائد المبنيَّة على اليقينيات) .
وقال أيضاً في « المرقاة » (٩/ ٣٦٦٠) : (وسئل السبكيُّ ـ يعني : عن التفاضل بين السيدة فاطمة وأمِّها خديجة والسيدة عائشة ـ فقال : الذي نختارُهُ ونَدينُ الله به : أنَّ فاطمةَ بنت محمد عليه السلام أفضلُ ، ثم أمُّها خديجة ، ثم عائشة) رضي الله عنهن .

(٥) رواه البخاري (٢٥٨١) ، ومسلم (٢٤٤٢/ ٨٣) واللفظ له .

(٦) رواه الترمذي (٣٨٨٨) وقال : (حسن صحيح) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٩٣) ، والمنبوحُ : المُبعَدُ .

(٧) رواه البخاري (٣٧٧٢) ، والترمذي (٣٨٨٩) ، قال القسطلاني في « إرشاد الساري » =

وفي حديث أبي سعيدٍ وغيره ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** »[1]

وجميعُ ذلك مع غيره مِنْ فضائلهم مذكورٌ في كتاب « الفضائل » بأسانيدِها ، مَنْ أراد الوقوفَ عليها رجعَ إليه إن شاءَ اللهُ .

* * *

= (١٠/ ١٩٤) : (وعند ابن أبي شيبة من طريق شمس بن عطية عن عبد الله بن زياد قال : قال عمَّار : « إن أمَّنا سارَتْ مسيرَها هذا وإنَّها والله زوجُ محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، ولكنَّ الله تعالى ابتلانا ليعلم إيَّاه نطيعُ أو إيَّاها » ، ومرادُ عمَّار بذلك : أن الصواب في تلك القصة كان مع علي ، وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام ، ولا ألا تكون زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وكان ذلك يعدُّ من إنصاف عمَّار وشدة ورعه وتحريه قول الحق) .

(١) رواه الترمذي (٣٧٦٨) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٤٧٢) ، وهو ممَّا قيل بتواتره ، فقد روي عن سبعة عشر صحابياً ، وانظر « نظم المتناثر » (ص ٢٠٧) .

باب
تسمية العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه بالجنة

٣١٤ـ أخبرَنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن عبد الله بن بِشرانَ ببغدادَ ، أخبرنا أبو جعفر محمدُ بن عمرو الرزَّازُ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا يحيى بنُ سعيد ، عن صدقةَ بنِ المثنى ، حدثني جَدِّي رياحُ بن الحارث : أنَّ المغيرةَ بن شعبةَ كان في المسجدِ الأكبرِ وعنده أهلُ الكوفة ، فقال سعيدُ بن زيد : أُشهدُ عليَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بما سمعَتْهُ أُذُنايَ ووعاهُ قلبي مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فإنِّي لم أكنْ أروي عنه كذباً يسألُني عنه إذا لقيتُهُ . أنَّهُ قال : « **أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ** » ، وتاسعُ المسلمين لو شئتُ أنْ أُسَمِّيَهُ . . لَسَمَّيْتُهُ .

قال : فرجع أهلُ المسجد يناشدونه ؛ يا صاحبَ رسولِ الله ؛ منِ التاسعُ ؟ قال نشدْتُموني بالله ، واللهُ عظيمٌ ، أنا تاسعُ المؤمنين ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم العاشرُ ، ثم أتبعَ ذلك يميناً : واللهِ ؛ لَمَشهدٌ شَهِدَهُ رجلٌ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . أفضلُ من عملِ أحدِكُم ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوح[1]

---

(١) ورواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٦٠٩) ، والإمام أحمد في « مسنده » (١/ ١٨٨) ، وأبو داود (٤٦٥٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٨١٣٧) ، و« فضائل الصحابة » له (٩٠) ، وابن ماجه (١٣٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٩٥) ، وكان قد سمع =

٣١٥ـ وأخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو حامد أحمدُ بن علي بن الحسن المقرئُ ، حدثنا أبو عيسى الترمذيُّ ، حدثنا صالحُ بن مسمار ، حدثني ابنُ أبي فُدَيك ، عن موسى بن يعقوبَ ، عن عمرَ بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن حميد ، عن أبيه ، عن سعيد بن زيد حدثه في نفرٍ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَالزُّبَيْرُ ، وَطَلْحَةُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ** » ، قال : فعدَّ هؤلاء التسعةَ وسكتَ عن العاشر ، فقال القومُ : نَنْشُدُكَ اللهَ يا أبا الأعور ؛ أنت العاشرُ ؟ قال : نشدتموني باللهِ ، تاللهِ ؛ أبو الأعور في الجنَّة[1]

وقد رُويَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه شَهِدَ لجماعةٍ سواهم بالجنَّة[2]

= رجلاً يقال له قيس بن علقمة يسبُّ ، فقال سعيد : من يسبُّ هذا الرجلُ ؟ فقال المغيرة : يسبُّ علياً ، قال : ألا أرى أصحابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يُسَبُّون عندك ثم لا تنكر ولا تغير ؟! ثم ذكره ، وسعد بن مالك : هو سيدنا سعد بن أبي وقاص .

(١) ورواه الترمذي (٣٧٤٨) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨١٣٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٤٤٠) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٥) ، وابن الأثير في « أسد الغابة » (٣/ ٣٧٧) من طريق الترمذي .
قال الحافظ المناوي في « فيض القدير » (١/ ٩١) : (فإن قلتَ : ينافي هذا الحديثُ ما في « مسلم » في الفضائل عن سعد : ما سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لحيٍّ يمشي : إنَّه في الجنة ، إلا لعبد الله بن سلام ! قلتُ : لا منافاةَ ؛ لاحتمال أنَّ حديثنا ممَّا لم يسمعه سعدٌ ، وسمعه غيره) .

(٢) قال الحافظ العيني في « عمدة القاري » (١٩/ ١٨٣) : (مفهومُ العدد لا اعتبار له ؛ فلا ينفي الزائد ، أو المقصود من العشرة : الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بلفظ : بشرت بالجنة ، أو المبشرون ، بدفعةٍ واحدة في مجلسٍ واحد ، ولا بدَّ من التأويل ؛ إذ بالإجماع أزواجُ الرسول وفاطمة والحسنان ونحوهم . . من أهل الجنة) .
ونقل الحافظ المناوي رحمه الله في « فيض القدير » (١/ ٩١) عن ابن جرير قوله : (وقد ورد نصٌّ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبشارة والشهادة بالجنة لغير العشرة أيضاً ؛ =

ورويناً في الباب قبلَهُ قولَهُ فيمن شهدَ بدراً ، وفيمن بايعَ تحت الشجرة[1]

* * *

= كالحسنين وأمِّهما وجدَّتِهما وجمعٍ من الصحْبِ أكثرَ من أن يُحصَوا) ، ثم قال : (فتبيَّن أنَّه لا تدافعَ بين هذا وبين تبشير العشرة ؛ لأن العددَ لا ينفي الزائدَ ، ولأنَّ العشرة خُصُّوا بأنَّهم بُشِّروا بها دفعةً واحدة ، وغيرُهُم وقع مفرَّقاً ، وقد شهدَ الله لأهل بيعة الرضوان بأنَّه رضي عنهم ؛ وهو بشارةٌ بالجنَّة) .

(١) تقدم برقم (٣٠٣ ، ٣٠٤) ، وتبشيرُ أهل الخصوص بالجنَّة لا يزيدهم إلا خشوعاً وتبتلاً ، بخلاف العامَّة الذين قيل فيهم : « إذاً يتَّكِلوا » ، ونقل الحافظ المناوي في « فيض القدير » (١/ ٩١) عن بعض المحققين قوله : (والتبشيرُ بالجنة لا يلزمُ منه الأمن من البعد عن كمال القرب ، وإنَّما اللازم الأمنُ من النار ، على أنَّ الوعد لا يمنعُ الدهشة والحيرة ، والخوف عند الصدمة الأولى ، ومِنْ ثَمَّ كانوا باكين خاشعين خائفين من سوء العاقبة ، سائلين العافيةَ لاحتمالاتٍ باقية) .

باب
تسمية الخلفاء الذين نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافتهم بعده وعلى مدة بقائهم

٣١٦ـ أخبرَنا أبو الحسين محمدُ بن الحسين بن محمد بن الفضل القطّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر بن درستويهِ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا عُبيدُ الله بنُ موسى ، حدثنا حَشْرَجُ بن نُباتةَ ، حدثني سعيدُ بن جُمْهانَ ، عن سفينةَ مولى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **الْخِلافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ** » ، قال لي سفينةُ : أمسِكْ خلافةَ أبي بكرٍ وخلافةَ عمرَ وخلافةَ عثمانَ وخلافةَ عليٍّ ؛ فنظرنا ؛ فوجدناها ثلاثينَ سنةً[١]

تابعه عبدُ الوارث بن سعيد ، عن سعيد بن جُمْهانَ :

٣١٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بن مرزوق البصريُّ بمصرَ ، حدثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث بن سعيد ، حدثني أبي ، حدثنا سعيدُ بن جُمْهانَ ، عن سفينةَ أبي عبد الرحمن مولى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً** »[٢]

---

(١) ورواه الترمذي (٢٢٢٦) وحسنه ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٩٩)

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٤٦) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٤٥) .

ورُوِيَ عن عبد الرحمن بن أبي بكرةَ ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[(١)]

٣١٨ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو عمرٍو بنُ السَّمَّاك ، حدثنا حنبلُ بن إسحاقَ ، حدثني أبو عبد الله محمدُ بن أحمدَ بن حنبلٍ ، حدثنا إسحاقُ بن عيسى ، عن أبي معشر ، (ح)

قال : وحدثنا حنبلٌ قال : حدثنا عاصمُ بن عاصم بن عليٍّ ، حدثنا أبو معشر قال : (استُخلفَ أبو بكر في شهر ربيعِ الأول حين توفِّي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ومات لثمانٍ بقين مِنْ جُمادى الآخرة يوم الاثنين في سنة ثلاث عشرة ؛ فكانت خلافتُهُ سنتين وأربعةَ أشهر إلا عشرَ ليالٍ .

وقُتل عمرُ يومَ الأربعاء لأربع ليالٍ بقينَ مِنْ ذي الحجَّة تمامَ سنةِ ثلاثٍ وعشرين ، وكانت خلافتُهُ عشرَ سنين وستةَ أشهر وأربعةَ أيام

وقُتلَ عثمانُ بن عفانَ يوم الجمعة لثمانِ عشرةَ مضت مِنْ ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنةً إلا اثني عشر يوماً .

وقُتلَ عليُّ بن أبي طالب في رمضانَ يومَ الجمعة لسبعَ عشرةَ مِنْ رمضانَ سنة أربعين ، وكانت خلافتُهُ خمسَ سنين إلا ثلاثةَ أشهر ، وقيل : إلا شهرين)[(٢)]

٣١٩ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد بن محمد بن عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ داسهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا محمدُ بن المثنى ، حدثنا عفَّانُ بن مُسْلِم ، حدثنا حمَّادُ بن سلمةَ ، عن أشعثَ بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن سَمُرةَ بن جندبٍ : أنَّ رجلاً قال : يا رسولَ الله ؛ إنِّي رأيتُ كأنَّ دَلْواً دُلِّيَ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٣٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٣٤٢، ٣٤٨) .

(٢) ورواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٩٤) مقتصراً على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، والمصنف في « المدخل » .

مِنَ السماء ، فجاء أبو بكرٍ فأَخذ بعَراقِيها[1] ، فشرب شُرباً ضعيفاً ، ثم جاء عمرُ فأَخذ بعَراقَيها ، فشربَ حتى تضلَّعَ ، ثم جاء عثمانُ فأَخذ بعَراقيها ، فشرب حتى تضلَّعَ ، ثم جاء عليٌّ فأَخذ بعَراقَيها ، فانـتَشَطَتْ وانْتَضَحَ عليه منه شيءٌ»[2]

قال الأستاذُ الإمامُ رضي الله عنه :

ضَعْفُ شُربِ أبي بكر رضي الله عنه : قصر مُدَّتِه ، والانْتَضاحُ مِنه على عليٍّ رضي الله عنه : ما أَصابه مِنَ المُنازَعة في وِلايتِه ، واللهُ أعلم .

وشواهدُ هذا الباب قد ذكرناها في كتاب « الفضائل » ، وفي كتاب « دلائل النبوة »[3]

٣٢٠ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن السلميُّ ، أخبرنا إدريسُ بن علي المؤدِّبُ قال : سمعت أبا بكر عبد الله بن محمد بن زياد قال : سمعت الربيع بن سليمانَ يقول : سمعتُ الشافعيَّ يقول في الخلافة والتفضيل : (نبدأ : بأبي بكر ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعليٍّ ، رضي الله عنهم)[4]

٣٢١ـ أخبرَنا أبو منصور عبد القاهر بن طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو أحمدَ الحافظُ قال : سمعتُ أبا عَروبةَ السلميَّ يقول : سمعتُ المَيْمُونيَّ يقول : سمعتُ أحمدَ بن حنبل ـ وقيل : إلى ما تذهبُ في الخلافة ؟ ـ قال : أبو بكر ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ ، فقيل له : كأنَّك تذهبَ إلى حديثِ سفينةَ ، قال : أذهبُ إلى

---

(١) قوله : (بعراقيها) بفتح العين ـ وفي « فتح الباري » (١٢/ ٤١٤) : بكسر العين ـ وفتح القاف ؛ وقد جاء في هامش (أ) : (عَرْقوة الدلو كتَرْقوة ، والعرقوتان : الخشبتان اللتان تعرضان عليها كهيئة الصليب) .

(٢) ورواه أبو داود (٤٦٣٧) .

(٣) دلائل النبوة (٦/ ٣٣٨) .

(٤) ورواه الآجري في « الشريعة » (١٢٢٣) ، واللالكائي في « السنة » (٨/ ١٤٥٠) (٢٦١٤) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٣٢١) .

حديث سفينةَ وإلى شيءٍ آخرَ ؛ رأيتُ علياً في زمن أبي بكر وعمرَ وعثمانَ لم يَتَسَمَّ بأمير المؤمنين ، ولم يُقِمِ الجُمَعَ والحدودَ ، ثم رأيتُهُ بعد قَتلِ عثمانَ قد فعلَ ذلك[1] ؛ فعلمتُ أنَّه قد وجبَ له في ذلك الوقتِ ما لم يكنْ له قبلَ ذلك[2]

* * *

(١) قوله : (ذلك) زيادة من (د) فقط .

(٢) ورواه الحاكم الكبير في « شعار أصحاب الحديث » (١٦) ، والميموني : عبد الملك بن حميد

باب

تنبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلافة أبي بكر الصديق بعده وبيان ما في الكتاب من الدلالة على صحة إمامته وإمامة من بعده من الخلفاء الراشدين

٣٢٢ـ أخبرَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ رحمه الله ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا العباسُ بن محمد الدُّوريُّ ، حدثنا الحسينُ الجُعفيُّ ، عن زائدةَ ، عن عبد الملك بن عُمَيرٍ ، عن أبي بردةَ ، عن أبي موسى قال : مرضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » ، فقالت عائشةُ : يا رسولَ الله ؛ إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ ، متى يقومُ مَقامَكَ . . لا يستطيعُ يُصلِّي بالناسِ ، قال : فقال : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ ؛ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ** »(١) ، قال : فصلَّى أبو بكرٍ في حياةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم(٢)

٣٢٣ـ أخبرَنا أبو طاهر محمدُ بن محمد بن مَحْمِشٍ الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السُّلميُّ ، حدثنا

---

(١) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٢/٣٦) : (أي : مثلهن في إظهار خلاف ما في الباطن ؛ فإنَّ عائشة أظهرت أنَّ سببَ إرادتها صرفَ الإمامة عن الصدِّيق . . لكونه لا يُسمِعُ المأمومين القراءةَ لبكائه ، ومرادُها زيادةٌ على ذلك ؛ وهو ألا يتشاءمَ الناس به ، وهذا مثلُ زليخا ؛ استدعت النسوة وأظهرت لهنَّ الإكرامَ بالضيافة ، وغرضُها أن ينظرنَ إلى حُسنِ يوسف ، ويعذرْنَها في محبَّته ، فعبَّر بالجمع في قوله : « إنكنَّ » والمراد : عائشة فقط ، وفي قوله : « صواحب » والمراد : زليخا كذلك)، وقوله : (صواحب) على رواية البخاري .

(٢) ورواه البخاري (٦٧٨ـ٦٧٩) ، ومسلم (٤٢٠) .

عبد الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن الزُّهريِّ قال : أخبرني حمزةُ بنُ عبد الله بنِ عمرَ ، عن عائشةَ قالت : لمَّا دخل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بيتي . . قال : « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » ، قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ ، إذا قرأ القرآنَ لا يملك دَمْعَهُ ، فلو أمرتَ غيرَ أبي بكرٍ ، قالت : واللهِ ؛ ما بي إلا كراهيةُ أن يتشاءمَ الناسُ بأوَّلِ مَنْ يقومُ في مَقامِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قالت : فراجعتُهُ مرَّتينِ أو ثلاثاً ، فقال : « لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ ؛ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ »[1]

٣٢٤ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو اليمانِ ، أخبرنا شعيبٌ ، عن الزُّهريِّ ، أخبرني أنسُ بن مالك الأنصاريُّ ـ وكان تَبِعَ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم عشرَ سنين ، وخدمَهُ وصحبَهُ ـ : أنَّ أبا بكر الصدِّيق كان يصلِّي لهم في وجعِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم الذي توفِّيَ فيه ، حتى إذا كان يومُ الاثنينِ وهم صفوفٌ في الصلاة . . كشف النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم سِتْرَ الحجرة ينظرُ إلينا وهو قائمٌ، كأنَّ وجهَهُ ورقةُ مصحف ، ثم تبسَّم يضحكُ[2] ، قال : فهَمَمْنا أن نَفْتَتِنَ ونحن في الصلاة من فرحٍ برؤيةِ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ونَكصَ أبو بكرٍ على عقبيهِ ليَصِلَ الصَّفَّ ، وظنَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم خارجٌ إلى الصلاة ، قال : فأشار إلينا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بيده : أنْ أتِمُّوا صلاتَكُم ، ثم دخل

(١) ورواه البخاري (٦٦٤) ، ومسلم (٤١٨/ ٩٤) .

(٢) قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (٤/ ١٤٢) : (سببُ تبسُّمه صلى الله عليه وسلم : فرحُهُ بما رأى ؛ من اجتماعِهم على الصلاة ، واتباعِهم لإمامهم ، وإقامتِهم شريعته ، واتفاقِ كلمتهم ، واجتماعِ قلوبهم ، ولهذا استنارَ وجهُهُ صلى الله عليه وسلم ، على عادته إذا رأى أو سمعَ ما يسرُّهُ . . يستنير وجهه ، وفيه معنىً آخرُ ؛ وهو تأنيسُهم وإعلامُهم بتماثل حاله في مرضه ، وقيل : يحتمل أنَّه صلى الله عليه وسلم خرج ليصلي بهم ، فرأى من نفسه ضعفاً ، فرجع) .

النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأرخى السِّتْرَ ، فتوفِّي من يومه ذلك[1]

قال الشيخُ :

وهذا الذي رواه أنسُ بن مالك ؛ من إرخائه السِّتر بعد ما نظرَ إليهم ، وأظهر الفرح بمكانهم صفوفاً خلف أبي بكر . . كان في الركعة الأولى من صلاة الصبح ، ثم إنَّهُ وجد في نفسه خِفَّةً فخرجَ ، فأدرك الركعة الثانية فصلَّاها خلف أبي بكر ، فلمَّا سلَّمَ أبو بكرٍ أتمَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الركعةَ الأخرى ، وتوفِّيَ من يومه ذلك .

هكذا ذكره موسى بن عقبة في « مغازيه » ، وكذلك ذكره عروةُ بن الزبير ، وبمعناه ذكره عبدُ الله بن أبي مليكةَ[2] ، ويشهدُ له ما :

٣٢٥ـ أخبرَنا أبو القاسم عبدُ الخالق بن عليِّ بن عبد الخالق المؤذنُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن أحمدَ بن خَنْبٍ ، حدثنا محمدُ بن إسماعيلَ التِّرمذيُّ ، حدثنا أيوبُ بن سليمانَ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي أويسٍ ، عن سليمانَ بن بلال ، عن حميدٍ الطويل ، عن ثابتٍ البنانيِّ ، عن أنسِ بن مالك أنَّه قال : (آخرُ صلاةٍ صلاها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع القوم ؛ صلَّى في ثوبٍ واحد مُتوشِّحاً به خلفَ أبي بكر الصدِّيقِ)[3]

٣٢٦ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ في آخرين قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا بحرُ بن نصر ، حدثنا ابنُ وهب ، أخبرني يونسُ ، عن ابن شهاب ، أنَّ سعيداً أخبره : أنَّهُ سمع أبا هريرة يقول : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ ، فَنَزَعْتُهُ ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ ،**

---

(١) ورواه البخاري (٦٨٠) ، ومسلم (٤١٩/٩٨) .

(٢) انظر « السنن الكبرى » للمصنف (٣/ ٨٣) ، و« مرقاة المفاتيح » (٣/ ٨٨٣) .

(٣) ورواه الترمذي (٣٦٣) وقال : (وهو حديث حسن صحيح) ، والنسائي (٢/ ٧٩) .

وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ[1] ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً ، فَأَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ »[2]

وكذلك رواه ابنُ عمرَ ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[3]

قال الشافعيُّ : (رؤيا الأنبياء وحيٌ ، وقوله : « وفي نزعِهِ ضَعفٌ » قصرُ مدَّته ، وعجلةُ موته ، وشغلُهُ بالحرب لأهل الردَّة عن الافتتاحِ والتزيُّد الذي بلغَهُ عمرُ في طول مدَّته)[4]

٣٢٧ـ أخبرَنا بذلك أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس ، أخبرنا الربيع ، قال الشافعيُّ ، فذكرَهُ .

٣٢٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ في « المخرَّج على كتاب مُسلم » ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ ، أخبرنا الشافعيُّ ، أخبرنا إبراهيم بن سعد ، (ح) .

وأخبرَنا أبو عبد الله ، أخبرني إسماعيلُ بن محمد بن الفضل بن محمد الشعرانيُّ ، حدثنا جدِّي ، حدثنا أبو ثابتٍ ، حدثنا إبراهيمُ بن سعد ، عن أبيه ،

---

(١) هذا دعاءُ شفقةٍ ورفق ، وأن ضعفه غيرُ قادح فيه ، ويأتي بيانُ الضعف من كلام الإمام الشافعي .

(٢) ورواه البخاري (٣٦٦٤) ، ومسلم (١٧/٢٣٩٢) ، قال الإمام النووي في « شرح صحيح مسلم » (١٥/١٥٩) : (أما القليبُ : فهي البئرُ غير المطويَّة ، والدلوُ : يذكر ويؤنث ، والذَّنوبُ : بفتح الذال ؛ الدلو المملوءة ، والغَرْبُ : بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء ؛ وهي الدلوُ العظيمة ، والنزع : الاستقاء ، والضعفُ : بضم الضاد وفتحها ، لغتان مشهورتان ، الضم أفصح ، ومعنى « استحالت » : صارت وتحوَّلت من الصغر إلى الكبر ، وأما العبقريُّ : فهو السيد ، وقيل : الذي ليس فوقه شيءٌ ، ومعنى « ضرب الناس بعطن » أي : أَرْوَوْا إبلَهم ثم آوَوْها إلى عطنها ؛ وهو الموضعُ الذي تُساقُ إليه بعد السقي لتستريحَ) .

(٣) ورواه البخاري (٣٦٣٣) ، ومسلم (١٩/٢٣٩٣) .

(٤) انظر « الأم » للإمام الشافعي (١/١٨٩ـ ١٩٠) .

عن محمدِ بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : أتتِ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم امرأةٌ ، فكلَّمتْهُ في شيء ، فأمرَها أن ترجعَ إليه ، قالت : يا رسولَ الله ؛ أرأيتَ إن رجعتُ فلم أجدْكَ ؟ ـ كأنَّها تعني : الموتَ ـ قال : « **فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي . فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ** »[1]

وقد روينا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث أبي قتادةَ ـ في قصَّة المِيضأة ـ عمومَ قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : « **وَإِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا** »[2]

٣٢٩ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا أبو عاصمٍ الضحَّاكُ بن مخلد وقبيصةُ ، عن سفيانَ ، عن عبد الملك بن عمير ، عن مولىً لربعيٍّ ، عن حذيفةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ**[3] **، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ** »[4]

ورواه إبراهيمُ بن سعد ، عن سفيانَ ، عن عبد الملك ، عن هلال مولى ربعيٍّ ، عن ربعيٍّ ، عن حذيفةَ[5]

---

(١) ورواه الإمام الشافعي في « الأم » (١/ ١٩٠) ، والمزني عن الإمام الشافعي في « السنن المأثورة » (٤٨٣) ، والبخاري (٣٦٥٩) ، ومسلم (٢٣٨٦)

(٢) ورواه مسلم (٦٨١) ، وقد تقدم بعضه برقم (٢٨٤) .

(٣) كذا في عامة النسخ ، وهي رواية المصنف في « المدخل » أيضاً ، وفي (ج) وحدها : (واهتدوا) بدل (واهدوا) .

(٤) ورواه الترمذي (٣٦٦٢) وحسَّنه ، وابن ماجه (٩٧) .
نقل الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٢/ ٥٦) في خصوص الجملة الأخيرة عن العلامة التوربشتي : (أشبهُ الأشياء بما يرادُ من عهده : أمرُ الخلافة ؛ فإنَّهُ أوَّلُ من شهدَ بصحَّتها ، وأشار إلى استقامتها قائلاً : ألا نرضى لدنيانا من رضيَهُ لديننا نبيُّنا ؟! كما يومئُ إليه المناسبة بين مطلع الخبر وتمامه) .

(٥) ورواه الترمذي (٣٦٦٢) .

ورواه عمرو بن هرم ، عن أبي عبد الله وربعيٍّ ، عن حذيفةَ[1] ، ورُويَ عن أبي الزعراءِ ، عن ابن مسعود[2] ، كلاهما عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم .

٣٣٠ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بن عبد الله السَّعديُّ ، حدثنا يزيدُ بن هارونَ ، أخبرنا إبراهيمُ بن سعد ، عن صالحِ بن كيسانَ ، عن الزهريِّ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ قالت : دخل عليَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم في اليوم الذي بُدِئَ فيه[3] ، فقلتُ : وا رأساهْ ، قال : « **لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ ؛ فَأُصَلِّيَ عَلَيْكِ وَأَدْفِنَكِ** » ، قالت : فقلتُ غيراً[4] : كأنِّي بكَ في ذلك اليوم معرِّساً ببعض نسائِكَ ! قال : « **أَنَا وَا رَأْسَاهْ ؛ ادْعِي لِي أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَاباً ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولَ قَائِلٌ ، وَيَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إلا أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** »[5]

قال الشيخُ رحمه الله :

وقد روينا في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ وفي حديث ابن عباسٍ جلوسَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبرِ في ابتداء مرضِهِ ، وقولَهُ : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ** »[6]

---

(١) رواه بهذا الإسناد الإمام أحمد في « المسند » (٥/ ٣٩٩) من طريق أبي عبد الله وربعي ، والترمذي (٣٦٦٣) من طريق ربعي وحده ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في « التلخيص الحبير » (٤/ ٣٥٠) : (وهو يروى عن حذيفة بأسانيد جياد تثبت) .

(٢) رواه الترمذي (٣٨٠٥) .

(٣) يعني : في ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام .

(٤) غيراً : كذا بغير هاء ، مصدر غار ، ومثله غيرة وغِيار .

(٥) ورواه البخاري (٥٦٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٧) بهذا الإسناده بنحوه .

(٦) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه البخاري (٤٦٧) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، قال صاحب « السيرة الحلبية » (٣/ ٤٨٦) : (وهذا حديث صحيح ، جاء عن بضعة عشر صحابياً ، ولكثرة طرقه عُدَّ من المتواتر) .

وفي حديث أبي المُعَلَّى : « مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِنِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ »(١)

وفي حديث أبي الدرداءِ وغيره عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّهُ قال : « إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ ؛ فَقُلْتُمْ : كَذَبَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي ؟! »(٢)

فهذه الأخبارُ وما في معناها تدلُّ على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم رأى أنْ يكونَ الخليفةَ مِنْ بعده أبو بكرٍ الصديقُ ، فنبَّهَ أُمَّتَهُ بما ذكر من فضيلتِهِ وسابقتِهِ وحسنِ أثره ، ثم بما أمرَهم به من الصلاة خلفَهُ ، ثم بالاقتداء به وبعمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما على ذلك(٣)

وإنَّما لم ينص عليه نصّاً لا يحتمل غيره ـ والله أعلم ـ ؛ لأنه علم بإعلام الله إياه أنَّ المسلمين يجتمعون عليه ، وأنَّ خلافته تنعقد بإجماعهم على بيعته .

وقد دلَّ كتابُ الله عزَّ وجلَّ على إمامة أبي بكر ومَنْ بعدَهُ من الخلفاء :

قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور : ٥٥](٤)

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٥٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ١٧٥) ، ويجوز رفع (أَمَنَّ) على لغة بني تميم .

(٢) رواه البخاري (٣٦٦١) ، و(تاركو) مضاف إلى (صاحبي) مع الفصل بين المتضايفين ، ولذا حُذفت النون .

(٣) وقال الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » (٢٢/ ١٢٦) : (وقد جاءت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم آثارٌ تدلُّ على أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يسرُّهُ ويعلم أنَّ الخليفة بعده أبو بكر ، والله أعلم) ، وذكر الآثار المتقدمة .

(٤) بهذه الآية المباركة صدَّرَ الشيخ الأشعري في « الإبانة » (ص ٢٥١) حديثَهُ عن إمامة الصدِّيق رضي الله عنه ، فقال : (وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وسموه خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، =

وقالَ : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج : ٤١] .

فلمَّا وُجدَتْ هذه الصفةُ ؛ من الاستخلاف والتمكينِ في أمر أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ . . دلَّ على أنَّ خلافتَهم حقٌّ .

ودلَّ أيضاً على إمامة أبي بكر الصديق : قولُ الله عز وجل في سورة (براءة) للقاعدين عن نصرة نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم والمتخلفينَ عن الخروج معه في غزوة الحديبيةِ : ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ [التوبة : ٨٣] .

وقال في سورة أخرى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ـ يعني : قولَه : ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا ﴾ ـ ، ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح : ١٥] ، وقال : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ ﴾ **الداعيَ لكم إلى قتالِهم** . . ﴿ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ ﴾ **يعني : تُعرِضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالِهم** . . ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ١٦] ، **والداعي لهم إلى ذلك غيرُ النبيِّ** صلَّى الله عليه وسلَّم الذي قال الله له : ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾ ، وقال في سورة (الفتح) : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ ، فمنعَهم من الخروج مع نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وجعل خروجَهم معه تبديلاً لكلامه ؛ **فوجبَ بذلك أنَّ الداعيَ الذي يدعوهم إلى القتال داعٍ يدعوهم بعد نبيِّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم .**

وقد قال مجاهدٌ في قوله : ﴿ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ : (هم فارسُ والرومُ)[1] ،

= وبايعوه وانقادوا له ، وأقروا له بالفضل ، وكان أفضلَ الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة ؛ من العلم ، والزهد ، وقوة الرأي ، وسياسة الأمة ، وغير ذلك) ، والمصنفُ يتأثَّرهُ في سياقه .

(١) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٦٥) .

وكذلك قال الحسنُ البصري[(١)]

وقال عطاءٌ : (هم فارسُ)[(٢)] ، وفي رواية عليِّ بن أبي طلحةَ ، عن ابن عباسٍ : (فارسُ)[(٣)]

وفي رواية الكلبيِّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباسٍ : (هم بنو حنيفةَ يومَ اليمامةِ)[(٤)]

فإن كانوا أهلَ اليمامةِ فقد قُوتِلوا في أيام أبي بكر الصدِّيق ، وهو الداعي إلى قتال مُسيلِمةَ وبني حنيفةَ من أهل اليمامةِ

وإن كانوا أهلَ فارسَ فقد قُوتلوا في أيام عمرَ ، وهو الداعي إلى قتال كسرى وأهلِ فارسَ .

وإن كانوا أهلَ فارسَ والرومِ ؛ فإنَّهُ أراد تنحيةَ أهل الروم عن أرض الشام ، وقد قُوتلوا في أيام أبي بكر ، ثم تمَّ قتالهم وتنحيتُهم عن الشام في أيام عمرَ مع قتال فارسَ ، فوجب بذلك إمامة أبي بكر وعمرَ ، وفي وجوب إمامة أحدهما وجوبُ إمامة الآخر[(٥)]

وقد احتجَّ بما ذكرنا من الآيات عليُّ بن إسماعيلَ رحمه الله وغيرُهُ من علمائِنا

---

(١) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٦٥) ، وانظر « الدر المنثور » (٧/ ٥١٩) .

(٢) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٦٥) .

(٣) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٦٦) ، وانظر « صحيفة علي بن أبي طلحة » (ص ٤٥٦) ، و« الدر المنثور » (٧/ ٥١٩) .

(٤) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٤/ ١٦٦) .

(٥) وعبارة الشيخ الأشعري في « الإبانة » (ص ٢٥٥) : (فقد قُوتلوا في أيام أبي بكر رضي الله عنه ، وقاتلَهم عمر رضي الله عنه من بعده وفرغ منهم ، وإذا وجبت إمامةُ عمرَ رضي الله عنه وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه ؛ لأنه العاقدُ له الإمامة ، فقد دلَّ القرآن على إمامة الصديق رضي الله عنه والفاروق رضي الله عنه)

في إثبات إمامة الصدِّيق رضي الله عنه[1]

ودلَّ أيضاً على إمامة الصدِّيق : قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فكان في علم الله سبحانه وتعالى ما يكونُ بعد وفاةِ رسولِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم من ارتداد قومٍ ، فوعدَ رسولَهُ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ووعدُهُ صدقٌ ـ أنَّه يأتي بقوم يحبُّهم ويحبُّونه ؛ أذلَّةٍ على المؤمنين ، أعزَّةٍ على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، فلمَّا وُجدَ ما كان في علمه من ارتدادِ مَنِ ارتَّد بعد وفاة رسوله . . وُجدَ تصديقُ وعده ؛ بقيام أبي بكر الصديق بقتالهم ، فجاهدَ بمَنْ أطاعه من الصحابة مَنْ عصاهُ من الأعراب ، ولم يخفْ في الله لومةَ لائم ، حتى ظهر الحقُّ وزهق الباطلُ ، وصار تصديقُ وعده بعد وفاة رسولِهِ صلَّى الله عليه وسلَّم آيةً للعالمين ، ودلالةً على صحَّة خلافة الصدِّيق رضي الله عنه .

٣٣١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إبراهيم بن مرزوقٍ ، حدثنا رَوحُ بن عبادةَ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ في قوله : ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ قال : هم الذين قاتلوا مع أبي بكر أهلَ الردَّة من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام بعدَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم[2]

وكذلك قاله عكرمةُ وقتادةُ والضحَّاك[3]

وروينا عن عبد الله بن الأهتمِ أنَّهُ قال لعمر بن عبد العزيز : (إنَّ أبا بكرٍ الصدِّيق قام بعدَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فدعا إلى سنَّتِهِ ، ومضى على

---

(١) انظر « الإبانة » (ص ٢٥١) وما بعدها .
(٢) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٠/ ٤١١) وما بعدها ، وانظر « الدر المنثور » (٣/ ١٠٢).
(٣) انظر « تفسير الطبري » (١٠/ ٤١٢) ، و« الدر المنثور » (٣/ ١٠١ـ ١٠٢) .

سبيلِهِ ، فارتدَّتِ العرب ـ أو : مَنِ ارتدَّ منهم ـ ، فعرضوا عليه أن يقيموا الصلاةَ ولا يؤتوا الزكاة ، فأبى أن يقبلَ منهم إلا ما كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قابلاً في حياتِهِ ، وانتزع السيوفَ من أغمادِها ، وأوقد النيرانَ في شُعُلِها ، وركب بأهلِ حقِّ الله أكتافَ أهل الباطل ، حتى قرَّرَهم بالذي نفروا منه ، وأدخلَهم من الباب الذي خرجوا منه ، حتى قبضَهُ الله إليه)[1]

٣٣٢ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عليٍّ الميمونيُّ ، حدثنا الفريابيُّ ، حدثنا عبادُ بن كثير ، عن أبي الزناد ، عن الأعرجِ ، عن أبي هريرةَ قال : والذي لا إله إلا هو ؛ **لولا أنَّ أبا بكر استُخلفَ . . ما عُبِدَ اللهُ** ، ثمَّ قال الثانية ، ثم الثالثة ، فقيل له : مَهْ يا أبا هريرةَ ! فقال : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجَّهَ أسامةَ بن زيد في سبع مئةٍ إلى الشام ؛ فلمَّا نزل بذي خشبٍ . . قُبضَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ، واجتمع إليه أصحابُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فقالوا : يا أبا بكر ؛ رُدَّ هؤلاءِ ، تُوجِّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدَّتِ العربُ حولَ المدينة ؟!

فقال : والذي لا إله إلا هو ؛ لو جرَّتِ الكلابُ بأرجلِ أزواجِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . ما رددْتُ جيشاً وجَّهَهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولا حللتُ لواءً عَقَدَهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فوجَّه أسامةَ ، فجعل لا يمرُّ بقَبيلٍ يريدون الارتدادَ إلا قالوا : لولا أنَّ لهؤلاء قوَّةً . . ما خرج مثلُ هؤلاء من عندِهم ، ولكن ندعُهُم حتى يلقوا الرومَ ، فلقوا الرومَ ، فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمينَ ؛ فثبتوا على الإسلامِ[2]

* * *

---

(١) رواه الدارمي في « سننه » (٩٢) .

(٢) ورواه الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢/ ٦٠) ، وفي « كنز العمال » (١٤٠٦٦) : (وسنده حسن) .

باب
اجتماع المسلمين على بيعة أبي بكر الصديق وانقيادهم لإمامته

وهو : أبو بكرٍ ، عبدُ الله بنُ عثمانَ بن عامر بن عمرو بن كعب بنِ سعد بن تَيم بنِ مُرَّةَ القرشيُّ التَّيْمِيُّ رضي الله عنه .

٣٣٣ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن أحمد بنِ عمرَ بن حفص المقرئُ ابنُ الحماميِّ ببغدادَ ، أخبرنا أحمدُ بن سلمانَ النَّجَّادُ قال : قُرِئَ على محمد بن الهيثم وأنا أسمعُ ، حدثنا إسماعيلُ بن أبي أويس ، حدثني سليمانُ بن بلال ، عن هشامِ بن عروةَ ، أخبرني عروةُ بن الزبير ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مات وأبو بكر بالسُّنْحِ[١] ، فقام عمرُ فقال : والله ؛ ما مات رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ قال عمرُ : والله ؛ ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ـ وليبعثنَّهُ الله عزَّ وجلَّ فيقطعَنَّ أيديَ رجالٍ وأرجلَهُم[٢]

فجاء أبو بكرٍ ، فكشفَ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقبَّلَهُ ، وقال : بأبي أنت وأمي ، طبْتَ حياً وميّتاً ، والذي نفسي بيدِهِ ؛ لا يذيقُكَ اللهُ عزَّ وجلَّ

---

(١) السُّنح ـ بضم السين وسكون النون أو ضمها ـ : قرية بجوار المدينة المنورة ، فيها منازل بني الحارث بن الخزرج من الأنصار ، وكانت زوجة سيدنا أبي بكر منهم ، وكان يوم وفاته عليه الصلاة والسلام عندها .

(٢) هذا أولُ خلاف وقعَ في المسلمين بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى ، وفيه من جليل الفضيلة للصدِّيق رضي الله عنه ؛ إذ رفعه فور وقوعه .

الموتتينِ أبداً[1] ، ثم خرج فقال : أيُّها الحالفُ ؛ على رِسْلِكَ ، فلمَّا تكلَّم أبو بكر جلس عمرُ .

فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : مَنْ كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات ، ومَنْ كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ . . . ﴾ [آل عمران : ١٤٤] الآيةَ كلَّها ، فَنَشِجَ الناسُ يبكون .

واجتمعَتِ الأنصارُ إلى سعد بن عُبادةَ في سقيفة بني ساعدةَ ؛ فقالوا : منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ[2] ، فذهب إليهم أبو بكر وعمرُ وأبو عُبيدةَ بنُ الجراح ، فذهب عمرُ يتكلَّم ، فأسكتَهُ أبو بكر ، ـ فكان عمرُ يقول : واللهِ ؛ ما أردتُ بذاك إلا أنِّي قد هيَّأتُ كلاماً قد أعجبني ؛ خشيتُ ألا يبلُغَهُ أبو بكر ـ ، فتكلَّمَ وأبلغَ ، وقال في كلامِهِ : نحن الأمراءُ ، وأنتم الوزراءُ .

قال الحُبابُ بنُ المنذر : لا واللهِ لا نفعلُ أبداً ؛ منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ .

فقال أبو بكر : لا ، ولكنَّا الأمراءُ ، وأنتم الوزراءُ ، هم ـ يعني : المهاجرين ـ أوسطُ العرب داراً ، وأعربُهم أحْساباً ، فبايِعوا عمرَ بن الخطاب أو أبا عُبيدة بن الجراح .

---

(١) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٩١) : (مرادُهُ : الردُّ على عمر حيث قال : إنَّ الله بعثه حتى يقطع أيدي رجال وأرجلَهم ؛ لأنَّه لو صحَّ ما قاله . . لزم أن يموت موتةً أخرى ، فأشار إلى أنَّه أكرمُ على الله من أن يجمعَ عليه موتتين كما جمعَهما على غيره الذي مرَّ على قرية) .

(٢) لم يقولوا هذا إلا صرماً لخلافٍ قد يقع ، فاحتكموا لعادة العرب في تولية الأمور بعد وفاة السابق ، ثم جعلوها بينهم طلباً لرضا أفراد المهاجرين والأنصار ، ثم لمَّا ذُكِّروا بحديث : « الأئمةُ من قريشٍ » . . سمعوا وأطاعوا .

فقال عمرُ : بل نبايعُكَ ؛ أنتَ خيرُنا وسيِّدُنا ، وأحبُّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1] ، **وأخذَ عمرُ بيده فبايعَهُ ، وبايعَهُ الناس ، فقال قائلٌ : قتلتم** سعدَ بن عُبادةَ ، فقال عمرُ : قتلَهُ الله[2]

ورواه عبد الله بن عباس ، عن عمرَ بن الخطاب في قصَّة السقيفة بمعنى ما روتْهُ عائشةُ ، وفيه مِنَ الزيادة عن عمرَ قال : فلم أكرهْ ممَّا قال غيرَها ، كان واللهِ أن أُقَدَّمَ فتُضربَ عنقي لا يُقرِّبُني ذلك إلى إثمٍ . أحبَّ إليَّ مِنْ أن أُؤمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر .

وزاد أيضاً : قال عمرُ : فكثر اللَّغَطُ وارتفعتِ الأصواتُ حتى أشفقْتُ الاختلافَ ؛ فقلتُ : **ابسطْ يدَكَ يا أبا بكر ، فبسطَ أبو بكرٍ يدَهُ ، فبايعتُهُ ، وبايعَهُ المهاجرون والأنصارُ**[3]

وقد ذكرناه في كتاب « الفضائل » بالتمام .

٣٣٤ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن خالد بن خَلِيٍّ ، حدثنا بشرُ بن شعيب بن أبي حمزةَ ، عن أبيه ، عن الزهريِّ ، أخبرني أنسُ بن مالك : أنَّهُ سمعَ خطبةَ عمرَ الآخرةَ حين جلس أبو بكر على منبر رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وذلك الغدُ من يومَ تُوفِّي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال أنسُ بن مالك : فتشهَّدُ عمر ، وأبو بكر صامتٌ ، ثم قال :

---

(١) ورواية البخاري المشار إليها : (وأحبُّنا) بدل (وأحب) .

(٢) رواه البخاري (١٢٤١ ، ٣٦٦٧) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٤٢) .
قولهم : (قتلتم سعدَ. . .) يعني كدتم تقتلونه ؛ إذ قد مات في ولاية سيدنا عمر رضي الله عنهما ، قال القسطلاني في « إرشاد الساري » (٦/ ٩٣) : (والعذرُ له في تخلُّفه عن بيعة الصدِّيق : أنَّه تأوَّل أنَّ للأنصار استحقاقاً في الخلافة ، فهو معذورٌ وإن كان ما اعتقده من ذلك خطأً) ، ودعاء الفاروق عليه لتخوُّفه من شقِّ العصا ونشر الفتنة

(٣) رواه البخاري (٢٤٦٢ ، ٦٨٣٠) ، ومسلم (١٦٩١/ ١٥) مختصراً .

أمَّا بعدُ : فإنِّي قد قلتُ لكم أمسِ مقالةً ، وإنَّها لم تكنْ كما قلتُ ، وإنِّي واللهِ ما وجدتُ المقالةَ التي قلتُ لكم في كتابِ أنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ[1] ، ولا عهدٍ عهدَهُ إليَّ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ ولكنِّي قد كنت رجوتُ أن يعيشَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى يَدْبُرَنا ـ يريد بذلك : أن يكون آخرَهم ـ ، فقال عمرُ : وإن يكُ محمدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم قد مات . . فإنَّ اللهَ تعالى قد جعلَ بين أظهركم نوراً تهتدون به ، به هدى اللهُ محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم[2] ، فاعتصموا به تهتدوا لما هدى اللهُ له محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم .

قال : ثم ذكر عمرُ أبا بكرٍ ، فقال : إنَّ أبا بكرٍ صاحبُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وثاني اثنين، وإنَّهُ أحقُّ المسلمين بأمرهم ، فقوموا فبايعوه ، وقد كان طائفةٌ منهم بايعوهُ قبل ذلك في سقيفة بني ساعدةَ ، وكانت بيعتُهُ على المنبر بيعةَ العامَّة[3] .

٣٣٥ـ أخبرَنا الفقيه أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد بن محمد بن علي الرُّوذْبارِيُّ رحمه الله ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ الأصمُّ ، حدثنا أبو جعفرٍ أحمدُ بن عبد الحميد الحارثيُّ الكوفيُّ ، حدثنا الحسينُ بن عليٍّ الجعفيُّ ، عن زائدةَ ، عن عاصمِ بن أبي النَّجود ، عن زرٍّ ، عن عبد الله قال : لمَّا قُبِضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . قالت الأنصارُ : منَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ، قال : فأتاهم عمرُ فقال : يا معشرَ الأنصار ؛ ألستم تعلمون أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أَمَرَ أبا بكر أن يصلِّيَ بالناس ؟! قالوا : بلى ، قال : فأيُّكم تَطيبُ نفسُهُ أن يتقدَّمَ أبا بكرٍ ؟! قالوا : نعوذُ بالله أن نتقدَّمَ أبا بكر[4]

---

(١) قوله : (أنزل) كذا في جميع النسخ ، والمعنى مستقيم ، وفي رواية ابن حبان المشار إليها : (أنزله) .

(٢) كذا كررت (به) في جميع النسخ، والمعنى مستقيم ، وانظر « إرشاد الساري » (١٠/ ٢٧١).

(٣) ورواه البخاري (٧٢١٩) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٨٧٥) .

(٤) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ٣٩٦) ، والنسائي (٢/ ٧٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٦٧) .

٣٣٦ـ أخبرَنا أبو نصرِ ابنُ قتادةَ[١] ، أخبرنا أبو الفضل ابنُ خَمِيرويه ، حدثنا أحمدُ بن نجدةَ ، حدثنا إبراهيمُ بن زياد ، حدثنا عبدُ الله بن داودَ ، عن سلمةَ بن نبيط ، عن نُعيم بن أبي هند ، عن نُبَيطِ بن شَريط[٢] ، عن سالم بن عُبيدٍ[٣] قال : مرض النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكر الحديثَ في أمره أبا بكر بالصلاة بالناس ، ثم في وفاته ، ثم في رجوع الناس إلى أمر أبي بكر في وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ثم في الصلاة عليه ، ثم في دفنه ، ثم في موضع دفنه ، ثم في أمره بني عمِّهِ بغَسلِهِ ، ثم في خروج المهاجرين إلى الأنصار .

قال : فقال قائل مِنَ الأنصار : منَّا أمير ومنكم أمير ، فقال عمرُ وأخذ بيد أبي بكر : مَنْ له مثلُ هذه الثلاثة التي لأبي بكر ؛ قال الله : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ مَنْ هما ؟! ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] مَنْ كان اللهُ معهما ؟! ثم بسطَ يدَ أبي بكر فبايعَهُ ، وبايعَهُ الناسُ بيعةً حسنة جميلةً[٤] .

٣٣٧ـ وحدثَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو محمدٍ عبدُ الرحمن بن أبي حامد المقرئُ قراءةً عليه قالا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا جعفرُ بن محمد بن شاكرٍ ، حدثنا عفَّانُ بن مسلم ، حدثنا وهيبٌ ، حدثنا داودُ بن

---

(١) واسمه : عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة ، أبو نصر النيسابوري الأنصاري ، وهو من ذرية سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما . انظر « إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي » (ص ٣٦٥) .

(٢) هو صحابيٌّ ، وبقي بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم زماناً ، وانظر « الإصابة » (٣/ ١٩٩١) .

(٣) هو صحابيٌّ من أهل الصُّفة ، وانظر « الإصابة » (١/ ٦٧٧) .

(٤) ورواه الترمذي في « الشمائل » (٣٩٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٧٠٨١) ، وابن ماجه (١٢٣٤) مختصراً ، وابن خزيمة في « صحيحه » (١٥٤١ ، ١٦٢٤) مختصراً فيهما ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧/ ٦٥) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٥٩) .

أبي هند ، حدثنا أبو نَضرةَ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال : لمَّا توفِّي رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . قام خطباءُ الأنصار ، فجعل الرجلُ منهم يقول : يا معشرَ المهاجرين ؛ إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان إذا استعمل رجلاً منكم . . قرنَ معه رجلاً منَّا ، فنرى أن يليَ هذا الأمرَ رجلان ؛ أحدُهُما منكم ، والآخرُ منَّا .

قال : فتتابعَتْ خطباءُ الأنصار على ذلك ، فقام زيدُ بن ثابت فقال : إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان مِنَ المهاجرين ، وإنَّ الإمامَ يكون مِنَ المهاجرين ، ونحن أنصارُهُ كما كنَّا أنصارَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

فقام أبو بكرٍ فقال : جزاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار وثبَّتَ قائلَكم ، ثم قال : أمَا لو فعلتم غيرَ ذلك لَمَا صالحناكم ، ثم أخذ زيدُ بن ثابت بيد أبي بكرٍ فقال : هذا صاحبُكم ، فبايَعُوهُ ، ثم انطلَقُوا .

فلمَّا قعد أبو بكر على المنبر . . نظرَ في وجوه القوم ، فلم يرَ عليّاً ، فسأل عنه ، فقام ناسٌ مِنَ الأنصار فأتوا به ، فقال أبو بكر : ابنُ عمِّ رسول الله وختَنُهُ أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين ؟! فقال : لا تثريبَ يا خليفةَ رسول الله ، فبايعَهُ ، ثمَّ لم يرَ الزبيرَ بن العوَّام ، فسأل عنه ، حتى جاؤوا به ، قال : ابنُ عمَّة رسول الله وحواريُّهُ أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين ؟! فقال مثلَ قوله : لا تثريبَ يا خليفةَ رسول الله ، فبايعَهُ[1]

٣٣٨ـ وأخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي بن السَّقَّا الإسفرايينيُّ ، أخبرنا أبو علي الحسينُ بن عليٍّ الحافظُ[2] ، حدثنا أبو بكر محمدُ بن إسحاقَ بن

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » (٥/ ١٨٥) مختصراً ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٧٦) .

(٢) قوله : (الحسين) كذا في (هـ) ، وفي (أ ، ب) تحتمل الحسين أو الحسن ، وفي باقي النسخ : (الحسن) ، والصواب المثبت ، وهو القائل بتفضيل « صحيح مسلم » على « صحيح البخاري » ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥١) .

خزيمةَ ، وإبراهيمُ بن أبي طالب قالا حدثنا بُندارُ بن بشار ، حدثنا أبو هشام المخزوميُّ ، حدثنا وهيبٌ ، فذكره بإسناده ومعناه ، غيرَ أنَّهُ قال : فقام عمرُ بن الخطاب فقال : صدقَ قائلُكم ، أمَا لو قلتم غيرَ هذا لم نتابعْكُم ، وأخذَ بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبُكم فبايِعوهُ ، وبايعَهُ عمرُ ، وبايعَهُ المهاجرون والأنصارُ[(١)]

٣٣٩ـ وحدثَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن صالح بن هانئ ، حدثنا الفضلُ بن محمد البيهقيُّ ، حدثنا إبراهيمُ بن المنذر الحِزاميُّ ، حدثنا محمدُ بن فُليح ، عن موسى بن عقبةَ ، عن سعدِ بن إبراهيمَ قال : حدثني إبراهيمُ بن عبد الرحمن بن عوف في هذه القصَّة قال ثم قامَ أبو بكرٍ فخطب الناسَ واعتذرَ إليهم ـ يعني : إلى عليٍّ والزبير ومَنْ تخلَّفَ ـ وقال : واللهِ ؛ ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً وليلةً قطُّ ، ولا كنتُ فيها راغباً ، ولا سألتُها اللهَ في سرٍّ ولا علانيةٍ ؛ ولكنِّي أشفقتُ مِنَ الفتنة ، وما لي في الإمارة مِنْ راحة ؛ ولكنْ قُلِّدتُ أمراً عظيماً ما لي به طاقةٌ ولا يدانِ إلا بتقوية الله ، ولوددتُ أنَّ أقوى الناسِ عليها مكاني عليها اليوم ، فقبلَ المهاجرون منه ما قالَ وما اعتذرَ به

وقال عليٌّ والزبيرُ : ما غضبنا إلا أنَّا أُخِّرنا عن المشاورة ، وإنَّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعدَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ إنَّهُ لصاحبُ الغار ، وثاني اثنين ، وإنَّا لنعرف شرفَهُ وكبرَه ، ولقد أمَّرَهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالصلاة بالناس وهو حيٌّ[(٢)]

---

(١) ورواه المصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٤٣) وجاء إثره : قال أبو علي الحافظ : سمعتُ محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث ، فكتبته له في رقعة وقرأت عليه ، فقال : هذا حديث يسوى بدنة ، فقلت : يسوى بدنة ؟! بل هو يسوى بَدرة . والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار . انظر « تاج العروس » مادة (ب د ر) .

(٢) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٦٦)، والمصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٥٢) .

وكذلك رواه إسماعيلُ بن إبراهيمَ بن عُقبةَ ، عن عمِّهِ موسى بن عُقبةَ[1]

وكذلك ذكرَهُ محمدُ بن إسحاقَ بن يسار في « المغازي » ، وقال في اعتذار أبي بكر إلى عليٍّ وغيره ممَّن تخلَّفَ عن بيعته : أمَا واللهِ ؛ ما حملَنا على إبرام ذلك دون مَنْ غاب عنه إلا مخافةُ الفتنة وتفاقمُ الحِدْثان[2] ، وإن كنتُ لها لكارهاً ، لولا ذلك ما شهدَها أحدٌ كان أحبَّ إليَّ أن يشهدها منكَ إلا مَنْ هو بمثلِ منزلتِكَ ، ثم أشرف على الناس فقال : أيها الناس ؛ هذا عليُّ بن أبي طالب ، فلا بيعة لي في عنقه ، وهو بالخيار مِنْ أمره ، ألا وأنتم بالخيار جميعاً في بيعتِكم إيايَّ ، فإن رأيتُم لها غيري فأنا أوَّلُ مَنْ يبايعُهُ .

فلما سمعَ ذلك عليٌّ مِنْ قوله تَحلَّلَ عنه ما كان قد دخلَهُ ، فقال : لا حلَّ ؛ لا نرى لها أحداً غيرَكَ ، فمدَّ يدَهُ فبايعَهُ هو والنفرُ الذين كانوا معه ، وقال جميعُ الناس مثلَ ذلك ، فردُّوا الأمرَ إلى أبي بكر ، وقالوا : خليفةُ رسول الله ؛ وذلك لأنَّهُ استخلفَهُ على الصلاةِ بعده ، فكانوا يسمُّونه خليفةَ رسولِ الله حتى هلَكَ .

٣٤٠ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا أحمدُ بن عبد الجبَّار ، حدثنا يونسُ بن بُكير ، عن محمدِ بن إسحاقَ ، فذكر قصَّة السقيفة ، ثم ذكر بيعةَ العامَّة مِنْ غدِ يوم السقيفة ، ثم ذكر ما نقلناه .

وأبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه ذهب فيما خيَّرَهم فيه مِنْ مبايعته مذهبَ التواضع ، واستبرأَ قلوبَهم في استخلافه ، حتى إذا عَرفَ منهم الصدقَ سكنَ إلى اجتماعِهم على ذلك في السرِّ والعلانية .

---

(١) انظر « أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة » (١٩) انتخبها العلامة ابن قاضي شهبة ورواها ، وانظر « البداية والنهاية » (٥/ ٢٥٠)، وقال الحافظ ابن كثير إثره : (إسناد جيد) .

(٢) حِدْثانُ الدهر وحَدَثانُه : نوبُهُ ونوازله .

وقد صحَّ بما ذكرنا اجتماعُهم على بيعتِهِ مع عليٍّ بن أبي طالب ، ولا يجوزُ لقائلٍ أن يقول : كان باطنُ عليٍّ أو غيرِهِ بخلاف ظاهرة ! فكان عليٌّ أكبرَ محلاًّ وأجلَّ قدراً مِنْ أن يُقدِمَ على هذا الأمر العظيم بغير حقٍّ ، أو يظهرَ للناس خلافَ ما في ضميره ، ولو جازَ ادعاءُ هذا في إجماعِهِم على خلافة أبي بكر . . لم يصحَّ إجماعٌ قطُّ ، والإجماعُ أحدُ حُججِ الشريعة ، ولا يجوز تعطيلُهُ بالتوهُّم .

والذي روى أنَّ عليّاً لم يبايعْ أبا بكر ستةَ أشهر ؛ ليس مِنْ قول عائشةَ ، إنَّما هو مِنْ قول الزهري ، فأدرجَهُ بعضُ الرواة في الحديث عن عائشةَ في قصَّة فاطمةَ رضي الله عنهم ، وحفظَهُ مَعْمَرُ بن راشد ؛ فرواه مفصَّلاً ، وجعلَهُ مِنْ قول الزهريِّ منقطعاً مِنَ الحديث(١)

وقد روينا في الحديث الموصول ، عن أبي سعيدٍ الخدري ومَنْ تابعه مِنْ أهل المغازي : أنَّ عليّاً بايعَهُ في بيعة العامَّة بعد البيعة التي جرَتْ في السقيفة ، ويحتمل أنَّ عليّاً بايعَهُ بيعةَ العامة ؛ كما روينا في حديث أبي سعيدٍ الخدري وغيره ، ثم شجرَ بين فاطمةَ وأبي بكر كلامٌ بسبب الميراث ؛ إذ لم تسمعْ مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في باب الميراث ما سمعَهُ أبو بكر وغيرُه ، فكانت معذورةً فيما طلبته ، وكان أبو بكر معذوراً فيما منع ، فتخلَّفَ عليٌّ عن حضور أبي بكر حتى توفِّيَتْ ، ثم كان منه تجديدُ البيعة والقيامُ بواجباتها كما قال الزهريُّ(٢)

---

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٩٧٧٤) ، والبخاري (٣٠٩٢ ، ٤٢٤٠) ، ومسلم (١٧٥٩/ ٥٢ ، ٥٣) مختصراً ومطوَّلاً ، وقال المصنف في « السنن الكبرى » (٦/ ٣٠٠) : (وقولُ الزهريِّ في قعود عليٍّ عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه حتى تُوفِّيت فاطمةُ رضي الله عنها . . منقطعٌ ، وحديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه في مبايعته إيَّاه حين بويع بيعةَ العامة بعد السقيفة . . أصحُّ ، ولعل الزهريَّ أراد قعودَهُ عنها بعد البيعة ، ثم نهوضه عليها ثانياً وقيامه بواجباتها ، والله أعلم) .

(٢) قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٤٩٥) : (وقد صحَّح ابن حبان وغيره من حديث أبي سعيدٍ الخدري وغيره : أنَّ عليّاً بايع أبا بكر في أول الأمر ، وأما ما وقع في « مسلم » =

ولا يجوزُ أن يكون قعودُ عليٍّ في بيتِهِ على وجه الكراهية لإمارته ؛ ففي رواية الزهري : أنَّهُ بايعه بعدُ وعظَّمَ حقَّهُ ، ولو كان الأمر على غير ما قلنا . لكانت بيعتُهُ آخراً خطأً ، ومَنْ زعم أنَّ علياً بايعَهُ ظاهراً وخالفه باطناً . فقد أساءَ الثناءَ على عليٍّ ، وقال فيه أقبحَ القول .

وقد قال عليٌّ في إمارته وهو على المنبر ألا أخبركم بخيرِ هذه الأمَّة بعد نبيِّها صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قالوا : بلى ، قال : أبو بكر ، ثم عمرُ[(١)]

ونحن نزعمُ أنَّ علياً كان لا يفعلُ إلا ما هو حقٌّ ، ولا يقولُ إلا ما هو صدقٌ ، وقد فعلَ في مبايعةِ أبي بكر ومؤازرة عمرَ ما يليقُ بفضلِهِ وعلمه ، وسابقتِهِ وحسن عقيدته ، وجميلِ نيتِهِ في أداء النصح للراعي والرعية ، قال في فضلهما ما نقلناه في كتاب « الفضائل » ، فلا معنى لقول مَنْ قال بخلاف ما قال وفعلَ .

وقد دخلَ أبو بكرٍ الصديقُ على فاطمةَ في مرض موتِها ، وترضَّاها حتى رضيَتْ عنه ؛ فلا طائلَ لسخط غيرِها ممَّنْ يدَّعي موالاةَ أهل البيت ، ثم يطعنُ على أصحاب رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، ويُهجِّنُ مَنْ يواليه[(٢)] ، ويرميهِ بالعجز والضَّعف ، واختلاف السرِّ والعلانية في القول والفعل ، وبالله العصمة والتوفيق .

= عن الزهريِّ أنَّ رجلاً قال له : لم يبايع عليٌّ أبا بكر حتى ماتت فاطمة ؟ قال : لا ، ولا أحد من بني هاشم . . فقد ضعَّفه البيهقي ؛ بأنَّ الزهريَّ لم يسنده ، وأنَّ الرواية الموصولة عن أبي سعيد أصحُّ ، وجمع غيره : بأنه بايعه بيعة ثانيةً مؤكِّدة للأولى ؛ لإزالة ما كان وقع بسبب الميراث كما تقدم ، وعلى هذا فيحمل قولُ الزهريِّ : « لم يبايعه عليٌّ » في تلك الأيام على إرادة الملازمة له والحضور عنده وما أشبه ذلك ؛ فإن في انقطاع مثله عن مثله ما يوهمُ مَنْ لا يعرفُ باطنَ الأمر أنَّه بسبب عدم الرضا بخلافته ، فأطلق من أطلق ذلك ، وبسبب ذلك أظهرَ عليٌّ المبايعةَ التي بعد موت فاطمة عليها السلام ؛ لإزالة هذه الشبهة)

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١٢٧) .

(٢) الهجنة : قبح الكلام ، أراد : من يقبح على من يوالي الصدِّيق رضي الله عنه .

٣٤١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ الحافظُ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهاب ، حدثنا عَبدانُ بن عثمانَ العتكيُّ بنيسابورَ[١] ، أخبرنا أبو حمزةَ ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن الشعبيِّ قال : لمَّا مَرضتْ فاطمةُ أتاها أبو بكرٍ الصدِّيقُ ، فاستأذنَ عليها ، فقال عليٌّ : يا فاطمةُ ؛ هذا أبو بكرٍ يستأذن عليكِ ، فقالت : أتحبُّ أن آذنَ له ؟ قال : نعم ، فأذنَتْ له ، فدخلَ عليها يترضَّاها ، وقال : **واللهِ ؛ ما تركتُ الدارَ والمال والأهل والعشيرةَ إلا لابتغاء مرضاةِ الله ومرضاةِ رسوله ومرضاتِكم أهلَ البيت** ، ثم ترضَّاها حتى رضيَتْ[٢]

٣٤٢ـ أخبرَنا محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله الصَّفَّارُ ، حدثنا إسماعيلُ بن إسحاقَ القاضي ، حدثنا نصرُ بن عليٍّ ، حدثنا ابنُ داودَ ، عن فُضيلِ بن مرزوقٍ قال : قال زيدُ بن عليِّ بن الحسين بن عليٍّ : أمَّا أنَا فلو كنتُ مكان أبي بكرٍ . . لحكمْتُ بمثل ما حكم به أبو بكر في فَدَكٍ[٣]

وأمَّا حديثُ الموالاة : فليس فيه ـ إن صحَّ إسنادُهُ[٤] ـ نصٌّ على ولاية عليٍّ

---

(١) وهو عبد الله بن عثمان ، وعبدان لقبه ، وانظر « تقريب التهذيب » (ص ٣١٣) .

(٢) ورواه ابن سعد في « طبقاته » (٨/ ٢٧) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٨١) ، و« السنن الكبرى » (٦/ ٣٠١) وقال : (هذا مرسل حسن بإسناد صحيح) ، وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (٥/ ٢٨٩) : (وهذا إسناد جيد قوي) ، وكذلك قال الحافظ العيني في « عمدة القاري » (١٥/ ٢٠) .

(٣) ورواه الأزدي في « تركة النبي صلى الله عليه وسلم » (ص ٨٦) ، والدارقطني في « فضائل الصحابة » (٤٦) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (٦/ ٣٠٢) .

(٤) وهو حديث متواتر ، وقد قال العلامة المحدث الكتاني في « نظم المتناثر » (ص ١٩٥) (وممَّن صرَّح بتواتره أيضاً المناويُّ في « التيسير » نقلاً عن السيوطي وشارح « المواهب اللدنية » ، وفي « الصفوة » للمناوي : **قال الحافظ ابن حجر** : حديثُ : « مَنْ كنتُ مولاهُ . . فعليٌّ مولاهُ » خرَّجه الترمذي والنسائي ، وهو كثير الطرق جداً ، وقد استوعبها ابن عقدة في مؤلَّفٍ مفرد ، وأكثرُ أسانيدها صحيحٌ أو حسن)

بعدَهُ ، فقد ذكرنا مِنْ طرقه في كتاب « الفضائل » ما دلَّ على مقصود النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِنْ ذلك ؛ وهو أنَّه لمَّا بعثَهُ إلى اليمن . . كثرَتِ الشَّكاةُ عنه ، وأظهروا بغضَهُ ، فأراد النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يذكرَ اختصاصَهُ ومحبَّته إيَّاه ، ويحثَّهم بذلك على مودَّته وموالاته وترك معاداته ، فقال : « **مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ** »[(١)] ، وفي بعض الروايات : « **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللَّهُمَّ ؛ وَالِ مَنْ وَالاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ** »[(٢)]

والمرادُ به : وَلاءُ الإسلام ومودَّتُهُ ، وعلى المسلمين أن يواليَ بعضُهم بعضاً ، ولا يعاديَ بعضُهم بعضاً[(٣)] ، وهو في معنى ما ثبتَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّهُ قال : والذي فلقَ الحبةَ وبرأَ النَّسَمَةَ ؛ إنَّه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إليَّ : أنَّهُ لا يُحبُّني إلا مؤمنٌ ، ولا يُبغِضُني إلا منافقٌ[(٤)]

وفي حديث بُريدةَ حين شكا عليّاً ، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم « **أَتُبْغِضُ عَلِيّاً ؟** » ، فقلتُ : نعم[(٥)] ، فقال : « **لا تُبْغِضْهُ ، وَأَحِبَّهُ وَازْدَدْ لَهُ**

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٥٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٨٩) من حديث سيدنا بُريدة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٨) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٤١٩) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه ، وعن غيره بروايات شتى في (باب فضائل علي رضي الله عنه) ، والترمذي (٣٧١٣) عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم رضي الله عنهما ، وابن ماجه (١٢١) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » (٥/ ٢١٤) : (قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي : وصدرُ الحديث متواترٌ ؛ أتيقَّنُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَهُ ، وأما « اللهمَّ ؛ والِ من والاه . . . » فزيادة قويَّةُ الإسناد) .

(٣) أو فيه مزيدة خصِّيصة في الولاية ، ومن معاني المولى : الناصر ، وفيه من الآيات الدالة على النبوة ؛ إذ احتجَّ الصحابةُ بهذا الحديث على خلافته رضي الله عنه لما نازعه من نازعه فيها .

(٤) رواه مسلم (٧٨/ ١٣١) .

(٥) قال الحافظ في « فتح الباري » (٨/ ٦٧) : (قال أبو ذرٍّ الهروي : إنَّما أبغض الصحابي عليّاً لأنه رآه أخذ من المغنم ، فظن أنَّه غلَّ ، فلمَّا أعلمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنه أخذ أقلَّ من حقِّه . . أحبَّهُ) .

حُبّاً » ، قال بُريدةُ : فما كان مِنَ الناس أحدٌ أحبَّ إليَّ مِنْ عليٍّ بعد قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1]

٣٤٣ـ أخبرَنا أبو عبد الرحمن السلميُّ ، حدثنا محمدُ بن محمد بن يعقوبَ الحَجَّاجيُّ ، حدثنا العباسُ بن يوسفَ الشِّكْلِيُّ قال : سمعتُ الربيعَ بن سليمانَ يقول : سمعتُ الشافعيَّ رحمه الله يقولُ في معنى قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لعليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ » : يعني بذلك : وَلاءَ الإسلام ؛ وذلك قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد : ١١] .

وأمَّا قولُ عمرَ بن الخطاب لعليٍّ : (أصبحْتَ مولى كلِّ مؤمنٍ) ، يقول : وليَّ كلِّ مسلمٍ[2]

٣٤٤ـ أخبرَنا يحيى بنُ إبراهيمَ بن محمد بن يحيى ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن عبد الوهَّاب ، أخبرنا جعفرُ بن عَون ، أخبرنا فُضيلُ بن مرزوق قال : سمعتُ الحسنَ بن الحسن وسأله رجلٌ : ألم يقلْ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ » ؟! قال لي : بلى ، واللهِ ؛ لو يعني بذلك رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم الإمارةَ والسلطان . . لأفصحَ لهم بذلك ؛ فإنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان أنصحَ المسلمين ؛ لقال : يا أيُّها الناس ؛ هذا وليُّ أمرِكم ، والقائمُ عليكم مِنْ بعدي ؛ فاسمعوا له وأطيعوا ، واللهِ ؛ لئن كان الله ورسولُهُ اختارَ عليّاً لهذا الأمر ، وجعله القائمَ به للمسلمين مِنْ بعده ، ثم ترك عليٌّ أمرَ الله ورسولِهِ . . لكان عليٌّ أوَّلَ مَنْ ترك أمرَ الله وأمرَ رسولِهِ ![3]

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٣٥٠) ، والبخاري (٤٣٥٠) .
(٢) رواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٣٣٧) .
(٣) ورواه أبو بكر الخلال في « السنة » (٤٦٥)، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣/ ٦٩) .

ورواه شَبابةُ بن سَوَّار ، عن الفضيل بن مرزوق قال : سمعتُ الحسن بن الحسن[1] أخا عبد الله بن الحسن وهو يقول لرجلٍ ممَّن يتولاهم ، فذكر قصَّةً ، ثم قال : ولو كان الأمرُ كما يقولون : إنَّ اللهَ ورسولَهُ اختار عليّاً لهذا الأمر ، وللقيام على الناس بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم . . إنْ كان عليٌّ لأعظمَ الناس خطيئةً وجُرْماً في ذلك ؛ إذْ تركَ أمرَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لما أمره ، أو يعذرَ فيه إلى الناس !

قال : فقال له الرافضيُّ : ألم يقلْ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لعليٍّ : « **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ** » ؟! فقال : أما واللهِ ؛ إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إنْ كان يعني بذلك الإمرةَ والسلطان والقيامَ على الناس بعدَهُ . . لأفصح لهم بذلك ؛ كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضانَ وحجِّ البيتِ ، ولقال لهم : إنَّ هذا وليُّ أمرِكم مِنْ بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فما كان مِنْ وراء هذا شيءٌ ، فإنَّ أنصحَ الناسِ كان للمسلمين رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

٣٤٥ـ أخبرَناه أبو بكر أحمدُ بن الحسن ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالب ، حدثنا شَبابةُ بن سَوَّار ، أخبرنا الفضيلُ بن مرزوق ، فذكره[2]

وأمَّا حديثُ سعد بن أبي وقاص : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم خَلَّفَ عليّاً في غزوة تبوكَ ، فقال : يا رسولَ الله ، أتخلِّفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** ؟! »[3]

---

(١) هو الحسن بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن سيدنا علي رضي الله عنهم ، وهو أخو عبد الله المحض ابن الحسن المثنى .

(٢) ورواه أبو جعفر الثقفي في « جزئه » (٤٢) ، وضياء الدين المقدسي في « النهي عن سبِّ الأصحاب ، وما فيه من الإثم والعقاب » (٢٢) .

(٣) رواه البخاري (٣٧٠٦ ، ٤٤١٦) ، ومسلم (٢٤٠٤/ ٣٠) .

وفي رواية : « مَعِي »[1]

فإنَّهُ لا يعني به : استخلافَهُ بعد وفاته ، وإنَّما يعني به : استخلافَهُ على المدينة عند خروجه إلى غزوة تبوكَ ؛ كما استخلفَ موسى هارونَ عند خروجه إلى الطُّور ، وكيف يكونُ المرادُ به الخلافةَ بعد موته وقد ماتَ هارونُ قبل موسى ؟ ![2]

ثم الجوابُ عن هذا وعن جميع ما رُوي في معناه : ما روينا عن الحسنِ بن الحسن بن عليِّ بن أبي طالب ؛ مِنْ تنزيهِ عليٍّ رضي الله عنه عن كتمان ما أمرَهُ به رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم[3] ، وكذلك قاله أخوه عبدُ الله بن الحسن

فإنَّا روينا عنه أنَّهُ قال : مَنْ هذا الذي يزعمُ أنَّ عليّاً كان مقهوراً ، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمره بأمور لم ينفذْها ؟! فكفى ازدراءً على عليٍّ ومنقصةً بأن يزعمَ قومٌ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمره بأمرٍ فلم ينفذْهُ .

٣٤٦ـ أخبرَناه أحمدُ بن الحسن ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالب ، أخبرنا شَبابةُ ، أخبرنا حفصُ بن قيس ، عن عبد الله بن الحسن ، فذكره[4]

وقد اعترفَ أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه بأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يستخلفْ أحداً بعد وفاته ؛ في أحاديث قد ذكرناها في

---

(١) رواها النسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٨/٤٢) .

(٢) كذا رواه الطبري في « تفسيره » (٢٠/ ٣٣٥) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٦/ ٦٦٦) .

(٣) تقدم قريباً برقم (٣٤٤) .

(٤) ورواه الدارقطني في « فضائل الصحابة » (٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧٤/٢٧) .

مرض النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في آخر كتاب « دلائل النبوة »[1] ، وفي كتاب « الفضائل » ، ونحن نذكرُ ها هنا منها ما :

٣٤٧ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ بِشرانَ ، أخبرنا أبو جعفر الرَّزَّازُ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن مرزوق ، حدثنا شَبابةُ بن سَوَّار ، حدثنا شعيبُ بن ميمون ، حدثنا حُصينُ بن عبد الرحمن ، عن الشعبيِّ ، عن شقيق بن سلمةَ قال : قيل لعليٍّ : استخلفْ علينا ، فقال : ما استخلفَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأستخلفَ ، ولكن إن يردِ اللهُ بالناس خيراً جمعَهم على خيرِهم ، كما جمعَهم بعد نبيِّهم صلَّى الله عليه وسلَّم على خيرِهم[2]

٣٤٨ـ وأخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن عمرَ بن شَوْذَبٍ الواسطيُّ بها ، حدثنا شعيبُ بن أيوبَ ، حدثنا أبو داودَ الحَفَريُّ ، عن سفيانَ ، عن الأسودِ بن قيس ، عن عمرو بن سفيانَ قال : لمَّا ظهرَ عليٌّ رضي الله عنه على الناس يومَ الجمل . . قال : أيُّها الناس ؛ إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يعهدْ إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا مِنَ الرأي أن نستخلفَ أبا بكرٍ ، فأقام واستقامَ حتى مضى لسبيله ، ثم إنَّ أبا بكرٍ رأى مِنَ الرأي أن يستخلفَ عمرَ ، فأقامَ واستقام حتى ضربَ الدينُ بجِرانه[3] ، ثمَّ إنَّ أقواماً طلبوا هذه الدنيا ، فكانت أمورٌ يقضي اللهُ فيها[4]

ورواه الضحاكُ بن مخلد أبو عاصم ، عن سفيانَ ، عن الأسود بن قيس ، عن سعيد بن عمرو بن سفيانَ ، عن أبيه : أنَّ عليّاً خطب فقال : إنَّ رسولَ الله

---

(١) دلائل النبوة (٧/ ٢٢١) .

(٢) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٧٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٢٣)

(٣) يعني : استقام وقرَّ في قراره .

(٤) ورواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢١٨) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٧/ ٢٢٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٢٩٢) .

صلَّى الله عليه وسلَّم لم يعهدْ إلينا عهداً في الإمارة نأخذُ به ؛ ولكنَّهُ رأيٌ رأيناه ، استُخلِفَ أبو بكرٍ فأقامَ واستقام ، ثم استُخلِفَ عمرُ فأقام واستقامَ ، حتى ضرب الدينُ بجِرانه .

٣٤٩ـ أخبرَناه أبو الحسن عليُّ بن محمد بن عليٍّ المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا محمدُ بن أبي بكر ، حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا سفيان ، فذكره(١)

٣٥٠ـ أخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو حامدِ بنُ بلالٍ ، حدثنا محمدُ بن إسماعيلَ الأحمسيُّ ، حدثنا المحاربيُّ ، حدثنا محمدُ بن طلحةَ ، عن أبي عبيدةَ ، عن الحكمِ بن جَحْلٍ قال : خطبنا عليٌّ بالبصرة فقال : ألا لا يفضلْني أحدٌ على أبي بكر وعمرَ ، لا أُوتى بأحدٍ فضلني عليهما إلا جلدتُهُ حدَّ المفتري(٢)

٣٥١ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أحمدُ بن عليٍّ المقرئُ في « التاريخ » ، حدثنا أبو عيسى الترمذيُّ ، حدثنا الحسنُ بن عَرَفَةَ ، حدثني محمدُ بن الفُضيل ، عن سالم بن أبي حفصةَ قال : سألتُ أبا جعفر محمدَ بن عليٍّ وجعفرَ بن محمد عن أبي بكرٍ وعمرَ ، فقالا لي : يا سالمُ ؛ تولَّهما ، وابرأْ مِنْ عدوِّهما ؛ فإنَّهما كانا إمامي هُدىً(٣)

---

(١) ورواه أحمد في « المسند » (١/ ١١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٣٨) .

(٢) ورواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٤٩ ، ٣٨٧) ، والآجري في « الشريعة » (١٨١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٨٢) .

(٣) ورواه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٧٦) ، والدراقطني في « فضائل الصحابة » (٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤/ ٢٨٥) .

تذييلٌ : ثم انظر في سيرة الراشدين الأربعة . . تجدْها سيرةَ عفَّةٍ وصيانة ، وإقامةٍ لشعائر الديانة ، وهداية ورشاد ، وحرص وشفقة على العباد وصلاح البلاد ، وفي نفوسهم خشوع وتبتُّل ، وعبادة وزهادة ، وهذا لا يستقيم إلا لرجل مستقيم ، قد تولاَّه المولى وهداه ،=

قال سالمٌ : وقال لي جعفرُ بن محمد : يا سالمُ ؛ أيسبُّ الرجلُ جدَّهُ ؟! أبو بكر جدِّي ، لا نالتني شفاعةُ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم يومَ القيامة إن لم أكنْ أتولاهما ، وأبرأُ مِنْ عدوِّهما

قال **أبو عيسى** : وكانت أمُّ جعفرِ بنِ محمد أمَّ فروةَ بنتِ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أخبرني بذلك بعضُ ولد أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه .

* * *

= فمن تُصُوِّر ظلمُهُ وغصبُهُ لحقِّ غيره فيها . . لا تكون هكذا سيرتُهُ ، ولانطوَتْ على غير هذا سَريرتُهُ ، وهذا أصلٌ كبير ثابت ، يعرفه لهم جميعاً المحالفُ والمخالفُ ، فلا يُتركُ لأخبار آحاد مخالفةٍ ؛ كثيرُها سقيم ، وصحيحُها يعتورُها التأويل ، والدخولُ في طوايا النفوس واستخراجُ ما فيها . . للهِ وحدَهُ ، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

باب
استخلاف أبي بكرٍ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما

وهو : أبو حفصٍ ، عمرُ بن الخطاب بنِ نُفيلِ بنِ عبد العُزَّى بنِ رِياح بن عبد الله بن قُرْطِ بنِ رَزاح بنِ عديٍّ بن كعبٍ القرشيُّ العدويُّ رضي الله عنه .

٣٥٢ـ أخبرَني أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا إبراهيمُ بن الحارث ، حدثنا يحيى بنُ أبي بُكير ، حدثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدةَ قال : قال عبدُ الله بن مسعود : **أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ** : **المَلِكُ** حين تفرَّسَ في يوسفَ والقومُ فيه زاهدون ، **والمرأةُ** التي تفرَّسَتْ في موسى ، فقالت لأبيها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] ، **وأبو بكرٍ حين تفرَّسَ في عمرَ فاستخلفَهُ**[١]

ورواه جماعةٌ عن سفيانَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله .

٣٥٣ـ أخبرَناه أبو عبد الرحمن السلميُّ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن موسى الكعبيُّ ، حدثنا محمدُ بن أيوبَ ، حدثنا محمدُ بن كثير ، حدثنا سفيانُ ، فذكره[٢]

٣٥٤ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو بكر أحمدُ بن الحسن ، وأبو صادقٍ

---

(١) ورواه الطبري في « تفسيره » (١٩/١٥) .

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٢١٣) ، والطبري في « تفسيره » (١٩/١٥) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٤٥) .

محمدُ بن أبي الفوارسِ قالوا : حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا إبراهيمُ بن سليمانَ البُرُلُّسِيُّ ، حدثنا عبدُ الله بن صالح ، حدثنا يحيى بنُ أيوبَ ، عن ابنِ حرملةَ ، عن سعيدِ بن المسيَّبِ قال : لمَّا وليَ عمرُ خطبَ الناسَ على منبر رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيُّها الناس ؛ إنِّي قد علمتُ أنَّكم كنتم تصفون منِّي شدةً وغلظةً ؛ وذلك أنِّي كنتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فكنت عبدَهُ وخادمه ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، وكنتُ بين يديه كالسيف المسلول ، إلا أن يُغمِدَني أو ينهاني عن أمر فأكفَّ ، وإلا أقمتُ على الناس لمكان لِينِهِ ، فلم أزلْ مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على ذلك حتى توفَّاه الله وهو عنِّي راضٍ ، فالحمدُ لله على ذلك كثيراً ، وأنا به أسعدُ .

ثمَّ قد قمتُ ذلك المقام مع أبي بكر خليفةِ رسول الله بعده ، وكان مَنْ قد علمتم في كرمه ودَعَته ولينه ، فكنت خادمَهُ ، كالسيف المسلول على الناس بين يديه ، أخلط شدَّتي بلينِهِ ؛ إلا أن يتقدَّم إليَّ فأكفَّ ، وإلا خدمْتُ(١) ، فلم أزلْ على ذلك حتى توفَّاه اللهُ وهو عنِّي راضٍ ، فالحمدُ لله على ذلك كثيراً ، وأنا به أسعدُ .

ثم صار أمرُكم إليَّ اليومَ ، وأنا أعلم أنَّهُ سيقول قائلٌ : كان يشتدُّ علينا والأمرُ إلى غيره ، فكيف به إذ صارَ إليه ؟!

واعلموا : أنَّكم قد عرفتموني وجرَّبتموني ، وقد عرفتُ بحمد الله مِنْ سنَّة نبيِّكم صلَّى الله عليه وسلَّم ما عرفتُ ، وما أصبحتُ نادماً على شيء يكون كنتُ أحبُّ أن يُسأل رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلا وقد سألتُهُ .

واعلموا : أنَّ شدَّتي التي كنتم ترون منِّي قد زادَتْ أضعافاً ـ إذ كان الأمر إليَّ ـ على الظالمِ والمعتدي ، والأخذِ للمسلمين لضعيفِهِم مِنْ قويِّهم ، وإنِّي بعد

---

(١) في (أ ، ب) : (جدمت) ، وفي هامش (د ، هـ) نسخة : (أقمت) .

شدَّتي تلك واضعٌ خدِّي بالأرض بأهلِ الكفافِ والكفُّ منكم والتسليم ، وإنِّي لا أبالي كان بيني وبين أحدٍ منكم شيءٌ في أجسامكم أن أمشيَ معه إلى مَنْ أحببتُم منكم ، فينظرَ فيما بيني وبينه .

فاتقوا اللهَ عبادَ الله ، وأعينوني على أنفسِكم بكفِّها عنِّي ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإحضار النصيحة فيما ولَّاني الله ، ثم نزل .

قال ابنُ المسيَّب : فوالله ؛ لقد وفَّى بما قال ؛ وزادَ في موضع الشدَّة على أهل الريبة والظَّلَمَة ، والرفق بأهل الحقِّ مَنْ كانوا[1]

٣٥٥ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، حدثنا أبو محمد عبدُ الله بن عمرَ بن شَوْذَبِ الواسطيُّ ، حدثنا شعيبُ بن أيوبَ ، حدثنا يعلى بنُ عُبيد الطنافسيُّ ، وأبو نعيم ، عن سفيانَ ، عن القاسمِ بن كثير بياعِ السَّابريِّ ، عن قيسٍ الخارفيِّ قال : سمعتُ عليّاً يقول على هذا المنبر : (سَبَقَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وصلَّى أبو بكر ، وثلَّثَ عمرُ ، ثم أصابَتْنا فتنةٌ[2] ، فهو ما شاءَ الله عزَّ وجلَّ)[3]

وكذلك رواه عبد خيرٍ ، عن عليٍّ ، وقال فيه : (يعفو اللهُ عمَّن يشاء)[4]

٣٥٦ـ أخبرَنا عليُّ بن أحمد بن عبدانَ ، أخبرنا أحمدُ بن عُبيدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا محمدُ بن الفضل بن جابر ، حدثنا الحكمُ بن موسى ، حدثنا شهابٌ ـ

---

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (١/١٢٦) مختصراً ، واللالكائي في « السنة » (٢٥٢٦) .

(٢) وعند أحمد في روايته : (أراد أن يتواضع بذلك) رضي الله عنه ، وكذا فيما سيأتي .

(٣) ورواه ابن سعد في « طبقاته » (٦/١٣٠) ، وأحمد في « المسند » (١/١٤٧) ، و« فضائل الصحابة » (٢٤١) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/٦٧) ، ومعنى (صلَّى) هنا : جاء ثانياً ، الذي يكون بعد المجلِّي .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (١/١١٢) ، و« فضائل الصحابة » (٢٤٢) ، قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٩/٥٤) : (ورجال أحمد ثقات) .

يعني : ابنَ خِراش ـ حدثنا الحجاجُ بن دينار ، عن أبي معشرٍ ، عن إبراهيمَ[1] قال : ضربَ علقمةُ هذا المنبرَ وقال : خطبنا عليٌّ على هذا المنبر ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ، وذكر ما شاء أن يذكرَ ، ثم قال (بلغني أنَّ ناساً يفضِّلونَني على أبي بكر وعمر ، ولو كنت تقدمتُ في ذلك لعاقبت فيه ، ولكن أكرهُ العقوبةَ قبل التقدُّم ، ومَنْ قال شيئاً مِنْ ذلك فهو مفترٍ ، عليه ما على المفتري ، إنَّ خيرَ الناس بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أبو بكر وعمرُ ، وأحدثْنا بعدَهما أحداثاً يفعلُ الله فيها ـ أظنُّه قال : ـ ما أحبَّ)[2]

ولهذا شواهدُ عن عليٍّ رضي الله عنه ذكرناها في كتاب « الفضائل »

٣٥٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو العباس القاسمُ بن القاسم السياريُّ بمروَ ، حدثنا أبو الموجِّهِ[3] ، أخبرنا عبدانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عمرَ بن سعيدٍ ، عن ابنِ أبي مُليكةَ قال : سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول لمَّا أن وُضِعَ عمرُ على سريره فتكنَّفَهُ الناس يدعون ويصلُّون عليه ؛ فلم يرعْني إلا رجلٌ آخذٌ بمنكبي ، فالتفتُّ ؛ فإذا هو عليُّ بن أبي طالب ، فقال : واللهِ ؛ ما خلَّفْتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى اللهَ بمثل عملِهِ منكَ ، وإن كنتُ لأرجو أن يجعلَكَ اللهُ مع صاحبيكَ ؛ إن كنتُ أسمعُ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » ، و« **خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » ، و« **دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » ، فإن كنتُ لأرجو أن يجعلَكَ اللهُ معهما[4]

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي ، وأبو معشر : هو زياد بن كليب ، وانظر « تهذيب الكمال » (١/ ١٤٤) .

(٢) ورواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٤٨٤) ، وأبو نعيم في « فضائل الخلفاء » (١٦٩) ، وقد مرَّ من وجه آخر عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) هو محمد بن عمرو الفزاري اللغوي الحافظ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣/ ٣٤٧)

(٤) ورواه البخاري (٣٦٧٧ ، ٣٦٨٥) ، ومسلم (٢٣٨٩/ ١٤) .

ورواه أيضاً ، جعفرُ بن محمد بن عليٍّ ، عن أبيه ، عن جابر ، عن عليٍّ ، مختصراً[1] .

٣٥٨ـ وأخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو جعفر محمدُ بن صالح بن هانئ ، حدثنا أبو العباس أحمدُ بن خالد الدَّامَغانيُّ ، حدثنا أبو مصعب الزهريُّ ، حدثنا عبدُ العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه أنَّه قال : ما رأيتُ هاشمياً أفقهَ مِنْ عليِّ بن الحسين ؛ سمعتُ عليَّ بن الحسين وهو يُسألُ : كيف كانت منزلةُ أبي بكر وعمرَ عند رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ فأشار بيدِهِ إلى القبر ، ثم قال : منزلتُهما منه الساعة[2] .

ورواه يعقوبُ بن محمد الزهريُّ ، عن عبد العزيز ، وقال في الجواب : كمنزلتِهما منه الساعةَ ، هما ضجيعاه[3] .

٣٥٩ـ أخبرَنا محمد بن عبد الله الحافظُ ، أخبرنا الحسنُ بن يعقوبَ العدْلُ ، حدثنا يحيى بنُ أبي طالب ، حدثنا عبدُ الوهَّاب بن عطاءٍ ، أخبرنا داودُ بن أبي هند ، عن عامرٍ ، عن ابن عباسٍ قال : دخلتُ على عمرَ حين طُعنَ ، فقلت : أبشرْ بالجنَّة يا أميرَ المؤمنين ؛ أسلمتَ حين كفرَ الناسُ ، وجاهدْتَ مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين خذلَهُ الناسُ ، وقُبضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو عنك راضٍ ، ولم يختلفْ في خلافتِكَ اثنانِ ، وقُتلتَ شهيداً ، فقال : أعدْ عليَّ ، فأعدتُ عليه ، فقال : واللهِ الذي لا إله غيرُهُ ؛ لو أنَّ لي ما على الأرض مِنْ صفراءَ وبيضاءَ لافتديتُ به مِنْ هول المُطَّلَعِ[4] .

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٤٥٢) .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » (٤/ ٧٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٣٨٨) .

(٣) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٢٢٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٣٨٧) .

(٤) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٩٢) ، والمصنف في « شعب الإيمان » (٤٥٣٠) .

زاد فيه غيره ، عن ابن عباس : ووليتَ فعدلْتَ[1]

وقال فيه سِمَاك الحنفيُّ ، عن ابن عباسٍ : أبشرْ يا أمير المؤمنين ؛ فإنَّ الله قد مَصَّرَ بك الأمصارَ ، ودفع بك النفاقَ ، وأفشى بك الرزقَ[2]

وقال فيه ابنُ أبي مُليكة مرَّةً : عن ابن عباس ، ومرَّةً : عن المِسوَرِ بن مَخْرَمةَ : أنَّ ابن عباسٍ قال له : لقد صَحِبْتَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأحسنْتَ صحبتَهُ ، ثم فارقَكَ وهو عنك راضٍ ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ فأحسنْتَ صحبتَهُ ، وفارقَكَ وهو عنك راضٍ ، وصحبتَ المسلمين فأحسنْتَ صحبتَهم ، ولئن فارقتَهم لتفارقَنَّهُم وهم عنك راضون[3]

※

---

(١) رواه أحمد في « فضائل الصحابة » (٥٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٤٢٥) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١/ ٥٢) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (١٠/ ٩٧) .

(٣) رواه البخاري (٣٦٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤/ ٤٢٧)

باب
استخلاف عثمان بن عفان رضي الله عنه

وهو : أبو عبد الله ـ وقيل : أبو عمرو ـ عثمانُ بن عفان بنِ أبي العاص بنِ أميةَ بن عبد شمس بنِ عبد مناف القرشيُّ الأمويُّ .

٣٦٠ـ حدثَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، أخبرني أبو عبد الرحمن ابن أبي الوزير التاجرُ ، حدثنا أبو حاتم الرازيُّ ، حدثنا محمدُ بن عبد الله الأنصاريُّ ، حدثنا أشعثُ بن عبد الملك الحُمْرانيُّ ، عن الحسن ، عن أبي بكرةَ : أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟** » ، فقال رجل : أنا ، رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزل مِنَ السماء ، فوُزنتَ أنتَ وأبو بكرٍ فرجحْتَ أنت بأبي بكرٍ ، ووُزنَ عمرُ وأبو بكرٍ فرجحَ أبو بكرٍ ، ووُزنَ عمرُ وعثمانُ فرجحَ عمرُ ، ثم رُفع الميزان ، فرأينا الكراهيةَ في وجهِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً(١)

٣٦١ـ وأخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَةْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا موسى بنُ إسماعيل ، حدثنا حمَّادٌ ، عن عليِّ بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرةَ ، عن أبيه ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال ذاتَ يوم : « **أَيُّكُمْ رَأَى رُؤْيَا ؟** » ، فذكر معناه ، ولم يذكرِ الكراهيةَ ، وقال : فاستاءَ لها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ يعني : ساءَهُ ذلك ـ(٢) ، فقال :

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٣٤) ، والترمذي (٢٢٨٧) وقال : (حسن صحيح) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٠٨٠) .

(٢) نقل العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٩١٥) عن العلامة التوربشتي قوله : (إنما ساءه ـ =

« خِلافَةُ نُبُوَّةٍ ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ »[١]

٣٦٢ـ وحدثَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الصَّفَّارُ ، حدثنا أحمدُ بن مهديِّ بنِ رُستمَ ، حدثنا موسى بنُ هارونَ البُردِيُّ ، حدثنا محمدُ بن حرب ، حدثني الزُّبيديُّ ، عن الزهريِّ ، عن عمرو بن أبان بن عثمانَ ، عن جابرِ بن عبد الله : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللهِ ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ »

قال جابر : فلما قُمنا مِنْ عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم . . قلنا : الرجلُ الصالح النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأمَّا ما ذكر مِنْ نَوطِ بعضِهم بعضاً . فهم ولاةُ هذا الأمر الذي بعثَ اللهُ به نبيَّهُ صلَّى الله عليه وسلَّم[٢]

٣٦٣ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، وأبو عبد الرحمن السلميُّ قالا : أخبرنا أحمدُ بن محمد بن عبدوسٍ ، حدثنا عثمانُ بن سعيد الدارِميُّ ، حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، حدثنا أبو عوانةَ ، عن حصينٍ ، عن عمرِو بن ميمونٍ قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب ، فذكر الحديثَ في مقتله ، قال : فقالوا : أوصِ يا أمير المؤمنين ، استخلفْ، فقال : ما أحدٌ أحقَّ بهذا الأمرِ مِنْ هؤلاءِ النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفِّيَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو عنهم راضٍ .

فسمَّى : عليّاً، وعثمانَ ، والزبيرَ ، وطلحةَ ، وسعداً ، وعبدَ الرحمن بن عوف .

وقال : ليشهدْكُم عبدُ الله بن عمر وليس له مِنَ الأمر شيءٌ ـ كالتعزية له ـ ،

= والله أعلم ـ من الرؤيا التي ذكرها : ما عرفه من تأويل رفع الميزان ؛ فإنَّ فيه احتمالاً لانحطاط رتبة الأمر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله عنه عمَّا كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد) .

(١) ورواه أحمد في « المسند » (٥/ ٤٤) ، وأبو داود (٤٦٣٥) .

(٢) ورواه أحمد في « المسند » (٣/ ٣٥٥) ، وأبو داود (٤٦٣٦) .

فإن أصابتِ الإِمْرةُ سعداً فهو ذاك ، وإلا فليستعنْ بهِ أيُّكم ما أُمِّرَ ؛ فإني لم أعزلْهُ مِنْ عجزٍ ولا خيانةٍ .

وقال : أوصي الخليفةَ مِنْ بعدي ؛ فذكرَ وصيَّتَهُ بالمهاجرين الأولين ، ثم بالأنصار ، ثم بأهل الأمصار ، ثم بالأعراب ، ثم بأهل الذمَّة ، ثم ذكرَ دفنَهُ .

ثم قال : فلمَّا فُرِغَ مِنْ دفنِهِ ورجعوا اجتمع هؤلاءِ الرهطُ ، فقال عبدُ الرحمن : اجعلوا أمرَكم إلى ثلاثة منكم ، قال الزبيرُ : قد جعلتُ أمري إلى عليٍّ ، وقال طلحةُ : قد جعلتُ أمري إلى عثمانَ ، وقال سعدٌ : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن .

فقال عبدُ الرحمن : أيُّكم يبرأُ مِنْ هذا الأمر فنجعلَهُ إليه ؟[1] واللهُ عليه والإسلامُ لينظرنَّ أفضلَهم في نفسه ، وليحرصَنَّ على صلاح الأمَّة ، قال : فأُسكتَ الشيخانِ ، فقال عبدُ الرحمن : أفتجعلونَهُ إليَّ ؟ واللهُ عليَّ ألا آلُوَ عن أفضلِكم ، فقالا : نعم ، قال : فأخذ بيد أحدِهما فقال : لك مِنْ قرابة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والقَدَمِ في الإسلام ما قد علمتَ ، واللهُ عليك لئنْ أنا أمَّرتُكَ لتعدلَنَّ ، ولئن أنا أمَّرتُ عثمانَ لتسمعَنَّ ولتطيعَنَّ ، ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك ، فلمَّا أخذ الميثاقَ قال : ارفع يدَكَ يا عثمانُ ، فبايعَهُ ، وبايعَ له عليٌّ ، وولجَ أهلُ الدار فبايعوهُ[2]

ورواه المِسوَرُ بن مَخْرَمةَ وقال فلمَّا اجتمعوا تشهَّدَ عبدُ الرحمن ثم قال : أمَّا بعدُ : يا عليُّ ؛ إنِّي قد نظرتُ في أمر الناس ، فلم أرَهم يعدلون بعثمانَ ، فلا تجعلنَّ على نفسِكَ سبيلاً ، قال : وأخذَ بيد عثمانَ فقال : أبايعُكَ على سنَّة الله ورسوله والخليفتينِ مِنْ بعده ، فبايعَهُ عبدُ الرحمن ، وبايعَهُ الناسُ ؛

(١) يعني : من يتبرَّأُ من الخلافة يصيرُ إليه حقُّ اختيار الخليفة من الاثنين الباقيين .

(٢) ورواه البخاري (١٣٩٢ ، ٣٧٠٠) ، ويعني بالدار : المدينة المنورة .

المهاجرون والأنصارُ وأمراءُ الأجناد والمسلمون، وهذا بعد أن شاورَ عبدُ الرحمن الناسَ ثلاثةَ أيام ، لا يخلو به رجلٌ ذو رأيٍ فيعدلُ بعثمانَ(١)

٣٦٤ـ حدثَنا أبو عبد الله محمدُ بن عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغَانيُّ ، حدثنا أبو سلمةَ الخُزَاعيُّ ، حدثنا عبدُ العزيز الماجشونُ ، حدثنا عُبيدُ الله ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : كنَّا في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا نعدلُ بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أحداً بأبي بكر ، ثم عمرَ ، ثم عثمانَ ، ثم نتركُ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا نفاضلُ بينَهم(٢)

٣٦٥ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الحسينُ بن محمد الرُّوذْبارِيُّ ، أخبرنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا محمدُ بن كثير ، أخبرنا سفيانُ ، حدثنا جامعُ بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى ، عن محمدِ بن الحنفية قال : قلت لأبي ـ يعني : علياً ـ : أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ قال : أبو بكر ، قال : قلتُ : ثم مَنْ ؟ قال : ثم عمرُ ، قال : ثم خشيتُ أن أقولَ : ثم مَنْ ؟ فيقولَ : عثمانُ ، فقلتُ : ثم أنتَ يا أبةِ ؟(٣) قال : ما أنا إلا رجلٌ مِنَ المسلمين(٤)

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٢ ، ٧٢٠٧) .

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٥، ٣٦٩٧)، وأبو داود (٤٦٢٧) ، وقال الإمام الخطابي في « معالم السنن » (٤/ ٣٠٢) : (وجه ذلك والله أعلم أنَّه أراد به الشيوخ وذوي الأسنان منهم ، الذين كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبَهُ أمرٌ شاورهم فيه ، وكان عليٌّ رضوان الله عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثَ السنِّ ، ولم يردِ ابنُ عمر الإزراءَ بعليٍّ كرَّم الله وجهه ، ولا تأخيره ودفعه على الفضيلة بعد عثمان ، وفضله مشهور لا ينكرُهُ ابنُ عمر ولا غيره من الصحابة ، وإنَّما اختلفوا في تقديم عثمان عليه ؛ فذهب الجمهورُ من السلف إلى تقديم عثمان عليه ، وذهب أكثرُ أهل الكوفة إلى تقديمه على عثمان رضي الله عنهما) .

(٣) كذا بالهاء عند الوقف .

(٤) رواه البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩) ، وقوله : (ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين) قال الحافظ في « فتح الباري » (٧/ ٣٣) : (وهذا قاله عليٌّ تواضعاً ، مع معرفته حين =

٣٦٦ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا سليمانُ بن حرب ، حدثنا حمَّادُ بن زيد ، عن أيوبَ ، عن أبي عثمانَ ، عن أبي موسى : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم دخل حائطاً ، وأمرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجلٌ يستأذنُ ، فقال : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » ، فإذا أبو بكر ، ثم جاء رجلٌ آخرُ فاستأذنَ ، فقال : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » ، فإذا عمرُ ، ثم استأذنَ رجلٌ آخر ، فسكتَ هُنَيْهَةً ثم قال : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ بَلْوَى سَتُصِيبُهُ » ، فإذا عثمانُ .

قال حمَّادٌ : فحدثني عليُّ بن الحكم ، وعاصمٌ الأحول : أنَّهما سمعا أبا عثمانَ يحدثه ، عن أبي موسى نحواً مِنْ هذا ، غير أنَّ عاصماً زاد فيه : أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان في مكان فيه ماء قد كشفَ عن ركبتيه ، فلمَّا أقبل عثمانُ غطَّاهما[1]

٣٦٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، أخبرنا أبو عمرو عثمانُ بن أحمدَ بن السمَّاكِ ، حدثنا عبدُ الرحمن بن محمد بن منصور ، حدثنا يحيى بنُ سعيد القطانُ ، عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي سهلةَ مولى عثمانَ ، عن عائشةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « ادْعُ لِي ـ أو : لَيْتَ عِنْدِي ـ رَجُل مِنْ أَصْحَابِي[2] » ، قالت : قلتُ : أبو بكر ؟ قال :

= المسألة المذكورة أنَّه خيرُ الناس يومئذٍ ؛ لأن ذلك كان بعد قتل عثمان ، وأما خشية محمد بن الحنفية أن يقول : عثمان . . فلأن محمداً كان يعتقد أن أباه أفضل ، فخشي أن علياً يقول : عثمان ؛ على سبيل التواضع منه والهضم لنفسه ، فيضطرب حال اعتقاده ، ولا سيما وهو في سنِّ الحداثة) .

(١) ورواه البخاري (٣٦٧٤ ، ٣٦٩٥) ، ومسلم (٢٤٠٣/٢٨) ، وهو حديث بئر أريس .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وكذا رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٦/٣٩١) ، وعند شيخ المصنف الحاكم في « المستدرك » (٣/٩٩) : (ادعُوا لِي ، أو لَيْتَ عندِي رجلاً مِنْ =

« لا » ، قلتُ : عمرُ ؟ قال : « لا » ، قلتُ : ابنُ عمِّكَ عليٌّ ؟ قال : « لا » ، قلتُ : فعثمانُ ؟ قال : « نَعَمْ » ، قالت : فجاء عثمانُ ، فقال : « قُومِي » ، قالت : فجعلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يُسِرُّ إلى عثمانَ ، ولونُ عثمانَ يتغيَّرُ ، فلمَّا كان يومُ الدار قلنا : ألا نقاتلُ ؟ قال : لا ؛ إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عهدَ إليَّ أمراً ، فأنا صابرٌ نفسي عليه[(١)]

وروينا في حديث ابن عمرَ[(٢)] ، وأبي هريرةَ[(٣)] ، وعبد الله بن حَوالةَ[(٤)] ، ومُرَّةَ بن كعبٍ[(٥)] ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في فتنة ذكرها ، وأشار إلى عثمانَ بأنَّهُ يكون فيها على الحقِّ ، أو قال : على الهدى .

وفي رواية بعضهم : « عَلَيْكُمْ بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ » ، وأشار إلى عثمانَ بن عفانَ[(٦)]

= أصحابي) ، وخطاب المؤنث حقُّه أن يكون : (ادعي) ، مع نصب كلمة (رجل) .

(١) ورواه أحمد في « المسند » (٦/ ٥١) ، والترمذي (٣٧١١) مختصراً ، وابن ماجه (١١٣) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٩٩)

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ١١٥) ، والترمذي (٣٧٠٨) وحسَّنه ، وفيه : ذكر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتنةً ، فقال : « يُقتَلُ هذا فيها مظلوماً » لعثمان .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٣٤٤) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ٩٩) ، وهي الرواية التي سيذكرها المصنف .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ١٠٩) ، والحاكم في « المستدرك » (٣/ ١٠١) ، وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧/ ٢٢٥) : (رواه أحمد ، والطبراني بنحوه ، ورجالهما رجال الصحيح) ، وفيه : « مَنْ نجا مِنْ ثلاثٍ فقدْ نجا » ، قالوا : ماذا يا رسول الله ؟ قال : « موتي ، وقتلُ خليفةٍ مصطبرٍ بالحقِّ يعطيه ، ومن الدجَّالِ » .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٤/ ٢٣٦) ، والترمذي (٣٧٠٤) وقال : (حسن صحيح) ، وفيه : لولا حديثٌ سمعتُهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما قمتُ ، وذكر الفتنَ فقرَّبَها ، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوب ، فقال : « هذا يومئذٍ على الهدى » ، فقمتُ إليه ؛ فإذا هو عثمانُ بن عفان ، قال : فأقبلت عليه بوجهه ، فقلت : هذا ؟ قال : « نَعَمْ » .

(٦) هي رواية سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه المشار إليها

وفي كلٍّ ذلك مع ما ذكرناه في « الفضائل » دلالةٌ على صحَّة خلافتِهِ

٣٦٨ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ ، أخبرنا الربيعُ بن سليمانَ ، أخبرنا الشافعيُّ ـ وهو يحتجُّ في تثبيت خبر الواحد ـ قال : (وما أجمعَ المسلمون عليه مِنْ أن يكونَ الخليفةُ واحداً ، فاستخلفوا أبا بكر ، ثم استخلفَ أبو بكرٍ عمرَ ، ثم عمرُ أهلَ الشورى ليختاروا واحداً ، فاختارَ عبدُ الرحمنِ عثمانَ بن عفَّانَ) .

وروينا عن الشافعيِّ أنَّهُ كان يقول : (أفضلُ الناسِ بعد رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أبو بكرٍ ، ثم عمرُ ، ثم عثمانُ ، ثم عليٌّ)[١]

٣٦٩ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحسينُ بن محمد بن فَنْجويه الدِّينوريُّ ، حدثنا ظفرانُ بن الحسين[٢] ، حدثنا محمدُ بن إبراهيمَ بن زيادٍ ، حدثنا الربيعُ بن سليمانَ ، سمعتُ الشافعيَّ يقولُ مثلَ ذلك[٣]

وكذلك رُوِيَ عن ابنِ عبدِ الحكمِ ، عن الشافعيِّ[٤]

ورُوِيَ عن الربيعِ في روايةٍ أخرى ، عن الشافعيِّ أنَّهُ قال : (أفضلُ الناسِ بعدَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : أبو بكرٍ ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعليٌّ)[٥]

وروينا عن أبي ثورٍ ، عن الشافعيِّ أنَّهُ قال : (ما اختلفَ أحدٌ من الصحابة والتابعين في تفضيلِ أبي بكرٍ وعمرَ ، وتقديمِهما على جميعِ الصحابةِ ، وإنَّما

---

(١) انظر « الرسالة » للإمام الشافعي (ص ٤٢٠) ، و« السنة » للالكائي (٨/ ١٤٥٠) (٢٦١٤) ، (٨/ ١٤٧٦) (٢٦٧٣) .

(٢) كذا (ظفران) بالظاء ، وتحتمل في بعض النسخ : (طفران) بالطاء ، والفاء في كلٍّ ، وفي هامش النسختين (د ، هـ) نسخة : (صَفوان) ، واتفقت النسخ على أنه ابن الحسين بالياء .

(٣) ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/ ١١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣١٦) .

(٤) رواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٣٣) .

(٥) رواه المصنف في « معرفة السنن والآثار » (٣٥١) .

اختلفَ مَنِ اختلفَ منهم في عليٍّ وعثمانَ ، ونحن لا نُخَطِّئُ واحداً مِنْ أصحابِ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيما فعلوا)[1]

وقد ذكرنا أسانيدَها في كتاب « الفضائل » ، وروينا عن جماعةٍ من التابعينَ وأتباعِهم نحوَ هذا[2] ، وبالله التوفيقُ

* * *

---

(١) رواه المصنف في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٣٤) .

(٢) قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في « الاستذكار » (٥/ ١١٠) : (جماعة أهل السنة ـ وهم أهل الفقه والآثار ـ على تقديم أبي بكر وعمر ، وتولِّي عثمانَ وعليٍّ وجماعةِ أصحاب النبي عليه السلام ، وذكرِ محاسنِهم ، ونشرِ فضائلهم ، والاستغفارِ لهم ؛ وهذا هو الحقُّ الذي لا يجوزُ عندنا خلافُهُ ، والحمدُ لله) .

باب
استخلاف أبي الحسن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم رضي الله عنه

٣٧٠ـ أخبرَنا أبو عليٍّ الرُّوذْبارِيُّ ، حدثنا أبو بكرِ بنُ دَاسَهْ ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا سوَّار بن عبد الله ، حدثنا عبدُ الوارث بن سعيد ، عن سعيد بن جُمْهانَ ، عن سفينةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « **خِلافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ يُؤْتِي اللهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ** » ، ثم ذكر سفينةُ خلافةَ أبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ ، وعليٍّ .

قال سعيدٌ : قلتُ لسفينةَ : إنَّ هؤلاءِ يزعمون أنَّ علياً لم يكنْ خليفةً ! قال : كذبَتْ أستاهُ بني الزرقاء(١)

٣٧١ـ أخبرَنا أبو الحسينِ بنُ الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفرٍ ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا الحجَّاجُ بن أبي مَنيعٍ ، حدثنا جدِّي ، عن الزهريِّ قال : لمَّا قُتل عثمانُ برز عليُّ بن أبي طالب للناس ودعاهم إلى البيعة ، فبايعَهُ الناسُ ، ولم يعدلوا به طلحةَ ولا غيرَهُ .

وهذا لأنَّ سائرَ مَنْ بقيَ مِنْ أصحاب الشورى كانوا قد تركوا حقوقَهُم عند بيعة عثمانَ ـ كما مضى ذكرُهُ(٢) ـ؛ فلم يبقَ أحدٌ منهم لم يتركْ حقَّهُ إلا عليٌّ ، وكان قد

---

(١) ورواه أبو داود (٤٦٤٦) ، والترمذي (٢٢٢٦) وحسَّنه ، والزرقاء : امرأة من أمهات بني أمية ، وأراد هنا : بني مروان بن الحكم ، وأستاه : جمع استٍ ؛ وهي حلقة الدبر ؛ كأنها كلمةٌ خرجت من أدبارهم .

(٢) تقدم قريباً في الخبر (٣٦٣) .

وفَّى بعهدِ عثمانَ حتى قُتل ، وكان أفضلَ مَنْ بقيَ مِنَ الصحابة ؛ فلم يكنْ أحدٌ أحقَّ بالخلافة منه ، ثم لم يستبدَّ بها مع كونِهِ أحقَّ الناس بها ، حتى جرَتْ له بيعةٌ ، وبايعَهُ مع سائر الناس مَنْ بقيَ مِنْ أصحاب الشورى[1]

٣٧٢ـ حدثَنا الإمامُ أبو الطيِّب سهلُ بن محمد بن سليمانَ إملاءً ، أخبرنا أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن عليٍّ الدقَّاقُ ، أخبرنا عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن المدينيُّ ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ الحنظليُّ في « مسنده » ، حدثنا عَبدةُ بن سليمانَ ، حدثنا سالمٌ المراديُّ أبو العلاء قال : سمعتُ الحسنَ يقول : لمَّا قدم عليٌّ البصرةَ في إثرِ طلحةَ وأصحابه، فأمَّرَ عبدَ الله بن الكوَّا وابن عُبَاد[2] ، فقالا له: يا أميرَ المؤمنين؛ أخبرْنا عن مسيرِكَ هذا؛ أوَصيةٌ أوصاكَ بها رسولُ الله ، أم عهدٌ عهدَهُ إليك ، أم رأيٌ رأيتَهُ حين تفرَّقَتِ الأمةُ واختلفت كلمتُها ؟

فقال : ما أكونُ أوَّلَ كاذبٍ عليه ، واللهِ ؛ ما مات رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم موتَ فجأةٍ ، ولا قُتل قتلاً ، ولقد مكثَ في مرضِهِ كلُّ ذلك يأتيه المؤذِّنُ فيؤذنُ بالصلاة ؛ فيقول : « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ** » ، ولقد تركني وهو يرى مكاني ، ولو عهدَ إليَّ شيئاً لقمتُ به ، حتى عرَّضَتْ في ذلك امرأةٌ مِنْ نسائه فقالت : إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيق ؛ إذا قام مقامَكَ لا يُسمِعُ الناسَ ، فلو أمرتَ عمرَ أن يصلِّيَ بالناس ، قال لها : « **إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ** » .

فلمَّا قُبض رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم نظرَ المسلمون في أمرهم ؛ فإذا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد ولَّى أبا بكر أمرَ دينِهم ، فولَّوهُ أمرَ دنياهم ، فبايعه المسلمون ، وبايعتُهُ معهم ؛ فكنتُ أغزو إذا أغزاني ، وآخذُ إذا أعطاني ، وكنتُ سوطاً بين يديهِ في إقامةِ الحدود ، فلو كانَتْ محاباةٌ عند حضور موتِهِ لجعلها في ولدِهِ ، فأشار بعمرَ ولم يألُ ، فبايعَهُ المسلمون ، وبايعتُهُ معهم ؛

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٣٦) .

(٢) هو قيس بن عُباد ؛ بضم العين وتخفيف الباء كما في « تبصير المنتبه » (٣/ ٨٩٢) .

فكنتُ أغزو إذا أغزاني ، وآخذُ إذا أعطاني ، وكنتُ سوطاً بين يديه في إقامة الحدودِ ، فلو كانت محاباةٌ عند حضور موتِهِ لجعلَها في ولده ، وكرهَ أن ينتخبَ منَّا معشرَ قريش رجلاً فيولِّيَهُ أمرَ الأمَّة ، فلا يكون فيه إساءةٌ لمن بعده إلا لحقَتْ عمرَ في قبره ، فاختارَ منَّا ستةً أنا فيهم ؛ لنختارَ للأمَّة رجلاً منَّا

فلمَّا اجتمعنا وثبَ عبدُ الرحمن ، فوهبَ لنا نصيبَهُ منها ؛ على أن نعطيَهُ مواثيقَنا على أن يختارَ مِنَ الخمسةِ رجلاً فيولِّيَهُ أمرَ الأمَّة ، فأعطيناهُ مواثيقَنا ، فأخذ بيد عثمانَ فبايعَهُ ، ولقد عرضَ في نفسي عند ذلك ؛ فلمَّا نظرتُ في أمري فإذا عهدي قد سبقَ بيعتي ، فبايعتُ وسلَّمْتُ ؛ فكنتُ أغزو إذا أغزاني ، وآخذُ إذا أعطاني ، فلما قُتل عثمانُ نظرتُ في أمري ؛ فإذا الرِّبقةُ التي كانَتْ لأبي بكر وعمرَ في عنقي قد انحلَّتْ ، وإذا العهدُ لعثمانَ قد وفَيْتُ به ، وإذا أنا رجلٌ مِنَ المسلمين ليس لأحدٍ عندي دعوى ولا طَلِبةٌ .

فوثبَ فيها مَنْ ليس مثلي ـ يعني : معاويةَ ـ ؛ لا قرابتُهُ كقرابتي ، ولا علمُهُ كعلمي ، ولا سابقتُهُ كسابقتي ، وكنتُ أحقَّ بها منه .

قالا : صدقتَ ، فأخبرْنا عن قتالك هذين الرجلين ـ يعنيان : طلحةَ والزبيرَ ـ صاحَباك في الهجرة ، وصاحَباكَ في بيعة الرضوان ، وصاحَباكَ في المشورة !

قال : بايَعاني بالمدينة ، وخالفاني بالبصرة ، ولو أنَّ رجلاً ممَّنْ بايع أبا بكر خلعَهُ لقاتلناهُ ، ولو أنَّ رجلاً ممَّنْ بايعَ عمرَ خلعَهُ لقاتلناهُ[(١)]

* سمعتُ الشيخَ الإمامَ أبا الطيب سهلَ بن محمد الصُّعلوكيَّ وهو يذكرُ ما يجمعُ هذا الحديثُ مِنْ فضائل عليٍّ رضي الله عنه ، ومناقبِهِ ومراتبِهِ ومحاسنِهِ ، ودلالاتِ صدقه ، وقوَّةِ دينه ، وصحَّةِ يقينه ؛ قال : ومِنْ كبارها : أنَّهُ لم يدعْ ذكرَ ما عرضَ له فيما أجرى إليه عبدُ الرحمن وإن كان يسيراً ؛ حتى

---

(١) ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٤٠) .

قال : (ولقد عرضَ في نفسي عند ذلك) ، وفي ذلك ما يوضحُ : أنَّهُ لو عرضَ له في أمر أبي بكرٍ وعمرَ شيءٌ ، واختلفَ له فيه سرٌّ وعلنٌ . لبيَّنَهُ بصريحٍ ، أو نبَّهَ عليه بتعريضٍ ؛ كما فعل فيما عرضَ له عند فعل عبد الرحمن ما فعل

قال الشيخُ :

وكان السببُ في قتال طلحةَ والزبيرِ عليّاً : أنَّ بعض الناس صوَّرَ لهما أنَّ عليّاً كان راضياً بقتل عثمانَ ، فذهبا إلى عائشةَ أمِّ المؤمنينَ ، وحملاها على الخروجِ في طلب دم عثمانَ ، أو الإصلاحِ بين الناس بتخليةِ عليٍّ بينهم وبين مَنْ قدمَ المدينة في قتل عثمانَ ، فجرى الشيطانُ بين الفريقين حتى اقتتلوا ، ثم ندموا على ما فعلوا ، وتابَ أكثرُهم ، فكانت عائشةُ تقول : (وددتُ أنِّي كنتُ ثكلتُ عشرةً مثلَ ولدِ الحارث بن هشام[1] ، وأنِّي لم أسرْ مسيري الذي سرتُ)[2] .

ورُوي : أنَّها ما ذكرتْ مسيرَها قطُّ إلا بكَتْ حتى تبلَّ خمارَها ، وتقول : (يا ليتني كنتُ نسياً منسياً)[3]

ورُوي : أن عليّاً بعثَ إلى طلحةَ يومَ الجمل ، فأتاه فقال : نَشدتُكَ اللهَ ؛ هل سمعتَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللَّهُمَّ ؛ وَالِ مَنْ وَالاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ** » ؟ قال : نعم ، قال : فلمَ تقاتلني ؟ قال : لم أذكرْ ، قال : فانصرفَ طلحةُ[4] .

ثم رُوي : أنه حين رُميَ بايع رجلاً مِنْ أصحاب عليٍّ ، ثم قضى نحبَهُ ، فأُخبرَ عليٌّ بذلك ، فقال : الله أكبر ، صدق الله ورسوله ، أبى الله أن يدخله الجنة إلا وبيعتي في عنقه[5]

---

(١) أرادت رضي الله عنها : عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، أحد الفقهاء السبعة .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ١١٩) ، والمصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤١١) .

(٣) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤١٢) ، وانظر « الدر المنثور » (٦/ ٦٠٠) .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٧١) ، وتقدم المرفوع منه (ص ٤٤٢) .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » (٣/ ٣٧٣) .

ورُوي : أنَّ علياً بلغَهُ رجوعُ الزبير بن العوَّام ، فقال : أما واللهِ ؛ ما رجع جُبناً ، ولكنَّهُ رجعَ تائباً[1] .

وحين جاء ابنُ جُرموزٍ قاتلُ الزبير[2] ؛ قال : ليدخلْ قاتلُ ابنِ صفيَّةَ النارَ ؛ سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول : « **لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ** »[3]

٣٧٣ـ وأخبرَنا أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكر محمدُ بن الحسين القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ السلميُّ ، حدثنا محمدُ بن يوسفَ قال : ذكر سفيانُ ، عن جعفرِ بن محمد ، عن أبيه قال : قال عليٌّ : (إنِّي لأرجو أنْ أكونَ وطلحةَ والزبيرَ مِنَ الذين قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر : ٤٧])[4]

وكان أميرُ المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه بريئاً مِنْ قتل عثمانَ ، وكان يقول : **(واللهِ ؛ ما قتلتُ ، ولا أمرتُ ، ولا رضيتُ ، ولا شاركتُ في قتل عثمانَ ، ولكن غُلبتُ)**[5]

وكان يقولُ : (إنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وعثمانُ مِنَ الذين قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾)[6]

٣٧٤ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد بن علي المقرئُ ، أخبرنا الحسنُ بن محمد بن إسحاقَ ، حدثنا يوسفُ بن يعقوبَ القاضي ، حدثنا عمرُو بن

---

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/ ٤١٠) .

(٢) هو عمرو بن جرموز التيمي ، قتله غدراً وهو نائم .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٨٩) ، والترمذي (٣٧٤٤) مختصراً .

(٤) وواه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٢٩٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨/ ٤٢٤) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٨٢٦ ، ٣٨٨٢٨) .

(٦) رواه الطبري في « التفسير » (١٧/ ١٠٩) .

مرزوقٍ ، حدثنا شعبةُ ، عن منصورِ بن عبد الرحمن : أنَّهُ سمعَ الشعبيَّ يقول : (أدركتُ خمسَ مئةٍ مِنْ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أو أكثرَ ، كلُّهُم يقول : عثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ في الجنَّة)[1]

وأمَّا خروجُ مَنْ خرجَ على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه مع أهل الشام في طلب دم عثمانَ ، ثم منازعتُهُ إيَّاه في الإمارة : فإنَّهُ غيرُ مصيب فيما فعل ، واستدللنا ببراءة عليٍّ مِنْ قتل عثمانَ : بما جرَتْ له مِنَ البيعة ، ثم بما كان له مِنَ السابقة في الإسلام ، والهجرة والجهاد في سبيل الله ، والفضائل الكثيرة والمناقب الجمَّة التي هي معلومةٌ عند أهل المعرفة .

إنَّ الذي خرجَ عليه ونازعَهُ كان باغياً عليه ، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أخبرَ عمَّارَ بن ياسرٍ أنَّ الفئةَ الباغيةَ تقتلُهُ ، فقتلَهُ هؤلاءِ الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه في حرب صفِّينَ .

٣٧٥ـ أخبرَنا أبو الحسن عليُّ بن محمد السُّبْعيُّ النيسابوريُّ ، حدثنا أبو العباس الأصمُّ، حدثنا إبراهيمُ بن مرزوق، حدثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث، حدثنا شعبةُ ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن أمِّهِ ، عن أمِّ سلمةَ: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعمَّار : « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ** »[2].

٣٧٦ـ قال الأصمُّ[3] : وحدثنا إبراهيمُ بن مرزوق ، حدثنا أبو داودَ ، حدثنا شعبة ، عن خالدٍ الحذَّاءِ ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أمِّهِ ، عن أمِّ سلمةَ : أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال لعمَّار : « **تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ** »[4]

---

(١) ورواه أبو بكر الخلال في « السنة » (٤٥٥) ، واللالكائي في « السنة » (٢٧١٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥/ ٣٤٩) .

(٢) ورواه مسلم (٢٩١٦/ ٧٢) .

(٣) كلمة (**الأصم**) أثبتت من (أ) وقد كتبت فوق كلمة (قال) بقلم مغاير ، ومن هامش (د).

(٤) ورواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » (١٥٩٨) ، وأحمد في « المسند » (٦/ ٣٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٤٩١) .

٣٧٧ـ أخبرَنا أبو عبد الله الحافظُ قال : سمعتُ أبا بكر محمدَ بن جعفر المُزكِّي ، وأبا الطيب محمدَ بن أحمد الكرابيسيَّ ، وأبا أحمدَ بن أبي الحسن الدارِميَّ يقولون : سمعنا أبا بكر محمدَ بن إسحاقَ يقول ـ وهو ابنُ خزيمةَ رحمه الله ـ : (خيرُ الناس بعد رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأولاهم بالخلافة . . أبو بكرٍ الصديقُ ، ثم عمرُ الفاروقُ ، ثم عثمانُ ذو النورين ، ثم عليُّ بن أبي طالب ، رحمة الله ورضوانُهُ عليهم أجمعين) .

قال : (وكلُّ مَنْ نازعَ أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في إمارته . . فهو باغٍ ، على هذا عهدتُ مشايخنا ، وبه قال ابنُ إدريسَ) يعني : الشافعيَّ رحمه الله[١]

قال الشيخ :

ثم لم يخرجْ مَنْ خرجَ عليه ببغيهِ عن الإسلام ؛ فقد كان رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال : « **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ** » .

٣٧٨ـ أخبرَناه أبو طاهر الفقيهُ ، أخبرنا أبو بكرٍ القطَّانُ ، حدثنا أحمدُ بن يوسفَ ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمرٌ ، عن همَّامِ بن مُنبِّهٍ قال : هذا ما حدثنا أبو هريرةَ قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكره[٢]

قال الشيخُ :

ويعني بقيام الساعة : انقراضَ ذلك العصر ، والله أعلم .

وصحيحٌ[٣] عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّهُ قاتلَهم قتالَ أهلِ العدل مع أهل البغي ؛ وكان أصحابُهُ لا يجيزونَ على جريحٍ[٤] ، ولا يقتلون مُولِّياً ، ولا يسلبون قتيلاً

---

(١) انظر « الأم » للشافعي (٤/ ٢٢٦) ، و« مناقب الشافعي » للمصنف (١/ ٤٤٥) .

(٢) ورواه البخاري (٨٥ ، ٣٦٠٩) ، ومسلم (١٥٧/ ٢٤٨) .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي (و) وحدها : (صحَّ) .

(٤) كذا في جميع النسخ ؛ يقال : أجزتُ على الجريح ؛ لغةٌ في أجهزت : أثبت قتله ، وانظر « تاج العروس » (ج و ز) .

٣٧٩ـ أخبرَناه أبو عبد الله الحافظُ ، حدثنا عليُّ بن حَمْشاذَ ، حدثنا الحارثُ بن أبي أسامةَ ، أنَّ كثيرَ بن هشام حدَّثهم ، حدثنا جعفرُ بن برقانٍ ، حدثنا ميمونُ بن مِهرانَ ، عن أبي أُمامةَ قال : شهدتُ صفِّينَ ، فكانوا لا يُجهِزونَ على جريحٍ ، ولا يقتلون مولِّياً ، ولا يسلبون قتيلاً[١]

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أخبرَ بفُرقةٍ تكون بين طائفتينِ مِنْ أُمته ، فيَخرجُ مِنْ بينهما مارقةٌ ، يقتلُها أَولى الطائفتينِ بالحقِّ[٢] ، فكانت هذه الفُرقةُ بين عليٍّ ومَنْ نازعَهُ ، وقد جعلَهما جميعاً مِنْ أُمته ، ثم خرجت هذه المارقةُ ؛ وهي أهلُ النهروان ، فقتلَهم عليٌّ وأصحابُهُ ، وهم أولى الطائفتينِ بالحقِّ .

وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وصفَ المارقةَ الخارجةَ ، وأخبرَ بالمُخْدَجِ الذي يكون فيهم ؛ فوُجدوا بالصفةِ التي وصف ، ووُجدَ المُخْدَجُ بالنعت الذي نُعتَ ، وذلك بَيِّنٌ في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ[٣] ، وغيره .

وكان إخبارُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بذلك في وجودِ تصديقِهِ بعد وفاته . . مِنْ دلائل النبوة ، وممَّا يُؤْثَرُ في فضائل أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ؛ في كونه محقّاً في قتالهم ، مصيباً في قتل مَنْ قتلَ منهم .

---

(١) ورواه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ١٥٥) ، والمصنف في « السنن الكبرى » (٨/ ١٨٢) .

(٢) وهو ما رواه مسلم (١٠٦٤/ ١٥٠) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : « تمرقُ مارقةٌ عندَ فُرقةٍ مِنَ المسلمينَ ، يقتلُها أَولى الطائفتينِ بالحقِّ » ، وسيشير المصنف إليه .

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٤ ، ٣٦١٠ ، ٦١٦٣) ، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٠) ، ومن خبر المخدج ـ وهو في اللغة ناقص اليد ـ : قول أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه : التمسوا فيهم المخدج ، فالتمسوه ، فلم يجدوه ، فقام عليٌّ رضي الله عنه بنفسه ، حتى أتى ناساً قد قُتل بعضُهم على بعض ، قال : أخِّروهم ، فوجدوه ممَّا يلي الأرضَ ، فكبَّرَ ، ثم قال : صدقَ الله ، وبلَّغَ رسولُهُ .

وحين وُجدَ المُخْدَجُ سجدَ عليٌّ رضي الله عنه شكراً لله تعالى على ما وَفَّقَ له مِنْ قتالِهم[1]

وقد ذكرنا هذه الأحاديثَ في « الفضائل » ، وهذا الكتابُ لا يحتملُ أكثرَ مِنْ هذا ، وقد :

٣٨٠ـ أخبرَنا أبو الحسنِ بنُ الفضل القطَّانُ ، أخبرنا عبدُ الله بن جعفر ، حدثنا يعقوبُ بن سفيانَ ، حدثنا الحميديُّ ، حدثنا سفيانُ ، حدثنا إسرائيلُ ، حدثنا أبو موسى قال : سمعتُ الحسنَ قال : سمعتُ أبا بكرةَ يقول : رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المنبر والحسنُ بن عليٍّ معه إلى جنبِهِ ، وهو يلتفتُ إلى الناس مرَّةً وإليه مرَّةً ويقول : « **إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ ؛ وَلَعَلَّ اللهَ يُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** »[2]

قال سفيانُ : قولُهُ : (فئتينِ مِنَ المسلمينَ) يُعجبُنا جداً[3]

قال الشيخُ :

وإنَّما أعجبَهم ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم سمَّاهما جميعاً مسلمينَ .

وهذا خبرٌ مِنْ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بما كان مِنَ الحسن بن عليٍّ بعد وفاة عليٍّ في تسليمِهِ الأمرَ إلى معاويةَ بن أبي سفيانَ .

وقال في خُطبتِهِ : أيُّها الناسُ ؛ إنَّ اللهَ هداكم بأوَّلِنا ، وحقنَ دماءكم بآخرنا ، وإنَّ هذا الأمرَ الذي اختلفتُ فيه أنا ومعاويةُ حقٌّ لامرئٍ كان أحقَّ به منِّي ، أو حقٌّ لي تركته لمعاويةَ ؛ إرادةَ إصلاحِ المسلمين ، وحقنِ دمائهم ، وإنْ أدري لعلَّهُ فتنةٌ ومتاعٌ إلى حين[4]

---

(١) رواه البزار في « المسند » (٥٦٤) ، والمروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٢٤٦) ، وانظر « البداية والنهاية » للحافظ ابن كثير ؛ فقد جمع الطرق كلَّها فيه (٧/ ٢٨٩) .

(٢) ورواه البخاري (٢٧٠٤) .

(٣) قال الحافظ في « فتح الباري » (١٣/ ٦٦) : (أخرجه يعقوب بن سفيان في « تاريخه ») .

(٤) رواه المصنف في « دلائل النبوة » (٦/ ٤٤٤) وما بعدها . =

قال الشيخُ الإمامُ رضي الله عنه :

هذا الذي أودعناه هذا الكتابَ ؛ **اعتقادُ أهل السنَّة والجماعة وأقوالُهم** ، وقد أفردنا كلَّ باب منها بكتابٍ يشتملُ على شرحه[1] ، مُنوَّراً بدلائله وحججِهِ ، واقتصرنا في هذا الكتاب على ذكرِ أُصوله ، والإشارةِ إلى أطراف أدلَّتِهِ ؛ إرادةَ انتفاعِ مَنْ نظرَ فيه ، والله يوفِّقُنا لمتابعةِ السنَّة واجتنابِ البدعة ، ويجعلُ عاقبةَ أمورنا إلى رشدٍ وسعادةٍ ، بفضلِهِ وسَعةِ رحمتِهِ ، إنَّهُ المنَّان ، الواسعُ الغُفران .

* * *

= تذييلٌ : قال حجةُ الإسلام الغزالي في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص ٤٠٤) : (واعلم : أنَّك في هذا المقام بين أن تسيء الظنَّ بمسلم وتطعُنَ عليه وتكون كاذباً ، أو تحسن الظنَّ به وتكفَّ لسانك عن الطعن وأنت مخطئٌ مثلاً ، والخطأُ في حسن الظنِّ بالمسلم أسلمُ من الصواب بالطعن فيهم ، فلو سكتَ إنسانٌ مثلاً عن لعن إبليس أو لعن أبي جهل أو أبي لهب أو من شئت من الأشرار طولَ عمره . . لم يضرَّهُ السكوتُ ، ولو هفا هفوةً بالطعن في مسلم بما هو بريء عند الله تعالى منه . . فقد تعرَّضَ للهلاك) .

(١) فمن مؤلفاته الظاهرة في ذلك : « إثبات عذاب القبر » ، و« البعث والنشور » ، و« القضاء والقدر » ، و« الأسماء والصفات » ، و« دلائل النبوة » ، و« فضائل الصحابة » ، و« الرؤية » ، و« الإيمان » ، وكلُّها قد صرَّح بها ونقلَ عنها .

خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

آخرُ « **الاعتقاد** »

والحمدُ لله وحدَهُ ، وصلاتُهُ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامُهُ .

كتبَهُ لنفسه : **عليُّ بن المظفَّر القاسم النشبيُّ** ، الراجي عفوَ ربِّهِ ومغفرتَه

ووافق فراغُهُ منه يومَ الأربعاء خامس صفر من سنة عشر وستِّ مئة .

خاتمة النسخة (ب)

آخرُ « **الاعتقاد** » .

الحمد لله وحده ، وصلاتُهُ على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين .

تشرَّفَ بكتابته : الفقيرُ إلى عفوِ ربِّه ، الواثقُ بجوده وفضله ؛ **أحمدُ بن عثمانَ الدياربكري** ، الشهير بالكردي الشافعيِّ ، لطفَ الله به ، وغفرَ ذنوبه ، وسترَ عيوبه ، وكفاه ما أهمَّهُ مِنْ أمر الدنيا والآخرة ، داعياً لمؤلفِهِ بالغفران والرحمة ، ولمالكه بطول العمر والبقاء ، أبقاه اللهُ بقاءَ جميلاً ، وعمَّرهُ دهراً طويلاً ، وحسم عنه وبه موادَّ الضَّير .

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .

ربِّ تقبَّلْ عملي ... ولا تخيِّبْ أملي

أصلحْ أموري كلَّها ... قبلَ حلولِ الأجلِ

وقد وقع الفراغ منه سابعَ شهر شعبانَ قُبيل الظهر ، سنة ستٍّ وخمسين وثمان مئة ، وذلك في المدرسة البرقوقية ، تغمد الله بانيها بالرحمة والرضوان ، آمين آمين يا ربَّ العالمين .

بلغ مقابلةً على أصله المنقول منه ؛ وهو المقروء فيه على شيخ الإسلام ابن حجر ، والحمد لله .

خاتمة النسخة (ج)

تمَّ الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على سيدنَّا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه المنتخَبين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وسلَّمَ تسليماً دائماً أبداً .

بلغ مقابلة حسب الطاقة بأصله المنقول منه ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله .

قُوبل بنسخة آخرى وصُحِّحَ عليها بتاريخ الخامس والعشرين من شوال ، سنة أربع وثلاثين وسبع مئة هجرية .

خاتمة النسخة (د)

تمَّ الكتاب .

تمَّ استكتاباً آواخر سنة (١٠٨٤) ، والحمد لله رب العالمين .

بلغ مقابلة وتصحيحاً يوم الأحد (١١) رجب ، سنة (١٠٨٧)

بلغ ثانياً يوم السبت (١٧) ذي القعدة ، سنة (١٠٩٧)

الحمد لله ، طالعتُهُ وانتفعت به ، وعلَّقْتُ منه ما قُدِّر ، وذلك على ظهر

الباخرة عند الرجوع من المدينة المقدسة في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وثلاث مئة وألف ، كتبه أحمد بن الصدِّيق .

خاتمة النسخة (و)

آخرُ « الاعتقاد » .

تمَّ الكتاب بحمده وعونه وحسن توفيقه .

وكان الفراغ يوم الجمعة ، ثالث عشر الشهر شوال المكرم ، من سنة ثلاث مئة بعد الألف من الهجرة النبوية .

اللهمَّ ؛ اغفر لكاتبه ، ولمالكه ، ولقارئه ، ولمستمعه ، ولمن ينظر فيه ، ولجميع المسلمين ، آمين ، والحمد لله ربِّ العالمين .

يقول زين العابدين الآرومي البهاري : لقد استراحَ يَراعي من نقل هذه النسخة المباركة المسمَّاة بكتاب : « الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى في سنة (٤٥٨) عن نسخة المفتي محمد سعيد المرحوم في البلد حيدر آباد الجنوبي في حين إقامتي به مدرِّساً في المدرسة الفوقانية سنة (١٣٣٥) خمس وثلاثين وثلاث مئة بعد الألف .

ربِّ ؛ اغفر لي ولوالديَّ وارحمهما كما ربياني صغيراً ، ويرحم الله عبداً قال : آمينا ، وصلَّى الله على خير خلقه محمد سيد المرسلين ، وآله وصحبه أجمعين ، برحمته وهو أرحم الراحمين .

* * *

بعض أسانيد وسماعات النسخ الخطية

بعض سماعات النسخة (أ)

سُمِعَ جميعُ هذا الكتاب ؛ وهو « الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » جمعُ الإمام الحافظ أبي بكر أحمدَ بن الحسين بن علي البيهقيِّ رحمه الله . . على سيدنا القاضي الإمام الأجلِّ الفقيه العالم العامل ، جمال الدين ، شيخ الإسلام ، بقية السلف ؛ أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري أيَّده الله[١] ، بحقِّ إجازته من الإمام أبي عبد الله محمد بن الفضل الفُراوي ، وبسماعه من الحافظ أبي الحسن علي بن أحمد بن سليمان المرادي عنه عن البيهقي ، بقراءة صاحبه الشيخ الإمام الأجلِّ العالم المفيد ؛ شمس الدين بن شرف العلماء أبي الحسن علي بن المظفر بن القاسم النشبي ومعه [. . .] ابناه النجيبان أبو بكر محمد وأبو العباس عمر ، والإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمود بن أحمد الصابوني ، والفقيه عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عثمان بن أبي طاهر الإربلي[٢] ، وإبراهيم أبو المظفر يوسف بن يعقوب ، والفقيه صائن الدين أبو عبد الله محمد بن حسان بن رافع بن سُمير العامري ، والشريف نور الدين أبو الحسن علي بن شرف بن علي الجعفري ، وأبو كامل تمام بن إسماعيل بن تمام السلمي ، وابنه يوسف ، وأبو المحاسن إبراهيم بن [أبي] المحاسن بن رسلان الشافعي ، وولده محمد ،ومن يأتي اسمه على الورقة الأخرى من الطبقة ، وأبو إسحاق إبراهيم بن عثمان [. . .] النشائي الموصلي ، وعبد الرحمن بن يونس بن إبراهيم التونسي ، وعبد الرحمن بن صديق بن أبي طالب المزي ، ومثبت

---

(١) في الأصل : (أيد) بدل (أيده) .

(٢) وكان إمام دار الحديث النورية .

أسمائهم ؛ عبد الجليل بن عبد الجبار بن عبد الواسع الأبهري ، أصلحه الله وآخرون بفوات ، أسماؤهم على نسخة الحافظ ابن عساكر ، وذلك في مجالس عدة ، آخرها يوم الجمعة رابع عشر صفر سنة عشر وست مئة بمقصورة الخضر من جامع دمشق ، وصح ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

صحح ذلك ، كتبه عبد الصمد محمد بن أبي الفضل الأنصاري .

قرأتُ جميع هذا الكتاب من أوله إلى آخره على مالكه الشيخ الأجل العالم المحترم الأمين الثقة المحدث ؛ شمس الدين أبي الحسن علي بن المظفر بن القاسم النشبي بسماعه قراءة ، وسمع الطواشي الأخص العالم المحدث افتخار الدين أبو الدر ياقوت بن عبد الله العزي المسعودي ، وعتيقه سنقر شاه .

وسمع من أوله إلى باب الاستواء موفق بن نصر البراقشي ، ودينار بن عبد الله الخادم الصلاحي ، وحسن بن قيصر عرف بابن الداية ، وعبد الله بن إقبال الجمالي .

وسمع من باب الاستواء إلى آخر الكتاب شبل الدولة ؛ كافور بن عبد الله المكي ، وسمع عبد الله وحسن المذكورين من باب الاستواء إلى باب وقوع أفعال العبد ، وسمع من باب القول في الآجال والأرزاق إلى آخر الكتاب أبو العباس أحمد بن [. . .] بن أمية العبدري ، وسمع من هذا الباب أيضاً ؛ إبراهيم بن أبي بكر الهندي الصلاحي إلى باب القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من باب الاعتصام بالسند إلى آخر الجزء الثاني ؛ المهيار موفق بن نصر البراقشي .

وختم الكتاب في مجالس آخرها في شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وست مئة بالقاهرة بدار الوزارة ، كتبه عبيد بن محمد بن عباس بن محمد الإسعردي عفا الله عنه .

والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً وافراً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وسلامه على عباده .

وسمع من باب الاستواء إلى باب وقوع أفعال العبد محمود وحسين ابنا أبي بكر الهندي ، ومسعود ومثقال الصلاحيون ، وبدار الأستاذ غلام فخر الدين فاخر خادم الضريح [. . .] عبيد بن محمد الإسعردي ، والحمد لله حقَّ حمده .

سماعات النسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، والسلامُ على خير المرسلين ؛ محمد خاتم النبيين ، وآله وصحبه والتابعين .

وبعد : فقد سمع جميع هذا الكتاب المسمَّى بـ « الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد » للإمام الحافظ البيهقيِّ على سيدنا ومولانا الإمام ، قاضي القضاة شيخ الإسلام ، ملك العلماء الأعلام ، إمام أئمة الأنام ، شيخ الحفاظ والمحدثين ، بقية المجتهدين ؛ أبي الفضل أحمد العسقلانيِّ الشافعي الشهير بـ (ابن حجر) ، سنده المكتوب بخطِّه الكريم أعلاه ، أدام الله تعالى علاهُ ، بقراءة مَنْ له الخطُّ ؛ إبراهيم بن خضر العثماني الشافعي لطفَ الله به :

السادة الفضلاء : القاضي وليُّ الدين محمد بن محمد بن عبد اللطيف السنباطيُّ ، وبدرُ الدين محمد بن بهاء الدين بن القطَّان ، وعمُّه محبُّ الدين بن شمس الدين محمد بن القطَّان ، وبدر الدين محمد بن شيخنا مجد الدين إسماعيل البرماوي ، وتقي الدين عبد الرحمن بن قطب الدين أحمد القرقشندي ، وسيدي يوسف سبط سيدنا ومولانا المسمع المشار إليه ، ومحمد بن علي ابن الغالاتي ، وعبد العزيز ابن بهاء الدين بن عز الدين البلقيني ، وشهاب الدين

أحمد بن علي العبادي ، وشمس الدين محمد بن محمد بن محمد السنباطي .

والمحمدون : شمس الدين المتبولي البصير المقرئ ، وشمس الدين ابن قريش ، وشمس الدين بن يونس النواجي ، وابن نور الدين علي إمام جامع الأزهر وابن عبد الرحمن السخاوي ، وابن عيسى الأقفهسي ، وابن علي البردي ، وابن محمد بن عيسى الأقفهسي ، وابن محمد بن محمد بن درباس الحجازي ، وابن محمد بن حسن الغمري ، وأبو الخير بن علي بن الشيخ نور الدين الأدمي ، وأبو حامد بن خليل القدسي ، وابن أحمد بن الإمام العلامة برهان الدين الأبناسي .

والأحمدون : شهاب الدين المرسي ، وابن محمد محمد المنوفي ، وشهاب الدين ابن صدر الدين الأنصاري ، ورسول الحكم الحسيني سكناً ، والفاضل عبد الرحيم بن الشيخ برهان الدين الأبناسي ، وحسين بن علي الدُّماطي ، وعلي ولد أبي الخير بن الشيخ نور الدين الأدمي المتقدم ذكره ، وإبراهيم بن علي بن أحمد القادري الديري ، وناصر الدين بيرم بن محمد المحمدي ، والفاضل جلال الدين بن عبد الرحمن بن القاضي بدر الدين ابن الأمانة ، وزين الدين قاسم ابن إبراهيم الزفتاوي ، وإسماعيل بن عبد الرزاق الصوفي ، ونور الدين علي بن سودون الإبراهيمي ، ونور الدين علي بن داود الصيرفي ، **هؤلاء المكمِّلون** .

وسمعَهُ سوى فوتٍ يسيرٍ أولَ المجلس الأول : الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن سارة ، وسمعه سوى فوت من أول الرابع السيد الفاضل بدر الدين حسن بن محمد ابن أخي النسابة ، والشيخ المحدث برهان الدين بن عمر البقاعي ، والشيخ عز الدين بن عبد العزيز السنباطي ، والشيخ بهاء الدين أحمد ابن عبد الرحمن البناني ، والقاضي أبو الفتح محمد ابن العلقمي ، وولده أبو الخير ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن أسد الأميوطي ، والشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ يوسف الضبعي ، والفاضل أبو الخير محمد بن عمر بن

عبد الرحمن الزفتاوي ، وعبد الرحيم بن شهاب الدين أحمد بن يعقوب نقيب الحكم ، وعبد الرزاق بن محمد بن يوسف ، والشيخ الفاضل المحدث شمس الدين محمد بن علي بن جعفر بن مختار الشهير بابن قمر ضابط الأسماء ، ونور الدين علي بن أحمد المنوفي ، وزين الدين عبد الغني القمني .

وسمعه خلا المجلس الثالث : الشيخ الفاضل بهاء الدين محمد بن أبي بكر المشهدي ، وولي الدين محمد بن محمد الحلبي الموقع ، **وسمعه خلا الرابع** : أحمد بن محمد بن أحمد المشهدي ، **وسمعه خلا الأول وفوتاً من أول الرابع** : الفاضل شهاب الدين بن محمد بن أحمد المسيري ، ونور الدين علي بن عمر ابن الركاب المقرئ ، **وسمعه خلا الثالث وفوتاً من أول الرابع** : شمس الدين محمد ابن الشيخ مصباح ، **وسمعه خلا الأول والثاني وفوتاً من أول الرابع** : قمر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عيسى جوشن ، **وسمعه خلا الأول والثالث وفوتاً من أول الرابع** : الفاضل شهاب الدين أحمد بن سليمان بن نصر البلقاسي الزواوي ، **وسمع الأول والخامس** : شمس الدين محمد بن يوسف الزعيفريني ، **وسمع الأول والثاني** : القاضي تاج الدين عبد الرحيم بن القاضي شرف الدين المناوي ، **وسمع الثالث والخامس** : أبو الفضل أبو بكر بن نور الدين علي الصالحي ، وعز الدين أحمد بن رمضان الناعوري ، وسراج الدين عمر بن عبد الله الأقفهسي ، وجلال الدين محمد بن أبي الفضل ابن نور الدين الصالحي ، **وسمع الثالث فقط** : أبو الفضل بن أحمد بن أسد الأميوطي ، وشرف الدين يحيى بن شاكر بن الجيعان ، والقاضي شمس الدين بن سيدنا قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْني الحنفي ، **وسمع الثالث بفوت من أوله** : أحمد بن أبي بكر صيرفي المودع ، ومحمد بن محمد بن محمد الجلالي

ومن السامعين لمجلس الختم ، وختم كتاب « ذم الكلام » للهروي ، و« صحيح البخاري » ، وللحديث المسلسل بالأولية من لفظ سيدنا المسمع

المشار إليه غير المكمِّلين المذكورين أعلاه : سيدنا الجناب البدري ولد المسمع المشار إليه ، ويوسف بن قاضي القضاة محب الدين الحنبلي ، والقاضي خير الدين بن قاضي القضاة أمير الدين الطرابلسي الحنفي ، والقاضي أوحد الدين الحنفي ، والقاضي شمس الدين القرافي المالكي ، وولده بدر الدين محمد ، والفاضل محب الدين عبد القادر الطوفي ، وإبراهيم بن شمس الدين بن شيخنا الشيخ برهان الدين السحورتي ، وأبو الوفا محمد بن أبي الفتح بن العلامة شمس الدين[1] في الخامسة من عمره ، وابنة كاتبه أم الفضل في الرابعة ، وحضر معها أخوها كمال الدين محمد في الثانية من عمره ، وغيرهم

وصحَّ ذلك وثبت في خمسة مجالس ، آخرها عُشري رمضان سنة ست وأربعين وثمان مئة ، وأجاز سيدنا المسمع المشار إليه لجميع من سمع أو حضر **أن يرويَ عنه ما يجوز له روايته** ، فيلفظ بذلك بسؤال كاتبه عقب كل مجلس ، ولله الحمد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أسانيد النسخة (د)

جاء على صفحة العنوان منها :

الحمد لله ، أخبرنا به العارف بالله صفي الدين أحمد بن محمد المدني قدس سره ، بإجازته عن الشمس محمد بن أحمد الرملي ، عن شيخ الإسلام زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري القاهري ، عن الشرف أبي الفتح محمد بن زين الدين أبي بكر بن الحسين العثماني المراغي ثم المدني ، والحافظ أحمد بن علي ابن حجر الكناني العسقلاني ثم المصري ، عن والد الأول الإمام أبي بكر ابن الحسين المراغي ، عن أبي العباس أحمد بن علي الكردي ، وأحمد بن إدريس بنمزيز إذناً

---

(١) وقع هنا بياض في الأصل بمقدار كلمة .

قالا : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل المرسي إجازة ، أخبرنا منصور بن عبد المنعم الفراوي سماعاً ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي الصاعدي ، أخبرنا البيهقي ، (ح) .

وبه إلى الشرف أبي الفتح المراغي ، عن الشرف إسماعيل بن إبراهيم القرشي الجَبَرْتي ، عن المسند المعمَّر أبي الحسن علي بن عمر الواني ، عن أستاذ التحقيق محيي الدين محمد بن علي ابن العربي قدس سره ، عن عبد الصمد الحرستاني ، (ح) .

وبه إلى الحافظ ابن حجر ، عن الصلاح ابن أبي عمر ، عن الفخر ابن البخاري ، عن عبد الصمد الحرستاني ، (ح) .

وبه إلى الشيخ محيي الدين قدس سره ، عن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر[1] ، أخبرنا أبو المعالي محمد بن إسماعيل الفارسي سماعاً ، أخبرنا البيهقي .

* * *

(١) بإجازته العامة لأهل عصره والله أعلم .

الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

* * *

فهرس أطراف الأحاديث والآثار(1)

(١) تمَّ فهرسة الأحاديث المسندة بناء على رقم الحديث، وغير المسندة على رقم الصفحة.

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	رقم الحديث أو الصفحة
ـ السعيد من سعد في بطن أمه	أبو هريرة	٩٠، ص١٩١
ـ السعيد من سعد في بطن أمه . . . بزيادة: والشقي من شقي في بطن أمه	أبو هريرة	ص١٩٠
ـ سلطنا شرارها فعصوا فيها (تفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾)	ابن عباس	١٣٠
ـ السمع والطاعة على المرء المسلم	ابن عمر	٢٤٨
ـ سيعمل عليكم أمراء بعدي تعرفون وتنكرون	أم سلمة	٢٥١
ـ سيكون عليكم أئمة تعرفون منهم وتنكرون	أم سلمة	٢٤٩، ٢٥٠
ـ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	أنس بن مالك	١٨٦، ١٨٧
ـ شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح	أبو أمامة	٣٧٩
ـ الشمس والقمر والنجوم . . . (تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾)	ابن عباس	٦
ـ صَدَقَ (جواب لمن قال للنبي ﷺ: أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك)	أنس بن مالك	١٣
ـ صغارهم دعاميص الجنة	أبو هريرة	ص٢٢٧
ـ صنفان من أمتي ليس لهم في الإسلام نصيب	ابن عباس	٢٣٨
ـ الصراط على جهنم (تفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾)	عبد الله بن مسعود	ص٢٧٠
ـ الصلاة لوقتها (جواب النبي ﷺ لمن سأل: أي العمل أحبُّ إلى الله؟)	عبد الله بن مسعود	٢٥٨
ـ الطهور شطر الإيمان	أبو مالك الأشعري	١٥٠
ـ عذاب القبر حق	عائشة	٢١٧
ـ عشرة في الجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي	سعيد بن زيد	٣١٥
ـ عليكم بالأمين وأصحابه	أبو هريرة	ص٤٦٠
ـ فاستجاب الله لموسى عليه السلام (تفسير لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ . . .﴾)	ابن عباس	١١٠

طرف الحديث أو الأثر	اسم الراوي	رقم الحديث أو الصفحة
ـ هذه درجة من العلم ليس تبلغها العامة، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية . . لم يحرج غيره ممن تركها إن شاء الله	الشافعي	٢٦٥
ـ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ (جواب النبي ﷺ لمن سأله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟)	أبو هريرة	١٨٣
ـ هل تُمارون في رؤية الشمس؟ (جواب لمن سأل النبي ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة؟)	أبو سعيد الخدري	٧٦
ـ هل تُمارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ (جواب لمن سأل النبي ﷺ: هل نرى ربنا يوم القيامة؟)	أبو هريرة	٧٥
ـ هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً (تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾)	ابن عباس	١١
ـ هل من ماءٍ يا أخا صداء؟	زياد بن الحارث	ص٣٥٧
ـ هي جزاؤه، فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل (تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾)	أبو مجلز	١٦٨
ـ هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة أسري به (تفسير من سيدنا ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾)	ابن عباس	٢٩١
ـ الورود: الدخول	ابن عباس ـ جابر بن عبد الله	ص٢٧٠
ـ والله ما قتلت ولا أمرت ولا رضيت	علي	ص٤٦٧
ـ وايم الذي نفس محمد بيده؛ لو رأيتم ما رأيت . . لضحكتم قليلاً	أنس بن مالك	١٩٩
ـ والخير في يديك . . . والمهدي من هديت	علي	ص١٩٧
ـ وددت أني أجد من أخاصم إليه ربي	عمرو بن العاص	١٠٢
ـ وددت أني ثكلت عشرة مثل ولد الحارث بن هشام (ندم السيدة عائشة على قتال علي)	عائشة	ص٤٦٦
ـ والذي فلق الحبة وبرأ النسمة؛ إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن	علي	ص٤٤٢

*

فهرس الأشعار والأرجاز

* *

فهرس أسماء الكتب التي ذكرها المصنف

* * *

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- **آداب الشافعي ومناقبه**، للإمام المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد **ابن أبي حاتم** الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الآداب**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أبي عبد الله السعيد المندوه، ط١، (١٤٠٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- **الإبانة الكبرى**، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد **ابن بطة** العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق رضا معطي وعثمان الأثيوبي ويوسف الوابل، ط١، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
- **الإبانة عن أصول الديانة**، لإمام المتكلمين الشيخ **أبي الحسن** علي بن إسماعيل ابن أبي بردة بن أبي موسى **الأشعري** البصري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق فوقية حسين محمود، ط١، (١٣٩٧هـ)، دار الأنصار، القاهرة، مصر.
- **أبكار الأفكار**، للإمام المتكلم **سيف الدين** أبي الحسن علي بن محمد بن سالم البغدادي **الآمدي** (ت٦٣١هـ)، تحقيق أحمد محمد المهدي، ط٢، (١٤٢٤هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- **إتحاف المرتقي بتراجم شيوخ البيهقي**، للشيخ محمود بن عبد الفتاح النحال، ط١، (١٤٢٩هـ)، دار الميمان، الرياض، السعودية.
- **إتمام الدراية لقراء النقاية**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق إبراهيم العجوز، ط١، (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين**، للإمام الحافظ **أبي بكر** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق شرف محمود القضاة، ط٢، (١٤٠٥هـ)، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- **أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة**، انتخبها يوسف بن محمد بن عمر **بن قاضي شهبة** (ت٧٨٩هـ)، تحقيق مشهور حسن سلمان، ط١، (١٤١٢هـ)، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- **إحياء علوم الدين**، للإمام حُجَّة الإسلام **أبي حامد** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ط١، (١٤٣٢هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **الأذكار**، المسمى: «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار» للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، (١٤١٤هـ)دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الأربعين**، للإمام الحافظ أبي العباس الحسن بن سفيان بن عامر الشيباني **النسوي** (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، ط١ (١٤١٤هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- **إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.
- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، **لإمام الحرمين** أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف **الجويني** (ت٤٧٨هـ)، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، طبع سنة (١٣٦٩هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **الاستذكار**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **ابن عبد البر** النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، (١٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله **ابن عبد البر** النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٤١٢هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم **ابن الأثير** الجزري (ت٦٣٠هـ)، تاريخ النشر (١٤٠٩هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الأسماء والصفات**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **أصول الدين**، المسمى: «روضة المتكلمين في أصول الدين» **لجمال الدين** أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد الغزنوي الكاشاني (ت٥٩٣هـ)، تحقيق عمر وفيق الداعوق، ط١، (١٤١٩هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- **إعجاز القرآن**، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد **الباقلاني** (ت٤٠٣ هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٥، (١٩٩٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **الاقتصاد في الاعتقاد**، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط٢، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **إكمال الإكمال**، للحافظ النسَّابة أبي بكر محمد بن عبد الغني **ابن نقطة** الحنبلي (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤١٠هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل **عياض** بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق يحيى إسماعيل، ط١، (١٤١٩هـ)، دار الوفاء، القاهرة، مصر.
- **الأم**، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس **الشافعي** المطلبي (ت٢٠٤هـ)، اعتنى به محمد زهري النجار، طبع سنة (١٤١٠هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **الإملاء على مشكل الإحياء**، للإمام حجة الإسلام **أبي حامد** محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء**، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد **ابن عبد البر** النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الأنساب**، للحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور **السمعاني** المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني وزملائه، ط١، (١٣٨٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، المسمى: «رسالة الحرة»، للقاضي **أبي بكر** محمد بن الطيب بن محمد **الباقلاني** (ت٤٠٣هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، ط٢، (١٤٢١هـ)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.
- **البحر الرائق شرح كنز الدقائق**، للفقيه الأصولي زين الدين بن إبراهيم بن محمد **ابن نجيم** المصري (ت٩٧٠هـ)، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.
- **البحر المحيط**، للإمام أثير الدين **أبي حيان** محمد بن يوسف ابن حيان **الأندلسي** (ت٧٤٥هـ)، تحقيق صدقي جميل، ط١، (١٤٢٠هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **البداية والنهاية**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تاريخ النشر (١٤٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **البعث والنشور**، للإمام الحافظ **أبي بكر** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أبي عاصم الشوامي الأثري، ط١، (١٤٣٦هـ)، مكتبة دار الحجاز، الرياض، السعودية.
- **البعث**، للحافظ المفسر أبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث **ابن أبي داود** الأزدي السجستاني (ت٣١٦هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**، للإمام الحافظ **نور الدين** أبي الحسن علي بن أبي بكر بن

سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، للعلامة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، ط١، (١٤٢٦هـ)، نشر مجمع الملك فهد، الرياض، السعودية.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزَّبيدي الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من أئمة التحقيق، ط١، (١٣٨٥هـ)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، الكويت.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- التاريخ الأوسط، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٧هـ)، دار الوعي، حلب، سورية. مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- التاريخ الكبير، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ بيهق، للإمام أبي الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد ابن فندق البيهقي (ت٥٦٥هـ)، ط١، (١٤٢٥هـ)، دار إقرأ، دمشق، سورية.
- تاريخ دمشق، المسمى: «تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها»، للإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، تاريخ النشر (١٩٦٧م)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإمام الأصولي أبي المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني (ت٤٧١هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤٠٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام الأشعري**، للإمام الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق أنس الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد**، لشيخ الأزهر الإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (ت١٢٧٦هـ)، تحقيق علي جمعة محمد الشافعي، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار السلام، القاهرة، مصر.
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق نظر محمد الفاريابي، ط٢، (١٤١٥هـ)، مكتبة الكوثر، الرياض، السعودية.
- **تذكرة الحفاظ**، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها**، للحافظ القاضي أبي إسماعيل حماد بن إسحاق بن إسماعيل بن الإمام حماد بن زيد الأزدي (ت٢٦٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط١، (١٤٠٤هـ).
- **التعريفات**، للعلامة المحقق المدقق أبي الحسن علي بن محمد بن علي السيد الشريف الجرجاني الحسيني (ت٨١٦هـ)، اعتنى به جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تعظيم قدر الصلاة**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط١، (١٤٠٦هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.
- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط١، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دار عمار، عمان، الأردن.
- **تفسير ابن أبي حاتم**، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، السعودية.
- **تفسير أبي السعود**، المسمى: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، للإمام المفسر أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تفسير السمعاني، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط١، (١٤١٨هـ)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان في تأويل القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، (١٤٢٠هـ)، دار طيبة، الرياض، السعودية.
- التفسير الوسيط، المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، اعتنى به ثلة من المحققيق، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير عبد الرزاق، للحافظ المفسر أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق محمود محمد عبده، ط١، (١٤١٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٠٦هـ)، دار الرشيد، حلب، سورية.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، ط١، (١٤١٦هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.
- تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق سُكينة الشهابي، ط١، (١٤٠٥هـ)، دار طلاس، دمشق، سورية.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، طبع سنة (١٣٨٧هـ)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- تهذيب اللغة، للإمام اللغوي أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي

(ت٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١، (٢٠٠١م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ التوحيد، لإمام الهدى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، القاهرة.

ـ جامع العلوم والحكم، للإمام عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، ط٧، (١٤٢٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ جامع بيان العلم وفضله، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط١، (١٤١٤هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

ـ الجامع لأحكام القرآن، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الجامع، للإمام معمر بن راشد الأزدي (ت١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، نشر المجلس العلمي بباكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ جزء محمد بن عاصم، للإمام أبي جعفر محمد بن عاصم بن عبد الله الأصبهاني الثقفي (ت٢٦٢هـ)، تحقيق مفيد عيد، ط١، (١٤٠٩هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

ـ الجمع بين الصحيحين، للإمام أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق علي البواب، ط٢، (١٤٢٣هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ حاشية الأمير على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد، للإمام محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأمير الكبير الأزهري (ت١٢٣٢هـ)، راجعه أحمد سعد علي، طبع سنة (١٣٦٨هـ)، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

ـ حاشية البنَّاني على البدر الطالع شرح جمع الجوامع، للإمام عبد الرحمن بن جاد الله البنَّاني المغربي (ت١١٩٨هـ)، طبع سنة (١٤٠٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ـ حاشية السندي على النسائي، للإمام محمد بن عبد الهادي نور الدين السندي (ت١١٣٨هـ)، ط٢، (١٤٠٦هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية.

- **حاشية الطيبي على الكشاف**، المسمى: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب»، للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد **الطيبي** (ت٧٤٣هـ)، إشراف محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، ط١، (١٤٣٤هـ)، وحدة البحوث والدراسات، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- **حاشية العطار على البدر الطالع شرح جمع الجوامع**، للإمام حسن بن محمد بن محمود **العطار** الشافعي (ت١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الحاوي للفتاوي**، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، طبع سنة (١٤٢٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الحجة في بيان المحجة**، للإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل القرشي **قوام السنة** (ت٥٣٥هـ)، تحقيق محمد المدخلي، ط٢، (١٤١٩هـ)، دار الراية، الرياض، السعودية.
- **حجية أفعال رسول الله ﷺ أصولياً وحديثياً وفيه عصمته ﷺ من الخطأ والخطيئة**، للشيخ العالم محمد عوامة، ط٢، (١٤٣٤هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، لإمام اللغة عبد القادر بن عمر **البغدادي** (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، (١٤١٨هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **الخصائص الكبرى**، أو المسمى: «كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب»، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد خليل هراس، طبع سنة (١٣٨٧هـ)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر.
- **خلق أفعال العباد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، طبع سنة (١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الرياض، السعودية.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، للإمام أبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم **السمين الحلبي** (ت٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد الصباغ، نشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.

- **الدعاء**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط١، (١٤١٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **دلائل الإعجاز**، للإمام أبي بكر **عبد القاهر** بن عبد الرحمن **الجرجاني** (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمود شاكر، ط٣، (١٤١٣هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، مصر. دار المدني، جدة، السعودية.
- **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، للإمام الحافظ **أبي بكر** أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **دلائل النبوة**، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، ط٢ (١٤٠٦هـ)، دار النفائس، بيروت، لبنان.
- **رسالة الاحتفال بالأطفال**، ضمن كتاب «الحاوي للفتاوي»، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، طبع سنة (١٤٢٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **رسالة الأنوار في آداب صحبة الأخيار**، للإمام أبي المواهب **عبد الوهاب** بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، مكتبة أبي أيوب الأنصاري، دمشق، سورية.
- **الرسالة الشافية**، الملحقة بـ «دلائل الإعجاز»، للإمام أبي بكر **عبد القاهر** بن عبد الرحمن **الجرجاني** (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمود شاكر، ط٣، (١٤١٣هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، مصر. دار المدني، جدة، السعودية.
- **الرسالة القشيرية**، للإمام **أبي القاسم** عبد الكريم بن هوازن **القشيري** (ت ٤٦٥ هـ)، تحقيق أنس الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، للمحدث المؤرخ أبي عبد الله **محمد بن جعفر** بن إدريس الحسني **الكتاني** (ت١٣٤٥هـ)، تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، ط٥، (١٤١٤هـ)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
- **الرسالة**، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس **الشافعي** المطلبي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط١، (١٣٥٨هـ)، مكتبة الحلبي، القاهرة، مصر.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للإمام المفسر شهاب الدين أبي الثناء محمود بن عبد الله الحسيني **الآلوسي** (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، ط١ (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **رياض الصالحين**، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت٦٧٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤١٩هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **زاد المسير في علم التفسير**، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي** (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **الزهد والرقائق برواية المروزي مع زيادات نعيم بن حماد**، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله **بن المبارك** بن واضح المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٨٦هـ)، طبعة مصورة عن نشرة الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الزهد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، ط١ (١٤٢٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي **بن حجر الهيتمي** (ت٩٧٤هـ)، ط١، (١٤٠٧هـ)، دار الفكر.
- **السنة**، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور **اللالكائي** (ت٤١٨هـ)، تحقيق نشأة المصري، مكتبة دار البصيرة، الإسكندرية، مصر. دار الآثار، صنعاء.
- **السنة**، للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون **الخلال** (ت٣١١هـ)، تحقيق عطية الزهراني، ط١، (١٤١٠هـ)، دار الراية، الرياض، السعودية.
- **السنة**، للإمام أبي بكر **بن أبي عاصم** الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الألباني، ط١، (١٤٠٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **سنن ابن ماجه**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد **ابن ماجه** القزويني (ت٢٧٣هـ)، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٧٣هـ)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.
- **سنن أبي داود**، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث **السجستاني** (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- **سنن الترمذي**، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى **الترمذي** (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
- **سنن الدارقطني**، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر **الدارقطني** (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، ط١، (١٤٢٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **سنن الدارمي**، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن **الدارمي** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ)، دار المغني، الرياض، السعودية.
- **السنن الصغير**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، تحقيق

عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤١٠هـ)، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.
- **السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ)، ط١، (١٣٤٤هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- **السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **السنن المأثورة**، للإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل **المزني** (ت٢٦٤هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٦هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **سنن النسائي**، المسمى: «المجتبى من السنن»، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية.
- **السنن**، المسمى: «سنن سعيد بن منصور»، للإمام أبي عثمان **سعيد بن منصور** الخراساني (ت٢٢٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٤٠٣هـ)، الدار السلفية، الهند.
- **سير أعلام النبلاء**، للإمام للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **السيرة الحلبية**، المسمى: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»، للإمام **نور الدين** علي بن إبراهيم بن أحمد **الحلبي** (ت١٠٤٤هـ)، ط٢، (١٤٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **السيرة النبوية**، للإمام المؤرخ النسابة جمال الدين أبي محمد عبد الملك **بن هشام** (ت٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، للإمام أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد **ابن العماد** العكري (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.
- **شرح الإلمام بأحاديث الأحكام**، للإمام تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري **ابن دقيق العيد** (ت٧٠٢هـ)، تحقيق محمد العبد الله، ط٢، (١٤٣٠هـ)، دار النوادر، دمشق، سورية.
- **شرح الزرقاني على الموطأ**، للإمام محمد بن عبد الباقي بن يوسف **الزرقاني** (ت١١٢٢هـ)، طبع سنة (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **شرح السنة**، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، ط٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى: «الكاشف عن حقائق السنن»، للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، (١٤١٧هـ)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية.
- شرح العقيدة الكبرى، المسمى: «عمدة أهل التوفيق والتسديد»، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- شرح العقيدة الصغرى، المشهور بـ «شرح أم البراهين»، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للإمام محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت١١٢٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن، للإمام أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان ابن شاهين البغدادي (ت٣٨٥هـ)، تحقيق عادل محمد، ط١، (١٤١٥هـ)، مؤسسة قرطبة، جدة، السعودية.
- شرح مشكل الآثار، للإمام الفقيه أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الشريعة، للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- شعار أصحاب الحديث، للإمام أبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الحاكم الكبير (ت٣٧٨هـ)، تحقيق صبحي السامرائي، ط١، (١٤٢٥هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ط١، (١٣٩٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الشمائل المحمدية، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: حمد أحمد الحلاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- **صحيح ابن خزيمة**، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ، بنقل العدل، عن العدل موصولاً إليه ﷺ من غير قطع في أثناء الإسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار»، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٣، (١٤٢٤هـ) المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **صحيح البخاري**، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، (الطبعة السلطانية اليونينة)، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ)، دار طوق النجاة ودار المنهاج، بيروت، لبنان. جدة، السعودية.
- **صحيح مسلم**، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس**، جمع راشد الرجال، ط١، (١٤١١هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، للإمام تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٤١٣هـ)، دار هجر، القاهرة، مصر.
- **طبقات الشافعيين**، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
- **الطبقات الكبرى**، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **طرح التثريب في شرح التقريب**، للإمام أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي (ت٨٠٦هـ)، مصورة عن الطبعة المصرية القديمة؛ دار إحياء التراث العربي وغيرها، القاهرة، مصر.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للإمام أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، مصورة عن الطبعة المنيرية؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **عمل اليوم والليلة**، للإمام أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت٣٦٤هـ)، تحقيق كوثر البرني، ط١، (١٤١٨هـ)، دار الأرقم، بيروت، لبنان.
- **فتاوى السبكي**، للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سوريا.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، تحقيق محمد الصابوني، ط١، (١٤٠٣هـ)، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق علي حسين علي، ط١، (١٤٢٤هـ)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.
- الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، للإمام محمد بن علان الصديقي (ت١٠٥٧هـ)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- الفرج بعد الشدة، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق عبيد الله بن عالية، ط٢، (١٤٠٨هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر.
- فضائل الخلفاء، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق صالح العقيل، ط١، (١٤١٧هـ)، دار البخاري، المدينة المنورة، السعودية.
- فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم في بعض، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق محمد الرباح، ط١، (١٤١٩هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.
- فضائل الصحابة، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله عباس، ط١، (١٤٠٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة، للإمام أبي عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس البجلي (ت٢٩٤هـ)، تحقيق غزوة بدير، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الفكر، دمشق، سورية.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للإمام الفقيه زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري المناوي (ت١٠٣١هـ)، ط١، (١٣٥٦هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.
- القدر، للإمام أبي بكر جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)، تحقيق عبد الله المنصور، ط١، (١٤١٨هـ)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.
- القضاء والقدر، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد آل عامر، ط١، (١٤٢١هـ)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
- قواطع الأدلة في الأصول، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق محمد حسن الشافعي، ط١، (١٤١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **القواعد الكبرى**، المسمى: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، للإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق نزيه حماد وعثمان ضميرية، ط١، (١٤٢١هـ)، دار القلم، دمشق، سورية.
- **القول التمام بإثبات التفويض مذهباً للسلف الكرام**، للدكتور الشيخ سيف بن علي العصري، ط٢، (١٤٣١هـ)، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن.
- **الكامل في اللغة والأدب**، لإمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد إبراهيم، ط٣، (١٤١٧هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
- **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد العزيز الشهوان، ط٥، (١٤١٤هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- **كتاب الرؤية**، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي، ط١، (١٤١١هـ)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- **كشف الأستار عن زوائد البزار**، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، (١٣٩٩هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لمحدث الشام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، تاريخ النشر (١٣٥١هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، للمؤرخ البحاثة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت١٠٦٧هـ)، طبع سنة (١٩٤١م)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- **الكفاية في علم الرواية**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، السعودية.
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، للإمام علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، للإمام محمد بن يوسف بن علي الكرماني (ت٧٨٦هـ)، ط٢، (١٤٠١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **اللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **اللباب في تهذيب الأنساب**، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **لسان العرب**، لإمام اللغة والآدب أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **لطائف الإشارات**، للأستاذ الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم البسيوني، ط٣، (٢٠٠٠م)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.
- **اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع**، لإمام المتكلمين الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري البصري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق حموده غرابه، طبع سنة (١٩٥٥م)، مطبعة مصر القاهرة، مصر.
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، ط٢، (١٤٠٢هـ)، مؤسسة الخافقين، دمشق، سورية.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، (١٤١٤هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.
- **مجموع الفتاوى**، للعلامة تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق أنور الباز وعامر الجزار، ط٣، (١٤٢٦هـ)، دار الوفاء، القاهرة، مصر.
- **المجموع شرح المهذب**، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، للإمام أبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، وأعده للطبعة الثانية محمد بشير الإدلبي، (١٤٠٦هـ)، دار سزكين، حلب، سورية.
- **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، للإمام أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، ط٣، (١٤٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- **المحصول**، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين **فخر الدين الرازي** خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طه العلواني، ط٣، (١٤١٨هـ)، مؤسسة الرسالة.
- **المدخل إلى السنن الكبرى**، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، (١٤٠٤هـ)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، للإمام الحافظ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد **اليافعي** اليمني (ت٧٦٨هـ)، تحقيق خليل منصور، ط١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للإمام نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد الشهير بـ**ملا علي القاري** (١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة**، للإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي **اليافعي** (ت٧٦٨هـ)، تحقيق محمود نصار، ط١، (١٤١٢هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **المستخرج**، للإمام الحافظ **أبي عوانة** يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفرايني (ت٣١٦هـ)، تحقيق أيمن الدمشقي، ط١، (١٤١٩هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحافظ **أبي عبد الله** محمد بن عبد الله ابن البيِّع **الحاكم** النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، ط١، (١٣٤٠هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- **المستصفى**، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبد الشافي، ط١، (١٤١٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **مسند أبي داود الطيالسي**، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود **الطيالسي** (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق محمد التركي، ط١، (١٤١٩هـ)، دار هجر، القاهرة، مصر.
- **مسند أبي يعلى**، للإمام **أبي يعلى** أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط١، (١٤٠٤هـ)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.
- **مسند إسحاق بن راهويه**، للإمام أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد **ابن راهويه** الحنظلي (ت٢٣٨هـ)، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، السعودية.
- **مسند الإمام أحمد**، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن **حنبل** الشيباني (ت٢٤١هـ)، الطبعة الميمنية، طبع سنة(١٣١٣هـ)، القاهرة، مصر.
- **مسند البزار**، المسمى: «البحر الزخار»، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق **البزار** (ت٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط١، (١٩٨٨م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- **مسند الشاميين**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **مسند الفاروق أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم**، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر **بن كثير** الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق إمام بن علي بن إمام، ط١، (١٤٣٠هـ)، دار الفلاح للبحث العلمي، الفيوم، مصر.
- **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، للإمام أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل **البوصيري** الشافعي (ت٨٤٠هـ)، تحقيق محمد الكشناوي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، دار العربية، بيروت، لبنان.
- **المصنف**، للإمام الحافظ أبي بكر **عبد الرزاق** بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **المصنف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي شيبة** العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.
- **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين، ط١، (١٤١٩هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية. دار الغيث، الرياض، السعودية
- **مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات**، للإمام أبي عيسى **محمد المهدي** ابن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت١١٠٩هـ)، طبع سنة (١٢٨٩هـ)، مطبعة وادي النيل، القاهرة، مصر.
- **معالم أصول الدين**، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن عمر **فخر الدين الرازي** (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **معالم التنزيل**، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٠هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، (١٤٢٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **معالم السنن**، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم **الخطابي** (ت٣٨٨هـ)، ط١، (١٣٥١هـ)، المطبعة العلمية، حلب، سورية.
- **معاني القرآن**، للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله **الفراء** (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط١، دار المصرية، القاهرة، مصر.
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- معجم ابن الأعرابي، للإمام الحافظ أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي البصري (ت٣٤٠هـ)، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٨هـ)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.
- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط١، (١٤١٥هـ ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.
- معجم البلدان، للإمام المؤرخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- المعجم الصغير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق محمد شكور أمرير، ط١، (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- معرفة السنن والآثار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، (١٤١٢هـ)، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان. دار قتيبة، دمشق، بيروت. دار الوعي، حلب، دمشق. دار الوفاء، المنصورة، القاهرة.
- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- معنى قول الإمام المطلبي: (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، للإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق كيلاني محمد خليفة، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.
- المغازي، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (ت٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونس، ط٣، (١٤٠٩هـ)، دار الأعلمي، بيروت، لبنان.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المغني عن حمل الأسفار، للإمام تالحافظ زين الدين أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، ط١ (١٤٢٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لإمام المتكلمين الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري البصري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- من عاش بعد الموت، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد حسام بيضون، ط١، (١٤١٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- مناقب الشافعي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر الحسيني، ط١، (١٣٩٠هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للعلامة إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني (ت٦٤١ه)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام الحافظ أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي (ت٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود الصعيدي، ط١، (١٤٠٨هـ)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- موطأ الإمام مالك، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٣٨٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ميزان العمل، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- الناسخ والمنسوخ، للإمام المفسر النحوي أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس المصري (ت٣٣٨هـ)، تحقيق محمد عبد السلام محمد، ط١، (١٤٠٨هـ)، مكتبة الفلاح، الكويت، الكويت.

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (١٤١٥هـ)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، للمحدث المؤرخ أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الحسني الكتاني (ت١٣٤٥هـ)، ط٢، دار الكتب السلفية، القاهرة، مصر.
- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، ط٣، (١٩٧٦م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- نهاية السول شرح منهاج الوصول، للإمام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، عبد القادر محمد علي ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- نهاية المطلب في دراية المذهب، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (١٣٩٩هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
- هواتف الجِنَّان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ)، تحقيق محمد الزغلي، ط١، (١٤١٦هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- الوافي بالوفيات، للأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، اعتنى به ثلة من المحققين، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الوصول إلى الأصول، للإمام أبي الفتح أحمد بن علي بن برهان البغدادي (ت٥١٨هـ)، تحقيق عبد الحميد علي، ط١، (١٤٠٤هـ)، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

* * *

محتوى الكتاب

* *